



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى



Makkah Capital of
Islamic Culture
2005
مكة المكرمة عاصمة
الثقافة الإسلامية
١٤٢٦هـ

طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ) / (١٢٥٨ - ١٥١٧م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد

آمنة حسين محمد علي جلال

إشراف

الأستاذ الدكتور أحمد السيد دراج

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية



الإهداء
بسم

(إهداء)

إلى من كان سبباً في وجودي وأشرف على تربيته
وتعليمي .

إلى من أشركهم الله معه في قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ ۞ ﴾

إلى من أتعبا نفسيهما في تأديبي وتهذيبي حتى نلت هذه
الجائزة العلمية ، أقدمها بحياهما إليهما ليحصدا ثمارما زرعنا ، وأيضا
من كل قارئ لرسالتي أرجوه أن يدعو لهما بالعمرا الطويل .
وكذلك أهدى هذه الرسالة إلى زوجي الذي جعلني أصدح
بآيات العلم ،،،

الباحثة

شکر و تقدر
سیر

(شكر وتقدير)

إليك يا أستاذي العزيز أرفي شكرى وتقديرى ، وإلى روحك الكريمة
أبعث تحياتي ومن عقلك النير أستمدت هذه التوجيهات
إعترافاً مني بفضلك لأن الحكمة الخالدة تقول " من علمني حرفاً
صرت له عبداً " . وإستثناساً بقوله تعالى * إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ * .

كما يجب أن لا أنسى أن أنوه بجهود وساعدة الأساتذة معالي
الدكتور راشد الراجح ، مدير جامعة أم القرى ، وسعادة الدكتور
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وكذلك سعادة الدكتور
سعد الراشد ، عميد شئون المكتبات بجامعة الرياض ، والأستاذ
إبراهيم سندی مدير مكتب العمل ، ولكل من له فضل عليّ في إخراج
هذه الرسالة على الوجه المطلوب داعياً لهم بأن يسدد الله خطاهم
ويبارك لهم في حياتهم وأعمالهم ، والله الموفق ،،،

آمنة حسين جلال

مَقَرَّمَا

بسم الله الرحمن الرحيم
(أ)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن موضوع بحثي لدرجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي عن " طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ " . وهناك تعريفات كثيرة للحجاز اختلف الجغرافيون فيها ، أما بالنسبة لموضوع بحثي فهو المنطقة المحصورة من تبوك شمالاً ، والطائف جنوباً ، والبحر الأحمر غرباً ، وسلسلة الجبال التي تفصل صحراء نجد عن الحجاز شرقاً . وكان الحجاز يحكمه الأشراف الهواشم الذين ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم حتى تمكن الشريف قتادة بن إدريس الحسنى في نهاية القرن السادس الهجرى بإقامة إمارة حسنية بمكة وذلك شهدت مكة في عصره الأمن والإستقرار حتى امتد نفوذه على الحجاز كله واليمن ، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال السياسية بمكة بعد وفاة الشريف قتادة ، إذ أصبحت ميدان للصراع بين الأيوبيين الذين حكموا اليمن وبين بنى رسول في اليمن ، وظلت أحوالها مضطربة حتى أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجرى حيث استغل الشريف محمد بن أبونمى بامرئتها وكان ذلك في مطلع العصر المملوكي .

ونلاحظ أن المماليك في بداية حكمهم بعد سقوط الدولة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ انشغلوا بحماية مصر وتأمينها ضد الغزو المغولى ، ولذلك لم يشغلهم أمر الحجاز حتى تحسنت الأحوال في عهد الظاهر بيبرس وأخذ يقوى قبضته بعد نفوذه على الحجاز خاصة بعد إحياء الخلافة العباسية حتى يصبحوا في نظر العالم الإسلامي حماة الإسلام والمسلمين . وكانت هناك إمارتين بالحجاز ، إمارة بمكة المشرفة ، وأخرى بالمدينة المنورة ، وذلك أدرك أمير مكة الشريف أبونمى ببعد نظره أن

(ب)

الماليك غدوا مركز الثقل في العالم الإسلامي فأعلن الولا لهم . وهكذا بدأ عصر جديد مع الدولة المملوكية في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية .

واعتبار الحج ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ولذا فإن الحجاز يعتبر مركزاً للهداية والإرشاد ومنبع الإشعاع الروحي ، تقام في رحابه المقدسة المناسك ، ويجتمع في حرميه الشريفين العالم الإسلامي كل عام ، ويحضر إليه أعظم العلماء والفقهاء والزعماء والملوك والأمراء والأغنياء والفقراء ويلتقون حول نقطة واحدة ، رغم اختلافهم في الحضارات والثقافات . ولذلك حرص الخلفاء والملوك والسلاطين على بسط سيادتهم على الحجاز للاستفادة من ذلك في أغراضهم السياسية ، ولكي يتشرفوا بخدمة الحرمين الشريفين لترتفع منزلتهم ويعلو ذكركم في قلوب المسلمين . بل ان إهتماماتهم تعدت شئون الحرمين الشريفين وما يتعلق بهما في الحج والزيارة إلى بلاد الحجاز عامة وبخاصة طرق الحج التي كان يسكنها الحجاج ، فعنوا بها من حيث توفير الراحة والأمن للحجاج في سلوكهم لهذه الطرق وبخاصة طرق الحج الرئيسية التي تربط الحجاز بالعراق واليمن والشام ومصر . ومـعـ علي بأن هذه الأجزاء تقع خارج الحجاز جغرافيا الا أنني أتناولها حتى تزيد الوضع إيضاحا .

هذا وقد سبق أن قام بعض الباحثين قبلي بالدراسة في الفترات السابقة على العصر المملوكي . فقد قام الأستاذ الدكتور سعد الراشد بدراسة لطريق الحج العراقي بين الحدود السعودية ومكة وهو المعروف بدرب زمبيدة . وهي دراسة تاريخية وميدانية جاءت في تسعة فصول وملاحق .

(ج)

ففي الفصل الأول تكلم عن طرق الحج وأعمال الطرق خلال فترة الخلافة الأموية ، ووصف طريق الكوفة - مكة قبل فترة العباسيين .

وفي الفصل الثاني تكلم عن إنشاء درب زبيدة خلال فترة العباسيين وإسهام ومشاركة السيدة زبيدة فيه .

وفي الفصل الثالث تحدث عن تدهور الطريق من جراء الإعتداءات القبلية ، وأثر هجمات القرامطة ، وبعض العوامل الأخرى .

وفي الفصل الرابع تحدث عن الطريق خلال العصور المتأخرة بعد سقوط بغداد ، ووصف الطريق من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين .

والفصل الخامس عبارة عن دراسة ميدانية لدرب زبيدة كوصف عام للمواقع التي زارها المؤلف ، أو تحديد المحطات الرئيسية على طول الطريق .

والفصل السادس عن هندسة وتأسيس الطريق من ناحية الطرق التي استعملت في إنشائه ، وكذلك الأعلام "علامات الطريق" .

والفصل السابع عن التسهيلات على الطريق من إمدادات المياه والآبار والإستراحات والحماية ، وكذلك التعرض للمقارنة بين خزانات المياه على طول درب زبيدة ، وخزانات المياه في أماكن أخرى ، كتونس والأردن وسيناء وجنوب النقب وسوريا وفارس وغرب وجنوب الجزيرة العربية .

أما الفصل الثامن فعن معالم النقوش الكوفية التي وجدت قرب درب زبيدة .

والفصل التاسع عن الموجودات الصغيرة من الفخار والزجاج التي ترجع إلى العهد الإسلامي الأول ، وثلاثة قطع من النقود العباسية .

أما الملاحق فتضمنت أسماء القائمين على إدارة طريق الكوفة ومكة في العهد العباسي .

كما أنه تعرض بالشرح والتفصيل لركب الحج العراقي . وهذه الدراسة في مجملها تعتبر من الدراسات الجيدة عن درب زبيدة وهو أشهر دروب الحج حتى سقوط الدولة العباسية .

كما أن للدكتور سعد الراشد بحثاً جانبية نشرت في بعض المجلات العلمية يتحدث فيها عن أهمية درب زبيدة ، وما أقيم فيه من إصلاحات . فالبحث الأول بعنوان " شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة " ^(١) يذكر فيه أهم الشخصيات التي أسهمت في إصلاح درب زبيدة من حيث حفر الآبار والبرك ، وتمهيد الطريق وإزالة العقبات وغيره . والبحث الآخر بعنوان " برك المياه على طريق الحج العراقي " ^(٢) . تكلم فيه عن أهمية المياه في هذا الطريق ، وما جاء فيه من إمدادات المياه لمساعدة الحجاج فيه على تحمل العطش .

(١) كلية الآداب - جامعة الرياض - العدد الخامس سنة ١٣٧٧ هـ ، ص

(٢) مجلة أطلال وحولية مديرية الآثار العربية السعودية - العدد

الثالث ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

وجاء الأستاذ سيد عبد المجيد بكر ، وقدم لنا كتابه بعنوان
" الملاح الجغرافية لدروب الحجيج " كدراسة متكاملة للمحاور المتعددة
التي تقصد مكة المكرمة من الكوفة ودمشق والقاهرة ، والتركيز على المنازل
الهامة الواقعة عبر مسيرة تلك الدروب ، ومواقعها على الخرائط مع أهم
ملاح الموضوع إذا كان لا يزال موجوداً ، أو إن كان قد درس موضعه
وتلاشى وجوده ، مع إبراز المشاكل التي كانت تعترض مسيرة مكب الحجيج ،
وإظهار الأيدي التي امتدت إلى الدروب بالإصلاح والتعمير ، وكذلك تحويل
الدروب في بعض الفترات الزمنية نحو مسارات جديدة مؤقتة أمام أخطار
كانت تهدد أمن وسلامة مسيرة الدرب . وتنقسم موضوعات الكتاب إلى
أربعة أقسام على النحو التالي :

القسم الأول : درب الحج العراقي " درب زبدة " الكوفة
مكة .

القسم الثاني : درب الحج المصري - القاهرة - المدينة المنورة .

القسم الثالث : درب الحج المصري البحري - القاهرة - عيذاب
- جدة .

القسم الرابع : درب الحج الشامي - دمشق - المدينة المنورة .

كما كانت رسالة الماجستير للدكتور سليمان عبد الغني مالكي عن
" مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي الإسلامية المقدسة
من السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية " فقد تناولت
الدراسة في الفترة الزمنية المخصصة لها وصف طرق الحج الأربعة وهي
طريق الحج العراقي ، والشامي ، والمصري ، واليميني ، وما أقيم فيها

من مرافق ، وما تم بها من خدمات للحجاج ، كتوفير المياه والطعام ، فضلاً
عن خدمات الحجاج في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة ،
وأعطيات الخلفاء والملوك والسلاطين لولاية مكة المكرمة والمدينة المنورة
ولاهالي الحرمين .

أمّا جاك جومير ، العالم الفرنسي ، في كتابه " المحمل المصري " فقد قام بالتحدث عن المحمل المصري وأهميته ، وطريقة خروجه من مصر إلى مكة ، كما أهتم بوصف الطريق المصري البري وما أقيم فيه من إصلاحات في المنازل وقد استعنت بمجلة دار الملك عبد العزيز في ترجمة بعض فصول الكتاب . هذا ويذكر موضوع بحثي لدرجة الدكتوراه طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي حيث كانت السيادة فيه على الحجاز للدولة المملوكية ، وحيث عنى سلاطين وأمراء المالِك بأمْر الحِجَّاز فاهتموا بشئون الحرمين الشريفين عامة ، وشئون الحج ومرافقه وخدماته خاصة سواء على امتداد طرق الحج المصري والشامي على وجه التخصيص أو في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة وجدة . وهذه الدراسة محاولة لاستكمال دراسة الأستاذ الدكتور سعد الراشد لدرب زبيدة وخاصة في العصر العباسي .

وقد علمت أن الباحث اليمني الكبير القاضي إسماعيل بن علي الأكواع على وشك الإنتهاء من دراسة طريق الحج اليمني ، وكنت أتمنى أن تتاح لي فرصة الاستفادة من هذه الدراسة ، وخاصة في دراستي لطريق الحج اليمني في العصر المملوكي .

أما خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة وستة فصول .

فالفصل الأول يشتمل على طرق الحج الرئيسية ، فيبدأ بوصف الطريق المصري البرى (بركة الحاج - العقبة - الساحل) من بدء خروج القافلة ، وطريقة تنظيمها وتعيين أميرين لها وهما أمير الحج ، وأمير المحمل ، ثم توضيح أعمال السلاطين والأمرأ ، وكبار رجال الدولة من حيث حفرهم للآبار ، وتكفلهم بحمل الفقراء والمعوزين ، وإزالة العقبات ، وبناء الخانات في الطريق ، وترتيب الأموال لروءساء القبائل منعاً من إعتدائهم على الحجاج ، ثم وصف الطريق المصري البرى ، وبيان المنازل والمراحل بين كل منطقة وأخرى ، والأعمال الخيرية التي قامت في هذه المناطق . ثم وصف الطريق المصري (الفسطاط - عيذاب - جدة) وأعمال الماليك فيه ، ووصف طريق الحج البحرى (السويس - الطور - جدة) وعناية الماليك به . ثم وصف طريق الحج الشامي وما حدث فيه من إعتداءات العربان على قوافل الحجاج .

ووصف طريق الحج العراقي ، وبعض أعمال الخير فيه .

ثم وصف الطريق اليمني ، وما قدم به من خدمات وأعطيات لقافلة

الحج اليمني .

أما الفصل الثاني فيشتمل على إلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة

المنورة على الأتعمة ، وذلك مقابل تعويض أميرى مكة والمدينة عن ذلك ،

كما يتناول الفصل جباية المكوس بجدة من التجارة والحجاج على خلاف ما كان

يحدث في مكة والمدينة ، وبخاصة بعد أن أصبحت جدة المركز الرئيسي

لتجارة البحر الأحمر في عهد السلطان المملوكي برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ) .

وأما الفصل الثالث فيتناول الأعطيات لاهالي الحرمين الشريفين —
وكيفية تأثر الحجاز بانخفاض النيل وما كان يترتب على ذلك من قحط وجذب
ومجاعة في بعض الفترات مما كان يوجب شرعاً أعطيات المالك لاهالي
الحرمين ولولة مكة والمدينة .

ويتناول الفصل الرابع موضوع توفير الأُطعمة ، وإلغاء المكوس عليها
في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ففي بعض السنوات كان يعم الرخاء بسبب
هطول الأمطار ، وإرسال الأعطيات والهبات العينية والنقدية ، وفي بعضها
كان يعم الجذب ، ويقل الطعام بالأسواق بسبب عدم هطول الأمطار .

أما الفصل الخامس فيعالج موضوع توفير المياه في الحرمين الشريفين ،
وذلك بإرسال السلاطين والاهل وكبار رجال الدولة للقيام بحفر الآبار والبرك
ولإقامة الأسبلة والمطاهر في الحرمين والمشاعر .

وفي الفصل السادس والآخر فقد تحدثت عن الخدمات الدينية
والمدينة للحجاج في العصر المملوكي في مكة المكرمة ، وفي الطريق من مكة
إلى المدينة المنورة ، وفي المشاعر المقدسة ، وفي المدينة المنورة وفي جدة ،
فقد تحدثت عن المساجد التي بنيت في هذه الفترة في مكة المكرمة ، وفي
مر الظهران ، وفي خليص ، وعن مساجد المشاعر المقدسة (منى -
ومزدلفة - وعرفة) وعن مساجد المدينة المنورة ، وعن مسجد جدة .
كما تكلمت عن المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكذلك عن الأربطة
بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، والبيمارستان بمكة المكرمة والمدينة
المنورة .

وأخيراً الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث من حيث أعمال السلاطين والأئمة وكبار رجال الدولة وبعض الشخصيات الإسلامية سواء في طرق الحج أو في أراضي الحرمين الشريفين والمشار المقدسة وجدة . وعن شئون التجارة وكيف تحولت من عدن إلى جدة .

أما الملاحق فاشتملت على حجة وقف الأشرف شعبان وإلغاءه للمكوس بمكة وبالمدينة المنورة . وحجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونص اللوحة التأسيسية لعمارة عين عرفة في عهد السلطان قايتباي ، والخرائط الخاصة بطرق الحج فقد صممت بعضها على حسب الطرق التي تضمنت موضوع بحثي .

أما من حيث معلومات البحث فقد كرست جهدي في الإطلاع على المصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع العربية والمعرية والأوروبية المتعلقة بالموضوع ، واستفدت كثيراً من المعلومات المبثوثة خلالهما حتى خرجت بحصيلة علمية تاريخية ضخمة .

وفيما يختص بالمصادر المخطوطة ، المكية والمدنية التي رجعت إليها يأتي في مقدمتها المصادر التالية :

* مخطوطة " زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال في تاريخ مكة والمدينة " . للمؤرخ محمد بن عمر الإسفرائيني المتوفى سنة ٧٦٢ هـ . وهذه المخطوطة بها خطوط مختلفة ويبدو أن نساخها متعددون ، وهي تتحدث عن الكثير من أخبار مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد وجدت بها بعض المعلومات التي تخص بحثي .

* ومخطوطة " الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة " . للعالم المكي تقي الدين محمد بن شهاب الدين أبو العباس الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ . وهو من علماء مكة في القرن الثامن الهجري وبداية

القرن التاسع الهجرى ، وقد عاصر بعض سلاطين دولة المماليك . وقد أستفدت بإستفادة كبيرة منها في أغلبية معلومات بحثي وخاصة فيما يتعلق بالإنشاءات الدينية والمكوس ومنح الأعطيات وتوفير المياه والأطعمة والإنشاءات الدينية والمدنية بحكة المكرمة ، وللأسف مخطوطة أخرى بعنوان "تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام " وهي تحمل نفس المعلومات .

* ومخطوطة " تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف " لإبن الضياء القرشي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ ، وتشتمل على ما يتعلق بأحوال مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة . وقد عاصر المؤرخ بعض أحداث القرن الثامن الهجرى . وأغلبية أحداث القرن التاسع الهجرى لمدة أربعة وخمسين سنة في الحجاز ، فأفادتني ببعض المعلومات القيمة في بعض فصول البحث التي تتعلق بالأعطيات والمنشآت الدينية والمدنية .

* وأيضاً مخطوطة " الأرج المسكى في التاريخ المكسى " . للمؤرخ على بن عبد القادر محمد الطبرى المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ . وقد رتب المؤرخ الكتاب على مقدمتين وثمانية أبواب في قواعد علم التاريخ ، وفي فضل الحرم ، وفنائل مكة والكعبة وكسوتها ، ومن أعتنى بتعظيم البيت من الخلفاء والملوك في الجاهلية والإسلام وولاة مكة والأشراف من آل قتادة ، وبها الكثير من المعلومات المعاصرة لبحثي .

* ومخطوطة " منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم " . للمؤرخ على السنجارى المتوفى سنة ١١٢٥ هـ ، وتتناول أخبار مكة وولاتها وعلماءها في ثلاث مجلدات بخط حسن ، كما تتحدث عن بعض سلاطين المماليك والغائبهم للمكوس وعن أعطياتهم .

* وكذلك مخطوطة "إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن".

للمؤرخ محمد بن علي بن فضل الطبري المتوفى سنة ١١٧٣ هـ .

ويتحدث فيها عن ولاية مكة زمن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإلى زمن

الشريف مكشربن عيسى ، ومن الشريف قتادة بن إدريس حتى سنة ١١٤٠ هـ .

وقد أفادتني ببعض المعلومات عن توفير المياه والأطعمة والمنشآت الدينية

والمدنية .

* ومخطوطة " تحصيل المرام بأخبار البيت الحرام والمشاعر

العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام " لابن الصبـاغ

المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ ، وفيها يتحدث عن أمطار مكة وسيولها وبعض

سنوات الغلاء والجذب وجباية المكوس والغائها .

* وأيضا مخطوطة " مختصر حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمارة

الحاج " للمؤرخ أحمد بن محمد الحضراوى المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ ،

وبها بعض المعلومات المتعلقة بإمرة الحرمين الشريفين وأحوالها

ولإمارة الحاج .

* أما مخطوطات العصر المملوكي في مصر ، فأهمها مخطوطة " زبدة

الفكرة في تاريخ الهجرة " للأ ميرببر من الدوا دار المتوفى

سنة ٧٢٥ هـ . وهذا المؤرخ يمدنا بمعلومات قيمة عن عهده لأنه أمير

من أمراء الممالك ، ويسرد لنا حقائق معاصرة له أفادتني في بحثي .

* وأيضا مخطوطة " درة الأسلاك " للحسن بن عمر بن حبيب المتوفى

سنة ٧٧٩ هـ ، وتشتمل على تاريخ دولة الأتراك وأولادهم وأمرائهم ،

وذكر الحوادث الكائنة في عصرهم . وقد أشتملت على بعض المعلومات القليلة

فيما يتعلق بالأعطيات لأهل الحرمين والأوقاف الموقوفة عليهم .

أما المصادر المملوكية المطبوعة، فأهمها كتاب "تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" وكتاب "الروض الزاهر في سيرة الملك الناصر" للمؤرخ ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ . فهذا المؤلف رخ عاصر السلطان الظاهر بيبرس، والسلطان المنصور قلاوون، وقد ذكر الكثير من أعمالهم بالحرمين الشريفين .

وكذلك كتاب "الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية" وأيضاً كتاب "الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر" للمؤرخ ابن أيبك الدوادار المتوفى سنة ٧٠٩ هـ . فهذا المؤلف رخ عاش زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأولاده وعاصر أحداثهم عياناً، وقد أفادني بمعلوماته التي تخص الحرمين الشريفين وعلاقاتها بمصر .

وأيضاً كتاب "أنباء الغمر بأبناء العمر" وكتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" للمؤرخ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وهو من مؤرخي نهاية القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع، وقد سجل أحداث الدولة المملوكية وأعمالها الخيرية في الحجاز، وعلاقات المماليك بأشرافها، وهو يعتبر من المصادر المعاصرة لفترة بحثي .

وكذلك كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ . ويتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن تاريخ الدولة المملوكية في مصر والشام وغيرها ، وعلاقاتها بالدول الأخرى بشرح واف مسهب ، وله أيضاً " حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " وهو مطبوع . وأما في التراجم فله " المنهل الصافي " ولا يزال مخطوطاً ، وأما مختصره " الدليل الشافي على المنهل الصافي " فقد قام بتحقيقه الأستاذ فهم شلتوت ، وقام على طبعه مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، وهذا المؤلف رخ القدير أفادني بكتبه كثيراً في أكثر فصول الرسالة .

وكذلك مؤلفات المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ التي أمدتني بالكثير من المعلومات في جميع فصول الرسالة لمعاصرتة للأحداث ، ويعتبر من أهم الكتب المملوكية التي أعتمدت عليها . ومن أهمها كتاب " السلوك " وكتاب " الذهب المسبوك " وكتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " وكتاب " المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار " .

وأيضاً كتاب ابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ المسمى " بدائع الزهور " وهو من معاصري السلطان قايتباي ، والسلطان قانصوه الغوري ، وقد شاهد أحداث دولتهم وكتب عنهم وخاصة فيما يتعلق بأحداث جدة .

أما المصادر المكية المطبوعة ، فأهمها كتاباً " شفاء الغرام " و " العقد الثمين " ، وهي من الكتب المكية المعاصرة لأحداث الحجاز للمؤرخ الجليل أبي الطيب تقي الدين بن محمد الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ . وقد تحدث الفاسي عن أخبار مكة من أول عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم وحتى وفاته ، ومن ثم وجدت فيها مادة دسمة

(ن)

بالنسبة لتوفير الاطعمة وإلغاء المكوس عليها ، وتوفير المياه ، والمنشآت الدينية والمدنية .

وكذلك كتاب " إتحاف الوري بأخبار أم القرى " لابن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام ، الثلاثة الأجزاء الأولى حقها الأستاذ فهم شلتوت ، وقد نشرها مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، والجزء الرابع حققه الدكتور عبد الكريم الباز ، وكان موضوع رسالته لدرجة الدكتوراه ، وهوفي طريقه إلى الطبع . والكتاب تاريخ حافل بأحداث الحجاز في جميع النواحي سياسية واقتصادية واجتماعية حتى وفاة مؤلفه .

ومن المصادر المدنية كتاب السمهوري المتوفى سنة ٩١١ هـ بعنوان " وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى " وهو حافل بالمعلومات التي تتعلق بالمدينة المنورة ، خاصة وأنه عاصر السلطان الأشرف قايتباي عندما حج وزار المدينة المنورة سنة ٨٨٤ هـ ، وما قام به من أعمال خيرية بالنسبة لأهلها .

ومن المصادر المدنية أيضاً كتاب السخاوي " التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة " وقد أفادني كثيراً فيما يختص ببحثي عن المدينة المنورة ، كما لا يخفى علينا أهمية كتابه التاريخي " التبر المسبوك في ذيل السلوك " من حيث الأحداث المتصلة بالحجاز ، وكتاب التراجم الضخم " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الهجري " الذي لا يستغنى عنه أي باحث .

ويأتي على رأس الكتب الخاصة بأخبار الحج وبطرق الحج كتاب " درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة " للمؤرخ الجزيري المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ، وهو مقسم إلى جزئين ، وقد أستفدت منه في

أكثر المعلومات التي تخص الطرق الرئيسية الأربعة ، وخاصة طريق الحج المصري ، وما أقيم فيه من إصلاحات وإنشاءات ، لأن الجزيرة له خبرته الطويلة بأخبار الحج وطرقه حيث كان يشغل مع أبيه إمارة ديوان الحج ، ثم انفرد به بنفسه في أوائل العصر العثماني في مصر .

كما اعتمدت على بعض المصادر اليمنية مثل كتاب " العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية " للخزرجي المتوفى سنة ٨١٣ هـ . ويعتبر الخزرجي من المؤرخين العرب الذين اهتموا بعلم التاريخ وخاصة تاريخ اليمن في عهد بني رسول ، ومن ثم فإن الوقائع التي أودعها دفتى كتابه لها قيمة خاصة لأنها على لسان شاهد عيان ، ولأن دولة بني رسول عاصرت الدولة المملوكية .

وأيضاً كتاب " قرة العيون بأخبار اليمن الميمون " لابن الديبـع المتوفى سنة ٩٤٣ هـ . وفي هذا الكتاب لم يحفل ابن الديبـع بالشخصيات بقدر ما أهتم بالأحداث وسردها في تسلسل زمني ، وهو ليس بالمختصر المخل ولا بالمطنب الممل . والكتاب يسد ثغرة من تاريخ اليمن من الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري .

وكذلك كتاب " غاية الأمان في أخبار القطر اليمني " للمؤرخ يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ هـ ، ويعتبر من المصادر الهامة في تاريخ اليمن .

ولم يغفل البحث كتب الرحالة لأنهم يعتبرون شاهد عيان بالنسبة لمرئيات الأحداث لكل ما شاهدوه ورأوه وسجلوه . ومن أهم هذه الكتب

"رحلة ابن جبير" المتوفى سنة ٦١٤ هـ ، وقد عاصر الدولة الأيوبية أيام صلاح الدين الأيوبي ، وسجل في رحلته كيفية جباية الكوم والغائها على الحجاج ، ورحلة " ابن بطوطة " المتوفى سنة ٧٢٩ هـ التي أفادتني في وصف الطريق المصري ، والطريق العراقي . ورحلة " المبدري " المتوفى سنة ٦٨٨ هـ ، وأيضاً رحلة " ابن رشيد الأندلسي " ، وتعليقه على الطريق المصري والشامي . ورحلة " التجيبي " المتوفى سنة ٧٣٠ هـ المسماة " مستفاد الرحلة والإغتراب " وغيرها من الرحلات .

أما مصادر التاريخ الإسلامي العام ، فيأتي في مقدمتها كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٥ هـ . وفي الجزء الرابع عشر يحدثنا ابن كثير عن بعض أعمال سلاطين المماليك وعلاقاتهم بالحجاز .

وكتاب " أخبار الدول وأخبار الأول " للقرماني . كما اعتمدت على بعض الكتب التي أفادتني في طرق الحج مثل كتاب " المناسك " للحري ، وكتاب " صفة جزيرة العرب " للهمداني ، وكتاب " الخراج " لابن قدامة وغيره من المصادر التاريخية القديمة .

وكذلك اعتمدت على بعض المصادر التاريخية العربية مثل كتاب " مرآة الحرمين " للمؤرخ التركي أيوب صبري باشا ، وقد ترجمت بعض فصول هذا الكتاب بالاستعانة بالدكتور الصفصافي مرسى بدارة الطك عبد العزيز بالرياض ، ووجدت في ذلك بعض الصعوبة إلا أنني خرجت منه بحصيلة لا بأس بها عن مكة والمدينة ، وخاصة التي تخص الأشراف قايتباي ، وكذلك بعض المنشآت الدينية والمدنية وغيرها .

وأحب أن أنوه للقارئ بأنني لم أجعل لبعض الكتب القديمة أسماءً محققها . أما المراجع العربية الحديثة ، فأهمها كتاب " الملا مرجع الجغرافية لدروب الحميم " لسيد عبد المجيد بكر ، وقد أمدني هذا

(ف)

الكتاب بالكثير من المعلومات عن طرق الحج الرئيسية الثلاثة : المصرية ،
والشامي ، والعراقي .

وأيضاً كتاب الدكتور سعد الراشد " درب زبيدة " وما فيه من
معلومات تتعلق بطريق الحج العراقي .

وكذلك كتاب الدكتور علي السليمان عن " العلاقات الحجازية
المصرية " وهو يشمل علاقات الدولة المملوكية بالحجاز ، وقد خرجت منه
بالكثير من المعلومات القيمة .

وأيضاً تاريخ مكة لأحمد السباعي الذي تناول فيه أحداث مكة
منذ قيام الإسلام حتى الدولة السعودية .
وأيضاً كتاب " الماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري " للدكتور أحمد
درّاج .
وأيضاً كتاب " الأحوال السياسية والإقتصادية في العصر المملوكي " لريتشارد
مورتييل .

أما من حيث تعريف الأوزان والمكييل والنقود فقد اعتمدت على
كتاب ابن رفاعه المسمى " الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان "
وكتابه " القيم النقدية في الوثائق المملوكية " و " المكييل في صدر
الإسلام " للدكتور سامح عبد الرحمن فهمي ، وكتاب " النقود العربية "
للدكتور عبد الرحمن فهمي .

وهناك بعض الوثائق التي شملت بعض الأوامر السلطانية
بالغناء المكوس ، والصرف على المنشآت الدينية والمدنية في الحجاز
وكذلك على الفقراء والمجاورين .

كما اطلعت على الكثير من البحوث في المجلات العلمية ، وأستخلصت منها الكثير من المعلومات ، منها مقال الأستاذ حمد الجاسر الذي علق فيه على رحلة ابن رشيد الأندلسي وطريق الحج المصري والشامي ، ومقال عن طريق الحيرة - مكة . وأيضاً مقال محمد التهامي بعنوان "الإصلاحات الملوكية في الأراضي الحجازية" .

وأيضاً بحوث الدكتور سعد الراشد بعنوان " برك المياه على طريق الحج " و " شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة " ، وهذان المقالان يتعلقان بطريق الحج العراقي .

وأيضاً بحوث الدكتور أحمد دراج بعنوان " عيذاب " وأيضاً " إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجري " وكذلك " رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباي ومحمود شاه خلجي سلطان مندوه بالهند " .

هذا فضلاً عن الكثير من المخطوطات والمصادر والمراجع والبحوث التي يجد القارئ شيئاً كاملاً بها في نهاية الرسالة .

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في خدمة المعرفة ، ونسى إيفاء الموضوع حقه من البحث . هذا وقد كان لأستاذ المشرف الدكتور أحمد دراج حظها من العناية والتقدير ، كما كان لجهوده ولمواظرتة أكبر الأثر في إخراج هذا البحث على النحو المرجو .

والله ولي التوفيق ،،،

الفصل الأول

طُرق الحج

وتوفر الراحة والأمن فيها للحجاج

- ١ - طرق الحج .
- ٢ - طريق الحج المصرى .
 - إهتمام سلاطين المماليك بطريق الحج المصرى .
 - طريق الحج المصرى (البهى) .
 - وصف طريق الحج المصرى البهى (بركة الحاج - سيناء - العقبة - الساحل) وأعمال المماليك به .
 - وصف طريق الحج المصرى (الفسطاط - عيذاب - جده) وأعمال المماليك به .
 - وصف طريق الحج المصرى البحرى (السويس - الطور - جده) وأعمال المماليك به .
- ٣ - طريق الحج الشامى .
- ٤ - طريق الحج العراقى .
- ٥ - طريق الحج اليمنى .
- ٦ - اعتداءات القبائل على الحجاج .

١ - طرق الحج

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة ، كما أنه لم يقتصر على تأدية الفريضة ، بل تجاوزها إلى منافع أخرى قال تعالى ﴿ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴾ (١) .

وهكذا ارتبطت مكة المكرمة منذ فجر الإسلام بطرق حج تسلكها قوافل الحجاج من مصر والمغرب والأندلس والشام والعراق ، وشبه الجزيرة العربية .

ومن ثمار دروب الحج ، تأتت منافع حضارية عديدة ، منها هذا اللقاء بالبيت الحرام والمشاعر المقدسة التي تضم المسلمين من كل لسان ومن كل جنس في أيام معدودات ، وفي هذا اللقاء يتعاضد المسلمون في وئام ومحبة ، وان اجتماع الحجاج يؤدى إلى قيام تماس بين الخبرات التي اكتسبها الحجاج في الحضارات التي يعيشون في ظلها . وعلى امتداد دروب الحج شيدت المساجد ، والمنازل والقصور ، والخانات ، والقلاع ، وآبار المياه والبرك لخدمة الحجاج . وفي المنازل الرئيسية عبر هذه الدروب أقيمت الأسواق التجارية لتفي بحاجة الحجاج ، ثم نشأت بها مدن وقرى أصبحت معالم بارزة في خارطة العالم الإسلامي .

(١) سورة الحج : آية ٢٧ ، ٢٨ .

وعبر مسيرة دروب الحج ، وفي العواصم الإسلامية التي كانت تخرج منها ركب الحجاج ، كان لقاء علماء المسلمين في مكة المكرمة ، وفي موسم الحج ، وفي المدينة المنورة وهم في زيارة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كان لقاءهم الأكبر هو الإجماع لما فرضه الله سبحانه وتعالى إلى جانب منافع أخرى مثل الدراسة والتدريس والتجارة . وهكذا كانت دروب الحج روافد ثقافية إسلامية .

ونظراً لهذه الأهمية الكبرى لدروب الحج فقد أهتم كثير من علماء المسلمين مشاركة ومغاربة من رافقوا مواكب الحجيج وأدوا الفريضة بوصف هذه الدروب ، فتركوا لنا تراثاً جغرافياً وتاريخياً ضخماً تمثل فيما سجلوه من وصف مراحل هذه الدروب ومنازلها ومنازلها ، وما أقيم على إمتدادها من منشآت ومرافق لخدمة الحجيج ، حتى يتيسر لهم قطعها والتغلب على مشاق الرحلة إلى الديار المقدسة . (١)

ولهذا كله كانت دروب الحج منذ فجر الإسلام موضع العناية من قبل خلفاء المسلمين وأمراءهم ، بل وأعيانهم من الأثرياء والتجار ، لتوفر سبل الراحة للحجاج في سلوكهم لدروب الحج المختلفة ، سواء بتوفير الأمن لقوافل الحج ، أو بإقامة المنازل والمنشآت والمرافق المختلفة ، تيسيراً على المسلمين في اجتياز هذه الدروب وأداء فريضة الحج .

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٩-١٢
سعد الراشد : شخصيات إسلامية أسهمت في غارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة - مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض - العدد الخامس ، ١٣٧٧هـ ،

وكانت ركبان الحج من الأُمصار الإسلامية في إتجاهها إلى مكة المكرمة تسلك أربعة طرق رئيسية تشق شبه الجزيرة العربية من شرقها وشمالها وجنوبها . وهذه الطرق هي نفسها على وجه التقريب طُرق التجارة القديمة التي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ، ومسلوكة إلى مكة المكرمة سواءً للتجارة أو الحج . وهذه الطرق هي التي عرفت منذ فجر الإسلام بطريق ركب الحج العراقي الذي اُشتهر فيما بعد بسُـدرب زبيدة نسبة إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، بسبب إهتمامها الكبير بإقامة المنشآت والأعمال الخيرية به لخدمة الحجاج^(١) ، وطريق ركب الحج الشامي ، وطريق ركب الحج المصري ، وطريق ركب الحج اليمني .

فطريق ركب الحج العراقي يسلكه معظم حجاج العراق وفارس وخراسان ، وبقية بلاد المشرق الإسلامي ، والذين يتجمعون في الكوفة . وطريق ركب الحج الشامي يسلكه حجاج الشام بعد تجمعهم في دمشق .

وطريق ركب الحج المصري يسلكه جميع حجاج مصر والمغرب والأندلس والتكرور (غرب أفريقية) بعد تجمعهم في الفسطاط ، ثم فيما بعد في القاهرة بعد إنشائها ولتخاذها عاصمة للدولة الفاطمية .

(١) سعد الراشد : يرك المياه على طريق الحج من العراق إلى مكة ونظائرها في الأقطار الأخرى - أطلال - حولية الآثار العربية - السعودية - العدد الثالث ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ص ٦٦ .

وطريق ركب الحج اليمني يسلكه حجاج جنوب شبه الجزيرة العربية بما فيها ظفار ، وعمان بعد تجمعهم في صنعاء^(١).

ويذكر سعد الراشد أنه بالإضافة إلى هذه الطرق الأربعة الرئيسية يوجد ثلاث طرق أخرى ، وهي : طريق البصرة- مكة ، وطريق صنعاء- مكة ، (الطريق الداخلي) وطريق عمان - مكة^(٢).

هذا ولم يحدث أى تغيير منذ فجر الإسلام وحتى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى على وجه التقريب بالنسبة لطرق الحج المصرى ، والشامى ، والعراقى ، واليمنى . فقد ظلت قوافل الحجاج المصريين ،^(٣) والشاميين ،^(٤)

- (١) عن طرق الحج الرئيسية الأربعة . انظر سليمان عبد الفنى مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، لم تطبع ص ٥٦-٥٧ .
- (٢) عن طرق الحج التي تربط شرق شبه الجزيرة العربية بمكة المكرمة . انظر الحربي : المناسك وطرق الحج ومعالـم الجزيرة العربية ، تحقيق حمد الجاسر ، ص ٦١١ - ٦٢١ .

(Saad Al-Rashid : Darb Zubaydah, p 4-6.)

- (٣) سيد عبد المجيد بكر : الملاحـ الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٨٠ .
- (٤) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ (كان حجاج الشام يقطعون المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة في أكثر من شهر ، وبعد مد خط حديد الحجاز عبر مسيرة درب الحجاز فـي مستهل القرن العشرين الميلادية أصبح الطريق يقطع في أربعة أيام) .

والعراقيين^(١)، واليمنيين^(٢) تقطع في سلوكها إلى مكة المكرمة هـــــه
الدروب نفسها . أما الحج المصري فقد تعددت طرقه بسبب تعدد طرق
الاتصال بين مصر والحجاز ، وبسبب الظروف السياسية والعسكرية والإقتصادية
التي مرت بها مصر والشام منذ منتصف القرن الخامس الهجري .

فمنذ فجر الإسلام وحتى سنة ٦٠ هـ كان الطريق الذي يسلكه
الحجاج المصريون هو الطريق البري الذي يبدأ من الفسطاط ثم فيما بعد
من القاهرة مروراً بشبه جزيرة سيناء والعقبة ، وعلى إمتداد الساحل الحجازي
حتى ينبع ، ومنها إلى مكة المكرمة . وهذا الطريق هو الذي كان يعرف
بدرج الحج المصري ، أو بطريق العقبة ، أو بطريق الساحل .

وبعد إنتقال الفاطميين إلى مصر أخذت ميناء عيذاب^(٣) على
الساحل الغربي للبحر الأحمر خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري

- (١) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٨ .
- (٢) سليمان عبد الغني مالكي : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٩ .
- (٣) عيذاب : شغرتجاري عظيم يقع على الشاطئ المصري للبحر الأحمر
(القلزم) قبالة جدة على الشاطئ الآخر ، وهي من أشهر العراسي
تأتي إليها السفن من اليمن والحبشة والهند ، وكانت طريق الحج
المصري يسير إليها الحجاج من قوص ثم يركبون منها إلى جدة ،
وقد كان حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة يتوجهون إلى
الحجاز عن صحراء هذاب حتى بطل إستعمالها وتلاشت في النصف
الأول من القرن التاسع الهجري ، وكل ما يؤكل منها مجلوب ، وكان
لأهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٥١ - المقرئ : المواعظ والإخبار ، ج ١ ، ص ٢٠١ -
السلوك ، ج ١/١ ، ص ٦٤ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،
ج ٧ ص ٦٩ بالهامش) .

تقوم بدور رئيسي في تجارة الشرق الأقصى والبحر الأحمر، وذلك بسبب سياسة الخلفاء الفاطميين الحكيمة في حسن معاملة التجار والترحيب بهم، وتوفير الأمن والاستقرار في دولتهم التي سيطرت بسيادتها على المغرب ومصر والشام والحجاز على هذه المنطقة الإستراتيجية الهامة من الشرق الأوسط التي تتحكم بتجارة المرور بين الشرق الأقصى وأوروبا. كما كانت أهمية عيذاب ترجع إلى عمق وغزارة مياه مينائها، وخلوها من الشعاب المرجانية التي يمتلي بها البحر الأحمر، والتي كانت من أكبر الأخطار التي تتعرض لها الملاحة في هذا البحر. ثم ازدادت أهمية ميناء عيذاب ابتداءً من سنة ٤٦٠ هـ بسبب الشدة العظمى التي قاستها مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فقد أدى خراب الوجه البحري إلى تحول التجارة، ورغب حجاج مصر والمغرب والتكرور عن طريق شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز إلى طريق النيل من الفسطاط حتى قوص^(١)، ومنها كانوا

(١) قوص : بالضم ثم السكون ، مدينة كبيرة عظيمة واسعة ، وهي قصبة صعيد مصر ، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً ، وأهلها أرباب ثروة واسعة ، وهي محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة ، وهي شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية ، وبينها وبين قفط فرسخ ، وهي شرقي النيل وتقع عند تقاطع خط عرض ٥٥ - ٢٥° شمالاً وخط طول ٣٥ - ٣٢° شرقاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١٣ - التجيبي : استفاد الرحلة والإغتراب ، ص ١٦٩) .

يعبرون الصحراء الشرقية إلى ميناء عيذاب ، ومنها يعبرون البحر الأحمر
إلى جدة بواسطة الجلاب .^(١)

وبعد إنتهاء الشدة العظمى ظل طريق عيذاب الطريق الذى يسلكه
حجاج مصر والمغرب والتكرور بسبب تزايد أهمية ميناء عيذاب ، إذ كانت قد
أصبحت القاعدة الرئيسية لتجارة البحر الأحمر . وبالإضافة إلى هذا العامل
السابق ذكره فإن قيام مملكة بيت المقدس الصليبية في العقد الأخير من
القرن الخامس الهجرى ، ثم ما قام به أول ملوكها بلدوين الأول من السيطرة
على صحراء النقب ، وعلى رأس خليج العقبة ، قد أدى إلى إغلاق الطريق
البرى للقوافل بين مصر والشام والحجاز ، وبذلك عزلت مصر عن بقية العالم
الإسلامي في الشرق إلى أن قام السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٦ هـ
بإخراج قافلة الحج المصرى عن طريق البر عبر شبه جزيرة سيناء بعد ما زالت
الظروف السياسية والعسكرية التي كانت قد أدت إلى إغلاق هذا الطريق
في وجه الحجاج .^(٢)

غير أن طريق عيذاب على الرغم مما كان يتعرض له الحجاج من
أخطار وأهوال في قطعهم له ظل مستخدماً ، وإن كان قد قل سلوك
الحجاج له ، وذلك بسبب تفضيل الحجاج المغاربة له ، وبسبب استمرار
الجلاب : مفرداً جليبه وهي نوع من السفن الصغيرة المخيطة أى التي
لا تستعمل في صنعها المسامير وتستعمل في البحر الأحمر وهي
مراكب للتجارة بين عدن والحجاز (سعاد ماهر : البحرية في مصر
الإسلامية ص ٣٣٨) .
(٢) أحمد دراج : عيذاب ، مجلة نهضة أفريقية ، السنة الأولى ،
العدد التاسع ، يوليو ١٩٥٨ م - والعدد العاشر ، أغسطس ١٩٥٨ -
على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٣ .

الحركة التجارية في ميناء عيذاب .

ومن الذين حجوا عن هذا الطريق ، ودونوا لنا ما كان يعاني منه الحجاج من أخطار وأهوال في سلوكهم للصحراء الشرقية ، وفي ميناء عيذاب عند جباية المكوس منهم ، الرحالة ناصر خسرو سنة ٤٤٢ هـ ، وابن جبلي سنة ٥٧٩ هـ ، وأبو القاسم بن يوسف التجيبي سنة ٦٩٦ هـ ، وابن بطوطة الذي سلك هذا الطريق إلى عيذاب سنة ٧٢٧ هـ بقصد أداء الحج ولكنه بسبب ما لقيه من أهوال في عبوره للصحراء الشرقية إلى عيذاب لم يستطع أن يكمل رحلته إلى جدة وعاد من عيذاب . فقد عاصر ناصر خسرو طريق عيذاب في أول استخداماته للحج ، ومربه ابن جبلي في أوج ازدهاره ، وسار فيه أبو القاسم التجيبي في بداية إضمحلاله ، ثم شهد ابن بطوطة فترة تداعى هذا الطريق ، واقترب نهاية عيذاب^(١) ثم مال به أن يطل استخدام الحجاج له بعد خراب الصعيد عقب المجاعة الكبرى التي صعبها الوباء ، والتي حلت بمصر من سنة ٨٠٦ هـ حتى سنة ٨٠٩ هـ . والتي وصفها المقرئ في كتابه "إغاثة الأئمة بكشف الغمة" ووصف فيها ما حل بالصعيد خاصة^(٢) .

(١) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

(٢) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠١ - إغاثة الأئمة بكشف الغمة ، تحقيق زيارة - الشيال ، القاهرة ١٩٤٠ م ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(Ahmad Darrag : L'Egypte Sous le Regne de Barsbay , p 201-202.)



وبسبب ما حدث من تحول في تجارة البحر الأحمر منذ أن أصبحت جدة منذ سنة ٨٢٨ هـ القاعدة الرئيسية لهذه التجارة ، وما ترتب على ذلك من قيام السلطان برسباي بوضع جدة تحت الإدارة المصرية المباشرة ، وجباية المكوس بها بدلاً من شريف مكة ، فقد إقتضى ذلك ربط جدة بقلعة القاهرة مقر الحكم عن طريق الحمام الزاجل ، وربط ميناء جدة بميناء الطور والسويس بخط بحري مباشر .^(١)

وقد أدى إنشاء هذا الطريق البحري المباشر بين السويس وجدة إلى تيسير الحج بحرًا للحجاج الذين يرغبون في تفادي أهوال الطريق البري عبر شبه جزيرة سيناء ، فضلاً عن إختصار فترة الرحلة إلى الأراضي المقدسة . وقد عرف هذا الطريق بطريق البحر أو بطريق السويس - الطور - جدة . ومن حج عن هذا الطريق الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي القلصاري الذي أدى فريضة الحجة سنة ٨٥١ هـ .^(٢)

وقد بدأت عناية الخلفاء بطرق الحج في العصر الأموي ، وعلى وجه التحديد منذ سنة ٧٩ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان ، وذلك بسبب إنشغال الخلفاء الراشدين والأمويين الأوائل بالأحداث الكبرى التي مرت بها الدولة الإسلامية من فتوحات وفتن وحروب داخلية في الفترة السابقة على ذلك .^(٣)

(١) Ahmad Darrag : Op. cit. p 175-176, 185, 202-203.

(٢) رحلة القلصاري : لأبي الحسن علي القلصاري الأندلسي (ت ٨٩١ هـ)

ص ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٧ .

(٣) سليمان عبد الغني مالكي : مرجع سابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .

وكان طبيعياً أن تتركز عناية الخلفاء بطريق الحج الذي يصل عاصمة الدولة الإسلامية بمكة المكرمة ، وإن كان هذا لم يحل دون الإهتمام بطريق الحج الأخرى كما فعل الخليفة يزيد بن عبد الملك عندما أمر عامله على الكوفة في سنة ١٠٤ هـ بتعميد طريق الكوفة - مكة بأن ينشيء فيه المحطات ، وأن يحفر به الآبار لأن حجاج الركب العراقي كانوا يجدون صعوبة في سلوكه ، وكما فعل الخليفة المهدي في سنة ١٥٦ هـ عندما أمر بإقامة محطات للبريد في الطريق من مكة إلى اليمن .^(١)

فمن عاصمة الدولة كان يخرج ركب الحج ، وعلى رأسه أمير الحج مثلاً للخليفة ، والطريق الذي يقطعه هذا الركب يوفر له الخلفاء سبل الأمن والحماية ، ومن الخدمات والمرافق ما يعين الحجاج على سلوكه دون مشقة ، ومن ثم تتابع إهتمام الخلفاء بطرق الحج الثلاثة الشامي ، والعراقي ، والمصري مع تتابع العواصم الإسلامية من دمشق إلى بغداد إلى القاهرة ، فكان إهتمام الخلفاء الأمويين يتركز في طريق الحج الشامي ، وإهتمام الخلفاء العباسيين يتركز في طريق الحج العراقي ، وإهتمام سلاطين المماليك في مصر وخاصة بعد إحياء الخلافة العباسية في القاهرة^(٢) ، يتركز في طريق الحج المصري ،

(١) سليمان عبد الغني مالكي : مرجع سابق ، ص ٦٢ - ٩٨ .

(٢) أعطى إحياء الخلافة العباسية في مصر لسيادة سلاطين المماليك على الحجاز صفة شرعية ، وذلك بمقتضى التقليد الذي فوض فيه الخليفة العباسي إلى السلطان الظاهر بيبرس حكم البلاد الإسلامية بما فيها الحجاز (انظر المقرئى : السلوك ، تحقيق زيادة ، ج ١ ، ص ٥٠٢) .

وإهتمام أمراء اليمن في عهد الإستقلال بتركز في طريق الحج
اليمني . (١)

(١) سليمان عبد الفني مالكي : مرجع سابق ، ص ٦٢ ومابعدھا
(طريق الحج العراقي) ص ٦٩ ومابعدھا ، (طريق الحج
الشامي) ، ص ٨٦ ومابعدھا ، (طريق الحج المصري)
ص ٦٨ ومابعدھا ، (طريق الحج اليمني) .

٢ - طريق الحج المصري

إهتمام سلاطين المماليك بطريق الحج المصري :

تتجلى مظاهر ذلك بإهتمام سلاطين المماليك بالعناية بطريق الحج المصري على الأخص طريق سيناء - العقبة - الساحل الحجازي الذي يجتري الحاج المصري وحجاج المغرب والأندلس والفكرور ، وذلك بالتيسير عليهم في قطع ذلك الطريق والعمل على إستتباب الأمن به ، وحمايتهم من أي اعتداء عليهم من العربان ، وتوفير المياه الكافية لهم ذهاباً وإياباً ، بحفر البرك والآبار ، وإقامة الأسواق التي تمدهم بالموءن ، فضلاً عن القيام بما يتطلبه الأمن من إصلاحات في الحرمين المكي والمدني ، وتخصيص الأوقاف لها للإنفاق على صيانتها وعلى القائمين عليها. (١)

كما أهتم سلاطين المماليك بإحتفال بخروج ركب الحج المصري إحتفالاً كبيراً كان يهز المشاعر ، ويحرك نوازع الرغبات الروحية الكامنة تشوقاً لاداء فريضة الحج (٢).

- (١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ص ١٨٤ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦١ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الحادية عشرة ، شوال سنة ١٤٠٥ هـ يونيو ١٩٨٥ م ، ص ٤٥ .
- (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - هشام عجيبي : قلعة المويلح ، دراسة معمارية حضارية ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥ - حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٥ - ١٦ .

وكان ركب الحج المصرى في العصر المملوكى أكثر ركباً الحج
انتظاماً وعناية وأمناً للأسباب الآتية :

- ١ - أن بلاد الحجاز كانت تابعة من الناحية السياسية للدولة
المملوكية .
- ٢ - قيام سلاطين المماليك بالعناية بطريق الحج المصرى ، وذلك بتوفير
سبل الراحة للحجاج أثناء قطعه ، وحمايتهم من إعتداءات
الطريق ، وإرسال المبرات إلى أهل الحرمين من أوقافها في
مصر ، وقيامهم بإرسال المحمل ^(١) الذى يحمل كسوة الكعبة
المشرفة .

(١) عن نشأة المحمل الذى تُنسب عادة لإرساله إلى مكة المكرمة حاملاً
كسوة الكعبة المشرفة إلى هودج السلطان شجر الدر زوجة
الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما قامت بأداء فريضة الحج
، ثم إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذى كان أول من
أدار المحمل وأرسله مع قافلة الحج في سنة ٦٦٤ هـ ، ثم أصبح
بعد ذلك رمزاً للسيادة المملوكية على بلاد الحجاز انظر:

Jacques Jomier : Le Mahmal et le Caravane Egyptienne
des pelerins de la Meque , le Caire 1953 Chap II,
pp. 11-26,

(عن نشأة المحمل المصرى) عن المحمل المصرى رمز السيادة المملوكية .

Chap III, p.p. 27-34.

و (عن نشأة المحمل المصرى) و (عن المحمل المصرى رمز

السيادة المملوكية على بلاد الحجاز) .

.....

== انظر أيضاً في هذا الكتاب اللوحة رقم (١) وهي صورة محمل
السلطان قانصوه الغورى الذى لا يزال محفوظاً وعليه كسوة الكعبة
في متحف طو قبوسراى باستانبول .

وانظر أيضاً مقال الدكتور عبدالله عنقاوى (المحمل - نشأته وآراء
المؤرخين فيه ، مجلة كلية الاداب - جامعة الرياض ، المجلد
الثاني - السنة الثانية ١٣٩١ هـ / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧١م / ١٩٧٢م ،
ص ٣٢٣ - ٣٣٨) في هذا المقال يناقش الدكتور عنقاوى الرأى
الذى يرجع أصل المحمل إلى هودج الملكة شجرة الدر زوجة الملك
الصالح نجم الدين أيوب عندما أدت فريضة الحج ، وإلى ما قام
به السلطان المملوكي الظاهر بيبرس من إرسال المحمل مع قافلة
الحج في سنة ٦٦٤ هـ ، وهو ما أصبح تقليداً سار عليه من جاء
بعده من سلاطين المماليك . وفي مناقشة لهذا الرأى يقرر أن
عادة إرسال المحمل مع قافلة الحج قد بدأت قبل عهد المماليك
، ويعطينا بعض الأمثلة على ذلك ابتداءً من الحجاج بن يوسف
الثقفي الذي كان أول من أحدث المحامل في طريق مكة ، وإنهاءً
بالملك المعظم عيسى سلطان دمشق سنة ٦٢٢ هـ ، وبالملك
الأشرف الأيوبي سنة ٦٢٤ هـ . وفي ختام المقال يذكر إنه
لم يثبت له بالدليل القاطع أن شجرة الدر ، ولا الظاهر بيبرس
كان صاحب فكرة المحمل وإرساله مع قافلة الحج . هذا وكنت
أتمنى أن تتاح لي فرصة الإطلاع على رسالة الدكتور عنقاوى الذى
نال بها درجة الدكتوراه من جامعة كمبريدج سنة ١٩٦٨ م ،
وعنوانها :

(The Organization and role of the pilgrimage)
during the Mamluk period.

٣ - إلتحام قوافل الحجيج الأخرى ، وخاصة من بلاد المغرب والشام
(طريق غزة - العقبة) بقافلة الحج المصرى لتضمن وصولها
سالمة إلى الحرمين الشريفين ، كما أن حجاج الشرق في بعض
الأحيان كانوا يأتون إلى مصر ليسيروا مع قافلة الحج المصرى
إلى الحرمين الشريفين . (١)

وكان المحمل المصرى يخرج على رأس عدة ركوب قد تصل في بعض
السنوات إلى سبعة ركوب لكل ركب أمير ، ويرأسهم أمير الحج الذى هو
أمير الركب كله . (٢)

وفي السنوات التى يخرج فيها للحج أحد السلاطين ، أو أحد
زوجاته ، وكذلك إحدى كبار أمراء المعاليك ، كانت تزداد العناية بركب
الحج المصرى سواء من حيث توفير الأقوات والعياء ، أو الحراسة على
طول إمتداد الطريق ، الأمر الذى كان يستفيد منه عامة الحجاج ، فيقطعون
الطريق إلى مكة المكرمة في راحة وأمن وطمانينة . (٣)

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، تحقيق عبد الكريم الباز ، رسالة دكتوراة مقدمة
لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦ هـ ، ص ٧٢ . اعتقد ان هناك التباس لأنه
ليس من المعقول ان يتخطى حجاج الشرق دمشق ويخترقون فلسطين
وسينا إلى القاهرة ثم يعودون لعبور سينا مرة أخرى في طريقهم إلى
الحجاز ولكن بوسع هؤلاء الحجاج إذا لم يأمنوا طريق الحج أن ينضموا
إلى ركب الحج الشامى الذى يلتقي بالركب المصرى في منطقة العقبة .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) Jacques Jomier : Le Mahmal et la Caravane
Egyptienne des pelerins de le regne , p.75-76.

ومن الأمثلة على ذلك :

وفي سنة ٦٩٠ هـ توجه الركب المصري إلى الحجاز بقيادة بدر الدين بكتوت العلائي^(١) المنصوري من قبل سلطان مصر الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وقد تساوى الناس في المنازل والمناهل ، كما فرقت العطايا على حجاج الركب^(٢).

وفي سنة ٦٩٤ هـ حج ولد سلطان مصر الملك المجاهد أنس بن العادل كتبغا^(٣) في موكب عظيم من الأمراء ، وصرف مالا كثيرا ، وسقى الحجاج طول الطريق الروايا ملاءى بالسكر ، وفرق من الحلوى ما رخص سعره حتى بيع كل علة بدرهمين ، وخلق على الأمراء العطايا الواسعة^(٤).

وفي الثامن عشر من محرم سنة ٧١٩ هـ قدم المحمل المصري إلى القاهرة ، وجهاز محمد المارديني مائتي جمل عليها الزاد والعماء لكل من أنقطع في الطريق من الحاج^(٥).

(١) انظر فصل الأعطيات ، ص ٢٣٥

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣١٧ - الفاسي : شفاء

الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤١ - المقرئ : السلوك ، ج ١ / ٣ ، ص ٧٦ -

الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

(٣) انظر فصل الأعطيات ، ص ٢٣٧

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٥٧ - ٥٨ - ابن فهد : إتحاف الوري ، تحقيق

فهم شلتوت ، ج ٣ ، ص ١٢٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،

ص ٦١١ - ٦١٢ .

(٥) المقرئ : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ١٩٠ .

وفي سنة ٧٣٩ هـ حج الأمير سيف الدين يشبك الناصري ، وفعل
الكثير من أعمال الخير والبر في طريق الحج المصري ، ففرق على الحجاج والمشاء
الماء والكعك ، وجعل لهم خياماً يستظلون بها .^(١)

وفي سنة ٩١٧ هـ كان الحجاج في تمام الرضا من معاينة الأمير
طوماى باى وما فعله من أعمال الخير في طريق الحج المصري ، كحمل المنقطعين
، والصدقات على طول الطريق للفقراء والمحتاجين .^(٢)

وكان أول خطوات تنظيم خروج ركب الحجيج تتمثل في النداء
بالحج ، ودوران المحمل إيذاناً بقرب خروج الحجاج ، وكان النداء سنة
مأثورة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حيث كان ينادى بالمدينة المنورة
بالحج في أول شهر ردى القعدة من كل عام ، على إعتبار أن المسافة من
المدينة المنورة إلى مكة المكرمة كانت تستغرق عشرة أيام ، وحيث أن ركب
الحج المصري والشامي كان يقطع طريق الحج إلى مكة المكرمة في أربعين
يوماً ، فإن النداء بالحج كان يحدث عادة في النصف الثاني من شهر رجب

(١) الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ، ص ٥٠ - ٥٣ - ابن الوردي :

تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ - المقرئى : السلوك ،

ج ٢/٢ ، ص ٤٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٣ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٦ -

الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٩٦ - على السليمان :

العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٣٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

سواء في مصر أو الشام ، وكان يصاحب ذلك الإحتفال بدوران المحمل المخصص لحمل كسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية ، ثم يحتفلون احتفالاً أكبر من هذا الإحتفال في النصف الثاني من شهر شوال بخروج ركب الحج إلى الحجاز ، وكان الإحتفال بدوران المحمل يعتبر من الأعياد الكبرى لدى أهالي القاهرة ، ويشهده أهم الشخصيات في المجتمع الملوكي ، حيث كان يصاحبه القضاة الأربعة ، ووكيل بيت المال ، والمحتسب ، وأعلام الفقهاء ، كما كان أهالي القاهرة يهتمون بتزيين منازلهم وحوانيتهم على امتداد الطريق الذي يمر به المحمل ، والذي كان يسير أمامه الأمير المعين للإشراف على سفر ركب الحج إلى الحجاز في تلك السنة ، ومصحبه مجموعة من القائمين على حراسة الركب ، وتأمين سلامة الحاج (١) كما أحاط سلاطين المعاليك المحمل بعدد كبير من الجند لحراسته ، ولحراسة قافلة الحج ، وكان يضم إلى القافلة هدداً من الموظفين القائمين على تنظيم سيرها ، وإمدادها بالاقوات ، وتوفير المياه الكافية لها ، ووسائل الراحة لها . (٢)

وبعد الإحتفال بدوران المحمل يقصد الركب بركة الحاج (٣) ينتظراً لتجمع الحاج . ثم تبدأ القافلة في التحرك إلى الأراضي المقدسة ،

(١) عن الإحتفال بدوران المحمل بالقاهرة إبتداءً من سنة ٦٧٥ هـ انظر : السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١٨ هـ .

Jacques Jomier : Op. Cit. , chap. III , pp. 35-42.

دكتور عبدالله عقيل عنقاوي : المقال السابق ، ص ٣٣٢ - محمد التهامي : المقال السابق ، ص ٨٥ .

- Jacques Jomier : Op. Cit. , p. 74.

(٢)

(٣) من بركة الحاج أولى مراحل طريق الحج المصري انظر فيما بعد ، ص ٤٢

وغالباً كان يتحرك الركب على دفعتين ، حيث يسير ركب المحمل ومعه كسوة الكعبة المشرفة ، ثم يتبعه ركب الحجاج في اليوم التالي . وعندما تنتهي استعدادات المسير تحيط الفرسان والحراس بالقافلة إحاطة السوار بالمعصم لحمايتها من تُسول له نفسه الإعتداء عليها ، وللمساعدة المتخلفين عن الالتحاق بالقافلة ، وكذلك المرضى والمحتاجين الضعاف . وكان المسير يبدأ في الهزيع الأخير من الليل ، فيقوم الدليل بالسير أمام القافلة ليرشدها إلى الطريق الصحيح ولم تكن مسيرة الحج المصرى عشوائية ، بل كانت تسير وفق نظام معين دقيق يخضع إليه كل من في القافلة ، فلا ينزلون ولا يرحلون إلا عندما تدق الطبول إيزاناً بالرحيل أو النزول نظراً للأعداد الهائلة من الحجاج . وكان لكل مجموعة من الحجاج علامة يعرفون بعضهم البعض بها . كما زودت القافلة بكل الإحتياجات اللازمة لها من مأكّل ومشرب وملبس ، فضلاً عن توفير أبواب الحرف والصنائع ، والأئمة والعلماء الذين والأطباء وغيرهم . بالإضافة إلى الأدوية والمقايير اللازمة لهم^(١) . وكان أمير الحج يتلقى الأمر من السلطان ، وينوب عنه في المحافظة على مسيرة القافلة ، وإقامة شعائر الحج للمسلمين في مكة ، ولذلك كان يتوجب على أمير الحج الإلتزام بالأُمور الآتية :

(١) الجزيرة ، درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ،

محمد التهامي : المقال السابق ، ص ٨٦ - علي السليمان :

العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٨٢ - ٨٣ -

- ١ - تقسيم الأماكن على عدد مجموعات القافلة ، ويسمى الجزيرى
في كتابه درر الفرائد ، بالتقطير والتعقيب .
- ٢ - المحافظة على تجمع القافلة خوفاً عليها من التفرقة ، أو تعرضها
لقطاع الطرق .
- ٣ - النظام في السير وعدم العجلة ، رحمة بالضعيف والعاجز
أخذاً بقوله صلى الله عليه وسلم (الضعيف أمير الركب) .
- ٤ - أن يسلك بهم أوضح الطرق وأوفرها ما ، وأقلها
وعورة .
- ٥ - الإهتمام بالحراسة الشديدة خوفاً عليهم من السراق
وقطاع الطرق .
- ٦ - الدفاع عنهم بالرجال والمال .
- ٧ - أن يسمع شكواهم ويصلح بينهم .
- ٨ - المحافظة على تنظيم الوقت فلا فوتاً ولا عجلة ، بحيث يصلون
في الوقت المناسب إلى فائتهم ، ويحرمون من ميقاتهم ، ويخرجون
مع أهل مكة إلى المواقف الشريفة .^(٢)

(١) الجزيرى ، درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) الجزيرى ، درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - الزيلعي : مكة
وعلاقاتها الخارجية ، الرياض - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٨٣ .

كما تولى سلاطين الماليك مهمة بسط الحماية الكافية للحجيج في طريق الحج المصري ، لأن الأعراب كانوا مصدر خطر وخوف لا مبرأء الحج والحجاج . ورأى سلاطين الماليك أن خير وسيلة للحد من هذا الإعتداء ، هو تعيين هذه القبائل خفراء في طريق الحج مع إهطائهم أتاوات سنوية في سبيل تأمين الحماية الكافية للتجارة والحجاج ، بالإضافة إلى الهدايا ، إن أنهم كانوا في سبيل الحصول على الأموال لم يكونوا يتورعون من الإعتداء على الحجاج لإغتصاب أموالهم ، وما كانوا يجلبونهم من أقوات (١) .

*

طريق الحج المصري " البرى " :

لقد تناول الجزيرى في كتابه درر الفرائد المنظمة طريق الحج المصري " البرى " بطريقة مختصرة نقلاً عن شهاب الدين بن فضل الله العمرى في كتابه مسالك الأبصار ، ولكن بطريقة أخرى شرح طريق الحج المصري مبيناً الإصلاحات التي تمت فيه ، ووصفاً كل منزلة ومنهل ، وناقداً الذين كتبوا قبله ، خاصة وأن الجزيرى كان يشغل ديوان الحج سنة ٩٤٤هـ ، وكان والده قد شغله قبله في أوائل القرن العاشر الهجرى ، فعرف الكثير

(١) (Jacques Jomier: Op.Cit., p. 1.2.)

- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - ٧٤ -

- هشام عجيبي : قلعة المويلح ، ص ١٦ - ١٧ .

من التفاصيل عن والده ، هذا بالإضافة إلى معاصرته للفترة الأخيرة من حكم الدولة المملوكية^(١) .

ومن ثم فقد اعتمدت في وصف طريق الحج المصري ، وما قام فيه من إصلاحات على كتاب الجزيري ، خاصة وأنه أستخدم آلة المنكب^(٢) لقياس الطريق ذهاباً وإياباً .

وقسم الجزيري الطريق إلى دركات تتولى الحراسة فيها القبائل العربية المحيطة بالطريق في مقابل مبالغ معينة من المال ، وكانت هذه المبالغ تحول إلى مرتبات . كما ذكر الجزيري أن الماليك أقاموا المحارس يميناً وشمالاً في الطريق لتسهيل طريق المرور لقافلة الحج ، وذلك بإزالة العقبات ، مثل محرس بين حسا وعش الغراب ، ومحرس عند قبر السقاف بوادي عسفان ، ومحرس بالقرب من دار السلطان الأشرف قايتباي ، وبالقرب من حدرة دامة . وكانت المشاة من العسكر الرماة توزع على رؤوس الجبال والمحارس فإذا كانت المنطقة بها طريق هيقة بين الجبال

(١) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،

ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) المنكب : آلة كانت تستخدم قديماً لمعرفة إمتداد الزمن كالساعة . (الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣١٤) .

(١)

كان ينزل الـركب وأمير الـركب ودوا داره ليعملوا على تسهيل الـمرور
في هذه المضائق. (٢)

كما وضعت الخطط لتزويد الحجيج بالماء اللازم لا سيما عندما
يأتي موسم الحج في أوقات الحر الشديد ، فقسم الطريق إلى مناهل (٣)
كبرى ، أو مناهل صغرى ، بالإضافة إلى إنشاء البرك و خزانات المياه .
وقسم الطريق إلى منازل أيضاً ، وتخفيفاً على الحجاج من أن يحملوا
أقواتهم خلال فترة الحج فقد بنيت الخانات (٤) ليحفظ بها الحجاج

(١) الدوا دار : إسم فارسي مركب من لفظين أحدهما عربي وهي الدواة والثاني
دار معناها مسك ووظيفته حمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ويتولى
أمرها مع ما يلتحق ذلك من المهمات مثل تبليغ رسائل السلطان أو الأمير
- المقریزی : السلوك ج ١ ، ص ١٤١ - القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤
ص ١٩ ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ .

(٢) الجزیری : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٨٢ - ٥١٢ - عبد النعم
رسلان : الأزمن خاناً وبرجاً - مجلة البحث العلمي والتراث
الإسلامي - جامعة أم القرى - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة - العدد الرابع سنة ١٤٠١ هـ - ص ٣٦٩ .

(٣) المنهل : عبارة عن مورد المياه بالطريق ، والمناهل الكبرى هي
مناهل الأربع . أما المناهل الصغرى فكانت دون ذلك
(عبد النعم رسلان : الأزمن خاناً وبرجاً ، ص ٣٦٩ - حاشية ٦) .

(٤) الخان : كلمة فارسية استعملت بكثرة في مصر والشام ومعظم البلاد الإسلامية الشرقية
ذكرها المؤرخون في عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، والخان
عبارة عن مبنى ضخم يحتوى على مجموعة من الحوانيت الكبيرة
والصغيرة ، ومستودعات للبضائع ، ويتوسط الخان فناء ضخم
على هيئة رواق مغطى حيث يحفظ التجار بضائعهم ، ويجددون
في الخان المأوى لهم ولدوابهم وبه مسجد . (المقریزی : الخطط ،
ج ٢ ، ص ٩٢ - نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ، ص ٢٩٣
- القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٩٧) .

الأمّعة والأغذية التي يمكن الإستغناء عنها ، ولذلك زودت بالتحصينات اللازمة (١) .

هذا وكان طريق الحج المصري البرى يتقسم إلى أربعة أقسام :

الرّبع الأول :

(٢)

من صحراء القاهرة إلى أيلة ، ويسير فيه الحجاج ستة عشر مرحلة ، وهو قليل الماء والشجر ، وساعاته مائة واثنان عشرة ساعة وثلاث من ساعة ، ومجموع ذلك ألف وستمئة وخمسة وثمانون درجة (٣) . وقد جعل

عبد المنعم رسلان : المقال السابق ، ص ٣٦٩-٣٧٠ .
(١) أيلة : نسبة إلى أيلة بنت مدين ، وتقع في طريق مكة ، وهي أول حد الحجاز ، كما أنها ميناء لفلسطين ومصر والأردن والحجاز لأنها تقع على ساحل بحر المالح ، وهي مدينة جميلة القدر يجتمع إليها الحجاج من مصر والمغرب ، ولها الكثير من الآبار والبرك .
(٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣ - الحميري : البروز المعطار ، ص ٧١ .

(٣) الدرجة : هي وحدة زمنية تقدر بحوالي ست دقائق وهي التي تنتقل فيها الشمس من منزلة إلى منزلة ، وكان الطريق من القاهرة إلى مكة حسب وصف الجزيري يقطع في ٤٥٤ ساعة ، ومن القاهرة إلى مكة ثم المشاعر وعرفة ، ثم إلى المدينة المنورة والعودة منها كان الطريق يقطع في ١١٠٠ ساعة ، وكان الطريق من بركة الحاج إلى مكة يتكون من ٣٠ مرحلة ويبلغ مسافة ١٦٠٠ كيلومتر على وجه التقريب .

(Jacques Jomier : Op.Cit., p. 204.)

وفي العصر الحديث قلت مسافة الطريق ، كما قلت مراحل وساعات قطعه (سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٨١-٨٢) نقلاً عن البتوني في رحلته المسماة الرحلة الحجازية ، وأبراهيم رفعت في كتابه المسمى مرآة الحرمين .

سلاطين المالِك حماية هذا الربع لأقوى القبائل ، وهي قبيلة العائد (١) وعطية (٢) وكان لكل منهما إثنان وأربعون ديناراً وما زالت تزداد حتى أصبحت خمسمائة دينار .

الربع الثاني :

من أيلة إلى الأُزلم (أو الأُزلم) وهو أقصر الأرباع ، ويبلغ إحدى عشرة مرحلة ، وهو أكثر مياهاً من الذي قبله ، وشجره كثير للغاية ، وساعاته خمس وتسعون وثلاث من ساعه ، ومجموعه ألف وأربعمائة وثلاثون درجة ، وأشهر قبائله الرشيدات (٣) من بني عطية ، ويتقاضون فسي

(١) العائد : بطن من بطون جذام من القحطانية ، ساكنهم فيما بين بلبع من الديار المصرية إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين وعليهم درك الحاج إلى العقبة . (القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ٦٤ - ٦٥) .

(٢) بنو عطية : والنسبة لهم عطوى ، وهم من القحطانية ، ويقال أن بني شاكر الحجر كانوا أصحاب درك عقبة أيلة ، فاستولى بنو عطية على دركهم وتركه بنو شاكر لهم ، وتنقسم إلى ثلاث فروع العطيات - العقيلات - الخميسات ، وبيوتهم حول العقبة إلى عجرود من مصر . (البلادى : معجم قبائل الحجاز ، ص ٣٣٦) .

(٣) الرشيدات : بطن من بطون الحميد بن جذام من القحطانية سكنوا الحجاز ثم انتشروا في مناطق أخرى ومنزلهم من بلاد الشرقية من الديار المصرية . (القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ١١٥) .

(١)

في مقابل ذلك مائتين وعشرين ديناراً ، كما يخلع عليهم التشاريف السلطانية .

الربع الثالث :

بين الأزلم وينبع ومراحله أربعة عشرة مرحلة ، وهو من الأرباع المعطشة وأطولها وأوحشها . وساعاته مائة وخمس عشرة ساعة ، ومجموعها ألف وسبعمائة وخمس وعشرون درجة ، وأشهر قبائله الأحمدة ^(٢) من بلى ^(٣) ، وبنو حسن من جهينة ^(٤) ، ولهم الكثير من الأرزاق والأكسية والأموال ^(٥)

- (١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٠٧ - ١٣٠٨ .
- (٢) الأحمدة : نسبة إلى أحمدى بطن من ميمون بن سالم من حرب ، ديارهم جبل الأشعر ، تحضر منهم كثيرون في مكة وجدة والمدينة المنورة وينبع ، ومن فروعهم ، الصخور ، والصميدات . (البلادى : معجم قبائل الحجاز ، ص ١٣) .
- (٣) بلى : بفتح الهمزة وكسر اللام بطن من قضاة من القحطانية ، النسبة إليهم بلوى ، وهم بنو بلى بن عمرو بن الحارث من قضاة ، ومنازلهم بالداما وهي ماء دون عيون القصب إلى أكرى فم المضيق ، وعليهم درك الحجيج . (القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٨١ - قلائد الجمان ، ص ٤٥) .
- (٤) جهينة : حي عظيم من قضاة منازلهم بين ينبع والمدينة إلى وادي الصفاء جنوباً والعيص وبلاد بلى شمالاً على الضفة الشرقية للبحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة (البلاذرى : معجم قبائل الحجاز ، ص ٩٥) .
- (٥) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٠٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٢ .

الرابع الرابع :

بين ينبع ومكة بمقدار ثلاث عشرة مرحلة ، وساعاته مائة وساعتان
ومجموعها ألف وخمسون وعشرون درجة ، وأشهر قبائله بنو إبراهيم^(١) . أما المسافة
بين مكة والمدينة فحمايته تؤهل لأمر مكة والمدينة المنورة^(٢) . وكان هناك
أيضاً بعض العربان مهتمهم حمل الحبوب والإمدادات وغيرها ، ولهم
خفراء يتقاضون ثلاثين نصفاً^(٣) إلى خمس وخمسين من الفضة ، وكانت مهمة
أمير ينبع تقديم الجمال والرجال لحمل هذه الإمدادات والأرزاق ، ولقواد هذه
الجمال رواتب مقدارها ثلاثون نصفاً لكل جمل ، كما أن لقبيلتهم نصيب من
الأموال^(٤) .

(١) بنو إبراهيم : بطن من بني مالك من جهينة كان لهم خطر قبل
القرن العاشر الهجري فآل الأمر إلى إخضاعهم ، وهدم معقلهم
وقريتهم الدهناء ، وديارهم بينبع النخل وما حولها . (البلادى :
معجم قبائل الحجاز ، ص ١١ ، ١٢٠) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٠٨ - على السليمان :
العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - سيد عبد المجيد
بكر : العلام الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٢ .

(٣) النصف فضة : هي مسكوكات دقيقة من الفضة ، ويطلق على الواحد
منها اسم نصف أو نصف فضة ، وهي المعروفة باسم " الميدي " ،
والميدي تعريف للكلمة مؤيدي ، وقد تقرر في أيام الاحتلال
الفرنسي لمصر أن يصرف كل ألف نصف فضة بخمسة وثلاثين فرنكاً .
(حسين أفندي الرومانجي : مصر عند مفترق الطرق - تحقيق
شفيق غربال - كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول - المجلد
الرابع - الجزء الأول - مايو سنة ١٩٣٦ م - الطبعة الثانية ،
ص ١١) .

(٤) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٥ .

وصف طريق الحج المصرى البرى (بركة الحاج - سينا - العقبة - الساحل) وأعمال المالِك به :

سبق أن ذكرت أهمية كتاب درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المنظمة للجزيرى في وصف طريق الحج المصرى لأنه كان يشغل ديوان الحج في مصر سنة ٩٤٤ هـ، أى أنه كان معاصراً للفترة الأخيرة من حياة الدولة المملوكية ، ولأنه أيضاً عرف الكثير من أحوال هذا الطريق من أبيه الذى كان يشغل من قبل الديوان نفسه ، ولهذا يعتبر الجزيرى المصدر الرئيسى لنا في وصف مراحل هذا الطريق وما قام به سلاطين المالِك وأمراؤه هم ، وكبار رجال الدولة المملوكية على إمتداد هذا الطريق في العصر المملوكي من منشآت ومرافق لخدمة الحجاج تيسيراً لهم في سلوكه ، وسبق الجزيرى في وصف هذا الطريق وإن كان وصفاً موجزاً عدد من الرحالة المسلمين الذين أدوا فريضة الحج على إمتداد العصر المملوكي .

ومن هؤلاء الرحالة ابن رشيد الأندلسي (٦٨٥ هـ) والمبـدري (٦٨٩ هـ) ، وأبو البقاء شهاب الدين بن الجيعان (٨٨٤ هـ) ، وقد أغنانا سيد عبد المجيد بكر في كتابه القيم عن الملاح الجغرافية لدروب الحجيج عن تتبع منازل هذا الطريق كما جاءت في كتب هؤلاء الرحالة ، فقد نقل ذكر منازل الطريق كما أورد ها كل منهم في إيجاز^(١) .

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ،

فمازل هذا الطريق كما وردت في رحلة ابن رشيد هي : البويب
- "باب الدرب" وهي بعد بركة الحاج - القباب - نخل - عقبة أيلة
- مغاير شعيب - عيون القصب - سلمى - الوجه - ينبع - ينبع النخل -
وادي الصفراء . ثم يتابع الطريق مسيرته إلى مكة المكرمة ومازله كما
وردت في رحلة العبدري هي : البركة (بركة الحاج) - السويس -
بئر مبعوق (في سيناء شمال شرقي السويس) بئر النخل (نخل) -
عقبة أيلة - مغاير شعيب - عيون القصب - كفافة (وادي سلمى) -
الوجه - أكرا - الحوراء - المغيرة - ينبع النخل - الدهناء - بدر ،
ثم يلتحم الطريق مع طريق مكة المكرمة .

ومازله كما وردت في رحلة ابن الجيعان هي : البركة - البويب
- المنصرف (وادي المنصرف) - التيه - نخل - القريص - مرقوب
- الهفلة - سطح العقبة - العقبة - حقل - الشرفة - وادي عقال -
مغاير شعيب - عيون القصب - الشرمه - المويلج (النبك) - الأزم -
سمارة الدخاخين (بين الأزم واصطبل عنتر) - إصطبل عنتر -
وادي الأراك - الوجه - أكرا - الحنك - الحرية (الحريرا) -
الينبوع - المبرك (وادي الحمراء) - وادي الصفراء - المدينة المنورة .

ومقارنة هذه المنازل كما أوردها كل من الرحالة الثلاثة ، بما
ذكره الجزيري عن منازل الطريق يتضح أن هناك خلافاً في ذكر المنازل
بين بعضها البعض وبين الجزيري ، فضلاً عن إيجازها . وربما يرجع
ذلك إلى عدم دراية هؤلاء الرحالة بتفاصيل مسار الطريق من وقت
آخر لتفادي إعتدالات القبائل ، وأبحاثاً عن آبار جديدة للمياه
لفضول الأبار القديمة .

وأياً كان الأمر ، تبقى الأهمية لوصف الجزيرة لهذا الطريق لأنه كان يشغل ديوان الحج هو وأبوه من قبل ، ولأنه كان معاصراً للفترة الأخيرة من حياة الدولة المملوكية ، وهي الفترة التي استقر فيها مسار الطريق على النحو الذي وصفه لنا الجزيرة . هذا فضلاً عن انفراد الجزيرة دون هو^١ لا الرحالة بذكر ما قام به سلاطين المماليك وأمراؤهم وكبار رجال الدولة من أعمال بهذا الطريق . ومن ثم فإن الجزيرة هو مصدرنا الرئيسي في وصف هذا الطريق ، وما تم به من أعمال في العصر المملوكي .

فالجزيرة يذكر اجتماع الركب المصري بالقاهرة ما بين الرابع عشر والعشرين من شهر شوال ، ولكن ابتداءً من سنة ٧٤٠ هـ أصبح الركب يفادها في الرابع والعشرين من هذا الشهر إلى بركة الحاج^(١) بخمس وسبعين درجة ، فيمكث بها خمسة أيام^(٢) - انظر خريطة رقم (١) و (٢) - وكانت تعرف قديماً في القرنين الثالث والرابع الهجريين باسم

(١) البركة : هي بظاهر القاهرة من شمالها ، ويطلق عليها بركة الجب في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وكان يطلق عليها بركة الحاج لنزول حجاج البرية ، وتبعد عن القاهرة بـ ١٢ ميلاً . (المقريزي : المواعظ والإعتبار ، ج ١ / ٣ ص ٤٨٩) .

(٢) الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٠٩ - ١٣١٠ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٥ .

جب عمير^(١) ، ولكن بعد تحول طريق الحج إلى عيذاب بسبب الشدة العظمى ، وبسبب الحروب الصليبية ، وبعد عودة طريق الحج إلى شبه جزيرة سيناء والعقبة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، أصبحت تعرف بإسم بركة الحاج لنزول حجاج البر بها ، وبسبب إنخفاض أرضها من منسوب الأراضي الزراعية ، وتبعد عن القاهرة ب ١٢ ميلاً^(٢) . وبها آبار طيبة ، وسوق كبير يستكمل منه الحجاج جميع لوازمه^(٣) . ويصاحب معظم سكان القاهرة الحجاج إليها ، منهم المودعون للأقارب والأصدقاء ، ومنهم باعة الطعام للحجاج ، وآخرون لبيع ما يحتاجه الحجاج في الطريق ، وبالبركة بئر شعيب التي تنسب إلى مياهه

(١) جب عمير : نسبة إلى ابن تميم بن جز التميمي قريب من القاهرة يبرز إليه الحاج والعساكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٠) .

(٢) الميل : هو مسافة مد البصر ، وسميت الأعلام التي توضع في الطريق أميالا ، أي ما يعادل الف باع ، والباع أربعة أذرع ، أي $٤ \times ١٠٠ \times ٤٦٢ = ١٨٤٨$ مترا . (ابن رفقته : الإيضاح والتبيان ، ص ٧٧) .

(٣) رحلة العبدري ، ص ١٥٣ - الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ ، شعبان ١٣٨٩ هـ - تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٩ م ، ص ١٦٨ - المقرئزي : المواقف والإعتبار ، ج ١/٣ ، ص ٤٨٩ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٣٣ . البتونني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٣ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

فضائل علاجيه^(١) ، وبها الكثير من النخيل ، وفسقية ما ، عظيمة أنشأها
عبد الباسط بن خليل الدمشقي^(٢) سنة ٨٢٨ هـ على عهد الأشرف برسباي ،
وأنشأ بها بئراً وبستاناً ، كما أصلح كثيراً من مسالك الحجاز^(٣) . وبالبركة
أيضاً أنشأ إبراهيم بن علي العبولي الصوفي^(٤) بستاناً كبيراً ،
وزاوية لصلاة الجمعة ، وسبيلاً هائلاً عم النفع به خاصة أيام الحج ، ومسقى للدواب^(٥)

Jacques Jomier: Op. Cit., p. 173. (١)

(٢) عبد الباسط بن خليل الدمشقي : ولد سنة ٧٨٤ هـ ، وقدم دمشق
في سلطنة المستعين بالله ، فاصر السلطان المؤيد ، والأشرف برسباي ،
والظاهر جقمق ، حج سنة ٨٤٤ هـ ، ٨٥٣ هـ ، وكان له صدقات
كثيرة لأهل الحرمين . (السخاوي : الضوء اللامع ج ٢ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٣) الرشيدى : حسن الصفا ، ص ٣٩

Ahmad Darrag : L' Egypte Sous le regne de Barsbay,
p. 191.

- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٠ .

(٤) إبراهيم بن علي بن عمر بن برهان الدين العبولي : قدم من
بلدة متبول من الغربية ، ثم تحول إلى القاهرة ، واستقر ببركة
الحاج ، واشتهر أمره ، وفعل الكثير من الخيرات ، زار القدس ،
وتوفي بها ليلة الاثنين ثامن شهر ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٨٥-٨٦) .

(٥) ابن رياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

(Jacques Jomier: Op. Cit., p. 176.)

وأنشأ كذلك فلان بن ططح الأشرفي (١) حوضاً وسبيلاً بالبركة (٢).

وفي صبيحة اليوم السادس يرحل الركب إلى البويب (٣)، وهي مضيق بين جبلين صغيرين، وبينهما وبين بركة الحاج حوالي ثلاث ساعات، بمقدار ١٥ كيلومتراً على خمسين درجة (٤).

(١) فلان بن ططح الأشرفي برسباي أحد أمراء العشرات، وأمير ركب الرحيمة سنة ٨٧١ هـ، أنشأ سبيلاً حسناً في بركة الحاج، وتوفي يوم الخميس سلخ ربيع الآخر سنة ٨٨٦ هـ (١٠) السخاوي : الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٠.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٨٢.

(٣) البويب : هي منطقة يصل إليها الحجاج في اتجاه الشرق بالصحراء، ومعناها الهاب الصغير.

(Jacques Jomier, Op. Cit., p. 177.)

والبويب : مضيق بين جبلين، وفي شرقه تل رمل مستطيل يقع في طريق الحج المصري، وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر.
(ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٢)

(٤) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٢، ص ٤، شعبان ١٣٨٩ هـ، تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٦٩ م ص ١٦٧ - الجزيري : درر الفرائد ج ١، ص ١٣١٨ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب، ج ٢، ص ٢٤٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٥٠.

ومن منطقة البويب إلى الدار الحمراء^(١) بخمس وسبعين درجة
ثم يمر الراكب بالطلحات ويقطع المصانع ، وبها فسقية ماء معطلة ،
وبئر خراب ، ويسير بالقرب من مفرح عويبد على مائة وستين درجة^(٢) .

ويتابع الراكب سيره حتى يصل إلى منطقة عجروود^(٣) بمائة
وخمسين درجة ، وبها بئر عمقها سبعون متراً تعلوها ناعورة تنسب
إلى الأمير آل ملك الجوكندار^(٤) ، وبها أربعة برك وبئر وساقية من

(١) الدار الحمراء : قرية من قرى مصر في طريق الحج المصري . (ياقوت
: معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٠١) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣١٩ .

(٣) عجروود : منزل في طريق الحج المصري ، وهي إلى الغرب
من السويس على مسافة ٢٠ كيلومتراً . (السيوطي : حسن
المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ - سيد عبد المجيد بكر : التلامح
الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٦) .

(٤) سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار : كان من أعيان الأسراء
بالقاهرة في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وولي بعده نيابة السلطنة
بمصر بنحو سنتين ، عمل بنيابة صفد ، ثم اعتقل بالإسكندرية
، وله مآثر كثيرة ، توفي سنة ٧٤٦ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ،
ج ٣ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ - القريري : السلوك ، ج ٢ / ٣ ، ص ٧٢٣) .

أعمال السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وهذه البركة الأربعة والبئر والساقية قد قام بإصلاحها السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٨ هـ^(١) . كما أنشأ السلطان الغوري سنة ٩١٥ هـ خاناً بها على يد خاير بك المعمار ، وعمل استراحة بها ، وفي كل سنة كان يرسل بعض الثيران لتعبئة البركة بالمياه لسقي دواب القافلة في الذهاب والإياب^(٢) . وتقع عجرود إلى الغرب من السويح على مسافة عشرين كيلومتراً ، ومنها كان يرجع العرض من الحجاج والمشيعون وتقع قرب تقاطع خط العرض ٢ - ٣٠ شمالاً.

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ص ١٣٢٠ .

(Jacques Jomier: Op. Cit., p. 181.)

- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٠ - عبدالمنعم رسلان : الأُزَم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٦ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٥٢ - السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٦٥ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٢٠ - النهروالي : الأعلام ، ص ١٦٢ .

(Jacques Jomier : Op. Cit., p. 181.)

- أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧١ - عبد المنعم رسلان : الأُزَم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧١ - محمود رزق سليم : مصر سلاطين

بخط الطول ٣٠ - ٣٢ شرقاً^(١).

وبعد قضاء الركب ليلته بعجروود يرحل في الصباح إلى المنصرف
على مائة وأربعين درجة ، ثم يصل إلى وادي القباب^(٢) بمائة وعشرين
درجة ، ثم يواصل سيره حتى يصل إلى شجرة حامد^(٣) بخمس وخمسين
درجة ، وبالقرب منها على مسافة بريددين^(٤) مورد ماء عذب .
ثم يرحل الركب إلى رأس التيه^(٥) بخمس وستين درجة ،

== الممالك ج ٢ ، ص ١٧٣ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق
الوقف على الأراضي المقدسة ، ص ٢٥٤ .

(١) البتسغوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٣ - سيد عبد المجيد بكر :
اللامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٦ .

(٢) وادي القباب : يسمى لذلك لوجود قباب مبنية به ، وكله رمل صعود
وهبوط . (الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٢٤) .

(٣) شجرة حامد : إسم رجل من العربان كان قاطناً بها فصار إسمه
علماً عليها . (الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٢٤) .

(٤) البريد : يقال برد بريدأ ، أي أرسل رسولاً ، وهو المصافاة
المعلومة بين المنزلتين ، وهو مقياس طول ثابت القدار في الشريعة
حدد بأثني عشر ميلاً أي ما يعادل بحساب الزراع الشرعية
٢٦١ ٧٦ كيلومتراً (ابن رفاع : الإيضاح والتبيان ، ص ٧٧) . ولكن على
حسب القياس الصحيح فإنها تعادل ٩٢٠٠ كيلومتراً .

(٥) رأس التيه : فضاء مطلق على يمينه الطور ، وعلى يساره العريش
وهو مكان متعب لقلة الماء به . (الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص

١٣٢٥ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤١) .

ومنه إلى منطقة نخل^(١) مائة وخمسون درجة ، وهي المنهل الثاني وأرضها وطريقها محجر أبيض ورمل لطيف يسمى بطن نخل لسقوط بعض التراب على الناس ، كأنه نخل نخلًا ، وقام الأمير سلا ر نائب السلطنة بالديار المصرية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإنشاء ثلاث برك للمياه شمال القلعة مبنية بالحجارة ، طول أكبرها ٢٧٤ مترًا ، وعرضها ١٤ مترًا ، وهما ٤٦ مترًا ، وذلك لتسهيل حصول الحاج على المياه . والبركة الكبرى تصلها قناة من بئر القلعة ، وكان على هذا البئر ساقية ، والبر الأخر له سلم لينزل إليه الحاج^(٢) . كما أنشأ السلطان الغوري بها قلعة كانت تعرف قديمًا بالخان سنة ٩١٥ هـ على يد خير بك المعمار ، وبه بعض الحراس من الترك . وقد ذكر الأستاذ سید عبد المجید بکسر بأن قلعة نخل تقع على هضبة

- (١) نخل : موقع في طريق الشام من ناحية مصر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧٦) .
(٢) يقع على الجانب الأيمن لوادي العريش ، وهواهم محطة في طريق الحج المصري ، وبها العديد من الآبار والبرك لتوفير المياه العذبة به . (سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٨) .

- (٢) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ ، شعبان ١٣٨٩ هـ ، تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٦٩ م ، ص ١٦٢ - الجزيرة : دور الفرائد ، ج ٢ ص ١٢٢٧ - البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٨ .

(١)
يصل إرتفاعها ١٧٥٠ قدماً، وهي تقع قرب تقاطع خط العرض ٢٩-٥٥ شمالاً،
وغربي خط الطول ٣٤ شرقاً، وهي أهم محطة في طريق الحج المصري، وبينها
وبين العقبة سبعون ميلاً أي ١٢٩ ر ٣٦٠ كيلومتراً^(٢). وفي سنة ٩٠١ هـ وصل الحجاج
إلى منطقة نخل ولم يجد ماءً فقا سوا مشقة عظيمة، فعرج بهم أمير الركب إلى
هيون موسى^(٣).

وبعد أن ينظم الركب بمنطقة نخل يسير نحو الشرق بانحراف قليل
نحو الجنوب الشرقي إلى وادي الفيحاء^(٤) بسبعين درجة حتى يصل إلى
حدرة وادي القريظ بالقرب من آبار العلائي بمائة وخمسين درجة.

- (١) رحلة العبدري، ص ١٥٢ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٥٢ -
الجزيري : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٣٢٩ - الموسوي : رحلة الشتاء
والصيف، ص ٦٧ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب، ج ٢،
ص ٢٤١ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ٧٠ - سيد
عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٠٨ -
- عبد المنعم رسلان : الأُزَمُ خاناً وبرجاً، ص ٣٧١ - محمود رزق سليم :
عصر سلاطين المماليك، ج ٢، ص ١٧٣.
- (٢) قد ذكر سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج، ص
١٠٨-١١١ بأن ٧٠ ميلاً يعادل ١١٧ كيلومتراً، ولكن القياس
الصحيح ٣٦٠ ر ١٢٩ كيلومتراً.
- (٣) ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣١٥.
- (٤) الفيحاء : نهر يقال له نهر الفيحاء، وهو كثير النخل والتين
والعنب. (البكري : معجم ما استعجم، ج ١، ص ٢٣٠).

وبها بثران وحوش في داخله فسقيه وقبتان وفي بعض الأحيان يكون
(١)

ماء الفسقية متغير من بقايا الأمطار

فلا ينقطع به . وبين نخل ووادي القريص يمر الركب بعدة أودية مثل

وادي أبو طريفية ، ووادي الرواق ، ووادي أبو درج ، ووادي القيحى ، ووادي

الربد ، ثم يسير بين التلال حتى يصل بئر القريص ، وبينها وبين
(٢)

نخل حوالي ٥٠ كيلومترا .

بعد ذلك يرحل الركب إلى منطقة العنيدة على خمس وتسعين

درجة ، ثم يقطع نقب البفلة وتسمى عراقيب البفلة ، وهي عقبة صغيرة

صعبة في الصعود والهبوط تؤدى إلى موت الناس والجمال (٣) . ويطلق

عليها رأس النقب ، وذلك لأنها رأس مثلث النقب المعتد في جنوب فلسطين

ويطل على رأس خليج العقبة ، ويصعد المسافر بمنحدر من مسافة طويلة

من الغرب حتى يصل قمتها فإذا أراد النزول إلى الجهة الشرقية صار

نازلاً صاعداً في أرض حجرية تارة وأخرى رملية ناعمة ، وأخرى خشنة

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٣ ، ص ١٣٣٢ - الموسوى : رحلة الشتاء

والصيف ، ص ٦٧ .

(٢) وقد ذكر البتوني ان هذا البئر يعرف ببئر أم عباس لأن والدته الخديوى
عباس الأول أصلحتها . (البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٤ - سيد
عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١١٢ .

(٣) رحلة العبدري : ص ١٥٩ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ -

أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

أولظية إلى أن يمر في مضيق لا يسع إلاّ جملاً جملاً، وهو على شكل حلزوني، وقد أصلحه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٢ هـ عندما توجه إلى الحج حيث جهز الأمير أيتش المحمدي^(١)، ومعه الفعلة والمعماريين لتمهيدها وإصلاحها^(٢)، ثم أصلحها السلطان الغوري سنة ٩١٥ هـ على يد خاير بك المعمار حيث مهدها وقطع الأماكن الصعبة التي بها العراقيب.^(٣)

ثم يواصل الركب سيره إلى مدينة العقبة وهي وريثة مدينة

(١) أيتش بن عبدالله المحمدي الناصري : نائب صفد توفي سنة ٧٣٦ هـ بصفد . (ابن تغري بردي : الدليل الشافعي ج ١ ، ص ١٦٤) .

(٢) المقرئ : الذهب المسبوك ، ص ١٠٦ - ١٠٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٣٣ - يوسف غوانمة : التاريخ السياسي لشرق الأردن ، ص ١٨٧ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٨٧ - محمود رزق سليم : عصر سلاطين المالكيك ، ج ٢ ، ص ١٧٣ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الحادية عشرة ، شوال سنة ١٤٠٥ هـ ، يونيو سنة ١٩٨٥ م ، ص ٨٨ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ص ٧١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٥١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٣٣ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١١٥ - عبد المنعم رسلان : الأُزَم خائناً ورجلاً ، ص ٣٧١ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧١ .

آيلة القديمة ، ولذلك تسمى عقبة آيلة ، إذ كانت بندراً تجارياً هاماً ،
ولقد صالح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أهلها على الجزية ، وكتب
بينهم وبينه عهداً وميثاقاً^(١) . وتوجد العقبة قرب تقاطع خط العرض ٢٢ - ٢٩ °
شمالاً ، بخط الطول ٦ - ٣٥ ° شرقاً على الضفة لوادي عربة ، وقرب
الطرف الشمالي الشرقي لخليج العقبة ، ومن العقبة إلى المدينة المنورة
٩٣٣ كيلومتراً ، وقد امتلكها الفرنج سنة ٥٦٦ هـ ، فهاجمهم صلاح الدين
الأيوبي وانتصر عليهم ، وبذلك عاد طريق الحج عبر شبه جزيرة سيناء
إلى العقبة وظهرت أهميتها كمحطة هامة في طريق الحج المصري ، وفيها
يلتقى حجاج الشام ومصر والمغرب ، وتقام بها أسواق لبيع جميع
أنواع الطعام ، ومنها يستكمل الحاج جميع إحتياجاته^(٢) ، وفيها يفصل

- (١) سيرة ابن هشام ، ج ٤ ، ص ٥١٥ .
سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١١٨ .
(٢) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد ، تحقيق
حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ شعبان ١٣٨٩ هـ ، تشرين
الثاني ، نوفمبر سنة ١٩٦٩ م ، ص ١٦٢ - ١٦٨ - رحلة العبدري
، ص ١٥٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٣٥ - الموسوي :
رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملاحج
الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٠ .

أمير الحج المقطوعين الذين لا يمكنهم الإستمرار على السفر لمرضهم أو لفقرهم ،
ويعطيهم المؤنة الكافية من البقسماط وغيره ، ثم يستأجر لهم سفينة
تنقلهم إلى مصر أو إلى جدة ^(١) . ويقوم بها الركب أربعة أيام أو خمسة
أيام ^(٢) .

وفي يوم الجمعة من محرم سنة ٨٤٩ هـ توجه من يلاقي الحجاج
بعقبة أيلة ، وصحبته من أنواع من المأكولات والعلف ^(٣) .

وفي جنوبي مدينة العقبة ، وعلى مسافة قليلة من الخليج لا تزيد
على ٥٠ متراً في سفح الجبل المجاور لمدينة العقبة تقع قلعة العقبة ، وهي
على غرار قلعة نخل ، حيث كان الحجاج ينصبون خيامهم بجوارها ^(٤) ، وقد
أنشأها الظاهر بيبرس ، وكان يطلق عليها خاناً أو قلعة ، ثم أعاد بناءها
السلطان الغوري سنة ٩١٥ هـ على يد خاير بك المعمـار ^(٥) ،

- (١) وفيها يفصل أمير الحج الذين لا يمكنهم الإستمرار على السفر لمرضهم
أو لفقرهم ، ويعطيهم المؤنة الكافية من البقسماط وغيره ثم يستأجر
لهم سفينة تنقلهم إلى مصر أو إلى جدة . (الرشيدى : حسن الصفا
والإبتهاج ، ص ٤١ - البتونى : الرحلة الحجازية ، ص ٣٥) .
- (٢) الجزيرى : درر الفرائد المنظمة ، ج ٢ ، ص ١٣٣٥ - على السليمان :
العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٥ .
- (٣) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١١٤ .
- (٤) الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ٤٠ ، سيد عبد المجيد بكر :
الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٠ .
- (٥) الديار البكرى : تأريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .

وجعل فوق كل ركن من أركانها برجاً ، ونقش على حجرين على جانبي القنطرة المؤدية إلى القلعة إسم السلطان الخوري ، وفي داخلها مخازن الذخائر والحبوب ومخبز للحراس ، ويوجد من خارجها بئران ، وهما منهلان للحجاج ، وجعل بها بعض الحراس الترك يقيمون في القلعة سنة ثم يعودون إلى مصر ويتوجه غيرهم ، ويقيم الركب بها ثلاثة أيام (١) .

ثم يواصل الركب مسيرته فيتجه من عقبة أيلة نحو الجنوب محاذياً الشاطئ الشرقي لخليج العقبة ، فيسير في سهل رسوبي مبتعداً عن المناطق الوعرة حتى يصل إلى منطقة حقل . وتقع حقل قرب تقاطع خط العرض ٢٨ - ٢٩ شمالاً ، وخط الطول ٥٨ - ٣٤ شرقاً ، وتقع في وسط منطقة منخفضة تحيط بها الجبال من الشمال والجنوب ، وخليج العقبة من الغرب وتوجد قرب مصب وادي العبرك ، ويعتبر أهم أودية المنطقة ،

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٥١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٤٤ - ١٣٤٧ .

(J. Jomier : Op.Cit. , p. 188.)

- الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٠ - ٢١ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٠ - عبد المنعم رسلان : الأزم خاناً ورجاً ، ص ٣٧١ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧١ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، ص ٨٨ .

(٢) حقل : ساحل تيماء وهي قريبة من أيلة على البحر ، وتبعد عن أيلة ستة عشر ميلاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٨) .

وينبع من أعالي الجبال الشرقية من حقل كحسى ، ومعلق ، والخميس ، وترفده
أودية عديدة ، وسيول هذا الوادى تهدد مدينة حقل ، والمسافة بين حقل
والعقبة ٢٥ كيلومتراً ، ومن حقل إلى مكة المكرمة ١٣١٩ كيلومتراً ، وهي تعرف
قديماً بـ «مينا» تيماء ، وهي من محطات طريق الحج المصرى . (١)

ثم يتجه الراكب جنوباً حتى يصل إلى منطقة ظهر الحمار (٢) بمائة
درجة ، وكان ظهر الحمار عقبة صعبة في طريق الحج المصرى ، وهو فضاء
فوق علوه حدرة طويلة كثيرة الحجر ، متعبة للرجال والجمال لأن بها
مضيقاتاً بين جبلين على البحر لا يسع إلاّ جملاً جملاً . (٣)

ثم يتجه الراكب جنوباً بانحراف قليل نحو الشرق إلى وادى أم جرفين ،
وهي عبارة عن جرفين مرتفعين ، ثم ينتقل من ضفة إلى أخرى في السوادى
حتى يسير في وادى منخفض فيمر بين عدة جبال مثل جبل ذئب ، وعيره ،
والمذرتين ، والخضراء ، والمعضد ، وجلة حتى يصل إلى بئر مجيفل وهو
إسم لبئر ووادى وجبل وجميعها تقع شمال منطقة الشرف (شرف بنى
عطية) التي تشتهر بكثرة أخشابها ورخصها ، وبئر مجيفل من مناهاـل

(١) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٥٠ - ١٣٥١ - سيد عبدالمجيد

بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) ظهر الحمار : وهي قرية بها قبر بنيامين صلى الله عليه
وسلم ويوسف عليه السلام (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٣) .
تقع على مسافة خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوبى عقبة أيلة .
(J. Jomier : Op. Cit. , p. 190 - 191 .)

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٥١ - البتوني : الرحلة

الحجازية ، ص ٣٥ .

الحجاج قديماً وهي قرب تقاطع خط العبر : ٤ - ٢٩ °
شمالاً ، بخط الطول ٦ - ٣٥ ° شرقاً (١)

ويسير الركب بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي متجهاً نحو منطقة
الشرف أو الشرفا ، وهي منطقة جبلية عالية جنوب شرق حقل وتبعد
حوالي ٤٥ كيلومتراً عن حقل ، وعن منطقة ظهر الحمار ٥٥ كيلومتراً (٢) ،
ويصل إرتفاعها حوالي ١٧٦٣ متراً ، وتحد منها عدة أودية مثل وادي
المجيفل نحو الشمال ، ووادي عقال نحو الجنوب ، وهي منطقة وعرة وشاقة ،
تتمثل وعورتها عند العودة من الحج لأنها تحتاج إلى صعود حتى يصل
الركب إلى منطقة الشرف ، وبها عدة جبال مثل جبل البوارة ، وجبل العلمية ،
وجبل أم حطب ، وتمتاز المنطقة ببرودة مناخها .

ثم يرحل الركب إلى منطقة وادي عقان ، وبذلك يكون قد قطع
مئتين وستين درجة ، وبالقرب منه مياه مثل حفيرة حميضة ، وحفيرة البوارة ،
وحفيرة بيرا (٣) .

ثم يتجه الركب إلى منطقة المظلة أو المظلات بتسعين درجة
، وتقع بين جبلين ، ويسكنها بنو لام (٤) .

(١) أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - سيد عبد
المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٣ .

(٢) (J. Jomier : Op. Cit . , p. 191 .)

(٣) الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٥٤ - سيد عبد المجيد بكر :
اللامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٤ .

(٤) أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

ثم بعد ذلك يصل الركب إلى مفاير شعيب بمئة وثلاثين درجة
وبالقرب من مفاير شعيب مدينة مدين^(١) وبالموضع البحر الذي استقصى
منه موسى عليه السلام^(٢)، وتحت من العلا جنوباً حتى آيلة شمالاً، ومن
تبوك شرقاً إلى رأس الشيخ حميد على البحر الأحمر غرباً، وتوجد مغارة شعيب^(٣)
قرب تقاطع خط العرض ٢٩ - ٢٨ شمالاً، بخط الطول ٦ - ٣٥ شرقاً،^(٤)
ويعمل أهلها بالزراعة، وتكثر بها بساتين النخيل، ومياهه عذبة،

(١) مدين : تقع على بحر القلزم ، محاذية لتبوك على نحوست مراحل ،
وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام ،

وسميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام ، وحيزها بين وادي القرى
والشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٧٧) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٥٨ - الموسوي : رحلة
الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج
، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ، ص ١٨٥ - البتوني : الرحلة
الحجازية ، ص ٣٥ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ،
ج ٢ ، ص ٢٤٢ - علي السليمان : العلاقات الحجازية
المصرية ، ص ٦٥ .

ومغارة شعيب كبيرة مرتفعة السمك ،متسعة من بابها إلى داخلها ،
مضيئة لاجل إتساعها وبين باب المغارة وقاعها حوالي ستون أو سبعون
ذراعاً^(١) ، وقد بنى بها كزل العجمي^(٢) سنة ٨٢٨ هـ مناهل
لسقاية الحاج^(٣) ، كما فعل المقرئ العلائي على بن الملك المؤيد
الكثير من أوجه الخير في طريق الحج المصري ، حيث شكر الحاج
سيرته بعد معاناتهم وتعيبهم عند مغارة شعيب ،وهي مورد هام للحجاج ،
حيث يوجد بئر وساقية ،وفسقية ماء بقبة ،والمغارة متسعة وبها منفذ من
جهة الساقية المبنية بالطوب الأحمر ،وبها حظير مبني بالآجر^(٤) ،ومخزن
للتبن ،ومحل للسواقي ،وتجاء ذلك بناء مبني بالآجر شبه مسجد ،ويظهر
أنه كان مسقناً ،وبهدره سلماً معقوداً يصعد منه إلى سطحه ،وللساقية
مجرة بالأرض طويلة من الحجر النحيت الأبيض تصب في فسقية كبرى ،ويظهر
إنه كان منهلاً للحجاج . وهناك بعض التواريخ المنقوشة على ألواح من الحجر

في بعضها إسم السلطان قايتباي
،وتاريخاً آخر يظهر أنه نقش في نصف وثمانمائة عليه إسم

(١) رحلة العبدري ، ص ١٦٠ .

(٢) كزل العجمي الظاهري : يرقوق المعلم كان خاصكياً لسيده جمقدار ،
ثم إمرة فشرة ،قدمه الناصر فرج وولا ،الحجوية الكبرى ، حج أمير
محمل ،ونفاه المؤيد إلى دمشق ،ثم صار أمير طبلخانة .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٢٢٨) .

(٣) المقرئ : السلوك ، ج ٢/٤ ، ص ٨٩٩ - ابن تغري بردي :
النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ١٢٨ - ابن فهد : إتحاف الوري ،
ج ٣ ، ص ٦٢٥ .

(٤) مادة البناء تسمى الآجر وفقاً لمعجم الصحاح وهو يعني الطوب
باللهجة المصرية فهو شي واحد .

السلطان برسباي، وبها آثار سور قديم مبني بقطع من الحجر الأبيض الصغير ومن داخل السور هيئة خندق محفور. (١)
ثم يسير الراكب إلى قبر الطواشي (٢) بسبعين درجة، ويواصل سيره حتى يصل إلى عيون القصب (٣) بمائة وستين درجة، وكانت تعرف قديماً بإسم عينونه، وهي قرب تقاطع خط العرض ٥-٢٨ شمالاً، بخط الطول ٢١-٣٥ شرقاً (٤). وهنا يأخذ الحاج ما يحتاجه من الغلال

- (١) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٢، ص ٤، شعبان سنة ١٣٨٩ هـ، تشرين الثاني، نوفمبر سنة ١٩٦٩ م، ص ١٦٧-١٦٨. الجزيرة : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٣٥٦ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ٧٠. وبما أن السلطان برسباي تولى السلطة سنة ٨٢٥ هـ وتوفي ٨٤١ هـ فإن تاريخ النقش يمكن أن يكون بين هذين التاريخين.
(٢) قبر الطواشي : دفن بهذه الدار فأصبح إسمه علماً عليها.
(الجزيرة : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٣٦٠).
(٣) عيون القصب : منزلة في طريق الحج المصري ببلاد الحجاز، وبها ما يخرج من بين جبلين فيسيح على وجه الأرض فينبست حوله القصب وبذلك عرفت بعيون القصب، وهي قريبة من شاطئ البحر في طريق الحجاز بين العقبة والميلج على بعد ثمانين كيلومتراً من الميلج. (القلعشندي : صبح الأعشى ج ١٤، ص ٣٨٦ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٥٢).

(٤) (J. Jomier : Op. Cit., p. 171 .)

- سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج،

والمأكولات الآتية من الطور^(١) ، وماؤه ها سريع التغير يصلح للغسل والإستعمال ، ويفتسل الحاج بها ويقيم بقية يومه . ويكثر بعيون القصب النخيل والشجر مثل شجر الطرفاء والبردى ، وفي سنة ٧١٩ هـ حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية ، وأغدق أعطياته بمنزلة عيـــــون القصب^(٢) ، وفي عهد السلطان برسباى حفر القاضي ناظر الجيش زين الدين عبد الباسط الدمشقي بئراً بها^(٣) ، كما حفر

(١) الطور : قرية صغيرة على الشاطيء الغربي لشبه جزيرة سيناء في الجهة الجنوبية الشرقية من خليج السويس ،
(ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ج : ٨ ، ص ١٥٢) .
وتبينها وبين السويس ١٤٠ كموتراً .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٦٠ - المقرئى : الذهب المصبوك ، ص ١٠٣ -
١٠٤ - ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .

(٣) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ شعبان سنة ١٣٨٥ هـ ، تشرين الثاني ، نوفمبر سنة ١٩٦٥ م ، ص ١٦٦ - رحلة العبدى :
ص ١٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٧٠ - الموسوى :
رحلة الشتاء والصيف ، ص ١٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٠ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الاراضي الحجازية ، ص ٨٨ .

شاهين الضويل سنة ٨٣٤ هـ بئراً آخر (١)

ثم يرحل الراكب إلى منطقة الشربة (٢) على خمس وسبعين درجة
، ومعظمها تلال رملية ، والمسافة من هيون القصب إلى الشربة ٢٥ كيلو
متراً ، وهي قريبة من ساحل البحر ، وتقع قرب تقاطع بخط العرض ٢٨° - شمالاً ،
وقرب خط الطول ٦٧ - ٣٥° شرقاً ، وبها قليل من الزرع والشجر والنخيل
لوجود نبع ماء بها يصب في البحر قرب جزيرة شربة (٣) .

(٤)

وبعدها يسير الراكب إلى الجنوب الشرقي فيصل منطقة المويلج
على مائة وأربعين درجة ، وقبل المويلج يمر الراكب بوادي تريـم
ثم وادي وجدان ، ثم وادي العوجة .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٥٥ - ابن
الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ٢١٨ - محمد
التهامي : الإصلاحات الملوكية في الأراضي الحجازية ،
ص ٨٨ .

(٢) الشربة : سميت بذلك على اسم هين تجرى بالقرب منها ،
وهي لبني عقبة . (الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٧٧) .
وتتبع حالياً إمارة ضبا .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٧٧ - أيوب صبرى :
مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - سيد عبد المجيد بكر :
العلامج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٨ .

(٤) المويلج : منزل من منازل الحاج على شاطئ البحر الأحمر جنوبي
العقبة . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٣) .
تقع في طريق الحج المصرى ، وتربها القوافل الآتية من اليمن
في الجنوب ، ولاد الشام في الشمال . (هشام عبيد : قلعة
المويلج ، ص ١٤ - ١٥) .

يقع المويلج عند مصب وادي السرو عند تقاطع خط العرض ٢٧ - ٢٨ شمالاً ، بمخطط الطول ٢٨ - ٣٥ شرقاً ، وقد ذكرها الجزيري بإسم النيك^(٢) ، وتقع ما بين ضبا والمويلج ، وماؤها يميل إلى الملوحة لقربها من الساحل ، وبها بئران أحدهما خارج القلعة على مقربة منها لرى الأراضي الزراعية ، أما الآخر فطمر ويرجع إنشاؤه إلى الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار . وقد بنيت البئران بحجر رملي على شكل دائري بجانبها حوض للماء ، ويبدو أن هاتين البئرتين كانتا تتعرضان لاعتداءات البدو بفرض التحكم في الحاج^(٣) .

- (١) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٥ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .
- (٢) النيك : جمع نيكة ، وهي أكمة محدودة الرأس بها حجارة وتلال تقع في طريق الحاج المصري ، وتعرف بالمويلحة . (أبو إسحاق الحربي : المناسك ، ص ٦٥١) .
- (٣) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٧٨ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ١٧ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - هشام عجيبي : قلعة المويلج ، ص ١٩ - ٢٠ .

ثم يرحل الراكب إلى دار السلطان^(١) بمائة وخمسين وعشرين درجة ، وسبب تسميته بذلك لنزول السلطان قايتباي به عندما توجه للحج فسميت دار السلطان ، أو إستراحة قايتباي ، وتسمى أيضاً كفافه . وبالقرب منه ماء يسمى سلمى ينبع من سفح الجبل ، وماؤه غزير عذب ، وفي طريقها مضيق شق العجوز .^(٢)

ثم يتجه الراكب نحو الجنوب الشرقي فيعبر وادي العمود ، ثم وادي بهر ، ثم وادي رما ، ثم يقطع وادي المر فيصل إلى قبر سيدي مرزوق بمائة وعشر درجات ، وهو قبر لآحد الصالحين^(٣) ، وبعد ذلك يصل إلى

- (١) دار السلطان : نسبة إلى مرور السلطان قايتباي بها عندما توجه للحج قاصدا مكة . (الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٨٣) .
- (٢) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ شعبان سنة ١٣٨٥ هـ تشرين الثاني ، نوفمبر سنة ١٩٦٥ م ص ١٦٦ - رحلة العبدري ، ص ١٦١ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٥ .
- (٣) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٨٤ - ١٣٨٥ .

منطقة الأُزلم^(١) على مائة وسبعين درجة ، وهو الربع الثالث ويبدأ من الأُزلم إلى ينبع ، ومراحله عشرة منازل^(٢) . ويطلق عليها إسم الأُزلم ، وهي منتصف الطريق بين القاهرة ومكة ، وتقع على وادي الأُزلم ، ويصب جنوب رأس أُزلم على شاطئ البحر الأحمر ، وتحيط به بعض الوديان ، مثل وادي عين من الشرق ، ووادي المر وقلعة الأُزلم تقع عند تقاطع خط العرض ٢٧° شمالاً ، بخط الطول ٣° - ٦٣° شرقاً^(٣) . وهنا يوجد الحاج بعض أزواده في خان بناء الأمير الكبير المقدم الحاج آل ملك الجوكندار في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ووكل بحفظه أناساً أجرى لهم رواتب ، وعمل بئراً لينتفع الناس بها^(٤) .

وفي سنة ٨٢٨ هـ بني كزل العجمي بهذه المنطقة عدة مناهل

(١) الأُزلم : يقال لها الأُزلم ، وهي في طريق الحج المصري ، بين الأثيلات ورأس وادي حنتر ، وتعد منتصف الطريق بين القاهرة ومكة ، وسميت بذلك لأنه ينبت بها نبات كأنه من الزلم وهو السهم . (القلقشندي : صبح الأُفقى ، ج ١٤ ، ص ٣٨٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٤٨) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

(J.Jomier : Op.Cit., p. 191 .)

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٣١ .

(٤) الديار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ص ٤٣٥ .

لينتفع بها الحجاج. (١)

وفي سنة ٨٣٠ هـ أصاب الحجاج عطش شديد بهذه المنطقة مات بسببه خمسة آلاف شخص ، فأرسل السلطان برسباي الحجارين والبنائين والآلات لإصلاح المياه التي في الطريق وحفر الآبار في المنقطعات التي لا ماء بها (٢) ، وقد جدد بناء الخان في عهد السلطان الغوري سنة ٩١٦ هـ على يد الأمير خشقدم ، أحد أمراء العشروات وبنى به برجاً ، وجعل به دقيقتاً لماكولات من يرد عليه من المنقطعين ، وأبنا السبيل ، وكان يقام سوق بهذه المنطقة (٣) . وهناك البئر الواقعة ناحية يمين الداخل إلى حوش القلعة ، وربما استخدمت بعض سقاطات الأبراج مراحيض (٤) .

(١) ابن فهد : إتخاف السورى ج ٣ ، ص ٦٢٥ -

الجزيري : درر الفرائد ج ٢ ، ص ١٣٨٩ - عبد المنعم رسلان : الأزم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧١ .

(٢) الحضراوى : حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٥٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ، ص ١٥٢ - الجزيري : درر الفرائد ج ٢ ، ص ١٣٩١ - عبد المنعم رسلان : الأزم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧١ - وفيما يختص بوصف الخان وتخطيطه المعماري انظر ص ٣٧٤ وما بعدها - وانظر أيضاً هشام مجيب : قلعة المويلح ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٤) هشام مجيب : قلعة المويلح ، ص ٥٧ .

(١)

ثم يسير الركب من الأ^١ زلم فيمر على منطقة زاعم وبققاب
وفي عودة الحجيج سنة ٨٣٣ هـ قاسوا كثيراً من العطش بالوجه ، وقد مات
منهم هناك بسبب العطش حوالي ثلاثة آلاف حاج ، وفي العام الثاني بعث
السلطان برسباي الأ^٢ مير شاهين الطويل فحفر بئرين في زاعم وبققاب
حتى لا يحتاج الحجاج إلى ورود الوجه ، فعم الانتفاع بها ، وبطل منذ
سنة ٨٣٤ هـ سلوك الحجاج على طريق الوجه (٢) ، ثم يسير الركب

(١) زاعم وبققاب : إسم لمكان استغنى فيه عن النزول بمنطقة الوجه ،

يقع في طريق الحج المصري ، لأن الوجه كان الحاج لا يجد
فيه الماء ، وبهذه المنطقة ضمن الحجاج وجود الماء فعدلوا عن
النزول بالوجه . (ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص
٣٥٥ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ٢١٨) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الـورى ، ص ٣٧ - ابن

تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٣٥ .

(Ahmad Darrag: L' Egypte Sous le regne de
Barsbay , p. 191.

- عبد المنعم رسلان : الأزم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧٠ .

والوجه : منزله من منازل الحاج بها ماء عذب ، في دارى فسيح بعد
منزلة الأزم بخمس مراحل وقبل منزلة اكرا بمرحلتين ، وتقع في شمال

الحجاز (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، ح ١) .

إلى وادى تلبة على ثلاثين درجة ، ويوجد بالقرب منها ثلاث مفاهل للمياة ،
الأبيض والعليا والمفيرا ، وبها عين تسمى الشعبين . (١)

ويواصل الركب سيره فيصل إلى إسطنبول عنتر ، ويقال له بركة عنتر ،
وهي فضاء صغير بين جبال ووغات وحدرات ، وبه مضيق وعين ماء تجرى ، (٢)
وتقع قرب تقاطع خط العرض ٣٨-٢٦ شمالاً ، بـخط الطول ٦٨-٣٦ ،
شرقاً ، وتبعد عن الأزم بخمسين كيلومتراً (٣) ، وهي جنوب شرقي
الأزم ، والطريق بين الأزم وبركة عنتر يمر بمنطقة جبلية وعرة بين
صعود وهبوط ، ويمر باديان مر ، ووادى تلبة على مائة وستين درجة ،
ووادى حيان ، ووادى أبي القزاز ، ووادى سطيحة . (٤)

ويواصل الركب سيره فيمر بمنطقة الرحبة ، وبها بئر مالهات ، ثم يصل
إلى مفرش النعام بمائة وثمانين درجة وتسمى أكر (٥) وبها الكثير من المياه

(١) رحلة العبدري ، ص ١٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٤ ،

ص ٣٣٥ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٩٤ .

(٢) البتونني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٥ .

(٣) (J.Jomier : Op. Cit., p. 191 .)

- سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٥) أكر : منزلة من منازل الحج المصري ، وتقع بين منزلة المخاطب

ورأس القاع السفير . (القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٨٦ -

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ١١٣) .

العذبة والمالحة ، وهي على مائة وثمانين درجة ^(١) ، وفي سنة ٨٦١ هـ وقع للحجاج عطش شديد فيما بين الوجه وأكرا ومات بسببه خلائق كثيرة ^(٢) . وهو وادى كبير وماؤه فزير عذب يحفر عنه نحو القامة ، وعن يمينه ناحية البحر على مسافة جيدة ماء يسمى اليعسوب ، وهو وادى أكرا من أسفله ^(٣) .

ثم يتجه الركب من أكرا إلى منطقة الحنك على مائة وستين درجة ، وتقع قرب مصب وادى ظروفى ، وهي قرب تقاطع خط العرض ٣٤ - ٢٥ شمالاً ، بخط الطول ٥٧ - ٣٦ شرقاً وقد ذكر سيد عبد المجيد بكر بأن الحنك تتبع إمارة ^(٤) أطلج ، وهي قسم من منطقة تبوك وهي منطقة كبيرة وواسعة وسهلة .

ثم يمر الركب على بئر القروى والمحاطم ، ووادى حزبان فيكون قد قطع مائة وسبعين درجة . ويمر بالعقبة السوداء وتسمى الحريرا ، وهنا يحضر جماعة من أهل ينبع فيلاقون الركب بالتمر ومعهم العليف ، ويقدم أمراء الركب الهدايا والأعطيات لأمير ينبع وضحبه ^(٥) .

- (١) رحلة العبدى ، ص ١٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٠ .
- (٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ١١٢ - ١١٣ .
- (٣) رحلة العبدى : ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٤) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجج ، ص ١٣٦ .
- (٥) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٣ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضى الحجازية ، ص ٨٧ .

ثم يسير الركب بعد ذلك إلى منطقة الحورا^(١) على مائة درجة ، وهي قرية من قرى الحجاز على ساحل بحر القلزم ، وتقع شمال أملج ، وبينها وبين أملج خمسة أميال أي ثمانية كيلومترات ، وتباع بها العجوة وماو^(٢) ها غير صالح .

ويواصل الركب سيره من الحورا فيقطع العقيق حتى يصل إلى صحين مرمر^(٣) على مائة وثلاثين درجة ، والعقيق من مضائق الحجاز .

- (١) الحورا : مينا ومرفأ لمذن مصر وقد خرب ، ويقع إلى الشمال من بلدة أملج ، وبها تلال رملية ، وماو^٥ يغلب عليه الطوحة . (الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٣ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٧٢) .
- (٢) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ شعبان سنة ١٣٨٥ هـ تشرين الثاني ، نوفمبر ، سنة ١٩٦٥ م ، ص ١٦٥ - رحلة العبدري : ص ١٦٢ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٤ - البتونوسي : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٣٧ .
- (J.Jomier : Op. Cit., p. 171. 191.)
- (٣) صحين مرمر : هو عبارة عن أرض مستديرة كالكرة ذات رمل أبيض غزير كثير الارتفاع . (الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٧) .

ثم يتجه الركب إلى منطقة نبط^(١) على مائة وثلاث درجة،
وبها ثلاث أبار من عمل الحاج ال ملك الجوكندار^(٢) . وهذه المنطقة
يطلق عليها إسم المغيرة ، وهي وادى بين جبلين ، والمغيرة هي العرجاء .
ويوجد بنبط مياه كثيرة عذبة ، ويثر نبط يوجد قرب تقاطع خط العرض
٢٤ - ٢٤ ، شمالاً ، بخط الطول ٢٩ - ٣٧ شرقاً^(٣) .

ثم يمر الركب بوادى مرتجه ، ثم وادى العجل ، ثم وادى النار
على مائة وخمس درجة ، ثم يمر بالسبع الوعرات على مائة وخمسين درجة
حتى يصل إلى وادى تيعا^(٤) على خمس وتسعين درجة فيصل الخضيرا^(٥) .

بعد ذلك يقطع الركب الثلاث وهرات على مائة وخمسين درجة
فيصل ينبع النخل على خمس وخمسين درجة^(٥) ، وهناك يلتقى أمير
الركب المصرى مع أمير ينبع الذى يحضر بطبولة وخيوله وزينته فبى

(١) نبط : هو المستخرج بالحفر ، وهو شعب من شعاب هذيل ، ومنهل
من مناهل الحجاز ، وبه الكثير من الآبار العذبة ، ومنزل من منازل
الحاج المصرى على مرحلتين من الحورا^(١) . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٥ ، ص ٢٥٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٨٧) .

(٢) الجنيزى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٨ .
(J.Jomier : Op. Cit . , p. 191.)

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٤٠ .

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٥) (J.Jomier: Op. Cit., p. 204.)

شهد عظيم لإستقبال أمير المحمل الذى يليه التشريف السلطاني المجهز من الديار المصرية ، وينعم على أمير ينبع وولده وقاضيه ، وهي آخر الربع الثالث (١) . وتمتد ينبع النخل بين تقاطع خطي العرض ٢٤ - ٢٤ شمالاً ، ٣٠ - ٢٤ شمالاً ، وبين خطي الطول ٢٣ - ٣٨ شرقاً ، ٣٠ - ٣٨ شرقاً ، والمنطقة هامة بالسكان ، وتبعد عن المدينة المنورة حوالي مائة وخمسين كيلومتراً (٢) . وسبب تسميتها بينبع لكثرة ينابيعها ، ولقد أقطعها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم لرجل من جهينة يدعى كسد بن مالك ثم اشتراها عبد الرحمن بن أسعد الذى اشتراها منه علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وتصدق بعينين من عيونها (٣) ، وهي محطة هامة على طريق الحج المصرى ، وكذلك التجار ، وقد امتدت يد الإصلاح والتعمير أيام العاليك لمدينة ينبع ، فقد انشئت بها الكثير من الأسواق ،

-
- (١) رحلة العبدري ، ص ٦٣ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤١٢ - البتوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ . يذكر حمد الجاسر نقلاً عن الجزيري في كتابه درر الفرائد أن أمير ينبع كان يدفع مائتي دينار للعربان الذين كانوا يحافظون على حماية ركب الحج وأصحابه ثلثائة دينار وقد أوضح تفصيل وتوزيع هاتان الضريبتان في سنة ٨٤٤ هـ (انظر تفصيل ذلك في كتاب حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٢٩ - ٣٠) .
- (٢) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٤٠ .
- (٣) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤١٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٤٠ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٠ - ٢٣ .

وفي سنة ٨١٢ هـ وصل جابر الحراشي (١) من مصر إلى ينبع وبنى بها قلعة وسوراً ، وذلك اكتسب مالا كثيراً فازدهرت المنطقة (٢) ، وقد ساعد على إزدهارها تحول التجارة والحجاج إليها في منتصف القرن السابع الهجري ، وتركهم طريق البحر ، وذلك استمرت محطة بحرية بريئة لحجاج مصر والشام والمغرب ، وأصبحت سوقاً عظيماً تجلب إليه العديد من السلع والمتاجر لأن به الكثير من الحوانيت لبيع القماش والثياب والمأكولات ، ليشتري الحجاج جميع ما يحتاجون لتكملة الطريق إلى مكة (٣) ، ويبطن ينبع مسجد العشيرة وهو مسجد القرية التي ينزلها حجاج الركب المصري ، وبها الكثير من المياه ، أشهرها عين البركة ، وعين علي كرم الله وجهه ،

(١) جابر بن عبدالله الحراشي : ولد سنة ٧٥٦ هـ باليمن ونشأ بها ،

عمل بالتجارة ، ثم خدم الشريف حسن بن عجلان ، وكان مشهوراً بالأمانة والحرمة ، وحسن المعاشرة حتى قرر لبنى حسن الرسوم وزادها ، وبنى فرضة بجدة ، ثم تغير على مخدومه الشريف حسن ووالى أصحاب ينبع وياشر لهم ، وعمل لهم قلعة وسوراً لمدينتهم ،

قبض عليه الشريف حسن لكن أفرج عنه فرحل إلى اليمن ، وتوفى

سنة ٨١٦ هـ . (ابن حجر : انبا الغمر ، ج ٣ ، ص ٢٣ - ٢٤) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٠١ - ابن فهد : إتحاف الوري ،

ج ٣ ، ص ٤٧٨ .

(٣) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي

، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، ص ٤ شعبان سنة ١٣٨٥ هـ

تشرين الثاني ، نوفمبر سنة ١٩٦٥ م ، ص ١٦٤ - ١٦٥ . رحلة العبدري ،

ص ١٦٣ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤١٥ - علي السليمان :

العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ويكثر بها النخيل والزرع وقد أنشأ بها الشريف هلمان بن أجود (١) من
أمراء ينبع جامعين سنة ٨٥٢ هـ. (٢)

وهناك ينبع البحر، ويمتد من الحوراء فيسير نحو الجنوب الشرقي
ويمر بوادي خماس، ووادي نبط، ووادي كمال، وتقع عند تقاطع خط العرض
٢٤-٥ شمالاً، بخط الطول ٣-٣٨ شرقاً على خليج ممتد من البحر
الأحمر، وبه بعض الجزر مثل جزيرة العباس، وبينها وبين المدينة المنورة
٢٠٨ كيلومتراً، ويعتبر ميناء المدينة المنورة، ولقد شهد ينبع البحر
نهضة أيام حكم الماليك (٣)، ويوجد به خان بناء الأمير خشقدم سنة
٩١٦ هـ في عهد السلطان الغوري وهو على بعد مرحلة من ينبع البحر،
وكان الشريف ينبع يأخذ المكس على المراكب المارة به (٤).

(١) هلمان بن وبير بن نخباز الحسيني : صاحب ينبع، تولى الإمارة

سنة ٨٤٩ هـ، وتوفي في أواخر جمادى الأولى سنة ٨٥٥ هـ، وكان
على مذهب قومه، غده أدب وتواضع، وشاشة، وهو صديق السيد
بركات أمير مكة. (السخاوي : الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٠٩).

(٢) الجزيري : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤١٥.

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج،
ص ١٤٠ - حمد الجاسر : بلاد ينبع، ص ٣٤.

(٤) الجزيري : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤١٧ - عبد المنعم
رسلان : الأئمة خاناً وبرجاً، ص ٣٧١.

وفي سنة ٨٣٣ هـ حصل لحجاج الركب المصرى مشقة عظيمة أثناء الطريق
ببعض أودية ينبع من قلة الماء ، وشدة العطش فمات عالم كبير من الحجاج ،
وأيضاً مات الكثير من جمالهم وحملهم (١) .

وفي سنة ٨٧٥ هـ حصل لحجاج الركب المصرى مشقة عظيمة من قلة الماء
والحرارة التي أدت إلى موت الكثير من الحجاج والجمال فما كان من يشبك
الدوادار إلا أن أرسل إليهم شقادات محملة بالزاد والماء للمنقطعيــــن
(٢) ، ولا قاهم قرب ينبع . (٣)

ثم يرحل الركب من ينبع ويستقبل الربيع الرابع وعدد مراحلــــه
ثلاث عشرة مرحلة ، فيصل إلى الدهناء بمائة وثلاثين درجة ، وهي قرية
عامرة بها حدائق وأشجار وعيون جارية (٤) ، ولكن لتسبيهم في أذى
الركب المصرى والشامى جهز إليهم السلطان الغورى عسكرياً على يد خاير بك ،
فخربت قريتهم ، وجفت عيونهم . (٥)

ثم يرحل الركب إلى مفرح العذيبة ، وتسمى واسط (٦) على

-
- (١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٤٦-٣٤٧ .
(٢) الشقادات مفرداً وهو عبارة عن سريرين من الخشب وقاعدتهما
من الحبال وعلى حافة كل سرير من الجنب الخارجى والخلفى شبكة من
العيدان إذا ضم السريران على ظهر الجمل بحبال متينة يكونان قبة
تغطى بشىء تقي الراكب من الشمس والمطر . والشقادات يسع نفرين
ويمكنهما أن يناما فيه كما يمكن أن يجلس الراكب على راحته بواسطة
مخدات صغيرة وخفيفة يضعهما على ما يحب .
(ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ، ج ٣) .
(٣) ابن اياس : بدائع الفزهور ، ج ٣ ، ص ٥١-٥٢ .
(٤) رحلة العبدى ، ص ١٦٣-الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٢٢-
أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥-حميد
الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٨٣ .
(٥) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٢٢ .
(٦) واسط : قرية بين العذيبة ووادى الصغراء . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٥٢) .

خمسة وتسعين درجة ، وهي فضاء واسع قربها كثيب من الرمل . (١)

ومن واسط يرحل الراكب إلى بدر (٢) بتسعين درجة ، وببدر مسجد الفمامة ، وغربي المسجد توجد قبور الشهداء ، وهي من البقاع المشرفة بالآثار النبوية ، وأما محطة أهل الركب ففيها الكثير من العيون الجارية والنخيل والمنازل (٣) ، وبها عين جارية وفسقية كبيرة ، وقبة ماء (سبل) لرواة الحجاج أنشأها السلطان الغوري على يد علاء الدين ناظر الخصاص سنة ٩١٥ هـ (٤) ، وبها سوق كبير وأهلها يتحينون الفرصة لوصول الركب فيستعدون لبيعهم التمر والعلف وغيره (٥) .

(١) الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٢٣ .

(٢) بدر : بين مكة والمدينة ، وبها الوقعة الكبرى التي كانت بين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقريش ، وهي أسفل وادي الصفراء ، بينها وبين الجار ليلة واحدة ، وبينها وبين المدينة سبعة برد . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٧ - القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٢٨) .

(٣) رحلة العبدري ، ص ١٦٣ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

(٤) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ١١٣ - الديار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ - الجزيرة :

درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٥) رحلة العبدري ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

ويواصل الركب سيره حتى يصل إلى رابغ^(١) بمائة وخمسين دج ،
وهي بجانب البحر ، وماو*ه يعتمد على المطر ، ومنها يفتسل الحجاج للأحرام ،
ومنها يحرمون ، وهي دون الجدفنة^(٢) بمسافة . وفيها مخازن بهـ
مو*ن ركب المحمل وذخائره ، وبها صهاريج عذبة ، وهي ميقات أهل الشام
ومصر والمغرب ، وكل من يأتي عن طريقها^(٣) .

ثم يرحل الركب بعد ذلك إلى منطقة الجرينات حتى يصل إلى
منطقة طارق قديد^(٤) على مائة وخمسين درجة ، وهي قرية بيـ
مكة والمدينة كثيرة المياه والمرعى والحشـ

- (١) رابغ : وادى يقطعه الحجاج بين الأُبواء والجدفنة وهي على
عشرة أميال من الجدفنة فيما بين الأُبواء والجدفنة . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤١١) .
- (٢) الجدفنة : ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ، وهي على ستة أميال
من البحر ، وثمان مراحل من المدينة المنورة ، وثلاث مراحل من
مكة . (الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٤٨ - ١٤٤٩) .
- (٣) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - صلاح عبد الجبار عيسى : رؤية
جغرافية ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الحادية عشرة ، شوال
سنة ١٤٠٥ هـ ، يونيو سنة ١٩٨٥ م ، ص ١٥ .
- (٤) قديد : بضم أوله على لفظ التصغير ، وهي قرية كثيرة الماء والبساتين
، سميت قديد لتعدد السيول بها . (البكرى : معجم ما استعجم
، ج ٢ ، ص ١٠٥٤) . وقديد وادى منحل من أودية الحجاز ، وينقسم
إلى قسمين علوى وسفلى . فالعلوى يسمى ستارة ، والسفلى يسمى قديداً ،
ويسعد عن مكة ١٣٠ كيلومتراً من ناحية الشمال على طريق المدينة .
(البلادى : معجم معالم الحجاز) .

أيام المطر (١)

ثم يتجه الركب إلى عقبة السويق ، ومن العوائد أن أمراء الحج يبادرون بتجهيز السقائين لنصب الحيضان الجلد الكبار أسفل العقبة ويطوئونها بالسكر المذاب لسقاية الحجاج ، فيعمون بذلك الكبير والصغير ، والغني والفقير . (٢)

ويواصل الركب سيره حتى يصل إلى منطقة خليص (٣) على سبعين درجة ، وبها الكثير من النخيل والفواكه والخضار والمياه الجارية ، ويوجد بها قلعة منيعة على ربوة مرتفعة ، ويقيم بها العربان سوقاً للحجاج يجلبون إليها الغنم والتمر والسمن وغيره (٤) . وبها مسجدان لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مسجد عند عقبة خليص ،

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٥٧ .

(٢) رحلة العبدري ، ص ١٦٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ،

ص ١٤٥٨ .

(٣) خليص : حصن بين مكة والمدينة . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٧) .

(٤) رحلة العبدري ، ص ١٦٦ - الجزيري : درر الفرائد ،

ج ٢ ، ص ١٤٥٩ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ -

البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ .

ومسجد عند عين خليص^(١) ، وأول من أنشأها
الأمير ارغون^(٢) . وفي سنة ٨٤٤ هـ حصلت وقعة بين أمير ركب الكرkins
وبين حجاج ينبع قتل فيها من الينابعة أكثر من عشرين رجلاً ونهبست
أموالهم^(٣) .

ثم يتجه الركب إلى بئر وادي عسفان^(٤) ، وهي قرية جامعة
بين مكة المكرمة والمدينة المنورة على نحو يومين من مكة ، وسميت بذلك
لعصف السيول بها ، ويوجد بها آبار وبرك وعين تعرف بالعولا^(٥) .

- (١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٦٠ - حمد الجاسر : في
شمال غرب الجزيرة العربية ، ص ١٨٦ .
- (٢) الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، كان دواداراً لا ستاذة الملك
الناصر محمد بن قلاوون ، ولي نيابة السلطنة بالقاهرة ، ثم نيابة
حلب ، كان يحب العلم وأهله ، وتوفي سنة ٧٣١ هـ . (ابن تغري بردي :
الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ٦٠٦ - الصفدي : الوافي بالوفيات
: ج ٨ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١) .
- (٣) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ١٢٦ - ابن
ياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ - الجزيري : درر الفرائد
: ج ٢ ، ص ٧٢٩ .
- (٤) عسفان : بلدة على ثمانين كيلومتراً شمالي مكة على طريق المدينة
المنورة ، يلتقي فيها واديان ، بها آبار عذبة قديمة . (البلاذري :
معالم مكة ، ص ١٨٨ - ١٨٩) .
- (٥) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٦٢ - الموسوي : رحلة الشتاء
والصيف ، ص ٦٧ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ .

وبعد عسافان منزلة العقلة التي صلى بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف حين كان العدو في جهة القبلة ، ثم يصل الركب بعد ذلك إلى جبل المنحنى على مائة وعشرين درجة .^(١)

ويسير الركب بعد ذلك إلى وادي فاطمة ، ويسمى وادي مر^(٢) بالجموم ، ومنه إلى مسجد السيدة ميمونة^(٣) رضي الله عنها ، ثم مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها حتى يصل إلى التنعيم .^(٤)

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٦٢ - حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة العربية ، ص ١٨٦ .

(٣) وادي مرّ : عند أهل الحجاز يسمى وادي فاطمة أو مر الظهران ، وهو واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها مرّ فيقال مرّ الظهران .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٣) .

(٤) مسجد السيدة ميمونة : يقع على يسار طريق المدينة المنورة الواصل بين مكة وبلدة الجموم على بعد ١٦ كيلومتراً من الحرم المكي ، وقد بنى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بميمونة رضي الله عنها في هذا المكان أثناء عمرة القضاء ، وتوفيت ودفنت به . (الخزاوي : مكة المكرمة في شذرات الذهب ، تحقيق عبد العزيز الغامدي ، ومحمد السرياني ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، البلاذري : معالم مكة التاريخية ، ص ١٣٣) .

(٥) التنعيم : موضع بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، وسمى بذلك لأن الجبل الذي على يمينه يقال له نعيم ، والذي على يساره يقال له ناعم ، والوادي نعمان ، ويحرم منه المكيون للعمرة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩ - الحميري : الروض المعطار ، ص ١٣٨) .

ومن التنعيم يسير الركب إلى وادى الزاهر على مائة وخمسين درجة ،
وبه الكثير من الحدائق والعيون ، وهو عامر بالمنازل والسكان ، ويفتسل
الحجاج عند سبيل الجوخي ، وهو سبيل الزيني عبد الباسط ناظر الجيش
في عهد السلطان برسباى إستعداداً لدخول مكة بعد المبيت بذى طوى (١) .
وفي الصباح يتوجهون إلى مكة بعد تزيين المحامل ، وتقديم التشاريف
السلطانية لأمرها ، وقضاة مكة وأعيانها ، من عند قبور المهاجرين بكدى ،
ثم يسير الركب إلى الأبطح ، وهو وادى مكة ناحية المعلاة ، ثم يتوجهون
من ناحية مقبرة المعلاة المسماة الحجون . ولمكة ثلاثة أبواب : باب الشبيكة ،
وباب الحاجن أى من عند المسفلة ، وباب المعلاة بين الثنيتين ، فيدخلون بأعلامهم من هذا الباب ، ثم ينزل
أمير الحج بعد ذلك بمدرسة السلطان الأشرف قايتباى بعد أن يذهب
شريف مكة إلى منزله ، ويتفرق الحجاج بضواحي مكة ومنازلها . (٢)

(١) ذى طوى : بتثليث الطاء والفتح أشهر من الضم ، وهو أشهر من
الكسر ، وهو وادى بمكة على قرسخ منها في طريق التنعيم ، ويعرف
بالزاهر ، وهو الوادى الذى يمر بين الحجون ، وريع الكحل ماراً
بجرول ، وبه بئر معروفة بجرول بين القبة وريع أبى لهب .
(البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ١٦٨) .

(٢) رحلة العبدى ، ص ١٦٧ - ١٦٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ،
ص ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ -
البتونى : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٦٦ .

أما من يريد التوجه إلى المدينة المنورة لزيارة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فمن بدر يعطف على طريق المدينة المنورة إلى وادي الصفراء^(١) بتسعين درجة ، وهو وادٍ معموره ماءً ونخل وبنيان .^(٢)

ثم يرحل من وادي الصفراء إلى ذي الحليفة^(٣) ، وهي على بعد سبعة أميال ، وهي بطحاء لينة سهلة ، وبها بئر علي كرم الله وجهه . وينزل الركب بها للإستراحة ، ثم يرحل الركب إلى فسقية الأمير طاز على مائة وعشرين درجة . بعد ذلك يتجه الركب إلى ملل^(٤) على مائة وأربعين^(٥) درجة ، حتى يصل المدينة المنورة على مائة وستين درجة .

- (١) وادي الصفراء : قرية كثيرة النخل والزرع ، وماؤه من العيون وهي فوق ينبع مما يلي المدينة المنورة ، وهي لجبهة الأنصار في طريق الحاج على مرحلة من بدر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤١٢) .
- (٢) رحلة العبدري ، ص ٢٠٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٠٧ .
- (٣) ذي الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٥) .
- (٤) ملل : إسم موضع في طريق مكة بين الحرمين على طريق المدينة المنورة إلى مكة بمسافة ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة المنورة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٩٤) .
- (٥) رحلة العبدري ، ص ٢٠٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٠٧ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

وصف طريق الحج المصرى (الفسطاط - عيذاب - جدة) وأعمال المالك به :

كما سبق أن ذكرت بدأ استخدام هذا الطريق منذ منتصف القرن الرابع الهجرى ، ثم ازدهر إزدهاراً كبيراً حوالي قرنين من الزمان من سنة ٤٦٠ هـ حتى سنة ٦٦٥ هـ وهي السنة التي أعاد فيها السلطان الظاهر بيبرس تسيير قافلة الحج المصرى عبر الطريق البحرى ، طريق شبه جزيرة سيناء ، ومع ذلك فقد ظل هذا الطريق مستخدماً وإن كان بأعداد قليلة حتى حلت المجاعة الكبرى بمصر وما صاحبها من وباء في سنة ٨٠٦ هـ والسق أدت إلى خراب الصعيد (الوجه القبلى) (١) . وكان الحجاج يلقون الأمرين من عواصف البحر الأحمر في عبوره من عيذاب إلى جدة ، وبسبب بدائية المراكب الشراعية التي تحطمها العواصف والأمواج الصاخبة التي تبتلعها في جوفها ، غير أن جبروت العواصف البحرية كان يتضاءل أمام جبروت طواغيت التجار الذين كانوا يتولون أمر حملهم عبر الصحراء الشرقية من قوص إلى عيذاب وكانوا يأخذون الناجين منهم ويحملونهم على الجمال بأجور مرتفعة التكاليف ، بل يعتمدون أن يسلكوا بهم طرقاً بعيدة عن موارد المياه حتى ينال منهم الظم فيهلكون ، وبذلك يغم التجار ما بقى معهم من مال ومتاع . أما الذين يسلمون منهم من أهوال عبور الصحراء

(١) عن هذه المجاعة وما صاحبها من وباء أدى إلى خراب مصر عامة والصعيد خاصة انظر المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق زيادة والشىال ص ١٤ ، وهو إحدى رسائل المقرئى الصغيرة التي كتبها بهذه المناسبة .

الشرقية فيرحلون إلى عيذاب ، ويحملون في المراكب الشراعية بأجور مرتفعة
الثلث وكانوا يحشدون الناس بعضهم فوق بعض سعياً وراء المزيد من
العمال غير مبالين في هذا السبيل إن فرقوا أم نجوا مرددين عباراتهم
المألوفة علينا بالأنواح وعليكم بالأنواح^(١) . وكانت رحلة الحجاج تتجه
من الفسطاط بطريق نهر النيل ، أو عن طريق البر إلى مدينة قوص جنوب
مصر ، ثم يجتازون الصحراء الشرقية من قوص بواسطة الإبل إلى عيذاب ،
ومن هنا يركبون البحر في الجلاب إلى جدة . وكذلك كان تجار
الهند واليمن والعبشة يصلون إلى عيذاب ثم يركبون الإبل إلى قوص
ومن هنا يصلون إلى القاهرة والفسطاط^(٢) . - انظر خريطة رقم (٣) -

(٣)

فمن الفسطاط بطريق نهر النيل تتجه الرحلة إلى قرية أسكر .

- (١) رحلة ابن جبير ، ص ٦٥ - المقرئزي : الخطط ،
ج ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - علي السليمان : العلاقات
الحجازية المصرية ، ص ٦٤ .
- (٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

- (٣) أسكر : بالفتح ثم السكون ، قرية مشهورة نحو صعيد مصر بينها وبين
الفسطاط يومين وهي من كورة الأنطحية ، وقد زعم بعضهم أن موسى
ابن عمران ولد بها . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٨٢) .

وتعرف بالسكينة أو يأسكور ، وهي من القرى المصرية القديمة ، وتقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ، وتستغرق الرحلة إليها يومين ، وهي تتبع الآن مركز الصف بمحافظة الجيزة .^(١)

ثم ترحل القافلة بعد ذلك إلى المنيا وكانت تسمى حتى عهد محمد علي منية ابن الخصيب^(٢) نسبة إلى أحد عمالها صاحب خراج مصر في عهد هارون الرشيد ، وهي على شط النيل ، وتستغرق الرحلة إليها خمسة أيام ، وهذه المدينة واسعة المساحة بها الأسواق والحمامات ، وسائر مرافق المدن ، وتكثر بها المساجد والزوايا والمدارس ، وهي إلى الشمال قليلاً من تقاطع خط العرض ٢٨° شمالاً ، وغربي خط الطول ٥٠ - ٣٠° شرقاً^(٣) .

ثم يتجه الطريق النهري إلى أنصنا^(٤) ، وهي فسيحة بها آثار

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٥٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٠ .

(٢) منية ابن الخصيب : بالضم ثم السكون ثم يا مفتوحة ، مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى ، بها جامع ، وفي قبلتها مقام إبراهيم عليه السلام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٨) .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٥٦ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٩ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٠ .

(٤) أنصنا : مدينة قديمة من نواحي الصعيد على شرقي النيل . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٥) .

قديمة ، وكان بها سور قديم هدمه السلطان صلاح الدين الأيوبي . (١)

ثم تغلق الرحلة إلى مرسى جبل العقلة أو العقلا ، ويقع بالشط الشرقي للنيل ، وهو نصف الطريق إلى قوص على مسيرة يومين من المنيا ، وتسعة أيام من الفسطاط . (٢)

ثم يواصل الركب الطريق إلى مدينة منفلوط (٣) ، وتقع على الشاطيء الغربي لنهر النيل ، وهي محطة للطريقين البحري والبري من الفسطاط وبها الكثير من الأسواق ، وفيها جامع واحد عشر معصرة للسكر ، كما تشتهر المدينة بجودة قمحها . وتوجد عند تقاطع خط العرض ٦٧ - ٢٧ شمالاً ، وبالقرب من خط الطول ٣١ شرقاً (٤) .

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٥٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٥٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٣ -

سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٠ .

(٣) منفلوط : بفتح الميم وسكون النون ثم فاء مفتوحة بلدة بالصعيد

في غربي النيل . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٤) .

(٤) رحلة ابن جبير ، ص ٥٨ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٠ - الجزيري :

درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح

الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٠ .

ثم تقلع من منفلوط إلى مدينة أسيوط^(١)، وهي بلدة تقع على الشاطي* الغربي لنهر النيل، وهي من مدن الصعيد المشهورة، بينها وبين الشط الغربي لنهر النيل ثلاثة أميال، وبها مسجد قديم، وحولها بساتين النخيل، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٦٢ - ٢٧° شمالاً، بخط الطول ٢٢ - ٣١° شرقاً^(٢).

ثم تقلع السفن مارة ببلدة أبي تيج، وهي على الشط الغربي لنهر النيل، وبها الكثير من الأسواق، وبقية مرافق المدينة.^(٣) ومنها تمر السفن بمدينة أخميم^(٤)، وهي من مدن الصعيد

- (١) أسيوط : مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر، وهي مدينة جليلة، كثيرة البساتين والفواكه . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤) .
- (٢) رحلة ابن جبير ، ص ٥٨ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٠ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥١ .
- (٣) رحلة ابن جبير ، ص ٥٨ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥١ .
- (٤) أخميم : بالكسـر ثم بالسـكون ، بلدة بالصعيد، وهي بلد قديم على شاطي* النيل بالصعيد، وبها البرابي، وهي أبنية عجيبـة بها تماثيل وصور . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٤ - القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٠٠) .

المشهوره شرقي النيل ، وتكثر بها الآثار القديمة ، وبها مسجد ذى النون
المصرى ، وبعض آثار بنيان لبعض كنائس النصارى ، وتقع قرب خط تقاطع
عرض ٣٣- ٢٦ شمالاً وخط الطول ٤١ - ٣١ شرقاً (١)
وبعدها تمر الرحلة بموضع يعرف بمنشأة السودان على الشاطئ
الغربي من نهر النيل ، وهي قرية قديمة ومعمره ، بينها وبين النيل
رصيف عال (٢) . ومنها تطلع السفن إلى قرية الهلينا (٣) وتقع على
الشاطئ الغربي لنهر النيل ، وبها الكثير من النخيل . (٤)

ثم تتجه الرحلة بعد ذلك إلى الشاطئ الشرقي لنهر النيل على
بلدة دشنا (٥) ذات البساتين والنخيل الكثير ، وبها جميع مرافق المدينة ،

- (١) رحلة ابن جبیر ، ص ٥٨ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤١ - الجزیری :
درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح
الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥١ - ١٥٢ .
- (٢) رحلة ابن جبیر ، ص ٦٠ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .
- (٣) الهلينا : بسكون اللام ، ويا مفتوحة مدينة على شاطئ النيل
بصعيد مصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٣) .
- (٤) رحلة ابن جبیر ، ص ٦٠ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٦ -
سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٢ .
- (٥) دشنا : بكسر أوله وسكون ثانيه ، ونون مفتوحة بلد بصعيد مصر
شرقي النيل ذو بساتين ، ومعاصر للسکر . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٦) .

، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٥ - ٢٦ شمالاً ،
وخط الطول ٢٤ - ٣٢ شرقاً^(١) .

ومن دشنا تقلع السفن إلى منطقة دندرة^(٢) ، وهي من مدن
الصعيد ، كثيرة النخيل ، وتشتهر برطبها وترها الجيد^(٣) .

ومن دندرة إلى مدينة قنا^(٤) وهي من المدن المشهورة بصعيد
مصر ، وتشتهر بجمالها ، وأناقة منظرها ، وجميع نساها لا يظهرن في شوارعها ،
وبينها وبين قوص يوم واحد ، وتوجد على الشاطئ الشرقي لنهر النيل قرب تقاطع
خط العرض ٩ - ٢٦ شمالاً ، بخط الطول ٢٤ - ٣٢ شرقاً^(٥) .

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٦٠ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤١ - الجزيري :

درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(٢) دندرة : بفتح أوله وسكون ثانيه ودال أخرى مفتوحة ، بليد

في غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص ، وهي ذات

بساتين ونخيل كثير . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص

٤٧٧ - ٤٧٨) .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٦٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(٤) قنا : مدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٩) .

(٥) رحلة ابن جبير ، ص ٦١ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٢ - الجزيري :

درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

وبعدها تصل الرحلة إلى مدينة قوص بعد مدة ثمانية عشر يوماً يقضيها الحجاج في النيل ، وهي مدينة كبيرة ، كثيرة الأسواق ، مشهورة بالتجارة لوفور تجار اليمن والحبشة والهند والصين وغيرها ، ولأنها ملتقى حجاج المصريين والمغاربة ، وهي تعتبر المحطة النهائية للطريق النهري ، وبداية الطريق البري عبر صحراء عيذاب إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر ، وبها فندق كبير لنزول الحجاج والتجار به ^(١) . وهي أهلة عامرة بالسكان وتشتهر بكثرة الأُغنام والنخيل والفواكه والتوت الأبيض الطيب الطعم ، وبها مدارس عليها أوقاف جمّة ، وكانت تؤخذ بها المكوس من الحجاج إلى أن أمر السلطان المملوكي المنصور لاجين في الثامن عشر من جمادى الثانية سنة ٦٩٦ هـ بإسقاط جميع المكوس التي تؤخذ من الحجاج بها ^(٢) ، وهي عند تقاطع خط العرض ٥٥ - ٢٥ شمالاً ، بخط الطول ٤٥ - ٣٢ شرقاً ^(٣) .

وتبدأ الرحلة الثانية من قوص إلى عيذاب عبر صحراء مصر الشرقية ، فتكون المسيرة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي تقطع (صحراء عيذاب)

(١) رحلة ابن جبیر ، ص ٦١ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٢ - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٠١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٣ .

(٢) التيجيبي : استفاد الرحلة والإغتراب ، ص ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج

الصحراء بين قوص إلى جنوب رأس بغدادى على ساحل البحر الأحمر ثم تسير موازية لساحل البحر حتى منطقة عيذاب ، وتقطعها القافلة فـ (١) سبعة عشر يوماً . وهذه المسيرة شاقة لقلة الماء ، وقسوة البجاسة ، واستغلالهم للحجاج ، وكانت قوافل الحج والتجارة تقطعها في حوالي أربعة عشر يوماً ، وتقدير هذه المسافة خطأ وقد قام الأستاذ سيد عبد المجيد بكر بتصحيح قطع المسافة فقال لو قدرنا أن القافلة تسير في اليوم من ٣٠ كيلومتراً إلى ٤٠ كيلومتراً يكون طول المسافة ٥١٠ كيلومتراً وإذا أخذنا المتوسط يكون طول المسافة ٥٩٥ كيلومتراً وذلك كانت المسافة من الفسطاط وعيذاب تقدر بحوالي ٢٠٠ كيلومتراً (٢) يقطعها الحجاج والتجار في حوالي خمسة وثلاثين يوماً .

وتبدأ المسيرة من قوص إلى منطقة البرز ، وفيها يجتمع الركب لقضاء جميع لوازمهم ، وتقع جنوبي قوص ، وهي كثيرة النخيل . (٣)

ثم يرحل الركب إلى مكان يسمى الحاجر فتقضى القافلة ليلتها به ثم ترحل في الصباح إلى مكان يسمى اللقيطة ، وهي شرقي قوص وبها نخيل وآبار عذبة ، وتبعد عن قوص بخمسة عشر كيلومتراً ، أى نصف يوم تقريباً ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٣٠° - ٢٥° شمالاً ، بخط الطول ٧° - ٣٣° شرقاً . (٤)

(١) هم قبائل البجاة التي تسكن الصحراء الشرقية في مصر . عنهم انظر :

(المقريزى : المواعظ والإعتبار ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٧) .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٤ .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٦١ - الجزيري : درر الفرائد ، ص ٤٠٧ -

سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٤ -

١٥٥ .

(٤) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

ومعدها يتجه الـركب إلى وادي دندان ، ولا يوجد به ماء ، ثم يمر
بفضل الخيام ولا ماء به أيضاً . وتتابع القافلة سيرها حتى تصل إلى منطقة
المحدث ، ثم الميراد ، وبه بئر زيدون وهو منهل للحجاج ، ويوجد قرب تقاطع خط
العرض ٤٣-٢٥ شمالاً ، بخط الطول ٤٤-٣٣ شرقاً^(١) .

ثم يمر الـركب بوادي منيح ، ووادي الشلول ، ثم يرحل إلى ماء يسمى
الدغيج ، وهو ماء قليل لا يزيد عن دلو ، ثم يرحل وينزل بمكان يسمى
الجهندي ، وهو منهل للحجاج ، ويقع عند تقاطع خط العرض ٢٠-٢٥ شمالاً ،
خط الطول ٢٣-٣٣ شرقاً^(٢) .

ومنها يسير الـركب فيصل إلى منطقة الحريفا التي لا ماء بها حتى
تصل دنقاش ، وهي على مسيرة أربعة أيام من اللقيطة ، وبها الماء الكثير ،
وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٥٤-٢٤ شمالاً ، بخط الطول ٥٣-٣٣ شرقاً^(٣) .

(١) رحلة ابن جبیر ، ص ٦١ - الجزیری : درر الفرائد ،
ج ١ ، ص ٤٠٧ - سید عبد المجید بکر : الملاح الجغرافية
لدروب الحجيج ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) التجیبي : استفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٠ - سید عبد المجید
بکر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٦ .

(٣) رحلة ابن جبیر ، ص ٦٢ - الجزیری : درر الفرائد
، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

ثم يمر الركب بمنطقة شععتان ، ويوجد بئر أم قيور في بطن هذا
(١)
الوادي قرب تقاطع خط العرض ٣٥-٢٤ شمالاً ، بخط الطول ٥٣-٣٣ شرقاً .

ثم يواصل الركب سيره فريبي شواطئ البحر الأحمر نحو الجنوب
فيقطع وادي نتش ، ثم وادي عشر ، ثم وادي خشب الوعر حتى يصل
إلى منطقة أمتان ، ويوجد بها بئر ماء جذب (٢) .

ثم يرحل الركب إلى منطقة حميثة وهي قرب تقاطع خط العرض ٦٠-٢٤
شمالاً ، بخط الطول ٤٠-٣٤ شرقاً في جنوب فريبي جبل أبي حميد ،
وعلى مقربة من حميثة ، يوجد قبر أبي الحسن الشاذلي الذي توفي
سنة ٦٥٦ هـ وهو في طريقه إلى الحج (٣) .

وبعدها ينحرف الطريق إلى الجنوب الشرقي ، فيقطع منابع وادي
الخريط حتى يصل إلى منطقة سلاعى وتعرف بصليعة ، وتقع شمال
وادي كوان ، وهي قرب تقاطع خط العرض ٥٧-٢٣ شمالاً بخط

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٢ - التجيبي : استفاد الرحلة والإغتراب ،
ص ٢٠٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٨ - سيد عبد
المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

الطول ٥٣ - ٣٤° شرقاً^(١) . وتعترض القافلة بعض مرتفعات البحر الأحمر حتى تصل إلى السهول الساحلية^(٢) . فتتجه إلى وادي بتان ، ويوجد بئر بتان قرب تقاطع خط العرض ٣٨ - ٢٣° شمالاً ، بخط الطول ٣ - ٣٥° شرقاً ، والمسافة بين أمتان ورنقاش مسيرة ستة أيام^(٣) .

ثم ترحل القافلة إلى مكان يعرف بمجاج ، وهي مورد ماء عذب^(٤) .

ثم تتجه القافلة إلى منطقة الحسا بعد اجتياز مرتفعات البحر الأحمر ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٥٨ - ٢٢° شمالاً ، بخط السهول الساحلية على البحر الأحمر ، وبه الكثير من المياه^(٥) .

وبعد الحسا يتجه الطريق إلى شهاب ، وتقع إلى الجنوب من الحسا والمسافة بين بئر الحسا وعيذاب يومين أي حوالي ٨٩ كيلومتراً . ثم تمر القافلة

- (١) سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .
- (٢) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .
- (٣) سيد عبد المجيد بكر ، الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .
- (٤) رحلة ابن جبير ، ص ٦٢ - ٦٣ ، التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٤ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٨ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٨ +
- (٥) سيد عبد المجيد ، الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٨ .

التجارية من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري ، ولكن ضعفت
أهميتها وشهرتها بعد تحول التجارة إلى العقبة ، وشبه جزيرة سيناء ،
كما نقل السلطان الأشرف برسباي الجمارك منها إلى الطور سنة ٨٣٠ هـ ،
ويوجد بها مسجد (١) .

ثم يجي الحجاج بعد ذلك عبر البحر من عيذاب إلى ميناء جدة ،
وهي من أصعب المراحل ، ويستغل أصحاب المراكب الحجاج استغلالاً
فاحشاً من حيث الأجور ، وشحن عدد كبير في مراكب واهنة ، ونتيجة
ذلك تزهق الأرواح الكثيرة من الحجاج ، ويسلكون بهم مسافات بعيدة حتى يهلكون
عطشاً يأخذون كل ما معهم من مال ومتاع . والمسافة من عيذاب إلى جدة
كانت تستغرق ثمانية أيام إذا كانت الريح مواتية والبحارة مهرة ، وقد تستغرق
أكثر من هذا فربما تعود المراكب إلى عيذاب بعد إقلاعها لثوران الموج
واشتداد الريح ، فقد بدأت رحلة ابن جبير من عيذاب في ٢٦ ربيع الأول
ووصل جدة في ٤ ربيع الثاني سنة ٥٧٩ هـ ، وأما القاسم التجيبي فقد
استغرقت رحلته من عيذاب إلى جدة أكثر من ٢٤ يوماً (٢) .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٣ و

(Ahmad Darrag: L' Egypte Sous le regne de
Barsaby , p. 202-210.)

- سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٦٤ - ٦٥ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ،

ص ٢٠٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ،

ص ١٦٤ .

ومن عيذاب يصل الحجاج إلى منطقة الجديرو من هناك يحرم
جميع القاصدين إلى الحجاز، ثم تتجه الرحلة إلى المربوطة ومنها إلى
أبحر، ومن هناك إلى جدة، وهي ساحل مكة بينهما أربعون ميلاً^(١)،
وأهلها موصوفون بكثرة الثروة، وبها عامل من قبل شريف مكة لا أخذ المكوس
والضرائب من الحجاج، فيذكر القاسم التجيبي سنة ٦٩٦ هـ أنه أخذ من غرائب
الطعام نحو ربع كل غرارة، وضريبة عن من له متاع، وضريبة على الجمال التي
يكتريها الحجاج.^(٢)

(١) التجيبي : استفاد الرحلة والإغتراب، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

وصف طريق الحج المصرى البحرى (السويس - الطور - ينبع - جدة)
وأعمال الممالك به :

كما سبق أن ذكرت بدأ هذا الطريق منذ سنة ٨٢٨ هـ نتيجة
للتحول الكبير الذى طرأ على تجارة جدة^(١) ، وما ساعد على إقبال
الحجاج على إتخاذ هذا الطريق ، قصر الرحلة البحرية من السويس إلى
جدة ، وما تهيأ لها من الأمان . فعن هذا الطريق كان يسافر كل عام وقت
الموسم من القاهرة إلى جدة ناظر جدة والشاد بها من قبل السلطان
لجباية المكوس بها من التجار الوافدين إلى جدة من الهند والصين
والحبشة واليمن ، وكان يسافر في صحبة الناظر والشاد بجدة تجريدة عسكرية
يتراوح عددها ما بين الثلاثين والخمسين مملوكاً لمساعدتهما في جباية
المكوس ، وحماية جدة من أى تعرض من قبل شريف مكة الذى كان يقوم بجباية
المكوس بجدة حتى سنة ٨٢٨ هـ .^(٢)

وقد حج عن هذا الطريق الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي
القلصاوى سنة ٨٥١ هـ^(٣) ، وهو يصف الرحلة إلى البقاع المقدسة على
هذا النحو :

(١) أنظر ص ١١ .

(٢) Ahmad Darrag: L'Egypte Sous le regne de Barsbay , p. 201 - 208.

(٣) رحلة القلصاوى ، ص ١٤٧ .

(د ثم سرت يوم الأحد السادس والعشرين لرجب (١٧ أكتوبر
١٤٤٧ م) إلى التربة المسماة بتربة عبد الغني ، ورحلنا منها يوم الثلاثاء
، وبلغنا إلى الطور يوم الخميس الثامن من شعبان (١٩ أكتوبر ١٤٤٧ م) ،
وركبنا البحر هناك السادس عشر من الشهر (٢٧ أكتوبر ١٤٤٧ م) ،
وبلغنا إلى ينبوع عند الزوال من يوم الجمعة السابع من شهر رمضان
المعظم (١٦ نوفمبر ١٤٤٧ م) وكان سفرنا من ينبوع يوم الأحد سادس
عشر من رمضان (٢٥ نوفمبر ١٤٤٧ م) ، ولما بلغنا إلى رابع أزلنا المخيط ،
واغتسلنا وأحرمنا منه بعمرة ، وذلك سحر يوم الأحد الثالث والعشرين
(٢ ديسمبر ١٤٤٧ م) وبلغنا إلى جدة عند الزوال يوم الثلاثاء الخامس
والعشرين من رمضان (٤ ديسمبر ١٤٤٧ م) وذلك بعد مشقات عظام
تحرار في وصفها المحاير والأقلام ، ثم زرنا بجدة مقام أمنا حواء وما أمكننا
زيارته ، وارتحلنا منه بعد صلاة المغرب في الثامن والعشرين من الشهر
(٧ ديسمبر ١٤٤٧ م) وبلغنا مكة المشرفة في الثلث الأول من ليلة
الجمعة التي صبيحتها التاسع والعشرين من رمضان (٨ ديسمبر ١٤٤٧ م) ،
فدخلنا على باب الشبيكة ، وحططنا الرحال في داخل المدينة ، وقد ذهب
عنا تعب السفر بتحصيل البغية والظفر ، فذهبنا إلى الحرم الشريف» (١) .

وبعد اكتشاف البرتغاليين رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن
التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وصل فاسكو دا جاما فـي

ثلاث سفن إلى قاليقوط^(١) بالهند بعد رحلة استغرقت أربعة أشهر، وأخذ يهاجم المراكب الإسلامية التي تحمل الحجاج والتاجر من الهند هذا بالإضافة إلى وضع جزء من أسطوله عند مدخل البحر الأحمر لإغلاقه أمام السفن الإسلامية ، وبذلك تعرضت سفن المسلمين لهجوم مستمر من قبل الأسطول البرتغالي في المحيط الهندي .^(٢)

وزاد إهتمام سلاطين الماليك بجدة بعد إعتداء آت البرتغاليين على سفن المسلمين في مياه المحيط الهندي ، وسواحل البحر الأحمر ، بل وتهديد الدولة المملوكية في عقر دارها .^(٣)

كما أن إستيلاء البرتغاليين على الكجرات والدكن من بلاد الهند ،^(٤) وبناء قلعة حصينة بساحل الدكن ، وإستيلاءهم على مضيق هرمز ،

(١) قاليقوط : من أشهر موانئ الهند ، وتقع في الجنوب الغربي ، وقد ازدهرت بتجارة التوابل والأحجار الكريمة . (ريتشارد مورتييل : الأحوال السياسية والاقتصادية ، ص ١٨٢) .

(٢) إبراهيم طرخان : مصر في عهد دولة الماليك الجراكسة ، ص ٢٩١ - أحمد دراج : الماليك والفرنجة ، ص ١٣٦ - نوال حمزة صيرفي : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٠٤ .

(٣) أحمد دراج : الماليك والفرنجة ، ص ١٣٦ .

(٤) هرمز : بضم أوله وسكون ثانيه ، مدينة في البحر إليها خور وهي على ضفة ذلك البحر ، وتقع على بر فارس ، وهي فرضة كرمان إليها ترافأ المراكب ، ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٠٢) .

واعتداهم على سفن التجار المسلمين جعل مظفر حاكم الكجرات ، وعامرين
عبد الوهاب حاكم اليمن يرفعان شكواهم إلى سلطان مصر ، السلطان الغورى
الذى أرسل بدوره رسالة إلى الدول الأوروبية يشكو إليها أعمال البرتغاليين
، ولما لم يجد صدى من جانب هذه الدول لرسالته تلك ، أصدر أوامره إلى
الأمير حسين الكردي بأعداد حملة بحرية حربية تتكون من خمسين سفينة
تبحر من السويس إلى جدة ومعه الكثير من الفعلة والبنائين ، وذلك للتعرض
لسفن البرتغاليين ، ولبناء سور وعدة أبراج حول مدينة جدة خاصة ، وأن
جدة كانت معرضة لغارات عربان زبيد^(١) . فنفذ سنة ٩٠٢ هـ وحتى
سنة ٩١١ هـ وعربان زبيد وجهينة ، ومنو إبراهيم ومنو لام يعتدون على
قوافل الحجاج المصريين ، ويخربون منازل الطريق كعجروود والأزهم
والمويلح وينبع ، بل أنهم قطعوا الطريق بين ينبع والمدينة ، وبين مكة
وجدة ، وهددوا جدة بالنهب ، بل بلغ بهم الأمر أن عاشوا في مكة فساداً ،
وصادروا أموال بعض مشاهير تجارها ، الأمر الذى أدى إلى تعطل طريق الحج
بالنسبة لأهل مصر والمغرب والشام ، هذا بالإضافة إلى ما استجد من
تهديدات البرتغاليين لتجارة البحر الأحمر ، والأراضي الإسلامية المقدسة ،
وقد دفعت هذه الأحداث السلطان الغورى إلى القيام بسلسلة التحصينات
العسكرية في سنتي ٩١٥ و ٩١٦ هـ على يد المعمار خير بك المعمار ،
والأمير خشدقم في عجروود ، ونخل ، والعقبة ، والأزهم^(٢) .

(١) ابن رياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٨٤ - ٨٥ ، أحمد دراج :

الماليك والفرنج ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) انظر قبل إعتداه آت القبايل على الحجاج ، ص ٣٠ .

وفىما يختص بجدة فإن الأمير حسين الكردى ما أن وصل إليها
سنة ٩١١ هـ حتى شرع في بناء سور حولها وقلعة وعدة أبراج (١).

وفىما يلي ما ذكره ابن فرج عن بناء سور جدة :

« وكان الأمير حسين الكردى صارماً شديد الوطأة على الأهالي ،
ففرض عليهم حمل الحجارة والطين لمساعدته في البناء . وكان لهذا
السور ستة أبواب ، باب مكة ، وباب المدينة ، وباب شريف ، وباب الشهداء ،
وباب البحر ، وباب المغاربة ، ويفتح باب مكة ناحية الشرق ، وباب المدينة
ناحية الشمال ، وباب شريف ناحية اليمن ، وباب الشهداء والمغاربة
والبحر ناحية البحر ، وكان طول أساس السور في الأرض اثني عشر ذراعاً ،
وطول المحيط من جهة القبلة إلى اليمن ثلاثة آلاف ذراع ، غير الأبراج
وهي ستة ، وعرض السور أربعة أذرع ، وأما الأبراج فطول الشامي واليماني
من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعاً ، والبرجان الاصليان الملاصقان
لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح وهو الايمن ، والاخر باب
النصر وهو الايسر فقد نزل بهما الغواصون في البحر اثني عشر ذراعاً ،
وجملة ما صرف على هذا السور وتوابعه من الأبراج ، ودار النيابة ، وجامعها ،
ومصلى العيد ، وحفر الخندق ، مائة ألف دينار ، وقد انتهت هذه العمارة

(١) ابن رياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(١) خلال تسعة شهور» .

- (١) ابن فرج : السلاح والعدة في تاريخ جدة ، ص ٢٨ - ٣٠ ،
وعن بناء سور جدة انظر أيضاً ابن عبد الهادي : الدر الفاخر ،
ورقة ٤٤ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٣٨ -
الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ١٥٨ - ١٥٩ -
أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ١٧٢ -
عبد القدوس الأنصاري : تاريخ مدينة جدة ، ص ٢٩٨ .

٣ - طريق الحج الشامي

كانت قريش تقوم برحلة الشتاء والصيف بين اليمن والشام ، حسبما ورد في قوله تعالى ﴿ لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (١) فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿ فكانت قوافل قريش تصل إلى الشام عن طريقين داخلي يمر بالمدينة المنورة المنورة ، فتبوك ثم إلى بصرى الشام فدمشق ، وهو الذي كان يسمى " التبوكية " ، وطريق ساحلي يسمى " المعرفة " سلكت قوافل قريش في عودتها من الشام في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عندما حدثت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وسلكت الجيوش الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، فقد سلك يزيد بن أبي سفيان لفتح الشام طريق تبوك ، وسلك عمرو بن العاص طريق إيليا " العقبة " لفتح الشام أيضاً (٢) ، وكانت مواكب الحجيج تسير في إنتظام بعد إستقرار الدولة العباسية لا يزعجها سوى هجمات البدو . وقد اهتمت الدولة الأموية ولاسيما في خلافة عبد الملك بن مروان بطريق الحج الشامي وسارت على منوالها الدولة العباسية ، خاصة عندما حج بعض خلفائها ، فقد أمر أبو جعفر المنصور بتمهيد طريق الحج الشامي ، وبناء المساجد والإستراحات وحفر الآبار ، كما أمر الخليفة المهدي ببناء محطات

(١) سورة قريش : آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحج ،

البريد ، وحفر هارون الرشيد الكثير من الآبار والبرك ^(١) . وإذا كان
إهتمام الخلفاء العباسيين انصب على طريق الحج العراقي ، إلا أن طريق
الحج الشامي استمر كأحد الطرق الرئيسية للحج ، ولا سيما عندما
قطع القرامطة طريق الحج العراقي ، الأمر الذي جعل حجاج شمال
العراق وغربه يتحولون إلى طريق الحج الشامي كما حدث العكس
في بعض الأوقات ، مثال ذلك عندما تحول الحج الشامي إلى طريق العراق
بسبب الإحتلال الصليبي لبلاد الشام بعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية
فقد شهد ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ أثناء عودته من الحج الركب الشامي يرافق
الركب العراقي في عودته إلى الكوفة ^(٢) ، وسبب سيطرة الصليبيين
على فلسطين والأردن حتى خليج العقبة انقطع طريق الحج الشامي
لفترة زمنية طويلة ، كما انقطع أيضاً طريق الحج المصري عبر شبه جزيرة
سيناء قرابة قرنين من الزمان .

وبعد إنتهاء الحروب الصليبية ، واستقرار الأمور في بلاد الشام
عاد ركب الحج الشامي مرة أخرى . وكان هناك طريقان داخلي يبدأ

(١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٣٧ - ٤٢ - سليمان مالكي :

مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٨٠ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ١١٠ .

من دمشق إلى معان وتبوك فالمدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة ،
والآخر يبدأ من جنوب فلسطين إلى العقبة ، يلتحم بدرب الحج المصري
في العقبة فساحل البحر الأحمر إلى ينبع فالمدينة المنورة ، ثم إلى مكة
المكرمة ، وعرف بدرب غزة ، وهو طريق حجاج جنوب فلسطين ، وقد
ظل هذا الوضع طيلة حكم دولة الماليك بمصر والشام .^(١)

وقد أفاض الجغرافيون والرحالة المسلمون في وصف طريق الحج
الشامي الداخلي (طريق تبوك) ، ومن ثم فهو الذي يعنينا فسي
هذا المجال ، لأن طريق غزة كان يلتحم بطريق الحج المصري الساحلي
الذي سبق لنا دراسته في شي* من التفصيل .

وفي العصر المملوكي سلك ابن رشيد الأندلسي هذا الطريق
الداخلي عندما حج سنة ٦٨٤ هـ وذكر من منازل (بصرى - الأزرق -
جفار - المعظم - تبوك - الحجر - العلا) . وفي سنة ٧٢٧ هـ سلكه
ابن بطوطة في حجه وذكر من منازل (الكسوة - صنمين - ذرعه -
بصرى - حصن الكرك - معان - ذات حج - تبوك - الأخضر -
بركة المعظم - الحجر - العلا - وادي العظاس - هديسة) .^(٢)

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ -

سيد عبد المجيد بكر : العلامج الجغرافية لدروب الحجيج ،

ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

منازل طريق الحج الشامي الداخلي :

كانت قافلة الحج الشامي تتحرك في الخامس عشر من شوال تحست
رئاسة أمير الحج ، فتخرج من قبة الحاج خارج دمشق التي كانت
تعتبر نقطة البدء للقافلة^(١) ، ومنها تتجه القافلة نحو الكسوة^(٢)
جنوبي جبل المضيق شمالي نهر الأوج ، وهي أول محطات درب الحج
الشامي^(٣) - انظر خريطة
رقم (٤) - وتقع عند تقاطع خط العرض ٣٣-٢٢ شمالاً ، بخط الطول
٦٥-٣٦ شرقاً ، وهي ذات نهر جار ، وتبعد عن دمشق ٢٠ كيلو
متراً أي ١٣ ميلاً ، ويقام بها الحجاج يومين حتى يكتمل شمل القافلة .^(٤)

- (١) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .
- (٢) الكسوة : هي أول منزلة لقافلة الحج الشامي بعد خروجها
من دمشق ، ويقال إن سبب تسميتها بالكسوة ، لأن خسان قتلت
رسل الروم لما أتوا إليها لأخذ الجزية منهم ، واقتسمت كسوتهم
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٦١) .
- (٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٧ - ابن طولون : البرق الشامي في تعدد
منازل الحج الشامي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ١١ ،
١٢ ، ص ١٠ جماديان سنة ١٣٩٦ هـ ، ايار ، حزيران ، مايو ،
يونيو ، سنة ١٩٧٦ م ، ص ٨٧١ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ،
ص ١٢٥٤ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧١ ،
(٤) سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٨٢ .

ثم ترحل القافلة من منطقة الكسوة فتنزل الصنمين ^(١) ، وتقع على وادي العرام ، وهي من قرى حوران ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٣٣-٥ شمالاً ، بخط الطول ٣٦-٦١ شرقاً ^(٢) .

ثم تتجه القافلة بعد ذلك إلى منطقة ذرع وقيل درعا ، وهي بلدة صغيرة من بلاد حوران ، وتكثر بها العياء ، وبينها وبين دمشق ثلاث مراحل ، ويقيم بها الركب يومين ^(٣) .

وتواصل القافلة سيرها إلى بصرى ^(٤) ، ويأخذ إليها في ثلاث مراحل ، وقد وصل إليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

- (١) الصنمين أو صنمان : قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران ، بينها وبين دمشق ستة فراسخ (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٣١) .
- (٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٥ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحج ، ص ١٨٣-١٨٤ .
- (٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٧ - الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، ص ٤٥١ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٥ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ .
- (٤) بصرى : من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٤١) .

(١)

في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد ، رضي الله عنها ، وبها مبرك ناقته .
ثم افتتحها المسلمون في خلافة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وأقاموا
مكان مبرك ناقته الرسول مسجداً . وقيم الحاج ببصرى ثلاثة أو أربعة
أيام حتى يلتحق بالقافلة من كان لا يزال بدمشق يقضي
حاجاته . (٢)

ثم تسير القافلة من بصرى إلى وادي عنتر ومنه إلى منطقة
الأزرق (٣) ، وهي قرية صغيرة على يوم واحد من الزرقاء . (٤)

وتتجه القافلة بعد ذلك إلى زيزا (٥) بعد أن تسلك إليها
مضيقات بين جبلين ، وعقبة صعبة ، وهي على مرحلتين من منطقة
الأزرق ، وقيم بها الحاج ثلاثة أيام أو أربعة ، وبها أسواق

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٨٧-١٨٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٧ - الحجاز في القرن السابع الهجري

على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي - تحقيق حمد الجاسر ، ج ٥

س ٣ ذوالقعدة سنة ١٣٨٨هـ - شباط (فبراير) سنة ١٩٦٩م

، ص ٤٥١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٦ - سليمان

مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ .

(٣) الأزرق : ما في طريق حاج الشام . (ياقوت : معجم البلدان

، ج ١ ، ص ١٦٨) .

(٤) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي

، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ج ٥ س ٣ ذوالقعدة ١٣٨٨هـ

، شباط (فبراير) ١٩٦٩م ، ص ٤٥١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢

ص ١٢٥٦ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ص ٢٢٩ .

الزرقاء : موضع بالشام بناحية معان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ،
ص ١٣٧) .

(٥) زيزا : من قرى البلقاء ، وهي كبيرة المساحة يطؤها الحاج ، ==

وبرك مياه لسقيا الحجاج (١)، وقال الشاعر فيها :

قلت لمن وافقني في السرى

لقيت تكريما وتعزيـزا

سرى ولو كنا على خنفس

(٢)

لا بد لي من أن أرى زيـزا

بعد ذلك تسير القافلة إلى منطقة الكرك، ويؤخذ إليها في
خمس مراحل، ويقام الحجاج بها في مكان يعرف بالثنية ثلاثة أو أربعة
أيام، وهو حصن من أعجب الحصون، وأمنعها، ويسمى حصن الغراب،
ويحيط به الوادي من كل مكان، ويلجأ إليه الملوك وقت النواذب، فقد
لجأ إليه الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأظهر أنه يريد الحج فلما
وصل عقبة آيلته توجه للحصن، وأقام به أعواماً إلى أن قصده أمراء
الشام (٣). وتشتهر منطقة الكرك بخصوبة أرضها وكثرة مياهها،

=== ويقام لهم بها سوق، وبها بركة عظيمة . (ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٣ ، ص ١٦٣) .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٧ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧١

- الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٦ - سليمان مالكي : مرافق

الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٦ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ .

وهي ذات محاصيل وفيرة خاصة الفواكه التي تأتي من الشوبك ، وسكانها
من قبائل البدو . (١)

ثم ترحل القافلة إلى الحسا (٢) ويؤخذ إليها في مرحلتين ،
وهي بين الكرك ومعان ، وحولها أطلال ، وتكثر بها المياه الجارية
العذبة ، هذا علماً بأن جميع المراحل التي قبل الحسا عامرة ومأهولة ،
وتبعد الحسا عن قطرانة ٥٢ كيلومتراً ، وعن جنوبي عمان ١٢٤ كيلو
متراً ، وعن العقبة ١٧٠ كيلومتراً ، وتقع عند تقاطع خط العرض ٥٠ - ٣٠ شمالاً
بخط الطول ٥٨ - ٣٥ شرقاً (٤) .

- (١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية
علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ - الجزيرة : درر الفرائد
، ج ٢ ، ص ١٢٥٧ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب
، ج ٢ ، ص ٢٣٠ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات
المدنية ، ص ٧٧ .
- (٢) الحسا : من أعمال الكرك ، وبها نهر لطيف . (الموسوي :
رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٢) .
- (٣) رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ،
ص ٢٧٧ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات
المدنية ، ص ٧٧ .
- (٤) أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ - حمد الجاسر :
في شمال غرب الجزيرة العربية ، ص ١٨٤ - سيد عبد المجيد بكر :
اللامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

وفي سنة ٧٨٥ هـ خرج قريش أخو زامل بن مهنا أمير آل فضل في ثمانية آلاف شخص على حجاج شيراز والبصرة بمنطقة الحسنا ، فأخذ ما معهم من اللؤلؤ وغيره ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فرجع بعضهم حافياً عارياً ، كما قدم بعضهم إلى مكة مع حجاج بغداد ، بعد أن أخذ قريش عشرين ألف دينار عن كل جمل خنفساً دنانير ، ثم مكنتهم مكة (١) .

(٢)
ثم ترحل القافلة إلى عنيزة ، وتبعد عن الحسا ٤٥ كيلومتراً ، وهي من أعمال الكرك ، وبها الكثير من المنحنيات والإنحدارات ، وتقع عند تقاطع خط العرض ٣٠° - ٣٠° شمالاً ، بخط الطول ٥٢° - ٣٥° شرقاً ، وبها خان ، والطريق إليها مأمون لقربها من الشوبك (٣) .

(٤)
ثم ترحل القافلة إلى معان وهي أول الحجاز وآخره ، وآخر بلاد الشام ، وهي أرض رمل وحجارة ، وجبال متباعدة ، وبها

- (١) ابن فهد : إتحاف الوري ، تحقيق فهد شلتوت ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٨٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ٣٤١ - الجزيري : درر الفوائد ، ج ٢ ، ص ٦٧٠ .
- (٢) ليست عنيزة القصيم .
- (٣) الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٢ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩٠ .
- (٤) الشوبك : قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وآيلة والقلزم قرب الكرك . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٧٠) .
- معان : بالفتح وآخره نون ، هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٣) .

عيون جارية ، ويؤخذ إليها في مرحلتين ، ومن معان يرجع المودع ،
ويقوم بها الحاج ثلاثة أيام وبها قلعة وماء آبارها ليس بالجيد ، إلا أن
مياهها تدفع عن الحاج والمسافرين شدة العطش ، وتعتبر سوقاً هاماً
للحجاج الذين يجمعون بين فريضة الحج والتجارة ، فيحملون بعض
السلع والثياب من دمشق ، ويبادلونها بسلع أخرى ^(١) . وهي تقع عند
تقاطع خط العرض ٦٢ - ٣٠ شمالاً ، بخط الطول ٤٤ - ٣٥ شرقاً ، وبينها
وبين دمشق ٤٥٩ كيلومتراً ، وبينها وبين عمان ١٣٧ كيلومتراً ، وبينها
وبين تبوك ٢٣٣ كيلومتراً ، وبينها وبين العقبة ١٢١ كيلو
متراً ^(٢) .

ثم ترحل القافلة إلى عقبة الصوان ، وهي منحدر على نصف ميل ،
ويؤخذ إليها في ثلاث مراحل ، وبها جبال وواد ، وعقبة ، ثم بركة
ماء من مياه المطر ، وبجانبها بعض الأعراب ، وظهر العقبة يسمى عبادان ،

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - رحلة الهلوى : تاج المفرق في تحلية
علماء المشرق ، ص ٢٧٨ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٢٧٢ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ - الموسوي : رحلة
الشتاء والصيف ، ص ٢٣٢ - سليمان مالكي : مرافق الحج
والخدمات المدنية ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج
، ص ١٩١ - ١٩٢ .

وتشتهر بتمورها الجيدة ويسمى طبيليات^(١).

وتواصل القافلة سيرها إلى ذات حج^(٢) ، وهي عبارة عن وادى به قلعة ورمل وتلال ، وآبار تحفر ، وما مطر ، وبعض نخيل وأعراب ، ويؤخذ إليها في مرحلتين^(٣) ، وتوجد بها عند تقاطع خط العرض ٣- ٢٩ شمالاً ، يخط الطول ٦٠- ٣٦ شرقاً ، وماؤها عذبة مستطاب^(٤).

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٢ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٨ .

(٢) ذات حج : هي في طريق الحاج الشامي ، تقع على وادى ينحدر إليها من هضبة حسمى ، ويدخل في الطرف الشرقي لهذه الهضبة . (سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩٦) .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٢ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٨ .

(٤) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩٦ .

وتسير القافلة متجهة إلى تبوك^(١) وتقع بين جبلي حسمي
وشروى ، وهي أدنى أرض الشام ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، ومنذ
القدم كانت طريق التجارة بين اليمن والشام ، وهي مدينة قديمة غزاها
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في السنة التاسعة من الهجرة ، وهي آخر
غزواته^(٢) . ويقيم بها الحاج للراحة والإستجمام لأن بها سوقاً ومسجداً ،
وعين ماءً مباركة ينزل السقائين على جوانب العين ، وهم الذين يقيمون
بسقاية الحاج مقابل أجر معلوم ، ولهم أحواض مصنوعة من الجلد فيمלאون
الروايا والقرب ، ولكل أمير حوض كبير يسقى منه جماله وجمال أصحابه ،
وبعض الناس يتفق مع السقائين على سقي جماله وملء قربته مقابل
شيء معلوم^(٣) ، وتشتهر تبوك بتمورها ، وبها شجرة خضراء يقال أن رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم نام تحتها فأخضرت ، وحولها منازل للعرب ،

- (١) تبوك : تقع بين وادي القرى والشام ، وقيل هي بين الحجر
وأول الشام على أربعة مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ،
وهي حصن به عين ونخل . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٤) .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥١٥ الى ٥٢٣ .
(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - الحجاز في القرن السابع الهجري
على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر
مجلة العرب ج ٥ ، ص ٣ ذوالقعدة سنة ١٣٨٨ هـ ، شباط
(فبراير) سنة ١٩٦٩ م ، ص ٤٥٢ - رحلة البلوي : تاج الفرق
في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٨ - ابن طولون : البسر
السامي ، ص ٨٧٢ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ - ١٢٦٠ -
أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

وبها بعض الأشجار، وتقع عند تقاطع خط العرض ٢٣-٢٨ شمالاً، بخط الطول ٢٣-٣٦ شرقاً، وتبعد عن دمشق ٦٩٢ كيلومتراً، وعن المدينة المنورة ٦١٠ كيلومتراً (١).

(٢)

ومن تبوك يستعد الركب للمفازة الكبرى، وهي منطقة العـ

ويؤخذ إليها في إثني عشر مرحلة فيحمل الحاج معه الماء، ولا توجد

(٣)

بهذه المنطقة مياه سوى بئر وسط الوادي يعرف بالوادي الأخضر

، وهو وادي مثلث الجوانب قرب تقاطع خط العرض ٢٦-٢٨ شمالاً، بخط

الطول ٣١-٣٧ شرقاً، وهي تبعد عن تبوك ٨٨ كيلومتراً، وبها

مسجد قديم، وبئر ماء اهتم به تجار الشام وأصلحوه، ويكثر به هذه

المنطقة النخيل ونبات الشج (٤)، ولا يوجد بها

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

، ص ١٩٨.

(٢) العلا : بضم أوله وهو جمع العليا إسم لموضع من ناحية وادي

القرى بينها وبين الشام . نزل رسول الله ، صلى الله عليه

وسلم في طريقه إلى تبوك ، وبنى مكان مصلاه مسجداً.

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤٤) .

(٣) الأخضر : منزل قرب تبوك بينها وبين وادي القرى ، وقد

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مسيره إلى تبوك .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٣ - سيد عبد المجيد

بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص (٢٠١) .

(٤) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٧ - الحجاز في القرن السابع الهجري على

===

غير مواجن^(١) أشهرها بركة المعظم التي بناها الملك المعظم عيسى
ابن الملك العادل ، وبها قلعة يقال لها قلعة المعظم ، وتبعد عن
وادي الأخيضر ٦٢ كيلومتراً ، وهي قرب تقاطع خط العرض ٤٥° - ٢٧° شمالاً
، بخط الطول ٣١° - ٣٧° شرقاً - وفي العلا يودع الحجاج أزوارهم لعيين^(٣)
الرجعة^(٢) ، ويفتسلون ويستجمون ، وتكثر بها التمور والفواكه .

== ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة
العرب ، ج ٥ ص ٣ ذوالقعدة ، سنة ١٣٨٨ هـ ، شباط (فبراير)
سنة ١٩٦٩ م ، ص ٤٥٥ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٣ ،
- الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٢ - أيوب صبري باشا :
مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ - سيد عبد المجيد بكر :
الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٢ .

(١) مواجن : جمع ماجن ، وهي أماكن تجمع الأمطار . (الجزيرة :
درر الفرائد ، ج ١ ، ص ١٢٦٢ - حاشية رقم ١) .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٩ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص
١٢٦٢ - الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥ - أيوب صبري
باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ - حمد الجاسر : في
شمال غرب الجزيرة العربية ، ص ١٨٥ - سيد عبد المجيد بكر :
الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٩ - الحجاز في القرن السابع الهجري على
ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ،
ج ٥ ، ص ٣ ذوالقعدة سنة ١٣٨٨ هـ ، شباط (فبراير) سنة ١٩٦٥ م ،
ص ٤٥٨ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٣ - الجزيرة : درر
الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٣ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ،

وهي تبعد عن المدينة المنورة ٣٢٢ كيلومتراً ، وعن دمشق ٩٨٠ كيلومتراً ،
وعن تبوك ٢٨٨ كيلومتراً^(١) .

وفي سنة ٧٤٤ هـ ، اشتد الحر بوادي الأُخَيْضِر على حجاج الركب الشامي
وهم رجوع ، فمات منهم جماعة عطشاً وكان السبب في ذلك أن أمير
الحج في الذهاب ضرب الموكلين بعمل الفساق بسبب قلة ما بها من الماء
فلما عاد الحاج من الحجاز لم يجدوا ماءً بالفساق لأنهم حقدوا على أمير
الحج وما فعله بهم ، ولما وصل أمير الحج اقتتل الحجاج على البئر فمات
منهم خلق كثير من الزحمة والعطش^(٢) .

ثم تسير القافلة بين جبلين متباعدين فتصل إلى منطقة هديسة ،
وهو شعب مسيل به نخل ، وماؤه من أروى العياه . وسموها يورث الحميات ،
وبعض الأحيان يكون ماؤه طيباً عند وجود السيول ويؤخذ إليها في
خمس مراحل ، وتقع عند تقاطع خط العرض ٣٣-٢٥ شمالاً ، بخط الطول
٤٤-٣٨ شرقاً^(٣) .

- (١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج
، ص ٢٠٦ .
- (٢) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٣ .
- (٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٩ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٤ -
رحلة البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٩ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٣ - سيد عبد المجيد بكر :
اللامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٩ - سليمان مالكي : مرافق
الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٨ .

ثم يرحل الراكب إلى عيون حمزة ، ويؤخذ إليها في خمس مراحل ، ويرد ماءها . وهذه المسافة شاقة هلك فيها الكثير من الحجاج لصعوبة الطريق مثل اجتياز العقبة السوداء ، ووادي العظام ، ولاجتياح السيول لهذه المنطقة ، ومن عيون حمزة يتأهب الحجاج لدخول المدينة المنورة (١) .

أما من يريد مكة فيسير من المدينة المنورة إلى ذي الحليفة ، ويسمى بئر علي ، وهو ميقات حجاج الشام ، ويبعد عن المدينة المنورة بمراحل واحدة ، وبه آبار كثيرة ، ومنه يحرم الحاج ويهلون بالتلبية (٢) .

ثم يرحل الراكب إلى الصفراء ويؤخذ إليها في ثلاث مراحل ، ثم يصل إلى بدر ، وهي قرية تشتهر بحداثق النخيل ، وبها عين فوارة يجرى ماءها . وبين ذي الحليفة والصفراء بئر في رأس بني سالم (٣) حفرها ابن الداية ، وهي تملأ الفسقية التي حفرها الأمير طراز (٤)

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - سليمان مالكي :

مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٨ .

(٢) الجزيري : المصدر السابق ، ص ١٢٦٤ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١١٤ .

(٤) الأمير طاز بن عبدالله الناصري : أحد أعيان الأمراء بديار مصر

وهو الذي كان سبباً في خلع السلطان حسن وتولية أخيه الملك

الصالح ، ووقع له حوادث إلى أن قبض عليه ، وأخرج لنيابة حلب ،

توفي سنة ٧٦٣ هـ . (ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج ١ ،

ص ٣٥٨) .

أحد أمراء الماليك (١).

ثم يسير الركب إلى رابغ ، ومنها يحرم حجاج مصر والمغرب ، وهي قرية على الساحل بها الكثير من المزارع ، وتشتهر بالسك (٢).

أما في العودة فيأخذ الركب الشامي طريقه مرة ثانية إلى المدينة المنورة ، ولذلك فهو الركب الوحيد الذي يزور الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مرتين ، وفيها يسير إلى الحسا ، ومنها إلى زيزا ثم دمشق دون أن يدخل إلى بصرى وزرع بل يسير يساراً إلى أزرعات ، أو يميناً في الطريق الوسطى على تيماء (٣).

(٤)
وفي سنة ٦٨١ هـ حج بالناس من الشام بدر الدين الصوابي ، ودفع من ماله ما كان يؤخذ من الحجاج بطريق الشام بسبب مداراة العربان ،

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٤ -
الموسوي : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٤٢ - أيوب صبري باشا :
مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٤ - ١٢٦٥ .

(٣) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٥ .

(٤) بدر الدين الصوابي الحبشي : أصله من خدام الطواشي صواب العادلي ، ولي مقدمة الماليك أكثر من أربعين سنة ، كما شغل وظيفة أمير مائة ، ومقدم ألف ، وتوفي سنة ٦٩٨ هـ . (ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ، ص ١٨٣) .

يكون ذلك نحو ثلاث آلاف درهم ، وكان يلحق بكل جمل عشرون درهماً ،
وذلك من ديوان الملك الظاهر بيبرس ، وكانوا يكتبون الجمال في الكرك
ويجيئون من الحجاج طول الطريق ، ويفرق أول بأول على أهل الطرقات
والمجاورين (١) .

وفي سنة ٨٢٧ هـ كان أمير الحج قراسنقر كاشف الغيوم فحصل
للحاج مشقة عظيمة أثناء الطريق من عطش وهم في طريق الرجعة بمنطقة
حوران بسبب تراكم الرياح ، فرحل نائب دمشق تنبك البجاسي بالزاد
والماء ، وفرق عليهم البغال ، فانتقع بها الغني والفقير (٢) .

وفي سنة ٨٤١ هـ نزل بركب الحج الفزاوي ومن انضم إليه من
أهل الرملة ، وأهل القدس ، وبلاد الساحل وأهل ينبع لما نزلوا فـ
عودتهم من مكة بوادي عنتر قريباً من الأزم بلاً عظيماً . فقد خرج
عليهم من عرب بلى نحو أربعين فارساً ، ومائة وعشرين راجلاً يطلبون
منهم مالاً فأما الينابعة فإنهم جباؤهم مبلغاً من الذهب ، ودفعوه إليهم
فكفوا عنهم وتركوهم ، وأما الركب الفزاوي فاستعد مقدمهم ورمى العرب
بالنشاب وقتل منهم ثلاثة فحملوا عليه حملة منكراً وراحوا يقتلون ويأسرون
وينهبون ، وأخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها ، وعليها من المال والعتاع
والبضائع والذهب والفضة (٣) .

(١) الجزيرة : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٧ .

(٢) الجزيرة : المرجع السابق ، ص ٧٠٨ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٩٠ - ٩١ .

٤ - طريق الحج العراقي

(درب زبيدة)

قبل أن أبدأ في وصف طريق الحج العراقي في الفترة موضوع البحث تجدر الإشارة إلى أن هذا الطريق كان موضع العناية من قبل الخلفاء الأمويين ، ثم ازدادت العناية به من قبل الخلفاء العباسيين منذ قيام دولتهم وحتى سقوطها على يد المفسول سنة ٦٥٦ هـ بوصفه الطريق الذي تشرف عليه الدولة العباسية صاحبة السيادة على الحرمين الشريفين حيث كانت تخرج من الكوفة قافلة الحج الرئيسية التي تشمل حجاج العراق وخراسان وفارس وبقية بلاد المشرق الإسلامي يتقدمها أمير الحج . فقد اهتم الخلفاء العباسيون بعمارة هذا الطريق الذي يزيد طوله على ١٤٠٠ كيلومتر ، ويتزويده بالمرافق من أجل راحة الحجاج مثل بناء القصور والحصون والبرك والآبار ، وإقامة الأميال ، ووصف بعض أماكن الطريق الوحلة ، وتمهيد المناطق الجبلية والأماكن الوعرة ، وتعيين ولاية في الطريق لتفقد أحوال ومعالم الطريق ، بل جاوز الأمر الخلفاء إلى زوجاتهم ، فالسيدة الخيزران زوجة المهدي قامت بإنجازات كثيرة على جادة الطريق ، والسيدة زبيدة ، زوجة الرشيد اهتمت بتوفير المياه على طول الدرب ، وبلغت ضخامة ما قامت به من أعمال البر بهذا الطريق أن أصبح يعرف بدرب زبيدة .

وكان هذا الدرب وما أقيم به من منشآت ومرافق في العصر العباسي خاصة موضوعاً لدراسات جامعية جادة يأتي على رأسها كتاب الدكتور سعد الراشد الذي نال به درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٧م وعنوانه

(درب زبيدة وطريق الحج من الكوفة إلى مكة) وبحوثه الأخرى
عن هذا الدرب^(١) . وأيضاً رسالة الماجستير للدكتور سليمان عبدالغني
مالكي من كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨م وموضوعه —————
(مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضى الإسلامية منذ السنة الثامنة
من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية)^(٢) وكذلك رسالة الماجستير
للاستاذة ملك الخياط من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ،
وموضوعها (السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني)^(٣) .

ومن الدراسات الجادة أيضاً عن هذا الدرب تلك التي قام بها —————
الرحالة لويس موزل بعنوان (طريق الحج العراقي القديم) والمنشور
في مجلة العرب ، ج ٣ ، رمضان سنة ١٣٩٢هـ / أكتوبر سنة ١٩٧٢م .

(١) (Darb Zubaydah . The Pilgrim Road from Kufa to)

(Mecca , Riyad University Libraries, Riyad 1980)

وكذلك بحثه بعنوان (شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق
الحاج من الكوفة إلى مكة) - مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض
المجلد الخامس ، سنة ١٣٧٧هـ ، وباحثه الثاني عن درب زبيدة
في العصر العباسي ، مجلة الدارة ٤ / ١ سنة ١٣٩٨هـ .

(٢) عن طريق الحج العراقي انظر الرسالة (لم تطبع) ، ص ٥٨ .

(٣) عن طريق الحج العراقي وأعمال السيدة زبيدة ، انظر الرسالة المذكورة

(لم تطبع) ص ١١٠ - ١٩٨ .

وتلك التي قام بها الباحث سيد عبد المجيد بكر وضمنها كتابه القيم
(الملامح الجغرافية لدروب الحجيج) فقد أفرد القسم الأول من هذا
الكتاب لدرب الحج العراقي . (١)

ويأتي على رأس البلدانيين والرحالة المسلمين الذين وصفوا هذا
الطريق في العصر العباسي أبو اسحاق الحربي (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، وابن خرداذبة (ت بعد
٢٧٢ هـ) في كتابه المسالك والممالك . واليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ) في
كتاب البلدان ، وابن رسته (ت ٣٦٠ هـ) في كتابه الأطلال النفيسة ،
وأبو الفرج قدامة بن جعفر (ت فيما بين ٣١٠ هـ - ٣٣٧ هـ) في كتابه
الخراج وصناعة الكتابة ، وأبو محمد الحسن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤ هـ)
في كتابه صفة جزيرة العرب ، والمقدسي (ت حوالي ٣٩٠ هـ) في كتابه
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وابن جبیر الذي صلب ركب الحج
العراقي في عودته من مكة إلى المدينة المنورة ثم إلى الكوفة سنة ٥٨٠ هـ ،
وقد قام سيد عبد المجيد في دراسته لدرب الحج العراقي بمقارنة منازل
هذا الدرب كما وردت في كتب هؤلاء البلدانيين والرحالة المسلمين ، وبيان
نقاط الخلاف بينهم ، وانتهى من هذه الدراسة إلى أن المنازل الرئيسية
من الكوفة ومكة المكرمة هي :

(١) مطبوعات تهامة : الكتاب الجامعي ، رقم ٦ ، جدة - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨١ م ،

القادسية - العذيب - المغيثة - القرعاء - واقصة - العقبة
- القاع - زباله - الشفوق - البطان - الثعلبية - الخزيمية - الأجر
- فيد - توز - سميرا - الحاجر - النقرة - مغيثة - الماوان - الريدة -
السليلة - عمق - معدن بني سليم - الأفيعية - المسلج - غمره - ذات
عرق - بستان بني معمر - مكة المكرمة (١).

غير أن العراق منذ سقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ،
وحتى مطلع القرن العاشر الهجري - وهي الفترة التي تقابل العصر
الملوكي في مصر والشام تعاقب في حكمه المغول لايلخاينون ، ثم الجلائريون ،
ثم التيموريون ، ثم تركمان قبيلة قراقيونلو ، ثم تركمان قبيلة آق قيونلو ، وأخيرا
الصفويون ، واتسمت أحواله بكثرة الحروب والفتن الداخلية التي نشبت
بين هذه الأسرات التي تعاقبت في حكمه . وكان لاضطراب أحوال العراق في
هذه الفترة أكبر الأثر في عدم انتظام خروج قافلة الحج العراقي وانقطاع
الحج عن طريق هذا الدرب في معظم السنوات . وفي أحيان كثيرة كان
حجاج العراق وخراسان وفارس وبقية بلاد المشرق الإسلامي يتوجهون إلى
الشام لتضمهم قافلة الحج الشامي . فلم يكن يستخدم هذا الطريق إلا عندما
كان استقرار الأحوال في بغداد يسمح بتيسير قافلة الحج العراقي ، مثال
ذلك ما حدث سنة ٦٦٦ هـ ، وما حدث سنة ٧٢٠ هـ عندما سير سلطان
المغول أبوسعيد خربندا قافلة الحج بعد أن تم الصلح بينه وبين سلطان
المماليك الناصر محمد بن قلاوون في هذه السنة ، وما حدث سنة ٧٢٦ هـ ،

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٦ - ٣١ .

وهي السنة التي عاد فيها ابن بطوطة مع قافلة الحج العراقي من مكة إلى المدينة ومنها إلى بغداد .

غير أنه ما أن مات السلطان أبو سعيد خربندا سنة ٧٣٦ هـ حتى اضطربت أحوال العراق مرة أخرى ، وأدى ذلك إلى توقف قافلة الحج العراقي لمدة إحدى عشرة سنة متتالية . ومن الملاحظ أنه خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، والقرن التاسع الهجري قل استخدام هذا الطريق ، كما قلت أعداد الحجاج السالكين له . كما أننا طوال هذه الفترة الطويلة نفتقر فيما عدا رحلة ابن بطوطة - إلى المصادر التاريخية التي تصف هذا الطريق ، وتتحدث عن أية أعمال من أعمال البر التي أقيمت به لخدمة الحجاج . (١)

فابن بطوطة الذي عاد مع ركب الحج العراقي عن هذا الطريق إلى بغداد عدد منازل على هذا النحو (مكة المكرمة - بطن مسر -

(١) انظر في هذا الصدد :

Saad Al Rashid : Darb Zubaydah The Pilgrim Road from Kufa to Macca, ch. 4, The Road during later periods p.p. 57-91.

- هذا وقد ذكر ابن تغري بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٢٢) . في حوادث سنة ٨٣١ هـ قدوم محمل العراق أربعمئة جمل بعد انقطاعه سنين طويلة .

عسفان - خليص - بدر - وادي الصفراء - المدينة المنورة - وادي العروس
- العسيلة - النقرة - الحاجر - سميرا - وادي الكروش - فيد - الألفجر
- زرود - الثعلبية - بركة المرجوم - المشقوق - ذات التناير - زباله
- الهشمين - عقبة الشيطان - واقصة - العذيب - القادسية - مشهد
علي - بغداد (١) وهذا لا لوصف يختلف في كثير من المواقع عما ذكره
البلدانيون والرحالة المسلمون في العصر العباسي .

كما أن الجزيري في وصفه لهذا الطريق يختلف مع هؤلاء البلدانيين
والرحالة المسلمين ، وخاصة بعد منطقة واقصة ، فيذكر الجزيري بعد واقصة
منطقة خاديت ، ثم زرور ، ثم الألفجر - ثم مرشيت - ثم فنن - ثم
تخت سليمان - ثم عاج - ثم بويرات ، فذات عرق - وقد ذكر الشيخ
حمد الجاسر محقق كتاب درر الفرائد للجزيري أن طريق الحج العراقي
منازله واضحة ومعروفة في كثير من كتب المسالك وليعن منها هــ
الأسماء (٢) . وكيفما كان الأمر فإن وصفنا لهذا الطريق في الفترة موضوع
الدراسة - وهي العصر المملوكي تعتمد بصفة أساسية على وصف ابن بطوطة
والجزيري له .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٢ - ١١٩ - لويين موزل - طريق الحج

العراقي القديم - مجلة العرب ، ج ٣ ، رمضان سنة ١٣٩٢ هـ ،

أكتوبر سنة ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ ، حاشية رقم ٣ .

وصف طريق الحج العراقي (درب زبيدة) :

تبدأ مسيرة قافلة حجاج العراق من منطقة بغداد بعد أن يلتئم شمل القافلة ، ويكتمل جمعها فتصل صرصر ^(١) على مرحلة - انظر خريطة رقم (٧) - .
ثم ترحل إلى فراشة ^(٢) وتو^٣ خذ إليها في مرحلتين ، ثم إلى شط الفرات ويو^٤ خذ إليه في مرحلة واحدة ، ثم ترحل القافلة إلى مدينة الجلالة ^(٣) على مرحلة واحدة ، وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها ، وبها أسواق جامعة للمرافق والصناعات ، وهي كثيرة العمارة ، وحدائق النخيل تكثر بها . ثم تصل القافلة إلى بئر سلامة ، ويو^٥ خذ إليه في مرحلتين ^(٤) .

- (١) صرصر : بالفتح وتكرير الصاد ، أصله صرصر من الصرأى البرد ، وصرصر في طريق الحجاج العراقي من بغداد ، وكانت تسمى قديماً قصرأو صرصر الدير . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠١) .
- (٢) فراشة : بفتح أوله ، وتخفيف ثانيه فراش القاع والطين ، وهي قرية زراعية مشهورة في سواد بغداد ينزلها الحاج . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٤٣) .
- (٣) الجلالة : بالكسر ثم التشديد مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، كانت تسمى الجامعين طولها سبع وستون درجة وسدس ، وعرضها إشتان وثلاثون درجة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٤) .
- (٤) الجزيري : درر الفرائد ، ص ١٢٧٥ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

ومنها تتجه القافلة بعد ذلك إلى منطقة الكوفة على مرحلتين ، وهي نقطة الالتقاء والتجمع للحجاج القادمين من بغداد ، ومن المدن والقرى الواقعة في آسيا شرقي العراق . وتبعد ١٦ كيلومتراً شرقي النجف في جنوبي غربي بغداد ، وتبعد عنها ١٥٦ كيلومتراً ، وهي أرض منبسطة سهلة ، بها جامع كبير ، وتقع قرب تقاطع خط العرض ٥ - ٣٥ شمالاً ، بخط الطول ٢٥ - ٤٤ شرقاً ، وهي مشوى الصحابة والتابعين ، ومنزل العلماء .^(١)

ثم يرحل الراكب من الكوفة وينزل مشهد الامام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، ويسمى النجف^(٢) ، ويؤخذ إليه في مرحلة ، وهي تعتبر محطة هامة على طريق الحج العراقي ، وتقع جنوبي الكوفة ، وتعتبر حـدّاً بين الصحراء ووادي الفرات . وهي مدينة فسيحة مربعة الشكل يحيط بها جدار ارتفاعه ٣٠ قدماً ، وبها ٣٠ مسجداً و ١٥ مدرسة ، وهي عامرة

- (١) الجزيري : درر الفرائد ، ص ١٢٧٥ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٣٤ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٠٠ - ملك خياط - السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠١ هـ ، ص ١١٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية فيسي الأرازي الإسلامية المقدسة حتى سقوط الخلافة العباسية ، ص ٥٨ .
- (٢) النجف : بالتحريك تقع بظهر الكوفة ، وتنع سيل الماء أن يعلو الكوفة وبالقرب منها قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧١) .

بالأسواق والزوايا ، وتكثر بها بساتين النخيل ، وفي جنوبها الغربي بعض الهضاب (١) .

ومنها إلى القادسية (٢) ، وهي قرية كبيرة بها الكثير من حدائق النخيل ، وهي على مرحلة واحدة من النجف ، والمسافة بينهما ١٥ ميلاً ، وتقع على جانب بادية العراق ، وبها كانت وقعة القادسية في فتح العراق سنة ١٦ هـ بقيادة سعد بن أبي وقاص ، ويقام فيها الركب يوماً (٣) .

(١) رحلة ابن جبیر ، ص ١٥٣ - رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٩ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٥ - أيوب صبری باشا : مرآة جزیرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ - سید عبد المجید بکر : الملاح الجغرافية لدروب الحجیج ، ص ٣٥ .

(٢) القادسية : منطقة من مناطق درب الحاج العراقي ، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وطولها تسع وستون درجة ، وعرضها احدى وثلاثون درجة وثلاثا درجة ، وبها كانت وقعة القادسية بين المسلمين والفرس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩١) .

(٣) رحلة ابن جبیر ، ص ١٥٣ - رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٩ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٩٩ - سید عبد المجید بکر : الملاح الجغرافية لدروب الحجیج ، ص ٣٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٨ . - ملك خياط - السيدة زبيدة ودورها السياسي ، ص ١١٦ .

ثم يتجه الراكب إلى منطقة العذيب ^(١) وهو واد خصيب ، ويؤخذ
إليه في مرحلة واحدة ، وتعتبر أول منازل البر ، وبين
القادسية والعذيب أقل من ٦ أميال ، وتقع قرب تقاطع خط العرض ٤٢ - ٣١ شمالاً ،
بخط الطول ٢٠ - ٤٤ شرقاً ^(٢) . وتعرف الآن باسم عين السيد ^(٣) ،
وفيها قال الشاعر :

(٤)
لا نوما ولا قراراً حتى ترى لي بالعذيب ناراً

-
- (١) العذيب : هو ما بين القادسية والمغيثة ، وبينه وبين
القادسية أربعة أميال ، وإلى المغيثة إثنان وثلاثون ميلاً ،
وهو وادي لبني تميم ، ومنزل من منازل الحج العراقي .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٢) .
- (٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٥٣ - رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٩ - الجزيري :
درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح
الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٣٦ - سليمان مالكي : مرافق
الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٨ .
- (٣) حمد الجاسر : طريق الحيرة إلى مكة ، مجلة العرب ،
ج ٥ ، ص ٦٤ س ١٤ ذو القعدة ، ذوالحجة ١٣٩٩ هـ ، ص ٣٦٤ .
- (٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٣٦ - ملك الخياط :
السيدة زبيدة ، ص ١١٦ .

ثم يصل إلى بركة المسيجيد عند تقاطع خط العرض ٣١ شمالاً ، بخط الطول ٤٣-٥٨ شرقاً ، وفي جنوبها الغربي بركة السمعية ، وانحراف قليل نحو الشمال الغربي توجد شراف^(١) ، والمسافة بينهما قدرت بميلين^(٢) ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٣٧-٣٠ شمالاً ، بخط الطول ٤٥-٤٧ شرقاً ، وبها بركة تعرف باللوزة ، وثلاثة آبار كبار عمقها أقل من عشرين قامة ، وماو^٣ ها عذب^(٣) .

ثم تتابع القافلة سيرها إلى واقصة^(٤) ، وتعتبر من أشهر مناهل طريق الحج العراقي ، وهي على أربعة مراحل من القرعاء ، وماو^٣ ها من البرك والآبار . بينها وبين الكوفة ثلاثة أيام ، وتبعد عن النجف ٩٤ ميلاً ،

(١) شراف : بفتح أوله وآخره فا ، وثانيه مخفف فعال من الشرف وهو العلو ، وتقع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء التي لبني وهب ، ومن شراف إلى واقصة ميلان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣١) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٣٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٤) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة ، وقبل العقبة لبني شهاب من طي ، وهي دون زبالة بمرحلتين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٥٤) .

ومن القرعاء الى واقصة ٢٤ ميلاً، وبين بركة المغيثة وواقصة ٥٦ ميلاً
أى ٨٨ كيلومتراً تقريباً. وهي تقع عند تقاطع خط العرض ٣٦-٣٠ شمالاً،
بخط الطول ٤٦-٤٣ شرقاً، وبها الدور والقصور، ولذلك يجتمع إليها
التجار عند قدوم الحجاج من الحجاز فيبيعون عليهم التمر والفواكه
وغيرها (١).

بعد ذلك تتجه القافلة إلى خاديت (٢) ويؤخذ إليها في أربع
مراحل (٣) ثم تواصل سيرها فتصل إلى منطقة زرود (٤) ويؤخذ إليها

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ١١٨ - الجزيري : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٧٦-
أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب، ج ٢، ص ٢٥٠ - على محسن
مال الله : أدب الرحلات، ص ٢٧٤ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها
الخارجية، ص ٩٩ - سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية
لدروب الحجيج، ص ٣٨ - ٣٩ - ملك خياط : السيدة زبيدة
، ص ١١٧ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية
، ص ٥٨.

(٢) خاديت : تسمى أخاديد جمع أخدود ، وهو اسم المنزل الثالث
من واسط للمصعد إلى مكة ، وهي ركابا في طريق البحر ، وبها
قباب وماؤها عذب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١، ص ١١٨).

(٣) الجزيري : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٧٦.

(٤) زرود : لعلها سميت بذلك لابتلاعها الماء التي تمطرها السحاب
لأنها رمال ، وهي بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحج من
الكوفة إلى مكة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣، ص ١٣٩).

في ست مراحل من خاديت . ولقد خلط أغلبية المؤرخين القدماء بأن
زروود هي الخزيمية ، غير أن زروود هي منخفض منبسطة من الأرض ،
وهي منطقة رملية واسعة ، ويطلق عليها شامة زروود ، وهي بين الثعلبية
والخزيمية ، وهي بداية حدود الحجاز^(١) . وتقع عند تقاطع خط العرض ٢٧-٥٠
شمالاً ، بخط الطول ٦٢-٤٣ شرقاً . ومن الشمال الغربي من زروود
تقع منطقة الهاشمية عند تقاطع خط العرض ٥٥-٢٧ شمالاً ، بخط الطول ٦٠-٤٣
شرقاً . وتقع الخزيمية إلى الجنوب من الوسيط ، وإلى الجنوب من زروود
يميل قليلاً نحو الجنوب الغربي تقريباً ، والهاشمية في شمالها الغربي^(٢) .
ثم تتجه القافلة نحو الجنوب الغربي فتعبر عرق الأبيتر ،
ووادى الخوير حتى تصل إلى منطقة الألفجفر^(٣) ، ويؤخذ إليها فسي

- (١) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٩ .
(٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٥١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ،
ص ١٢٧٦ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٩٩ -
سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،
ص ٤٥ - ملك خياط : السيدة زبيدة ودورها السياسي ،
ص ١٢٦ .
(٣) الألفجفر : بضم الفاء جمع جفر وهو البئر الواسعة ، موضع بين فيد
والخزيمية ، وبينها وبين فيد ٣٦ فرسخاً نحو مكة . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٢) .

مرحلتين ، وتقع عند دائرة عرض ٢٨-٢٧° شمالاً ، وبها بعض الآبار والبرك ، كما تكثر بها بعض الصخور الرسوبية ، وبين الخزيمية والـجـفر ٢٤ ميلاً ، وتـمر القافلة بجبال الـجـفر ، ويطلق عليها المؤرخون القدماء عقبة الـجـفر ، وهي لبني سودة من بني أسد ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٢٩-٢٧° شمالاً ، بخط الطول ٤٣° شرقاً . وبين الخزيمية والـجـفر كثير من الآبار والبرك من أعمال خلفاء بني العباس ، مثل بركة خالصة للخيزران على يمنة الطريق ، وتعتبر منهلاً من مناهل الطريق . (١)

ومن الـجـفر تسير القافلة إلى مرشيت ، وهي على ست مراحل ، ثم تتجه إلى منطقة فنن ، وهي على أربع مراحل ، وهو جبل قرب سميرا . (٢)

ومن فنن ترحل القافلة إلى تخت سليمان ، ويؤخذ إليه في أربع مراحل . ويقع تخت سليمان قرب عين صبر ، ويبعد

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٥١ - الجزيري بـ درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ٤٥ - ملك خياط : السيدة زبيدة ودورها السياسي ، ص ١٢٦ - سليمان مالکسي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٩ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ .

(٣) الجزيري : نفس المصدر والصفحة .

عن العقبة مسيرة ليلتين ، وبه ماء قديم من الجاهلية ، وسمى بذلك نسبة إلى سليمان الحميري ، ويقال أنه لبني أسد ، وقد نزل به بنو ضبة ، وبني نضير ، ويرتبط تحت سليمان بيوم من أيام الجاهلية ، ويعتبر من الأيام المشهورة بين وائل وبني تميم .^(١)

ثم ترحل القافلة إلى عاج ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، وهو اسم جبل في وادي عاج بقرب ماوان .^(٢)

ثم تتجه القافلة إلى بويرات ، وهي قرب وادي القرى ، ويتزود منها الحاج بالماء من آبارها ، ويؤخذ إليها في ثمان مراحل .^(٣)

ثم تواصل القافلة سيرها حتى تصل إلى ذات عرق^(٤) ، ويؤخذ إليها في ست مراحل ، وهو مسمى ميقات أهل العراق ، فمنها يحرم الحاج ويهللون بالتلبية ، وسميت بذات عرق نسبة إلى عرق أبيض بالجبل .

- (١) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٩ .
- (٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ .
- (٣) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٩ .
- (٤) ذات عرق : منهل من مناهل الحاج العراقي ، وهو الحد بين نجد وتهامة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٧) .

وعلى بعد ميلين ونصف منها مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وبها حوالي ٣٠ بئرا ، ويوجد بها قصر وبركة ماء^(١) .

ثم ترحل القافلة إلى وادي نخلة^(٢) ، ويؤخذ إليها فسي
أربع مراحل ، وهي من أحسن وديان مكة لكثرة الماء والزرع بها ، ومنها
يتأهب الحجاج لدخول مكة من أعلاها ، ثم تدخل القافلة إلى مكة على
مرحلة واحدة^(٣) .

أما من يرد المدينة المنورة فيأخذ طريقه من الأجر فيصل
سميرا^(٤) ، وهي على مرحلتين ، وتمتد في خط مستقيم لمسافة ٣ كيلومترات

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر:
اللامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٦٧ - سليمان مالكي :
مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٦٠ .

(٢) واد نخلة : من أودية الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين ، إحدى
الليتين من مكة يجتمع إليها حاج اليمن ونجد ومن جاء إليها
من نفس الطريق ، وعمان وهجر فيجتمع حاجهم . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧٨) .

(٣) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٧ - سليمان مالكي :
مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٦٠ .

(٤) سميرا : بفتح أوله وكسر ثانيه بالمد ، وقيل بالضم ، وهو منزل
بطريق مكة بعد توز مصعداً ، وقبل الحاجر ، وسى سميرا لأن
حوله آكام ، وجبال سود . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص

من الشمال الشرقي حتى الجنوب الغربي ، وعرضه كيلومتر على ضفتي وادي سميرا ، وبها بركة مستطيلة في الجنوب الغربي ، ويوجد آثار بركتين متداخلتين في الجهة الشمالية من الوادي ، وأساس قلعة مبنية من اللبن ، وفي شمال شرقي الوادي يوجد أحواض للصياغة على شكل أقواس متداخلة متصلة ببعضها ببعض ، كما توجد آثار مباني سور محيطه بالمدينة على شكل تلال تنتهي بأساسات مبني كبير من اللبن على شكل قصر بواسطة آثار أساسات مسجد مبني بالآجر واللبن ^(١) . ومياه آبار سميرا عذبة ظاهرة الحلوة ، وتوجد عند تقاطع خط العرض ٢٩-٢٦ شمالاً ، بخط الطول ٢٧-٤٢ شرقاً ، وهي عند لقاء وادي العقيلة ، وأهلها يبيعون للحجاج التمرا والعسل والسمن واللحم ، وبها بعض الآبار والبرك ^(٢) .

ثم ترحل القافلة إلى النقرة ^(٣) ويؤخذ إليها في مرحلتين ،

(١) صلاح الحلوة : نيل مكنزي : التقرير البعثي عن المرحلة الرابعة

لمسح درب زبيدة سنة ١٣٩٩ هـ ، سنة ١٩٧٩ م ، أطلال ، حولية

الآثار العربية السعودية ، العدد الرابع ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

لوحة ٤ ب ، ص ٤٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٧ - الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص

١٢٧٧ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٠٠ -

سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،

ص ٥٢ .

(٣) النقرة : كل أرض منصوبة في وهدة فهي نقرة ، وبها سميت النقرة

بطريق مكة ، ويقال لها معدن النقرة ، وبها بركة وثلاث آبار ، بئر

تعرف بالمهدى ، وبئران تعرفان بالرشيد ، وآبار صغيرة للأعراب ==

وهو ما^١ مالح لا يستطاب طعمه ، وهي قرب خط طول ٦٧-٤١° شرقاً ، ودائرة عرض ٣٧-٢٥° شمالاً ، ومنها يخرج طريق الحج إلى المدينة المنورة ، والتي مكة المكرمة نحو الجنوب ، وبها مصانع وآبار للمياه ، وهي منطقة سهلة منبسطة . ويوجد نقرتان وهما منهلان ، نقرة شمالية ، وأخرى جنوبية ، وبينهما مسافة لا تزيد عن ٣ كيلومترات ، وطريق الكوفة مكة يمر إلى الشرق منهما ، أما طريق المدينة فيمر إلى الجنوبية ، وبها ثمانية أعلام للأسيال علما للدخول ، وعلما للخروج ، وعلما لطريق البصرة ، وعلما لطريق المدينة المنورة ، وبها قصر وبركتان (١) وقد جرت العادة أن يذهب الركب العراقي إلى مكة لتأدية فريضة الحج ثم يعطف بعد ذلك إلى المدينة المنورة ، لذلك فهو يأخذ في السير من النقرة على طريق مكة إلى مغيشة ثم الريدة حتى يصل إلى ذات عرق (٢) .

ثم تتجه القافلة إلى وادي العروس ، ويؤخذ إليه في خمس مراحل ، وهو ما^٢ عذب ، ويتزود الحجاج بالماء بعد

=== تنجح عند كثرة الناس وماو^٣ هن عذب ، وعندها يفرق الطريق ، فمن أراد مكة نزل المغيشة ، ومن أراد المدينة سار نحو العسيلة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٩٨-٢٩٩) .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملاحج الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٥٤ - ٥٥ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٠٠ - صلاح الحلوة : نيل ماكنزي : التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، أطلال - حولىة الآثار العربية السعودية ، العدد الرابع ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م لوحة ٣٤ ، ص ٣٦ .

(٢) ريتشارد مورتييل : مكة وعلاقاتها التجارية ، ص ١٠٠ .

أن يحفروا في الأرض فينبع الماء ويروى أغلبية الحجاج ، ثم تصل القافلة إلى المدينة المنورة فيؤخذ إليها في أربع مراحل ^(١) وقد أشارت المصادر إلى تعرض قافلة الحج العراقي إلى إعتداءات العربان في العصر العباسي ^(٢) . إلا أنه في الفترة موضوع إهتمامنا وهي العصر المملوكي لم نثرلنا المصادر بشيء إلى ذلك إلا مرتين .

ففي سنة ٧٢٠ هـ اهتم أبو سعيد بن خريندا بإمرة الحج العراقي فحلي المحمل بالحريز ، ورصعه بالذهب واللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر ، إلا أن ألف فارس من عرب البحرين خرجوا عليهم ، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أميرالركب ثلاثة آلاف دينار ، ولكن عندما علموا أنهم مسيرون من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر إلى الحجاز ، عدلوا أن يأخذوا منهم أي شيء ، وبذلك أغدق الناصر محمد عليهم هباته وعطاياه . ^(٣)

وفي سنة ٨٣٠ هـ خرج عرب الشرق من الحجاز على ركب الحج العراقي فنهبوه ، ونهب الكثير من الأموال للتجار . ^(٤)

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص

١٢٧٧ .

(٢) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٦٨ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - المقرئ : السلوك ،

ج ١/٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ - ابن فهد : إتحاف الوري ، تحقيق

فهم شلتوت ، ج ٣ ، ص ١٧١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،

ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ .

هـ - طريق الحج اليمني

هناك عدة طرق برية للحج اليمني ، الطريق العليا ، وطريق تهامة .
ويفترق إلى طريقين ساحلي واخرى متوسطة بين الطريق العليا
والساحلية لكنهما يلتقيان في منطقة السرين .^(١)

فأما الطريق العليا فقد وصفه الجغرافيين المسلمون الأوائل
اليعقوبي ، والحربي ، والهمداني ، وابن قدامة ، غير أن الحربي يعتبر
أوفى هؤلاء الجغرافيين في وصف منازل هذا الطريق^(٢) . هذا ولم يعرض
لوصف هذا الطريق في العصور الإسلامية المتأخرة أحد من الجغرافيين والرحالة
المسلمين ، ولذلك فإن اعتمادى في وصفه على الحربي في كتابه المناسك .^(٣)

وأما طريق تهامة - فهو الذي كان يفضل
حجاج اليمن لأنه يمر عبر الأراضي الزراعية حيث تتوفر المياه والغذاء
والمناطق المأهولة بالسكان . ويعتبر الهمداني والحربي أكثر الجغرافيين
المسلمين الأوائل دقة في وصف هذا الطريق^(٤) ، غير أن الجزيري
- وهو معاصر للفترة الزمنية موضوع الدراسة ، يعطينا تفاصيل أكثر عن
منازل هذا الطريق ، والمسافات بين منزلة وأخرى^(٥) ، ولذلك فهو المعول
عليه في وصفنا له .

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ، ص ٤٢ .

(٢) انظر في هذا الصدد :
Saad Al-Rashid: Darb Zubaydah , p. 5-6.

(٣) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٦ .

(٤) انظر في هذا الصدد :
Saad Al Rashid: Op.Cit., p. 6.

(٥) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩١ .

الطريق الداخلي : ويسمى الطريق العليــــــــــــــــا ويبــــــــــــــــدا

الطــــــــــــــــريــــــــــــــــق من مدينة صنعاء التي تعتبر قاعدة بلاد اليمن الأولى ،
وهي مدينة كبيرة واسعة ،بناؤها منازلها بالجص والآجر ،وتشتهر بكثرة الفواكه
والأشجار والزرع ،وهي معتدلة المناخ ،طيبة الماء ،وبها جامــــــــــــــــع
كبير (١) . - انظر خريطة رقم (١٠) . -

(٣)
ثم ترحل القافلة من صنعاء إلى الرحابــــــــــــــــة (٢) ومنها إلى ريــــــــــــــــدة
،وبينهما بركتا ماء ،وبين صنعاء وريــــــــــــــــدة عشرون ميلاً (٤) .

ثم يرحل الركب إلى رأس الحيفة ، وي بعدها ما جل الطريق حتى
تصل إلى ريــــــــــــــــدان (٥) ، ومنها

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) الرحابــــــــــــــــة : بضم أوله ،وبعد الألف ياء موحدة ،وهي مخلاف
باليمن ،ورحاب أى واسعة . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٣ ، ص ٣٢) .

(٣) ريــــــــــــــــدة بفتح أوله ،وسكون ثانيه ،ودال مهملة ،مدينة باليمن
على مسيرة يوم واحد من صنعاء ذات عيون وكروم . (ياقوت :
معجم البلدان ،ج ٣ ، ص ١١٢) .

(٤) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٣ - الهمداني : صفة جزيرة
العرب ، ص ٣٣٩ .

(٥) ريــــــــــــــــدان : بفتح أوله وسكون ثانيه ،ودال مهملة وآخره نون ،
وهو حصن باليمن في مخلاف يحصب . (ياقوت : معجم
البلدان ،ج ٣ ، ص ١١١) .

إلى خيوان^(١)، وبينهما بركة ماء تسمى ذى قين، ثم أثافت^(٢) حتى يصل إلى الفقع، وبين ريدة وأثافت ستة عشر ميلاً، ومن خيوان إلى خافق وبينهما بركة الرادعين، ثم يواصل سيره إلى صالعين^(٣)، ثم العرايق، ويعبر بالأعسية، وعرة الغراب حتى يصل إلى الأعين، ثم إلى صعدة^(٤)، وهي مدينة أهلة بالسكان، بها الكثير من العداغب، وهي خصبة عرضها ست عشرة درجة. ومنها إلى سروم الإبل فيمر بحلاحل، وهو وادي ضيق فيصل إلى الجميلين، وهما جبلان عظيمان فيهما عقبتان^(٥).

- (١) خيوان : بفتح أوله وتسكين ثانيه ، وآخره ن ، وهو مخلاف باليمن ويقال خيوان من صنعاء على ليلتين ما يلي مكة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٥) .
- (٢) أثافت : بالفتح والفاء المكسورة ، اسم قرية باليمن ذات كروم كثيرة ، وبينها وبين صنعاء يومان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩) .
- (٣) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٣ - الهمذاني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٧٤ .
- (٤) صعدة : بالفتح ثم السكون ، مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً ، وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠٦) .
- (٥) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٣ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٧٤ .

ثم ترحل القافلة إلى الفرجة فتصل إلى الشجة^(١) ، ومن حلال
إلى طلحة الملك^(٢) ، وتعرف باسم طلحة ، وهي قرية تقع على الدرجة
٤٨-١٧° و ٣٠-٤٣° تقريباً^(٣) .

ثم ترحل القافلة إلى قبور الشهداء^(٤) ، ومنها إلى ذات عشي^(٥) حتى
يصل إلى كتنه ، وبين كتنه والشجة عشرون ميلاً^(٥) . ومن كتنه
إلى يبنيم^(٦) ، وبينهما الماء ، وهي على مسافة عشرين ميلاً .

- (١) الشجة : بالضم ثم الفتح من مخاليف اليمن بينه وبين الجند
ثمانية فراسخ ، وكذلك بينه وبين السحول . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥) .
- (٢) طلحة الملك : اسم وادي باليمن . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٤ ، ص ٣٨) .
- (٣) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٣ - الهمداني : صفة جزيرة العرب ،
ص ٣٣٩ - ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩١ .
- (٤) ذات عشي : في الطريق بين صنعاء ومكة ، وهو منزل بين قبسور
الشهداء وكتنه . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢٦) .
- (٥) الهمداني : صفة بلاد العرب ، ص ٣٣٩ - جميل حرب : الحجاز
واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٧٥ .
- (٦) يبنيم : بفتح أوله وثانيه ، وسكون نونه ، وهو موضع . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٨) .

ثم ترحل القافلة إلى بنات حرب ، وهي على مسافة عشرين ميلاً ، وهي
جبال حمرا تزال معروفة ، تقع شمال شرق بيشة ، وهذه القرية تشتهر
بالذهب ، ويكثر بها النخيل والآبار . وبين يمين وبنات حرب مـ
بنجر وبهـرجاب عشرون ميلاً^(١) . وبهـرجاب واد عظيم يقع قـرب
درجة ٦٥-١٩ ، ٤٠-٤٢ شمالاً ويلتقي بواد بيشة^(٢) .

ثم ترحل القافلة إلى الجسـداء على اثنين وعشرين ميلاً ، ثم
الميثاء فتصل إلى بيشة^(٣) على إحدى وعشرين ميلاً^(٤) .

(١) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٤ - حاشية ٣ .

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) بيشة : قرية في واد بأرض اليمن بينها وبين تبالة أربعة
وعشرون ميلاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٩) وبها
وادى بيشة وهو من أخصب الأودية ، ويأتيه الماء من جبل
الحجاز ، ويزرع به الدخن والشعير والخضروات ، ويشتهر
بحدائق النخيل ، وتكثر به القرى . (البركاتي : الرحلة
اليمانية ، ص ٨٤) .

(٤) الهمذاني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ - ابن قدامة :
الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٩٢ .

ومن بيشة ترحل القافلة إلى تبالة^(١) وبينهما أحد عشر ميلاً، ومن تبالة إلى أجرب ثم إلى كرى^(٢)، وهي حرة بني سالم، وبينهما بئر خلافة، ثم إلى ماء بارح ثم القريحا. ومن كرى إلى تربة^(٣) خمسة عشر ميلاً، ثم إلى صفن وهو منهل على مسافة اثنين وعشرين ميلاً، فيصل إلى أوقح ثم يمر بالفتح، وهي بين الطائف ومكة على خط الطول من المشرق والمغرب^(٤)، وبين صفن والفتق ثلاثة وعشرون ميلاً.^(٥)

(١) تبالة : موضع باليمن وهي غير تبالة الحجاج بن يوسف

الثقفي . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩-١٠) .

(٢) كرى : يقع وسط الحرة ، وهو كثير المياه ، عيونه تجري على وجه

الأرض ، وغدرانه ملوثة بالماء ، وشجره الأثل والسمر ، ووادي كرى يصب ماءه أسفل تربة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ - البركاتي : الرحلة اليمنية ، ص ٨٩) .

(٣) تربة : بالضم ثم بالفتح وادي بالقرب من مكة على مسافة يومين

منها ، وحواليه جبال السراة ، وبها الزرع والنخيل والفواكه .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١) .

(٤) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٥ ، حاشية ٣ .

(٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ - جميل حرب : الحجاز

واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٢٥ .

ثم تواصل القافلة سيرها فترحل الى قرن ^(١) ، وبينهما شرب
والعايب ^(٢) ، وتعرف قرن الآن بالسيل الكبير وهي قرية . وبين
نخلة ^(٣) ومكة المكرمة آبار الرملة ، وهي
أسفل وادي نخلة ، وبها عين جارية ^(٤) ، ثم ترحل إلى آبار الحدا
والجدامى ، ومساس الحبرى والصفاح والأنصاب ثم يدخل مكة ^(٥) .

- (١) قرن : جبل مظل على عرفات ، وهو ميقات أهل اليمن والطائف ،
ويقال له قرن المنازل ، وبينه وبين مكة إحدى وخمسون ميلاً ،
وبينها وبين الطائف ستة وثلاثون ميلاً . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٢) .
- (٢) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٤ .
- (٣) نخلة اليمانية : واد يصب فيه يدعان ، وبه مسجد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرة هوازن يوم حنين ، ويجتمع
بوادي نخلة الشامية في بطن مر . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧٧) .
- (٤) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٥ ، حاشية ٩ .
وفي عصرنا تسمى الزيمة .
- (٥) الحربي : المصدر السابق ، ص ٦٤٥ .

طريق تهامة : ويفترق إلى طريقين : طريق ساحلية تسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر وأخرى متوسطة بين الطريق العليا والساحلية .

يبدأ الركب مسيرته من مدينة تعز^(١) ، فينزل البئر وهو في ذيل الجبل ، يأخذ إليها في مرحلتين ، ومدينة تعز من أحسن مدن اليمن ، وفيها يتجمع جميع الحجاج القادمين من جنوب الجزيرة العربية ، وبعض مدن اليمن^(٢) . - انظر خريطة رقم (٩) - .

ثم يرحل الركب بعد ذلك إلى وادي الحناء ، ويؤخذ إليها فسي ثلاث مراحل ، ويرد ماءها . ثم يرحل بعد ذلك إلى وادي الموز^(٣) ، ويؤخذ إليه في مرحلة واحدة ، وهو واد كثير الموز والشراب السكر^(٤) .

(١) تعز : بالفتح ثم بالكسر ، قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣٤) . وتستخدم مخزنًا للحبوب ، ومستودعًا للذخيرة والعتاد الحربي . (ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ، ص ٢٢٩) .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٩٧ .

(٣) الموز : بالفتح ثم السكون أحد مشارف اليمن الكبير من رأس تهامة الأعظم ، وإليه يصب أكثر أودية اليمن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٤) الجزيرة : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩٢ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٩٧ .

ثم يرحل بعد ذلك إلى مدينة زبيد ^(١) ، ويؤخذ إليها في مرحلتين وهي دارالملك ، وبها يجتمع الركب ويتكامل ^(٢) . وهي مدينة عظيمة بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً ، وأهلها أغنياء ، وتشتهر بكثرة البساتين والعياء والفواكه ، خاصة الموز والنخيل ، وهي كثيرة العمران ، وبها وادي الحبيب ^(٣) .

ثم يرحل الركب بعد ذلك إلى حديدة زبيد (الحديدة) ويؤخذ إليها في مرحلتين ، ومنها إلى المعازبة ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، وتكثر بها العياء العذبة ، ثم يصل إلى فحال ^(٤) ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، ويرد ماءها ^(٥) .

(١) زبيد : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، اسم واد به مدينة يقال لها الحبيب ثم غلب عليها اسم الواد . فلا تعرف إلا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت أيام المأمون ، وبجانبها ساحل غلافه ، وساحل المندب وينسب إليها كثير من العلماء . (المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٨٤) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٦٥ .

(٤) فحال : قرية كبيرة باليمن تقع على وادي رمع ، وفحال أم قرى وادي رمع . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٦٦) .

(٥) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩٢ .

ثم يواصل الركب سيره إلى القحمة ^(١) ، فيؤخذ إليها في أربع
مراحل ويرد ماءها ، وتقع في حرة بني كنانة بين البرك والشقيق وتبعد
عن البرك ٣٠ كيلومتراً ، وعن مكة ٤٩٣ كيلومتراً ^(٢) .

ثم يتجه الركب إلى وادي حمضة ^(٣) ، ويشتهر هذا الوادي
بشجر الدوم ، وهو واد متوسط يمر جنوب القحمة على ١٠ كيلومترات ، وبه
الكثير من النخيل .

بعد منطقة وادي حمضة يصل إلى منطقة الشقيق وهي
قرية كبيرة ساحلية على ٥٠ كيلومتراً من القحمة جنوباً ويصب عليها وادي
ريم ، ولها مرسى ترسى به صفار السفن ^(٤) ، ثم يقطع وادي عتود ،
وهو من أودية تهامة يأخذ على مساقط مياهه من السراة الواقعة غرب
جنوب أبها حيث يتقاسم الماء مع أعالي فروع وادي بيشة ^(٥) .

ثم يقطع وادي بيث ، وهو واد فحل من أودية تهامة ، وبه الكثير
من القرى والزرع ^(٦) .

- (١) القحمة : بلدية قرب زيد ، وهي قصبة وادي زوال ، وهي للأشاعة
وفيها خولان وهمذان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣١١) .
بينها وبين مكة ٤٩٣ كيلومتراً ، وتتبع إمارة جازان حالياً (البلاذري :
بين مكة واليمن ، ص ٢٣٠) .
- (٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩٢ - البلاذري : بين مكة
واليمن ، ص ٢٣٠ .
- (٣) حمضة : بالفتح ثم الكسر قرية باليمن من جهة قبلتها .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٠٥) .
- (٤) البلاذري : بين مكة واليمن ، ص ٢٣٥ .
- (٥) البلاذري : الموجع السابق ، ص ٢٤١ .
- (٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢٨ - البلاذري : بين مكة
واليمن ، ص ٢٤٧ .

ثم يمر بمنطقة عشر^(١) ، وهي مدينة عامرة تطل على البحر ، وذكرها
الحربي في طريق الحج اليمني ، كما ذكرها الهمداني^(٢) ، وكانت معروفة
حتى القرن الثامن الهجري^(٣) .

ثم يصل بعد ذلك إلى منطقة جازان^(٤) ويؤخذ إليها فسي
أربع مراحل ، وهو ———— واد . كثير القرى والروافد يأخذ
أعلى مساقط مياهه من أعلى السراة ، ويتقاسم الماء مع نواشغ وادي نجران
شمال غربي صعدة ، ويقال ان أول من اختطها رجل من آل الحكمي
في القرن السابع الهجري ، بنى بها عريشاً ، وكان رجلاً صالحاً

(١) عشر : بلد باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام ، وهي من الشرجة
إلى حلى ، وهي معروفة بكثرة الأسود . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٥) .

(٢) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٦ - الهمداني : صفة
جزيرة العرب ، ص ٣٤١ .

(٣) البلادى : بين مكة واليمن ، ص ٢٥٣ .

(٤) جازان : تقع في وادي جازان في أعلاه . (الحربي : المناسك ،
ص ٦٤٦) .

يزوره الناس لطلب العلم (١).

ثم يرحل الراكب إلى المهجم (٢)، ويؤخذ إليها في أربع
مراحل ويرد ماءها (٣) وهي من الأماكن المعروفة والمشهورة فهي
تهامة اليمن شمال شرق زيد ومور، وتعتبر أعظم أودية تهامة،
وتسمى ميزاب تهامة (٤)، وبها مسجدان، وهي في مستوى الأرض من
مدن التهام (٥).

وبعد ما يرحل الراكب إلى بياضة ويؤخذ إليها في أربع
مراحل حتى يصل إلى حرض (٦)، ويؤخذ إليها في أربع مراحل
ويرد ماءها (٧).

- (١) البلادى : بين مكة واليمن، ص ٢٦٩.
- (٢) المهجم : بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد
ثلاثة أيام، وأكثر أهلها خولان. (ياقوت : معجم البلدان،
ج ٥، ص ٢٢٩).
- (٣) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٩٢.
- (٤) البلادى : بين مكة واليمن، ص ٣٥٨، حاشية ١٨.
- (٥) حياة مرسى : دور السيدة الحرة بنت أحمد الصليحي، ص ٦٥،
حاشية ٤.
- (٦) حرض : بفتحيتين، وهو في اللغة الذى أنابه الحزن، وهو بلد في
أواهل اليمن من جهة مكة نزل حرضين خولان بن عمرو بن مالك
ابن حمير فسمى به، وهو بين خولان وهمدان. (ياقوت : معجم
البلدان، ج ٢، ص ٢٤٣).
- (٧) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٩٢.

ومن حرض إلى المحالب^(١) ، ويؤخذ إليها في ست مراحل ويرد ماءها ، وهي بلدة تقع على ميزاب مور ، ومن ملحقات الزهرة^(٢) .

ثم يرحل الركب إلى حلى بني يعقوب ، ويؤخذ إليها في ست مراحل ، ويرد ماءها وتعرف بابن يعقوب لأن بعض سلاطين اليمن كان ساكناً بها قديماً ، وأنه مؤسس الأسرة الحاكمة بها ، وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة ، يسكنها طائفتان من العرب ، وهم بنو حرام ، وبنو كنانة ، وبها جامع يسكنه جماعة من الفقهاء المنقطعين إلى العبادة^(٣) . وهذا وتطلق كلمة حلى على وادي حلى بأكمله ، وقد وصلت البلدة إلى قمة تطورها في القرن الخامس الهجري ، ويتبعها عدد من القرى ، وبها سوق كبير ، وأكثر مساكنها من الخشب والحشيش ، كما دل المسح الأثاري على وجود بعض مخلفات بناء لبعض المنازل استخدم فيه الأحجار والطوب الأحمر . وحلى بني يعقوب مدينة ساحلية سهلة تقع إلى الداخل في المنطقة الزراعية الممتدة في دلتا وادي حلى الخصيب ،

(١) المحالب : وهي بليدة ، وناحية دون زبيد من أرض اليمن .

() ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥٩ .

(٢) ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٧ ، حاشية ٢٠ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٤ .

إلا أنها رملية بسبب كثرة الرياح ، ويكثر بها شجر السدر ، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من مخشوش إلى الجنوب ، وقرى الصلب إلى الشمال .^(١)

ويرحل الركب إلى ترعة بني حازم ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ويرد ماءها ، ومنها إلى ملتقى الواديين^(٢) ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، ويرد ماءها ، وكلمة الواديين تطلق على المنطقة التي تحيط بالسرين^(٣) ، وكان راجح بن قتادة حاكماً عليها من قبل سلطان بني رسول الملك المنصور ، وهي مدينة عظيمة تقع بين مكة واليمن

(١) انظر أحمد الزيلعي : المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلى ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الرسالة ٣٩ - سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١١ - ٢٣ .

(٢) الواديين : هما وادي حلى ، ووادي عليب . (الزيلعي : حاكم السرين راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية في مكة ، مجلة العصور ، المجلد الأول ، الجزء الأول سنة ١٩٨٦ م ، ص ٢٢ حاشية ٧) .

(٣) السرين : ميناء على البحر الأحمر ، ومحطة تلتقى وتفرق عندها طرق التجارة والحج بين اليمن والحجاز ، وهي تابعة لإمارة مكة المكرمة ، وتقع السرين على بعد حوالي ١١ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من الوسقة ، وهي القرية المعروفة التي تعتبر واحدة من المحطات الرئيسية على الطريق الحديث بين مكة وجيزان .
(الزيلعي : المقال السابق ، ص ٢١ - ٢٢) .

بمقربة من يللم (١)، وبها الكثير من الأسواق وجامع، وأكثر بنائها
من الخشب والحشيش إلا الجامع فهو مني، وبها مزارع، ومزروعاتهم
الذرة والسمسم (٢) وفي منطقة السرين تلتقي الطريق الوسطى بالطريق
الساحلي (٣).
ثم يرحل الراكب إلى الحسبة (٤)، ويؤخذ إليها في أربع مراحل
ومنهم إلى يللم، وهو ميقات أهل اليمن، على مرحلتين
منه، ومنه يحرم الحجاج ويهلون بالتلبية (٥) وهو واد من أودية
مكة الجنوبية، متعدد الروافد، كثير المياه، يأتي من السراة الواقعة على
٣٠ كيلومتراً جنوب غربي الطائف، ثم يتدفق غرباً في إنحدار عميق
بين كثير من الجبال فيمر بالسعدية (٦).

- (١) يللم : واد يقع جنوب غربي الطائف على ٣٠ كيلومتراً منها، وهو
ميقات أهل اليمن، ويصب في البحر جنوب جدة على مرحلتين
، وسيله يمر جنوب مكة على ١٠ كيلومترات، وبه مسجد معاذ بن
جبل، رضي الله عنه . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٤١) .
- (٢) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٢ .
- (٣) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٤٣ .
- (٤) الحسبة : بالتحريك وادى بينه وبين السرين ليلة من جهة اليمن ،
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥٨) .
- (٥) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩٢ .
- (٦) البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ٣٢٨ - لجنة من العلماء : تحديد
موقع يللم . مجلة العرب - ج ١ - ٢ ص ١٨ - رجب ، شعبان سنة
١٤٠٣ هـ ، أبريل ، مايو ، نيسان ، أيار سنة ١٩٨٣ م ، ص ٥٩ .

وفي سنة ٧٤٢ هـ سار الملك المجاهد سلطان اليمن يريد الحج
عن طريق تهامة ، فسار في ركابه من الجيوش والعساكر ما يفوق الوصف ، فسافر
تعر صباح يوم الخميس السادس من شوال وحل بزبيد يوم الثلاثاء الحادي
عشر منه فعسكر في بستان الراحة ، ورحل عنها رابع يوم الجمعة حيث وصل
المهجم يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال ، فعسكر بها حتى ثالث
القعدة ، ثم ارتحل عنها ونزل بحلى بني يعقوب الخامس عشر من ذي القعدة
واستقر بها حتى الثامن عشر منها ، ثم ارتحل عنها ونزل يللم يوم الاثنين
سلخ ذي القعدة ، وهناك أمر السلطان بنصب الأحواض ، فطلت ماءً وطرح
بها السويق والسكر فشرب الناس ، وتصدق عليهم بثياب الإحرام .^(١)

ومن يللم يرحل الركب إلى البئر ، ويؤخذ إليه في أربع مراحل
ويرد ماءها ، ثم يدخل مكة على مرحلة واحدة .^(٢)

هذا وينسب إلى أمير مكة الشريف محمد بن بركات (ت ٩٠٣ هـ)

بعض أفعال الخير بطريق اليمن .^(٣)

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - الفاسي :

شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ - ابن فهد : إتحاف الوري ، تحقيق

فهم شلتوت ، ج ٣ ، ص ٢٢١ - ابن الديبع : قرّة العيون ،

ج ٢ ، ص ٨٥ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٩٣ .

(٣) ابن الصباغ : تحصيل العرام ، ورقة ٢٠٨ .

٦- إعتداءات القبائل :

وبالرغم من هذه العطايا والهبات التي تتمثل في الأموال والأرزاق والخلع لعربان القبائل ، إلا أن خطرهم لم يتوقف إذا وجدوا الفرصة والكسب المالي في مصلحتهم ، فكثيراً ما قطعوا الطريق ، ونهبوا الحجاج فيضطر الحجاج في بعض الأحيان إلى منعهم من ذلك بإرضائهم بالأموال (١) ، وقد تكررت هذه الإعتداءات من قبل العربان على الحجاج في العصر المملوكي على الرغم مما وفره سلاطين المماليك لطريق الحج ، ولقافلة الحج المصري من حراسة وحماية ، وهذا ما يتضح من القائمة التالية :-

ففي سنة ٦٧١ هـ نهب العرب بركب حجاج المغاربة وأخذوا أموالهم . (٢)

(١) علي السليمان : العلاقات العجازية المصرية ، ص ٧٥-٧٦ .

(٢) ابن فهد : إتعايف الوري ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٤ .

وفي سنة ٦٧٧ هـ خرجت جماعة من العرب على الحجاج أثناء الطريق ونهبوا جميع أموالهم ، وقتلوا منهم جماعة .^(١)

وفي سنة ٧٧٧ هـ خرجت العرب على الحجاج بطريق المدينة المنورة ، ونهبوا كل ما كان معهم من أموال وجمال ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً .^(٢) وفي العام نفسه هجم أمير ينجع الشريف سعد بن أبي الغيث الحسني^(٣) على حجاج المغاربة في العقيق على سبيل أن يعطوه شيئاً ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأنهم ضربوه وربطوه حتى هجم عليهم عربانهم وخلصوه ، إلا أن حجاج التكرور اصطدموا معهم ونهبت أموالهم .^(٤)

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢/١ ، ص ١٦١ .

(٣) سعيد بن أبي الغيث بن قتادة بن إدريس بن حسن بن قتادة الحسني أمير ينجع ، تولى إمرتها غير مرة ، وتردد إلى القاهرة مراراً ، مات معزولاً في ذي القعدة سنة ٨٠٤ هـ ، وقد زاد على الستين (ابن تغري بردى : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣١٣ - السخاوي : الضوء اللاصق ، ج ٣ ، ص ٢٤٨) .

(٤) المقرئ : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٨٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢/١ ، ص ٣٤١ . يذكر حمد الجاسر (بلاد ينجع ، ص ٣٢) نقلاً عن الجزيري أن ذلك حدث سنة ٧٨٥ هـ .

وفي سنة ٧٩٢ هـ هجمت بعض الأعراب على بقية من الحجـاج
العائدين من الحج ونهبوا أموالهم وتآصمهم .^(١)

وفي سنة ٨٠٤ هـ خرجت عرب بني سالم^(٢) على الحجـاج
فتحارب معهم أمير الحج وكسرهـم ، وقبض على شيخهم وسلموه للسلطان
فشنقه .^(٣)

وفي سنة ٨٢٨ هـ خرج الشريف زهير الحسيني^(٤) على
حجاج عقيل ونهبهم وشتتهم وأخذ أموالهم وجمالهم وأحمالهم .^(٥)

-
- (١) ابن الفرات : تاريخه ، ج ٩ / ١ ، ص ٢٣٨ .
على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - ٧٤ .
- (٢) عرب بني سالم : بطن من جذام من لخم من القحطانية ، وديارهم
وادي الصفراء وما جاورها ، البلاذري : معجم قبائل الحجاز ،
ص ٢٠٨ .
- (٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ / ١ ، ص ٦٣٩ .
- (٤) زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن حجاز بن شيحة الحسيني ،
كان فتاكاً خارجاً عن الطاعة ، يقطع الطرق على الحجيج والمسافرين ،
قتل سنة ٨٣٨ هـ . (ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٥٨ -
السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٣٩) .
- (٥) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٢ .

وفي يوم الثلاثاء التاسع عشر جمادى الثانية سنة ٨٣٤ هـ طارض ضرب
زبيد ركب الرجبية ، وكان الشيخ تقي الدين المقرئى معهم ، وهذا
(١)
بالإضافة إلى ألف وخمسمائة جعل مقدمهم سعد الدين إبراهيم بن المصرة
ناظر جدة الذى صالحهم على مائة دينار من عنده دون أن يكلف أحداً من
الحجاج بشئ ذلك خوفاً عليهم من القتل والنهب ، إلا أنهم عندما وصلوا
إلى الخريبات (٢) وقديد (٣) أغار عليهم الشريف زهير الحسينى
بنحو مائة فارس ، وبعض المشاة ، فقاتلهم القوم وقد قُتل منهم إثنان ،
(٤)
ومن الأعراب عشرة ثم تصالحوا على ألف دينار

- (١) سعد الدين إبراهيم بن المصرة القبطي الأصل المصري ناظر جدة ،
توفي بعد فقر سنة ٨٤٤ هـ . (المقرئى : السلوك ، ج ٤ / ٣ ، ص
٢٣١ - ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ٣٢ -
السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ١٨٤) .
- (٢) الخريبات : أحد روافد وادى مّر ، فيه خرائب من بعض بقايا
عمران قديم ، ويحرم منها الناس . (ابن فهد : إتحاف السورى
، ج ٤ ، ص ٣٨) .
- (٣) قديد : وادى من أودية الحجاز ، قرب مكة (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٤ ، ص ٣١٣ - الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٠ - ١٨٥) .
وينقسم إلى قسمين علوى وسفلى ، فالعلوى يسمى ستارة ، والسفلى يسمى قديداً ،
ويسكن النصف السفلى زهير بن حرب ، ويبعد عن مكة بحوالى
١٣٠ كيلومتراً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة .
(البلادى : معجم معالم الحجاز ، ص ٤٩٣) .
- (٤) الدينار : هو العملة الذهبية عند العرب ، والوزن الشرعى للدينار
الإسلامي ٤٢٥ جرام ، وتم تعريبه في عهد عبد الملك بن مروان .
(عبد الرحمن فهدى : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ٨ - ٩) .

ومائة أفلورى^(١)، وبعض الشباب التي تقدر بنحو أربع مائة دينار، وقد تحمل أصحاب الركب دفع هذه الأموال، فبعضهم دفع مائة دينار، وبعضهم دفع ديناراً واحداً فقط كل حسب استطاعته، ثم وصل الركب ثامن عشر جمادى الآخرة^(٢).

وفي سنة ٨٥٩ هـ تجمعت للحجاج بالوجه^(٣) الكثير من المصائب، ومات ركب الحاج التكرورى بأكمله بسبب العطش والعرض، واعتداء العرب عليهم، أما الركب المغربي فقد قاتل العرب^(٤).

وفي سنة ٨٧٢ هـ تقاتل الحجاج مع العرب، ولم ينج منهم سوى القليل بسبب كثرة القتل والنهب^(٥).

(١) أفلورى : يقال له الإفرتي ، وهي دنانير من ضرب بلاد الفرنجة والروم ، زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط مصرى ويقال له المشخص لأن على أحد وجهيها صورة الملك التي ضربت في عهده ، وعلى الوجه الآخر صورة بطرس ، ويولس الحواريين .

(القلقشندي : صبح الاحشى ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ - السقريزي :

السلوك ، ج ٤ / ٤ ، ص ٣٥ - حسن الشافعي : العملة وتاريخها ص ١٠٨ .)

(٢) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٣) انظر فيما بعد ، ص ٦٨ .

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧-٣٨ - أبو المحاسن : حوادث

الأيام والدهور ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٥) ابن فهد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

وفي عصر يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من العام نفسه ، هجم بعض العرب من مجان^(١) على الشريف علي بن بركات^(٢) ، والقاضي كمال الدين بن ظهيرة ومعهم ركب الحجازيين وبعض تجار الإسكندرية في منطقة الحريرا^(٣) ، إلا أن الخبر وصل إلى أمير ينبع الذي أدركهم ، وأخذ ما معهم ورده إلى أصحابه ، وقد قتل من اخوة سبع^(٤) أخواه سبيع وسباع ، وكان أمير الحج المصري تنبك المعلم ، وأمير أول تنبك الأشقر^(٥) .

- (١) مجان : هي مجنى بطن من بشر من بني عمر بن مسروح من حرب ، بعضهم من نواحي عسفان . (البلادى : معجم قبائل الحجاز ، ص ٤٦٧) .
- (٢) علي بن بركات بن حسن بن عجلان ، قدم القاهرة سنة ٨٧١ هـ مفارقاً لأخيه فلم يلبث أن أعيد في موسم حج السنة التي بعدها صحبة الكمال بن ظهيرة ، وهو ذكي كثير الأدب ، محسن لا نشاد الشعر متودد للعلماء والصالحين ، توفي سنة ٨٩١ هـ ودفن بحوش الأشرف برسباي . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ١٩٧ - ١٩٨) .
- (٣) الحريرا : برائتين مهملتين ، وهي موضع بين مكة والأبواء قرب نخلة ، وبها كانت الوقعة الرابعة من وقعة الفجار . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) .
- (٤) سبيع هو هيجان بن محمد بن مسعود الحسيني : أمير ينبع ، وليها مرة بعد أخرى إلى أن توفي سنة ٨٨٧ هـ ، واستقر بعده دراج بتقرير من صاحب الحجاز بتفويض أمره إليه .
- (٥) (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٤٣) .
- (٥) ابن فهد : اتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ ، الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٩ - ٤٥٠) .

وفي سنة ٨٧٥ هـ حصل للحجاج شذائد من موت الجمال والعطش،
وقلة الكراء، وقد قطع بنوعطية على الحجاج الطريق بمنطقة نخـل^(١)،
ورجع بعض الناس من العقبة^(٢) بصحبة الـركب^(٣).

وفي سنة ٩٠٢ هـ توفي الشريف دراج^(٤) أمير ينبع فحصل نزاع
على الإمارة بين أبناءه، وبين أبناء الشريف سبع. وكانت إمارة
ينبع منوطة بالسلطنة نفسها في القاهرة كإمارة مكة المكرمة، وإمارة المدينة
المنورة، فذهب يحيى بن سبع إلى القاهرة مطالباً بإمارة ينبع لأن والده
سبع كان يوماً في ذلك المنصب، وكان الملك الأشرف قايتباي قد أضافها
إلى إمارة مكة، فعين فيها أحد أبناء الشريف دراج، لأن دراجاً كان
له يد على أمير مكة بسبب مساعدته له بإضافة إمارة المدينة المنورة بعد
حادثة نهب الحجرة الشريفة^(٥). ولهذا لم يلب السلطان طلب

(١) انظر فيما بعد، ص ٥٠

(٢) انظر فيما بعد، ص ٥٢

(٣) الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٥١.

(٤) دراج بن معزى الحسيني : أميرالينبوع، استقر في أواخر سنة

٨٨٧ هـ عقب سبع الماضي نيابة عن صاحب الحجاز حين فوض
أمره إليه. (الصفاوى : الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢١٧).

(٥) المقرئى : السلوك، ج ١/٤، ص ٧٥ - ابن فهد : إتحاف الورى
ج ٣، ص ٤٦٣ - حمد الجاسر : بلاد ينبع، ص ٥٣.

يحيى بن سبع فعاد من القاهرة حاقداً على الأبواب الشريفة فعندما مرّ بمنطقة عجروود^(١) إحدى محطات طريق الحج المصري ذبح ما فيها من الثيران القائمة على إخراج الماء إلى الأحواض، ورمى بجثتها في الفساقى، وبذلك كلف يحيى بن سبع الدولة ثمناً غالياً بسبب عدم تلبية طلبه في إمارة ينبع، وأخذ يوءدب القبائل على الأبواب السلطانية، فأنقادت له قبيلة جهينة لما بينها وبين قبيلته بني إبراهيم من الصلات والروابط، كما انضم إلى يحيى بن سبع، مالك بن روس، رعيص زيد، فتألبت هذه القبائل، وتجمعت باسم يحيى بن سبع، وخرجت على الدولة، وقامت بكثير من ضروب العبث والفساد الذى لم يقتصر على الحجاج القادمين من طريق الساحل، بل قطعوا الطريق فيما بعد بين مكة وجدة، وهددوا جدة بالنهب، بل بلغ بهم الأمر أن عاشوا في مكة فساداً، وصادروا أموال بعض مشاهير تجارها.

وفي سنة ٩٠٣ هـ اشتد أذى عربان ينبع مع أميرهم يحيى بن سبع على الحجيج، حتى تضايق سلطان مصر قانصوه الغورى، فأرسل جيشاً تقاتل معهم، وانتهى بهزيمتهم في منطقة السويق^(٢).

(١) انظر فيما بعد، ص ٤٧

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٨٢.

السويق: تصغير ساق، وهو جبل بين ينبع والمدينة المنورة.

(ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

وفي سنة ٩٠٢ هـ وصل أمراء الحج المصري والشامي إلى ينبع ،
فحضر إليهم يحيى بن سبع وصحبه الشريف الجازاني ، وسأل أن يكون عوضاً
عن أخيه الشريف بركات ، فامتنع الأمير أخطر ، فكرر عليه السوء ، فلبس
تشریفاً ويخدمه بمال له صورة ، وألحوا عليه وهددوه بنهب الحج ، فألبس
الجازاني تشریفاً بأمر مكة ، وأضر أخطر في نفسه أن يمسه عند دخول
مكة ، وأن يكتب شريف مكة أن يحضر إليه ويكون عوناً عليه ، وبينما هم
في ذلك إذ حضر قاصد الشريف بركات ، فوضعه أمير الحج في الحديد
فأمن الجازاني لذلك ، وعندما وصل الركب إلى وادي مر أطلق أمير الحج
قاصد الشريف إلى أمير مكة الشريف بركات ليطلعهم أن يتوجه إليه بسرعة ،
فأحس الشريف الجازاني بذلك ، وتسلسل في الليل ، وبعد أن قضى الركب
المصري مناسكه وأراد التوجه إلى مصر سألوا الشريف بركات أن يخرج
معه حتى يتجاوزوا ينبع ، فأسمهم حتى يجمع جيوشه ، ولكنهم لم ينتظروه
(١) ، فخرج عليهم الجازاني بالدهناء وقاتلهم ونهبهم ، وأخذ منهم المال
والقماش والجمال ، وقتل منهم عدداً لا يحصى ، وبلغ عدد القتلى من الماليك
خمسة وسبعين مملوكاً ، غير عدد الحجاج . وهرب الأمير أخطر إلى منزل
قاضي ينبع مستجيراً به حتى فدى نفسه بثلاثين ألف دينار ، وقيل خمسة
آلاف دينار ، وأقام الحاج بالينبع خمسة أيام ثم رحلوا وعند وصولهم إلى
الأنزم أو الأنزم (٢) خرج عليهم عامرين مشعل ، شيخ قبيلة بلسى
ومنعهم من النزول بها ، وردم جميع آبار المياه حتى هلك أكثر الحجاج
عطشاً ، وطلبوا منهم مالاً فجيئوا لهم بعض الأموال . وعند وصولهم

(١) الدهناء : تقع فيما بين بذر وينبع (حمد الجاسر : بلاد ينبع ،

ص ٥٢) .

(٢) انظر فيما بعد ، ص ٦٦ .

المويلحة (١) خرج عليهم بنو لام ، وبنو عقبة ، وبنو عطية وطالبوهم
بالأموال ، إلا أن تاجراً يدعى ابن شويته كان بينه وبين العربان معاملة
ومعرفة فتوسط في الصلح بينهم على أن يعطوه على كل جمل ديناراً (٢).

وفي سنة ٩١١ هـ أرسل السلطان الغوري قوة هزمت الثوار (يحيى بن سبع
وجماعته) ، وأحرقوا الدور التي على ساحل البحر المالح (ينبع البحر) كما أحرقوا غالب دكاكينه ،
وشتتوا عربانه ، ثم تبعها قوة سنة ٩١٢ هـ أنزلت بالثائرين هزيمة ،
ونهبوا كل ما كان بمدينة ينبع من مزرعات وحيوانات (٣).

وبسبب ما تعرض له طريق الحج المصري من النهب والسلب منذ
سنة ٩٠٧ هـ تعطل طريق الحج المصري ، فأصدر السلطان الغوري أوامره
سنة ٩١١ هـ بإبطال التوجه إلى الحجاز بالنسبة لأهل مصر والشام
وسائر الأعمال قاطبة ، فلم يحج في هذا العام أحد من المغرب أو بلاد
التكرور ، واكتفى السلطان بإرسال كسوة الكعبة ، وصرر الحرمين والزيت
من البحر في مراكب من الطور إلى جدة سنة ٩١٢ هـ (٤) وقد تمكنت

(١) انظر فيما بعد ، ص ٦٣ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ابن إياس : بدائع
الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ٧٨٣ -
حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٩٥ - الجزيري : درر الفرائد :
ج ١ ، ص ٧٩١ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩١ -
حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ .

(٤) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ١٠٧ - ابن إياس : بدائع
الزهور ، ج ٤ ، ص ٨٩ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ .

التجريدات السلوكية من الانتصار على مريان بيتي إبراهيم وأمير المدينة المنورة ، وأمير مكة مما أدى إلى فتح طريق الحج في السنة التالية . وأدت هذه الأحداث إلى دفع السلطان الخوري إلى القيام بسلسلة التحصينات العسكرية سنة ٩١٥ هـ ، ٩١٦ هـ على يد الأمير خسا يريك المعمار ، والأمير خشقدم في عجرود ونخل ، والعقبة ، والأزلم والتي تمثلت في تجديد عمارة الخانات التي كانت من قبل بهذه الأماكن وتحصينها ببناء الأبراج بها .

وفي يوم الأربعاء السادس عشر من شوال سنة ٩٢١ هـ تأخر مبشر الحج^(٢) بسبب إعتداء العربان عليه ، وأخذهم كل ما معه من أموال ورسائل الحج^(٣) .

-
- (١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٥٢ - عبد النعم رسلان :
الازنم خاناً ورجاً ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
- (٢) مبشر الحج : وظيفة قديمة لها معلوم خاص وتسمى عادة المبشر ، ومهمته التوجه من مكة في أول أيام منى (الجزيرة : د رر
الفرائد ، ج ١ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢) .
- (٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٨٢ .

الفصل الثاني

المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة

- ١ - إلقاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة .
- ٢ - جباية المكوس بجدة .

١ - إلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة :

إن أهمية الحجاز الجغرافية ، وإطلاله على البحر الأحمر جعلاً له مركزاً تجارياً منذ القدم ، لإتصاله ببلاد الشام شمالاً ، واليمن جنوباً ، وبمصر براً وبحراً ، مما كان له أثره التجاري داخل شبه الجزيرة العربية .^(١)

كما إن الإسلام لا يمنع التجارة مع الحج ، ولذلك نشطت الأسواق التجارية بمكة المشرفة لوقوعها على طرق القوافل القادمة من اليمن ، والقاصدة الشام ، بالإضافة إلى قرب جدة منها التي لم تكن مرفأً لمكة فقط بل للحجاز بأسره .^(٢)

ونظراً لأرباح التجارة ، وتوافد الحجاج إلى مكة ، وحاجة حكام مكة من الأشراف لمورد مالي يفي بمطالب الحرمين ، وبمطالب الحكم ، فضلاً عن مطالبهم الخاصة ، فقد فرض أمير مكة المكوس^(٣) على التجار والحجاج في مكة المشرفة

(١) عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٦١ .

(٢) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٨٦ - أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، عائشة باقاسي : الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٨٣ .

(٣) المكوس : جمع مكس ، ومعناها في اللغة الضريبة التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق أيام الجاهلية ، كما تطلق على ما يأخذه المعشار ، ويقال له الماكس . (المقرئ : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٢٦٧) .

وفي جدة التي كانت تابعة له ، وكانت جدة قد زادت أهميتها في العصر الأيوبي بسبب النشاط التجاري بها ، ولزيادة وفود الحجاج والتجار إليها من المغرب والأندلس واليمن والحبشة والهند . (١)

كما زادت أهمية ميناء عيذاب المقابلة لجدة على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر في العصرين الفاطمي والأيوبي ، ولم يكن يقل دورها في تجارة البحر الأحمر ، وفي حركة الحجاج عن جدة لوفود المراكب الهندية واليمنية إليها ، كما أنها كانت نهاية قوافل الحجاج المصريين والمغاربية ومركز تجمعهم قبل عبورهم البحر الأحمر إلى جدة ، لا سيما في الفترة (٢) التي أغلق فيها الصليبيون طريق الحج المصري عبر شبه جزيرة سيناء .

وفي عهد الفاطميين كان المكس يؤخذ على الحجاج والتجار بعيداب ، ومن لم يف بذلك يؤخذ منه بجدة ، وإلاّ عذب أشد العذاب أو ضرب ضرباً مبرحاً ، بل يمنع من الحج من مزاولة التجارة (٣) . وهذا نص

(١) حسنين ربيع : البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ص ٢٠ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٤٥ - المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ - أحمد دراج : عيذاب ، مقال بمجلة نهضة افريقية ، ص ٥٥ .

(٣) المقرئزي : السلوك ، ج ١/١ ، ص ٦٤ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٢٩ - عائشة باقاسي : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٧٠ .

ابن جبير الذى أدى فريضة الحج سنة ٥٧٩ هـ عن طريق عذاب يوضح مقدار المكس، وطريقة أخذه : " ومن مفاخر هذا السلطان (صلاح الدين الأيوبي) المزلفة من الله تعالى وآثاره التي ابقاها ذكراً جميلاً للديين والدنيا إزالته رسم المكس المضروب وظيفه على الحاج مدة دولة العبيديين ، فكان الحاج يلاقون من الضغط في أدائها عنتاً مجحفاً ، ويسامون فيها خطة خسف باهظة ، وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته ، أو لا نفقة عنده ، فيلزم أداها الضريبة المعلومة التي كانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر ديناراً مؤنية على كل رأس ويعجز عن ذلك فينال أليم العذاب بعذاب ، فكانت كأسمها مفتوحة العين ، وربما اخترع له أنواع من العذاب كالتعليق من الأُنثيين ، أو غير ذلك من الأمور الشنيعة ، وكان بجدة أمثال هذا التنكيل وأضعافه طرياً ومكسسه بعذاب ، ووصل إسمه غير معلم عليه علامة الأدا (١) .

وقد ألغى صلاح الدين الأيوبي مكس الحاج في سنة ٥٧٢ هـ ،
(٢)
وذلك عندما حج الشيخ علوان الأسدي الحلبي في تلك السنة ،

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٥٥ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٥٥ - التجيبي : استفاد الرحلة والإغراب ، ص ٢١٩ -

المقريزى : السلوك ، ج ١ / ١ ، ص ٦٤ - ابن فهد : إتحاف

السورى ، ج ٣ ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ - السيد الباز العريني :

مصر في عهد الأيوبيين ، ص ١٥ - أحمد دراج : عذاب ، ص ٦٠ .

وكانت له صلة وثيقة بصلاح الدين الأيوبي ، وقد رفض دفع المكس وهـم بالعودة دون أن يؤدى فريضة الحج ، إلا أن الأشراف بمكة أمروا بإطلاق سراحه وأعفوه من المكس . وقد شرح أمير مكة مكثربن عيسى ^(١) للشيخ علوان أحوال مكة فقال له : «نحن قوم ضعفاء ، وما لنا إلا هذه الجهة ، والملوك قد استولوا على البلاد ولا يؤدوا لنا شيئاً» ^(٢) ، كما بين له حاجته لهذا المورد المالي لأن دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها مما يضطره إلى أخذ المكس . فكتب الشيخ علوان إلى صلاح الدين الأيوبي يشرح له ذلك ^(٣) ، فما كان من صلاح الدين إلا أن أرسل كتاباً إلى الأمير مكثربن عيسى يقول فيه : «اعلم أيها الأمير الشريف أنه ما أزال نعما عن أماكنها ، وأبرز الهمم عن مكائنها ، وأثار سهم النوائب عن كنائنها ، كالظلم الذى لا يعفو الله عن فاعله ، والجور الذى لا يفرق في الإثم بين قاتله وقابله ،

(١) مكثربن عيسى : تولى إمرة مكة سنة ٥٧١ هـ حكمها عدة سنين مع أخيه داود ، وبمكثر أنقضت ولاية الهواشم بمكة ، ووليها بعده عزيزبن قتادة ، توفي سنة ٥٨٩ هـ . (الفاسى : العقد الثمين ج ٧ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢) ابن فهد : إتحاف السورى ج ٣ ، ص ٥٤٠ .

(٣) أبوشامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ، ص ٣-٤ - المقرئى : السلوك ج ١ ، ص ٦٤٠ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٧٨ - ابن فهد : إتحاف السورى ج ٣ ، ص ٥٤٠ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٢٣ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ص ١٢٠ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ص ٦٩-٧٠ - عائشة باقاسى : الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٧١ .

فأما وهبت ذلك الحرم الشريف وأجللت ذلك المقام المنيف ، وألا قويننا العزائم ،
 واطلقنا الشكايم ، وكان الجواب ما تراه لا ما تقرأه ، وغير ذلك ، فانا نهضنا
 إلى ثغر مكة المحروسة في شهر جمادى الآخرة ، طالبين الأولى بالآخرى
 في جيش قد ملأ السهل والجبل ، وكظم عن أنفاس الرياح » (١) . كما عوض
 أميرى مكة مكرراً وأخاه داود (٢) في كل سنة ألفي دينار وألف أردب (٣)
 قمح ، عدا عن عدة إقطاعات في صعيد مصر واليمن ، ويقال أن مجموع ذلك
 يعادل ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه حتى جدة عوضاً عن المكوس التى
 الغاها . (٤)

- (١) رحلة ابن جبیر ، ص ٥٥ - ٥٦ - الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ -
 أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .
- (٢) انظر الحاشية رقم " ٣ " الصفحة السابقة (ترجمة الأمير مكشربن
 عيسى) .
- (٣) الأردب : مكيال ضخيم بمصر ، ويضم أربعة وعشرين صاعاً ، أو ست
 و يبات ، والأردب = ١٢٨ رطلاً (ضياء الدين الريس : الخراج
 والنظم المالية ، ص ٣٣٠ - ٣٣١) .
- (٤) رحلة ابن جبیر ، ص ٥٥ - أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
 ، ج ٢ ، ص ٣ - ٤ - الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ١٢٧ - شفاعة
 الفرام ، ج ٢ ، ص ٢٣١ - المقریزی : السلوك ، ج ١ / ١ ، ص ٦٤٠ -
 الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،
 ج ٦ ، ص ٧٨ - ٧٩ - ابن فهد ، إل تحفاف السورى ،
 ج ٣ ، ص ٥٣٩ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ١٠٩ - ١١٠ -

إلا أن ابن جبير لام أمير مكة مكثرين عيسى على معاملته السيئة
للحجاج ، وقد شهد ابن جبير وصحبه في حجته طريقة الترويع والإسساك
بالحجاج الذين أخذوا يضمنون بعضهم البعض في دخول مكة ، فإن ورد المال
والطعام من قبل صلاح الدين كان بها ، وإلا أخذ المكوس من الحجاج (١) .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي أعاد السلطان العادل الثاني
سيف الدين أبوبكر بن الملك الكامل المكوس مرة ثانية سنة ٦٣٥ هـ ، مما
جعل شريف مكة يجبي المكوس من الحجاج والتجار في جدة بسبب عدم
إرسال خلفاء صلاح الدين ما التزم به مؤسس الدولة الأيوبية تجاها
سكان بيت الله . (٢)

إلا أن المكوس بمكة ألغيت سنة ٦٣٩ هـ من قبل صاحب اليمن
الملك المنصور عمر بن رسول عندما حج ، وجعل مربعة بذلك أمام (٣)

=== الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٦٩ - على السليمان : النشاط
التجاري ، ص ١٠٣ - ١٠٤ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر
الأيوبي ، ص ١٣١ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن
المقدسة ، ص ٢٥٢ .

- (١) عبد القدوس الأنصاري : مع ابن جبير في رحلته ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦١ - القصص : تجارة
مصر في البحر الأحمر ، ص ٢٣٧ - عائشة باقاسي : الحجاز في العصر
الأيوبي ، ص ٧١ .

(٣) مربعة : هي عبارة عن لوحة تكتب بها مراسيم السلطان .

الحجر الأسود على زمزم ، حتى نزعها محمد بن أحمد بن المسيب (١) سنة ٦٤٦ هـ عندما كان بمكة . (٢)

واستمر الحال كذلك حتى سقوط الدولة الأيوبية ، وقيام الدولة المملوكية ، ولكي يتقوى بيبرس سلطان مصر أمام قواده ومنافسيه كان عليه أن يضفي على حكمه الصبغة الشرعية بإحياء الخلافة العباسية سنة ٦٦٠ هـ ، وإعتراف الخليفة العباسي به ، مما كان له الأثر الكبير بالنسبة لمصر كقاعدة للدولة الإسلامية بعد سقوط بغداد على يد التتار ، ومن هنا أصبح المالكي سلاطين قاعدة الخلافة الإسلامية في وضع يسمح لهم بإهتمامهم بشئون الحرمين . (٣)

- (١) محمد بن أحمد بن المسيب اليمني : تولى إمرة مكة من قبل سلطان اليمن الملك المنصور سنة ٦٤٦ هـ بعد عزل الأمير فخر الدين الشلاح وأعاد الجبايات والمكوس بمكة ، وخلق مربعة الطك المنصور التي كتبها ، واستولى على الصدقات ، بنى حصناً بنخلة يسمى العطشان . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٢٨٦) .
- (٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٦٩ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ - ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ١٠ .
- (٣) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٣٣ - ٣٤ - عبد العزيز الخويطر : الظاهر بيبرس ، ص ٣٧ - أحمد دراج : إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ص ١٩٩ .

وعندما حج الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ فض الخلاف بين الشريف
نجم الدين بن أبي ندى ، وبين عمه الشريف بها الدين إدريس ، إلا أن الخلاف
ما لبث أن عاد مرة أخرى واشتبكا في وادى خليم وأنتهى الخلاف بينهما بقتل
الشريف إدريس ^(١) . وقد وردت الأخبار إلى سلطان مصر الظاهر بيبرس
عن طريق أبي ندى يبرر فيها أعماله ، فكتب إليه الظاهر بيبرس يشترط عليه
إلغاء المكوس ، وإباحة بيت الله للعائف والباد ، ولا يمنع زائراً في ليلى
أونهار ، ولا يتعرض لتاجر يظلم ، وأن تكون الخطبة والسكة بإسمه لقـ
عشرين ألف درهم ^(٢) تقدمها مصر سنوياً ^(٣) .

- (١) التجيبي : استفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٣٦ .
(٢) الدرهم : هي وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية ، استعارها
العرب من الفرس ، ووزن الدرهم الشرعي ٢٫٩٧ جرام . (عبد الرحمن
فهيم : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص ٨ - ٢٩ .
(٣) المقرئى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٧٩ - الذهب المسبوك ، ص ٨٢ - ٨٨
ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٩٩ -

وقد لعب الظاهر بيبرس دور الحكم بين شريفي مكة المتنازعين —
أبي نعي وعنه إدريس، كما استغل خلافهما لينيب عنه نائباً له، وهو —
شمس الدين مروان^(١)، ليكون في ظاهر الأمر حكماً بين الشريفين،
ويفض نزاعهما، وفي باطنه تقليصاً لسلطتهما، أو ليكون الحل والعقد في
شئون مكة بيد نائبه، وبذلك يضمن ولاء مكة له^(٢).

وتحقق للظاهر بيبرس ما كان يصبو إليه و فخطب له على منابر
الحرمين، وضربت السكة بإسمه، كما ترك أثراً طيباً في نفوس أهالي الحرمين
بما وزعه عليهم من مال، وما أمر به من عدم جباية المكوس بالحجاز^(٣).

=== الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٣ - أحمد السبعاي : تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٥٥ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ص ١٧٦.

(١) شمس الدين مروان الظاهري : كان نائباً للأمرير عز الدين جاندار الظاهري حج مع الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ، وقد جعله نائباً له بمكة حتى يرجع أمر أميرها إليه أخرجته الأشراف من مكة سنة ٦٦٨ هـ.
(الفاسي : العقد الثمين، ج ٧، ص ١٧٢) .

(٢) المقرئ : السلوك، ج ١/٢، ص ٥٨١ - ٥٨٢، ابن فهد : إتحاف السورى، ج ٣، ص ٩٣ - الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٣) ابن فهد : إتحاف السورى، ج ٣، ص ٩٧ - الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ - زيني دحلان : خلاصة الكلام، ص ٢٧ - ٢٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢١٠ .

وفي سنة ٦٨٣ هـ قدم الخبر على سلطان مصر المنصور سيف الدين قلاوون وهو بقلعة الجبل بأن الشريف أبى نسي طرد جند اليمن^(١) من مكة وأستبد بها فأشد على الحجاج في الجباية ، فكان يأخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهماً ، ومن حاج مصر على كل جمل خمسين درهماً مع كثرة النهب والتعسف ، وكان الظاهر ببيرس جعلها ثلاثين درهماً ، ولكن بعد أن قوى أبونسي نفسه ، وأخرج جند اليمن ، اشتد على الحجاج في الجباية ، فأشد غضب سلطان مصر عليه ، فأرسل إليه ثلاثمائة فارس صحبة أمير الحج المصري علم الدين سنجر الباشقردى^(٢) ، وأنفق في كل فارس ثلاثمائة درهم ، وكتب بخروج مائتي فارس من الشام ، فتوجهوا صحبة أمير الحج الشامي عز الدين يوسف القيصرى ، وتنافروا أمير الحج المصري مع أمير مكة ، وحصلت فتنة بسبب منعه للحجاج من دخول مكة ، فنقب الحجاج سور المعلاة ، ودخلوا مكة هجماً ، وأحرقوا باب المعلاة بعد فرار أبى نسي ، ثم ما لبث أن وقع الصلح بين الفريقين

(١) اتفق أبونسي مع بنى رسول وحالفهم ، وأرسل لهم الهدايا ، إلا أن المنصور قلاوون هدد به بسبب تقديم ركب اليمن على ركب المصريين ، فحلف أبونسي سنة ٦٨٣ هـ للسلطان المنصور قلاوون على الطاعة وطرد جند اليمن من مكة ، وخطب لسلطان المماليك خاصة بعدما عرف أن الرسوليين لا يملكون مناصرته ضد قوة المماليك بمصر . (السباعي : تاريخ مكة ج ١ ، ص ٢٥٧) .

(٢) سنجر بن عبد الله الباشقردى : نائب حلب بعد أقوش الشمسى توفى سنة ٦٨٦ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ٣٢٤) .

على يد صاحب بدر الدين السنجاري ، وقيل أن سبب هذه الفتنة ، أن أبانسي تخيل من بعض أمراء بني عقبة من حج أنه جاء ليأخذ مكة فغلق أبوابها وحدثت الفتنة (١) .

ولم يكن هناك أيّ إلغاءٍ للمكوس من بعد سنة ٦٨٣ هـ حتى سنة ٧٠٢ هـ ، بل كان التنافس قائماً بين مصر واليمن على إغداق الهبات والأعطيات على فقراء الحرمين ، وتعليق كسوة الكعبة (٢) . ففي سنة ٧٠٣ هـ و سنة ٧٠٤ هـ أبطل أمير مكة حميضة ورميثة أبناء أبي نعي شيئاً من المكوس (٣) .

وفي سنة ٧٠٥ هـ عاد النهب والعسف مرة أخرى من قبل رميثة وحميضة أميري مكة حتى تضايق أغلبية الحجاج منهما ، مما أوغر صدر الملك الناصر محمد بن قلاوون فعزم على الحج سنة ٧١٢ هـ على رأس مائة فارس ، وستة آلاف ملوك على الهجن ، فدخل مكة المشرفة وأجل رميثة

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ - المقرئزي : السلوك ، ج ١ / ٣ ، ص ٧٢٤ - ٧٢٥ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٢٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

(٢) أحمد دراج : ايضاحات جديدة ، ص ١٩٩ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ج ١ ، ص ٢٦٤ .

وحميضة منهما وولي مكانهما أبا الغيث إلا أن أهالي مكة هاجموا أبا الغيث وقتلوه، وعينوا بدلاً منه حميضة (١).

وفي سنة ٧١٩ هـ حج الملك الناصر محمد بن قلاوون حجة الثانية، وأبطل سائر المكوس، وعوض أمير مكة والمدينة المنورة بدلاً منها إقطاعات (٢) في مصر والشام.

وكانت هناك فتنة بين أمير مكة الشريف عطيفة بن أبي نسي، وأمير الحج المصري في موسم سنة ٧٢٢ هـ بسبب شدة مغالة أمير مكة في جباية المكوس من الحجاج، لأن الناصر محمد بن قلاوون لم يلتزم بما كان عليه بيبرس تجاء أهل بيت الله الحرام، ولأن أمير مكة الشريف عطيفة لم يقتنع بهذا المبلغ، إلا أن الصلح تم بينهما، لأن الناصر محمد بن قلاوون خفف المكس، وجعله فقط على السلع للتاجر والحاج، وعوض

(١) الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٤٣ - العقد الثمين، ج ٤، ص ٤٠٦ -

المقريزي : السلوك، ج ١/٢، ص ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - الخزرجي : العقود

اللوئية، ج ١، ص ٤٠٢ - الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٢١ -

أحمد السباعي : تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) المقريزي : السلوك، ج ١/٢، ص ١٩٧ - ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة، ج ٩، ص ٥٩ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٥٠ -

ابن فهد : إتحاف السالكين، ج ٣، ص ١٦٥.

الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج، ص ١٣١.

أسير مكة الشريف عطيفة بن أبي نسي بثلاثي قرية "دماين" (١) بصعيد مصر، وألني أردب قمح تحمل له سنوياً من مصر. (٢)

(٣) وفي سنة ٧٥١ هـ أسقط الشريف عجلان ثلث الجباية عن الناس.

وفي سنة ٧٥٥ هـ قل ما بيد الشريف عجلان من مال بسبب عدم قدوم تجار اليمن إلى مكة، ففرض ضريبة على كل نخلة بوادي مرّ، مقدارها يتراوح بين درهمين وأربعة دراهم، كما أسترده الأموال والخيول التي كان قد أهداها إلى الأشراف الحسنيين والقواد. (٤)

(١) دماين : قرية كبيرة بالصعيد شرقي النيل على شاطئه فوق قوص ، عليها بساتين ونخل كثير . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٦٥) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٤ - المقرئ : السلوك ، ج ٢ / ١ ، ص ٢٣٦ - ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٩٩ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٧ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٣٢ .

(٣) ابن فهد : إتحاف السـُـورى ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٥٢ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ - العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٦٤ - ٦٥ - ابن فهد : إتحاف السـُـورى ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ - ريتشارد مورتل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة ، ص ١٧٨ .

وفي سنة ٧٦٠ هـ وقع الوباء بجمال المصريين فمات منهم خلق كثير ،
كما انتقل الوباء الى قافلة اليمن ، وقد ترصد الشريف ثقبه بالحجاج اليمنيين ،
في الواديين ^(١) ، وطلب منهم جباة بطريق الظلم ، لأن الشريفين
رميئة وحميضة قد عزلا عن أمرة مكة بسبب رفضهما الحضور إلى مصر
فعزلهما السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وأرسل
إليهما جيشاً يبلغ مائتي ملوك صحبة الشريف محمد بن عطيفة ، وسند بن
رميئة ، ودعى لهما على زمزم ، وانصلح حال مكة ، ورفع عنها الجور ، وانتشر
العدل ، وأسقط العكس من المأكولات ، فجلبت الأوقات ، وتهاوت الأسعار ^(٢)

وفي سنة ٧٦٦ هـ أسقط السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن
حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ما كان يجبي على الأتعمنة
والأوقات في مكة من مكوس ، وعلى ما كان يجبي من الحجاج من مكوس ^(٣)
على ما يحملونه معهم من سلع وبضائع ، فيما عدا ما يحمله إليها تجار الكارم ،

(١) انظر الفصل الأول ، طريق الحج اليمنى ، ص ١٤٣

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ - ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٩ - ابن فهد : إتحاف

الوري ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٥٧

(٣) تجار الكارم : هم جماعة تجار الصادر والوارد بمصر وغيرها من البلاد

الإسلامية الأخرى في العصور الوسطى ، وهم كذلك أرباب المال والأعمال

المصرفية الأخرى في الشرق في تلك العصور ، وأصلهم ما زال غامضاً .

(المقرئ : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٨٣٧ - حاشية ٣) .

وتجار الهند والعراق ،وعوض أمير مكة مائة وستين ألف درهم^(١) ، وألف
أردب قمح ، وعمل ثلاثة محاضر ، بمكة واحداً ، وبالمدينة واحداً ، وبمصر واحداً . ويذكر
الفاسي وفي موضع آخر من كتابه شفاء الغرام ومن نقل عنه من المؤرخين القدامى والمحدثين
أن المبلغ ثمانية وستون ألف درهم^(٢) ، غير أن مرسوم الأشراف شعبان لا تزال
صورته على خمسة أساطين بالمسجد الحرام ، وقد صور الأستاذ محمد الفعير
صورة المرسوم من أساطين المسجد الحرام ، ونشر نصه في رسالته بعنوان
الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن
الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري .

والى القارىء نص هذا المرسوم الذى لا يزال منقوشاً حتى يومنا هذا
على خمسة أساطين بالمسجد الحرام في أكثر من موضع حيث توجد منه نسخة
عند باب الزيارة ، ونسخة عند باب الصفا ، ونسخة عند باب العمرة .

- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ - ابن تغرى بردى :
النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٨ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١/٢ ،
ص ١٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٣ - على السليمان :
العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٤ .
- (Jacques Jomier : Le Mahmal et la Caravane)
(Egyptienne des pelerins de la Mecque le)
(Caire 1953, p. 211-212.)
- (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ - السنجارى : منافع الكرم ،
ج ١ ، ورقة ٣٢٥ - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

ونسخة عند باب السلام^(١)، ويحتوى القسم الأول من هذا النص على أربعة عشر سطراً على أعمدة باب الزيارة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وهي :

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم لما كان بتاريخ يوم الاثنين المبارك الثالث من جمادى الأولى سنة ست وستين .
- ٢ - وسبعمائة برزمرسوم مولانا السلطان الملك الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام .
- ٣ - والمسلمين محي العدل في العالمين أبي الفتح شعبان بن الملك الشهيد الأُمجد جمال الدنيا والدين .
- ٤ - حسين بن السلطان الشهيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون خلد الله سلطانه .
- ٥ - بالإشارة الكريمة العالية المولوية الأميرية الكبيرة الكفيلية الأتابكية السنية يلبيغا الأُشرفي .
- ٦ - أتابك العساكر المنصورة أعز الله تعالى أنصاره بأن تبطل سائر المكوس من مكة المشرفة عن جميع الأصناف .
- ٧ - التي بها والواردة إليها على اختلاف أنواعها وما يباع بأسواقها من المأكول والمشروب والنبيّ والمطبوخ .

(١) محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري ، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٥ .

- ٨ - وجميع الحبوب من الحنطة والسيال والذرة والدخن والدقسم والحمص والأرز والعدس والشعير والدقيق وغير ذلك .
- ٩ - والتمر واللبانة والفواكه والثمار والأعشاب والبطيخ والخضروات والأعسال والأقوات والأدم والملح .
- ١٠ - والحيوانات من الأبقار والأغنام والجمال وما يصل إليها في البر والبحر من ذلك وغيره وما يؤخذ من حجاج البحر أيضاً من ساحل جدة من ساير دروب مكة المشرفة ومن نخلة والحجاز وسائر المشاعر العظام وذلك خارجاً عن ثلاثة أشياء لا يغير وسائر المشاعر العظام وذلك خارجاً عن ثلاثة أشياء لا يغير
- ١٢ - وهي تجار العراقيين وكارم اليمن والخييل خاصة ولا يؤخذ شيء قل ولا جل مما تقدم ذكره من ذلك مكين^(١) بالجملة الكافية ولا يتعرض
- ١٣ - متعرض بهذا السبب إلى صنف من الأصناف في اليوم ولا فيما بعده ويعنى رسم ما كان يستأديه من ذلك كله أمير مكة المشرفة ونوابه .
- ١٤ - ومباشروه ولا يعطى لهم بعد هذا التاريخ شيء من المكوس المذكورة بحكم تعويض أمير مكة المشرفة المشار إليه عن ذلك جميعه بما حصل الاتفاق^(٢) .

(١) هكذا وردت في النص .

(٢) محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٣٦ - ٣٧ .

والقسم الثاني من النص يحتوي على خمسة عشر

سطرا ، وهي :

- ١٥- معه عليه وهو في كل سنة مائة وستون ألف درهم تحمل إليه من بيت المال المعمور بقلعة الجبل المحروسة .
- ١٦- وتستمر هذه الحسنة على الدوام مدى المدد والا عوام باقية على تعاقب الايام ما أنشأ الا فق غمامه .
- ١٧- وأظهر البدر تمامه عملاً بقوله ، صلى الله عليه وسلم ، من أسّـتن سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة إبتغاء للأجر والثواب وقربها لبيت الله الحرام من مكان ليس يفتح به للظالم الا أبواب بحيث لا ينقطع رسم هذا المعروف ولا يمحي ويتم فضله
- ١٨- المؤلف ولا يغير حكمه ولا ينقض إسمه وملعون بن ملعون من يخالف ذلك وخنزير بن خنزير من يسلك غير هذه المصالك أو يأخذ
- ٢٠- مكسا من المكوس فيلقيه الله به من الغضب المهالك أو لا يدوم على إعتاد هذا الأمر في اليوم ولا فيما بعده أو ينقصه
- ٢١- من أمير مكة المشرفة أو من ولاية مصر المحروسة وعلى طول المدة يكمن يأبى على ممر الدهور ويحرم أخذ هذا الحرام .
- ٢٢- ليكون من قوم يحبهم الله ويحبونه ومن بدله بعد ما سمعه فانمنا ائمه على الذين يبدلونه ومن خان فبدل أو غيّر

(١) هكذا وردت في النص ، والمقصود بها " يكن " لأن النون حذفت منها .

- ٢٣- فبشر الخائنين ومن تجراً على إعادته فأولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون ومن أخذ به بعد إبطاله كان
- ٢٤- بريئاً من الله ورسوله كافرأً بهما فلا ينال من الرحمة من أمر يتولاه
يلقيه الله في الدرك الأسفل من النار وعليه اللعنة
- ٢٥- والخزى من غضب الجبار ولا يكون من ذرية رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، ولا من نسله ويحرم شفاعته ولا يرد
- ٢٦- حوض فضله فليبق ذلك الى يوم الدين ويستمر الى أن يرث الله
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين
- ٢٧- وقد التزم أمير مكة جميع ذلك ورضي بما عوضه وأشهد على
نفسه بجميع ذلك طائعاً مختاراً وحسبنا
- ٢٨- الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى
آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين .
- ٢٩- وذلك بمباشرة العبد الفقير الى الله تعالى بهادر الجمال أستاذ
الدار الملكي الأشرفي وبييغنا العلائي ومحمد الطولوني .^(٢)
- هذا وقد قام أيضاً الدكتور محمد الفعر بنشر حجة وقف السلطان
الأشرف شعبان والمو رخة بالثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ ، والمتضمنة
ما يصرف في كل سنة على الحرمين الشريفين وقدره مائتا ألف درهم ، وخمسة
عشر ألف درهم نقرة وذلك من ريع ما أوقفه في مصر من ناحية اللحسة وثلاثاد اريح^(٣)

(١) الخائنين : المقصود بها القائمين .
(٢) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٤٣ - ٤٤ .
(٣) هكذا وردت في النص .

على أن يستغل ريعهما ويصرف لأمير مكة والمدينة بشرط أنهما لا يتناولان شيئاً من المكوس المشترط عدم تناولها بحيث يصير مالاً واحداً ، ويصرف منه لأمير مكة في كل سنة مائة ألف درهم وستون ألف درهم نقرة . وتضيف حجة الوقف إلى مرسوم الأشرف شعبان في هذا الصدد والسابق ذكره كثيراً من الحقائق عن أنواع المكوس والجباة التي ألغيت عن الحجـاج والمقيمين والزائرين والمجتازين خلا تجار العراقيين واليمن وما يحضر معهم من التجارة وذلك بما يبتاع من أسواق مكة من مأكول ومشروب ونسيء ومطبوخ وعلى جميع ما يقتات به ، ويحمل إليها برأً وبحراً من غلة وحبوب وفواكه وأصـال وإدام وإبل وغنم مقابل تعويض أمير مكة عنها بذلك البلـغ وهو مائة وستون ألف درهم نقرة في كل سنة . كما تضيف حجة الوقف أن يعوض أيضاً أمير المدينة المنورة في كل سنة بمائة ألف درهم نقرة مقابل عدم تناوله شيئاً من المكوس بحيث يكون حكم أمير المدينة المنورة كحكم أمير مكة فيما شرط عليه من الشروط المعينة التي وردت في حجة الوقف بسبب إبطال المكوس وعدم التعرض إليه .

هذا ويجدر بي أن أنه أن هذا النص الخاص بتعويض أمير المدينة المنورة في كل سنة بمائة ألف درهم نقرة مقابل عدم تناوله شيئاً من المكوس بحيث يكون حكم أمير المدينة المنورة كحكم أمير مكة المكرمة فيما شرط عليه من الشروط المعينة التي وردت في حجة الوقف هذه هو النص الوحيد الذي ورد في المصادر المعاصرة سواء ما كان منها خاصاً بتاريخ المدينة أو بتاريخ مصر المملوكية عن المكوس والغائها بالمدينة المنورة طوال العصر المملوكي .

وفضلاً عن ذلك فقد تضمنت حجة الوقف الكثير من أوجه صرف ريع ما أوقفه الأشراف شعبان من أوقاف في مصر سواء على أمير مكة أو على مصالح الحرم الشريف والمرتبين في وظائفه من أئمة وفتهاء ومدرسين وطلبة ومباشرين وفراشين وبوابين وموذنين ولعن يقوم بتسبيل ما زمزم في الحرم الشريف في مكة طوال النهار ، ولسدنة الكعبة المشرفة وغيرها من وجوه الإنفاق على مصالح الحرم الشريف ، وما يوزع من صدقات على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطعين بمكة والواردين إليها (غير الروافض) على أن يقدم في الصرف أصحاب الأخصاص الذين هم بظاهر مكة ، وما يصرف لصالح الميضة المستجدة الإنشاء الكائنة بباب علي ، وعلى مصالح البيمارستان الذي استجده الأشراف شعبان ، وعلى مصالح رباط السدرة بمكة ، وللحاكم بمكة عن إنتصابه للحكم ، والفصل بين الخصوم ، ورد المظالم عن المظلوم ، وخلص الحقوق والنظر في المصالح العامة والخاصة ، وعلى مصالح مسجد الخيف بمنى ، ومساقى المياه بعرفة ، وعين جويان ، ولمشايع عرب خليص لخفارتهم الحجاج زهاباً وإياباً ، ولمشايع حنين الذين تجرى العين في أرضهم ، ولخفارتهم الحجاج زهاباً وإياباً .

ونظراً لأهمية حجة الوقف هذه بالنسبة لموضوع بحثي عامة ، سواء فيما يختص بإلغاء المكوس أو تقديم الأعطيات والصدقات والعبوات ، وتوفير المياه والأطعمة في مكة والمدينة والمشايع والأهل بها والواردين إليها من أهل السنة فقد استوجب الأمر إعادة نشرها كاملة نقلاً عن الدكتور

محمد الفهر كملحق في آخر البحث (١).

وفي سنة ٧٧٤ هـ تنازل الشريف عجلان عن إمرة مكة وأعمالها لولده أحمد ، والسبب في ذلك أنه رغب أن يكون ابنه محمد بن عجلان ضدًا لأخيه أحمد بأن يفعل في البلاد فعلًا فيظهر به محمد ويغضب به أحمد ، فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه لأنه قوى عليه ، وينال بذلك مقاصده من أحمد ، وقد حدثت مشاحنات بين أحمد وأخيه ، وفي النهاية أعتذر الشريف عجلان لابنه أحمد بشرط أن يترك له الإمرة على مال جزيل يسلمه له ابنه أحمد وعلى أن يشتري منه ألف غرارة حب ذرة ، وطلب منه ثلاثمائة ألف درهم بعضها في مقابل الإمرة ، وبعضها في ثمن الخيل ، فالتزم أحمد مقصود أبيه من المال وأحضره له ، وكذلك اشترط عليه أن يكون له الخبز الذي قرر لعجلان بديار مصر على إسقاط المكس عن ما يصل إلى مكة من المأكولات ، وعن ما يصل من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برًا وبحرًا وهو مائة ألف درهم وستون ألف درهم ، وألف أردب قمح ، وأن يديم له ذلك مدة حياته وأن يذكر اسمه في الخطبة ، والدعاء له على زمزم ،

(١) انظر نص حجة الوقف المثبتة كملحق في آخر الرسالة نقلًا عن

الدكتور محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ملحق

رقم (٣) ، ص ٥١٨ - ٥٣٣ .

(١) فالتزم إبنه بذلك وأشهد كل منهما على نفسه ، وكُتِبَ بذلك محضر .

وفي النصف الثاني من صفر سنة ٨٢٤ هـ وصل خبر موت سلطان مصر الملك المؤيد أبي النصر شيخ المماليك إلى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة فما كان منه إلا أن جعل إبنه الشريف إبراهيم حاكماً لمكة مع أخيه الشريف بركات ، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لا مير مكة ، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه ، ويبطل الرسوم التي كان قررها للأشراف والقواد في كل سنة ، وجعل الأشراف إلى إبنه الشريف إبراهيم ، والقواد إلى إبنه الشريف بركات ، وجعل له الثلث الباقي من الحاصل لا مير مكة يصرفه في مصالحه وخاصة نفسه ، فلم يتم له ذلك ، لأن القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة ، ومضى هو وإبنه الشريف إبراهيم جهة اليمن . (٢)

وفي مستهل صفر من العام نفسه وصل مرسوم للشريف حسن بن عجلان من سلطان مصر المعظفر أبي السعادات أحمد بن المؤيد الذي

(١) ابن فهد : إتحاف البصري ، ج ٣ ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

- لمزيد من التفصيل عن مرسوم الأشراف شعبان الخاص بإسقاط المكوس عما كان يجبي في مكة مقابل إعطاء شريف مكة مائة ألف وستين ألف درهم ، وألف أرب قمح انظر الفصل بتوفير الأطعمة ، ص ٢٨٧ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٤١ - ١٤٢ - ابن فهد : إتحاف

البصري ، ج ٣ ، ص ٥٧٨ - ٥٧٩ .

تولى الحكم بعد موت أبيه ، ويتضمن هذا المرسوم تفويض إمرة مكنة
للشريف حسن ولبنه بركات ، وقرى المرسوم بالمسجد الحرام يوم الأربعاء
الرابع عشر من ربيع الأول بحضرة الشريف بركات وغيره من القضاة والأعيان
يذكر فيه الأمر بمراعاة مصالح الناس بمكة ، وتعظيم أمر حكام الشرع ، والوصية
بالشيخ على الكيلاني (١) ، وإعادة ما أخذ من التجار إليهم ، وإسقاط
ما جدد من المكوسات ، وإعفاء الشريف حسن عن تكلف شيء لا مير الحج ،
ومراعاة مصالح الرعية . (٢)

ومن العام نفسه سنة ٨٢٤ هـ تولى الحكم بمصر السلطان ططر
الظاهرى الذى أبطل المكوس بمكة ، وعوض أمير مكة بدلاً منها ألف دينار
يحمل إليه سنوياً من مصر ، وسجل ذلك في الدفاتر السلطانية ، كما نقر هذا
المرسوم على إسطوانة بالمسجد الحرام جهة باب الصفا . (٣)

(١) على بن داود الكيلاني : نشأ بمكة ، وحفظ المنهاج ، وأجيز بالإفتاء
والتدريس ، ناب في قضاء مكة واستقلاً بقضاء جدة سنة ٨٣٥ هـ ،
توفى سنة ٨٤٢ هـ .

(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٤٠ - ١٤١ - شفاء الغرام ، ج ٢

، ص ٢١٠ - ٢١١ - ابن فهد : إتحاف السورى

ج ٣ ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٤ - ٧٠٥ .

(٣) مؤلف مجهول : أحوال الحرمين الشريفين ، ورقة ٣٥ - الفاسي : العقد

الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٥ - ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٢ ، حوادث سنة

٨٢٤ هـ - العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ -

وفي سنة ٨٣٠ هـ أصبحت مكة دار مكس خاصة عندما نادى مناد
يوم عرفة: يا معشر الناس من اشترى بضاعة وسار إلى غير القاهرة حل دمه وماله
للسلطان ، فأخذ التجار القادمون من جميع الأقطار يسافرون مع الركب المصرى
لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم ، ثم إذا سافروا من القاهرة إلى بلادهم البصرة
والكوفة بالعراق أخذ منهم المكس ببلاد الشام وغيرها. (١)

وفي سنة ٨٣٥ هـ عومل الركب التكرورى (٢) والمغربي أسوأ معاملة
فأخذوا المكس منهم على الخيل والثياب والرقيق المجلوبة معهم ، بل أخذوا
المكس منهم حتى على الهدايا . (٣)

== ابن فهد : إتحاف السجورى ج ٣ ، ص ٥٨١ -

الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٤ - ٧٠٥ - النهروالى :
الإعلام ، ص ٢٠٥ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية
ص ١٦٥ .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ٢ / ٤ ، ص ٧٥٥ - ابن تغرى بردى : النجوم
الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣١٠ - ٣١١ - ابن فهد : إتحاف
السجورى ، ج ٣ ، ص ٦٤٧ - الجزيرى : درر الفرائد
ج ١ ، ص ٧١٧ .

(٢) التكرورى : نسبة إلى بلاد التكرور ، وهي أحد الأقاليم الأفريقية
الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من مصر ، وقاعدتها مدينة التكرور ،
وأهلها شبه الزنوج . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ -
٢٨٧) . وبلاد التكرور هي جمهورية مالي الحالية في غرب أفريقية .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٢٦٣ .

وفي يوم السبت الخامس من ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ وصل مرسوم
السلطان الظاهر جقمق من مصر إلى الشريف أبي القاسم أمير مكة بأنه
بلغ السلطان أنك أحدثت بمكة المكوس فيجب إزالتها. (١)

وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الأول سنة ٨٥٥ هـ قرئ مرسوم
لناظر الحرم برد بك التاجي (٢) بإسقاط مكوس "بجيلة" (٣) وكتب
ذلك على باب المعللة في الثامن عشر من المحرم سنة ٨٥٦ هـ. (٤)

وفي سنة ٨٧٢ هـ أرسل الأشرف قايتباي خلعة لأمير مكة محمد بن
بركات وتأكيده لإمرته على مكة، وخلعة لقاضيها برهان الدين بن علي بن
ظهيرة (٥)، ومرسوم بقضائه لمكة، وأبطل جميع المكوس والمظالم.

(١) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٢) برد بك التاجي الظاهري : وهو من ماليك الظاهر جقمق ومن خواصه .
رقاه إلى أن صار خاصكياً ، ثم أمير عشرة ، وجعله من رؤوس النوب ،
وتوفي سنة ٨٨٢ هـ . (ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج ١ .
ص ٨٥) .

(٣) بجيلة : قرية بالبادية حول الطائف . (الفاسي : شفا الغرام ،
ج ٢ ، ص ٢٤٩) .

(٤) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ .

(٥) برهان الدين بن ظهيرة : تولى القضاء سنة ٨٦٢ هـ ، اشتغل بنظارة
الحرم وقضا مكة ، وكان سلاطين مصر وأشراف مكة يقربونه لعلمه الواسع ،
وله عدة اشتباكات مع الأشرف قايتباي ، وتوفي سنة ٨٩١ هـ .
(ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٨٩١ هـ) .

ونقر ذلك على إسطوانة بباب السلام بالمسجد الحرام . (١)

هذا ولم تذكر لنا المصادر المعاصرة شيئاً عما كان يجب في مكة
من مكوس ومظالم ، أو عن إلغائها بعد ما أمر به السلطان قايتباي سنة

٨٧٢هـ .

- (١) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ -
العصامي : سبط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٤٣ - النهروالي :
الإعلام ، ص ٣٢٣ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ١٢٤
السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١١ - زيني دحلان : خلاصة
الكلام ، ص ١٥٠ - أنورشكري : لوحان أثريان ، ص ٣٦ - محمد الفهر
: الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٥٩ .

٢ - جباية المكوس بجدة :

بعد أن قضى الظاهر بيبرس حجه وسافر إلى مصر عاد الخلف
بين الشريف أبي نعي وعمه إدريس والذي انتهى بقتل الشريف إدريس ،
وقد كتب الشريف أبو نعي إلى السلطان الظاهر بيبرس يبر فيها أعماله ،
خاصة وأن بيبرس شرط على أبي نعي إلقاء المكوس مقابل عشرين ألف درهم
تقدمها مصر سنوياً . (١)

إلا أن أبا نسي عاد مرة أخرى إلى إعادة المكوس، وكان له عامل بجدة يقبض له مكوسها وضرائبها التي تؤخذ من الحجاج فقد شاهد ذلك الرحالة المغربي التجيبي في رحلته سنة ٦٩٦ هـ لا "دا" فريضة الحج، فعن جدة يقول: " وبهذه المدينة عامل من قبل الشريف الأمير نجم الدين أبي نسي الحسن ملك مكة، شرفها الله تعالى، وأعظم بذلك أجورهم أخذ من غنائم الطعام نحو ربع كل غرارة، وألزم أيضاً من كان له متاع أن يؤدى ضريبة أخرى على المتاع، ولهم أيضاً ضريبة أخرى على الجمال التي يكثرها الحجاج

(١) المقریزی : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٧٩ - ابن فهد : إتحاف السوری ، ج ٣ ، ص ٩٩ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٥٥ - ريتشارد مورتل ، الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ١٧٦ .

(١)

لركوبهم ، وحمل متاعهم وأزوادهم ، ورفع جميع ذلك للشريف أبي نسي .

وكانت المكوس نقطة الخلاف بين سلاطين الممالك الجراكسة ، وبين أمراء مكة بسبب تدخل سلاطين الممالك في جباية مكوس الحجاج والتجار معا ، وهو أمر لم يكن له عادة أو سابقة من قبل ، فنهى كانت خالصة لأمراء مكة لا يشاركون فيها أحد . (٢)

وقيل أن أستعرض موضوع المكوس بجدة ، علي أن أوضح في نبذة بسيطة أسباب تحول التجارة من ميناء عدن إلى جدة ، وسبب إزدهار هذا الميناء . ففي خلال القرن السابع الهجري كانت تجارة الشرق تمر عبر عدة طرق تجارية هامة منذ القدم ، وهو الطريق البري الذي يمر عبر أواسط آسيا حتى بحر آزوف ، وطريق الخليج العربي ، وطريق البحر الأحمر . وبسبب السياسة الحكيمة التي اتبعها خانات المغول بعد أن دانت لهم معظم القارة الآسيوية ، وبسبب إستتباب الأمن في أنحاء دولتهم وتأمين طرق القوافل ، وتخفيض الرسوم الجمركية ، والترحيب بتجار الفرنج في بلادهم ، وتيسير سبل الانتقال لهم والترحال عبر بلادهم إلى الهند والصين ، وتحسين علاقاتهم مع الصليبيين في الشام ، كل ذلك قد أدى إلى إزدهار

(١) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،

الحركة التجارية عبرالخليج العربي ،وبلاد العراق وأرمينية ،وأذربيجان .
إلا أن حروب تيمورلنك المدمرة كانت سبباً في إقفال الطريق التجارى الذى
يربط شبه جزيرة القرم بالصين ،وكذلك طريق الخليج العربى عبر
العراق وأرمينية ،وأذربيجان والبحر الأسود ، فلم يكن يهم تيمورلنك غير
إزدهار الحياة الإقتصادية فى خراسان ،وبلاد ما وراء النهر ،ولذلك حرص
على إبقاء الطريق التجارى الذى يربط سمرقند عاصمة دولته بالهند .
وإذا أنتقلنا إلى البحر الأبيض نجد الصراع بين جمهوريتى جنوه والبندقية
من أجل السيطرة على المنافذ التجارية المطلة عليه ،والتي تنتهى إليهما
تجارة الشرق . (١)

كما ساعدت حركة ملاحه مراكب الصين فى بحار الجنوب فى أواخر
القرن الرابع عشر على إزدياد تدفق متاجر الشرق الأقصى إلى عدن والبحر
الأحمر ، فقد تدفقت هذه المراكب منذ أوائل هذا القرن إلى الإبحار
إلى عدن بصحبة المراكب الهندية ،ولم تكن تتعدى فى ملاحتها غرباً ميناء
حلى على الشاطئ الجنوبي الشرقى للهند ، غير أنه بعد أن اعتلت
أسرة منج عرش الصين سنة ١٣٢٨م ٧٨٠هـ عادت مراكب

(١) أحمد دراج : إيضاحات جديدة عن التحول فى تجارة البحر الأحمر
منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ،الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية - ١٩٦٨ م ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١) الصين إلى عدن ، وميناء هرمز .

وإذا كانت سياسة خانات المغول قد أدت إلى اقلال النشاط التجاري عبر عدن والبحر الأحمر خلال القرن السابع الهجري ، فإن بنى رسول باليمن قد بذلوا كافة جهودهم لاستعادة النشاط التجاري مرة أخرى بعدن ، وكان ذلك على يد السلطان المؤيد أثناء زيارته التفتيشية بعدن ، فقد أمر بإلغاء الرسوم غير الشرعية التي تجبى من التجار ، كما أوصى بحسن معاملة التجار وإكرامهم أثناء إقامتهم بعدن . (٢)

كما أزال الملك الأشرف سلطان اليمن أسباب الشكوى التي يشكو منها التجار الهنود ، وألغى الأتاوات والمقررات الجائرة التي كانت تجبى زيادة على الرسوم المقررة من التجار ، كما عين أحد تجار الكارم اليمنيين ليكون مشرفاً على الحركة التجارية ، مما كان سبباً في زيادة النشاط التجاري والإيرادات ، وساعد أيضاً على إزدهار الحركة التجارية تحسين سلاطين بنى رسول علاقاتهم مع ملوك وأباطرة الشرق الأقصى . غير أن إزدهار الحركة التجارية بعدن لم يدم لسوء معاملة سلطان اليمن الناصر صلاح الدين أحمد للتجار الهنود والصينيين ، وجشعه في جباية الرسوم منهم ، بل إن الأمر تعدى إلى تجار الكارم من اليمنيين ، مما جعلهم يتحولون عن عدن إلى جدة ، وشواطيء الهند . (٣)

(١) أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وبذلك تخطى أحد كبار تجار الهنود وإسمه إبراهيم ميناء عدن
، وبحث عن ميناء آخر في البحر الأحمر يرسو فيه بسفينته ، وهذا ما سأوضحه
فيما بعد .

وبذلك تحولت التجارة إلى جدة بدلاً من عدن ، وبسبب هذا التحول
لتجارة الشرق الأقصى تغيرت موازين القوى السياسية ، واخضعت مصر جدة
للإدارة المصرية^(١) ، كما دفع سلطان اليمن الملك الأشرف إسماعيل إلى
إتباع سياسة الضغط الإقتصادي على أشرف مكة ، وسلاطين الماليك
وذلك بتحويل السفن التجارية اليمنية إلى ميناء سواكن بدلاً من جدة^(٢) .

غير أن اليمن لم يكن في وسعها الإستمرار في سياسة المقاطعة
الإقتصادية هذه بجدة ، لأن الجانب الأكبر من تجارة الشرق الأقصى كان
يأخذ طريقه إلى الموانئ المصرية والشامية ، ولذلك نجد الملك الأشرف
سلطان اليمن يغير من سياسته ويتودد إلى سلاطين الماليك^(٣) .

لكن العلاقات بين سلاطين مصر وسلاطين اليمن ساءت ، كما أن معاملة
سلطان اليمن للتجار وجشعه في جباية الرسوم من تجار الهند والصين

(١) أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٩٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

ومصر خاصة جعل التجار يفرون بأموالهم إلى موانيء الهند وميناء جدة (١) .
وبذلك أصبحت جدة القاعدة الرئيسية لتجارة الشرق الأقصى . كما أدت سوء
معاملة الشريف حسن بن عجلان للتجار إلى أن يستغل سلاطين الماليك هذا
التحول التجاري لصالحهم ، فيخضعون ميناء جدة لإدارتهم المباشرة ، وأصبحت
سيادتهم عليها سيادة فعلية بعد أن كانت إسمية ، بها دوائر إدارية
ومالية تتمثل في ناظر جدة ، ومباشر لتحصيل الضرائب والمكوس ، وأعوان
له لإصلاح الميناء والعناصر الأخرى (٢) . كما أبعدوا أمير مكة عن جباية
المكوس بجدة ، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من هذا ، فقد قاموا بإحتكار هذه
التجارة نظراً لما كانت تعود به عليهم من مكاسب وثروات آجلة كانت مصر
في أمس الحاجة إليها في هذه الفترة بسبب سوء أحوالها الاقتصادية .
غير أن إحتكار هذه التجارة وإن كان قد حقق لمصر ولخزائن سلاطين الماليك
أرباحاً وافرة ، إلا أنه عاد على البلاد بأوخم العواقب ، وكان هذا عاملاً
رئيسياً في سقوط الدولة المملوكية (٣) . ولنباحول أن نتبع في المصادر المعاصرة
جباية أمراء مكة ثم سلاطين الماليك الجراكسة للمكوس على ما كان يجره
إلى جدة من سلع ومضائع .

(١) ابن فهد : إتحاف السـوري ج ٣ ، ص ٦٢١ -

أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ٢٠٤ - على السليمان :

العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٦ .

(٢) المقرئزي : السلوك ، ج ٢ / ٤ ، ص ٢٢٩ .

(٣) أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وفي سنة ٧٥٢ هـ جاءت مراكب أهل اليمن إلى جدة فجابههم الشريف ثقبه وأخواه سند ومغامس جباً عنيفاً ، وأخذ منهم أموالاً كثيرة ، وحريراً ورقياً ، ومنعهم أن يحملوا أمتعتهم إلى مكة .^(١)

وفي سنة ٧٥٤ هـ أخبر الحاج أن الشريف عجلان مضى قبل قدوم الحاج من مكة يريد جدة لأخذ مكس التجار الواردة في البحر ، فبعث إليه ثقبه يريد نصيبه فرفض عجلان أن يعطيه شيئاً ، فركب إليه ولقيه ، فلما نزلوا غدر ثقبه بعجلان وقبض عليه وسلمه لمن يحفظه ، وركب لأخذ أموال عجلان من وادي نخلة ، إلا أن الموكلين بعجلان أطلقوا سراحه ، وعند قدوم الحاج لم يدرك ثقبه عجلان .^(٢)

وبسبب الدور الذي لعبه الشريف عجلان في أسر الملك المجاهد سلطان اليمن وهو في منى سنة ٧٥١ هـ ، ثم نقله إلى مصر ليسجن بها ، فقد أخذ الملك المجاهد موقفاً من الشريف عجلان ، فما كان منه سنة ٧٥٥ هـ إلا أن منع تجار اليمن من الوفود إلى جدة ، ولكنهم لما عادوا إليهم

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٩٦ - ج ٦ ، ص ٦٢ - ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٧٥ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي ، ص ١٧٧ .

(٢) المقرئ : السلوك ، ج ٣ / ٢ ، ص ٨٨٧ - ٨٨٨ .

في السنة التالية تعرضوا للنهب والسلب من الشريف ثقبه ، وأخويه سند ومفامس بسبب نزاعهم مع الشريف عجلان على إمرة مكة ، بل أنهم استولوا على جميع بضائعهم . (١)

(٢)
وفي سنة ٧٢٢ هـ قام الشريف سند بن رميثة بالإستيلاء على جلبة كانت راسية بمينا* جدة تحمل بضائع التجار بن عرفة ، ووزع هذا المال بينهم ، وحدث ذلك أثناء غيبة الشريف عجلان بحلق بني يعقوب . (٣)
ولما تولى الشريف حسن بن عجلان إمارة مكة حرص على إجتذاب التجار إلى جدة ، ففي سنة ٧٩٩ هـ ألغى ثلث الضرائب التي كانت تؤخذ من التجار في جدة ، وأهتم بإعادة الأمن والإستقرار إلى إمارته ، وكانت

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٦٥ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية في العصر المملوكي ، ص ١٢٨ .

(٢) جلبة : جمعها الجليات والجلاب وهي السفن التي لا يستعمل في بنائها المسامير المعدنية وهذا النوع من السفن يستخدم في البحر الأحمر . (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ١٩٠) .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ - العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ ، ج ٦ ، ص ٦٩ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ١٢٨ .

وفي صفر سنة ٨٢١ هـ وصل تجار من اليمن أكثر من كل سنة إلى جدة ،
وكان دخولهم بإذن سلطان اليمن ، وسألهم الشريف حسن في المكس المتعلق
بحمل السلطان ومضوا لبلادهم سالمين . (٣)

(١) المِثقال : اسم لما ثقل سواءً كبيراً أو صغيراً ، وصار في عرف الناس اسماً على الدينار ، ويرجع إطلاق المِثقال على الدينار في العصر الإسلامي إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ بعد إصلاحه نظام النقد في الدولة الأموية إذ جعل المِثقال وحدة الذهب ، وقرر أن يكون وزن الدينار مثقالاً واحداً أي ٦٥ ر ٦٥ حبة أو ٢٥ ر ٤ جرام . (المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٤٩) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٢٢ - ابن فهد : إتحاف
الـــــــــــــوري ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ - ريتشارد مورتيل
: الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة ، ص ١٨٢ -

(۳) ابن فہد : إتحاف الـوری ج ۳ ،

• ۵۵۵ ص

وفي شوال سنة ٨٢٢ هـ وصلت الجلاب من اليمن ، فتحصل للشريف
حسن بن عجلان مبلغ جيد ، ثم وصلت المراكب الكارمية إلى جدة ، فصالحهم
(١)
الشريف حسن على عشرة آلاف أفلورى بعد وصوله إلى مكة لملاقة الحجاج .

وفي سنة ٨٢٣ هـ وصلت رسالة عتاب إلى الشريف حسن بن عجلان
من سلطان مصر الملك المؤيد شيخ لمنع الشريف حسن بعض المراكب
المتوجهة من جدة إلى ينبع ، ينكر في رسالته بعض الأمور على أمير مكة
منها أخذه المقرر من التجار السلطانية لأن بها حملاً سنوياً لصاحب مصر ،
وشراء أمير مكة في العام الماضي جميع ما يرد إلى جدة من الحب والتمر وخزنه
ثم بيعه للناس ، وعدم إرساله العشرة آلاف دينار المتبقية عليه للخزانة
السلطانية المؤيدة التي ألزم بها حين عين أميراً مكة سنة ٨١٧ هـ .
(٢)

وفي نفس العام حصل بجدة خلل في بعض مراكب الكارم عندما
عزموا من جدة إلى ينبع فأمرهم الشريف بالتنجيل (٣) ، فصالحوه على

(١) ابن فهد : إتحاف السورى ج ٣ ، ص ٥٦٥ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٣٧ - ابن فهد : إتحاف

السورى ج ٣ ، ص ٥٦٥ - على السليمان :

العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٥ .

(٣) التنجيل : إنزال التجارة من السفن إلى البر ، وهي كلمة شائعة

على السنة أهل جدة . (ابن فهد : إتحاف

السورى ج ٣ ، ص ٤٠٨ ، حاشية (٢) .

وفي سنة ٨٢٦ هـ صدر الشريف حسن بن عجلان فلفل التجار
الواصلين إلى جدة من الهند، فهدده السلطان، ولكن لم يهتم بذلك. (٢)

ونتيجة لسوء المعاملة التي لقيها التجار من السلطان اليمني
الناصر أحمد بعدن ، فقد أتجه تاجر هندي من مدينة كاليكوت ^(٣) ، اسمه
إبراهيم جا ، بسفينته سنة ٨٢٥ هـ متجهاً كالعادة نحو ميناء عدن ، فيمر
أنه في هذا العام تعدى عدن وجور إلى جدة لأن صاحب اليمن كان
يسئ معاملة التجار . ولما أرسى بسفينته بجدة أستولى شريف مكة
على ما بها من بضائع وطرحتها على التجار . فلما كان العام التالي أرسى
بميناء سواكن ^(٤) ولجزيرة دهلك ، إلا أنه عومل فيها أيضاً أسوأ معاملة .

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٣٦-١٣٧ - ابن فهد: إتحاف
الـ_____وري، ج٣، ص٥٧١.

(٢) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٦ .

(٣) كاليكوت : هي ولاية من ولايات الهند ، وتطلق على حاضرة الولاية
حكامها سامريون كفار ، ويعيش المسلمون بجانبهم ، ويجلب منها
الفلل والبهار . (ابن فهد : إتحاف السـُـورى ،
ج ٤ ، ص ٣ ، حاشية (١) .

(٤) سواكن : تقع على ساحل البحر الأحمر ، وقد وصفت بأنها جزيرة فعلاء ،
يوصلها بالشاطئ " لسان ضيق " من الأرض . (المقریزی : السلوك ،
ج ١ / ٢ ، ص ٥٠٦ ، حاشية ٢) .

وفي العام الذي بعده جاء إلى البحر الأحمر، إلا أنه مربجدة متهجاً نحو ينبع، فلما علم بذلك أمير الركب المصري، وتصادف وجوده في ذلك الوقت، أرسل إليه يتلطفه وانتهى الأمر بأن قبل إبراهيم تطفه وأرسل بجدة بمركبين . وفي هذه المرة عومل معاملة حسنة، وعاد إلى بلاده شاكراً، ثم عاد في السنة التالية سنة ٨٢٨ هـ ومعه أربعة عشر مركباً موسوقة بالبضائع، وذلك أصبحت جدة المركز الرئيسي لهذه التجارة بدلاً من عدن (١).

وفي جمادى الأولى سنة ٨٢٨ هـ وصل الأمير قرقماس الشعباني الناصري (٢)، والشريف علي بن عنان إلى مكة المشرفة، فدخلها بغير قتال بعد أن نزع عنها الشريف حسن بن عجلان، ووصلت عند دخول علي بن عنان إلى جدة مركبان من الهند، فتوجه إلى جدة لتعشيرها،

(١) الفاسي : للعقد الثمين، ج ٤، ص ١٤٨ - المقریزی : السلوك ، ج ٢/٤، ص ٦٨١ - ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣، ص ٦٠٦ - إبراهيم طرخان : مصرفي عهد دولة العماليك الجراكسة، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٨٧ .

(٢) قرقماس بن عبدالله الأتابكي الشعباني الناصري فرج الأمير الكبير سيف الدين، ولي الدوايرية الثانية بعد موت المؤيد شيخ وصار مقدم ألف، وأمير مائة سنة ٨٢٧ هـ، ونيابة حلب، ثم إمرة سلاح، قتل بالإسكندرية سنة ٨٤٢ هـ . (ابن تغري بردي : الدليل الشافي، ج ٢، ص ٥٤٢) .

وفرح بذلك لأنه يستعين بذلك على حاله (١).

أما فيما يختص بجباية العشر بجدة في عهد السلطان برسباي ، فقد أمر السلطان بجباية العشر (٢) مالا سنة ٨٢٨ هـ ، ثم صنفاً سنة ٨٣٢ هـ ، فضلاً عن مزاولته المتجر عندما بدأ تنفيذ سياسته الإحتكارية لتجارة الشرق والغرب ، وربما لم يلجأ برسباي إلى إستصدار فتوى تجيز له جباية العشر بجدة ، لأنه لم يوفق سنة ٨٢٧ هـ في الحصول على موافقة القضاة والفقهاء بجباية الزكاة من التجار المحليين بسبب حاجته إلى المال لتجهيز حملة عسكرية ضد أحد الأمراء المتمردين عليه في الشام ، فقد رد عليه قاضي قضاة الشافعية بأن التجاريون دون إلى السلطنة من المكوس أضعاف (٣) مقدار الزكاة ، وفضلاً عن ذلك فهم مأمونون على ما تحت أيديهم من الزكاة .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٦٦٣ - ابن حجر : انباء الغمر

ج ٣ ، ص ٣٢٦ - ابن فهد : إتحاف السورى

ج ٣ ، ص ٦٠٦ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٨ .

(٢) العشر : جمعها عشور ، وهي الرسوم التي تؤخذ على اموال وعروض

تجارة أهل الحرب ، وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام

وأول من وضعها عمر بن الخطاب . (أبو يوسف : الخراج ، ص ١٢٧ .

(٣) أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباي

ومحمود شاه خليجي ، سلطان مندوة بالهند ، بحث منشور في مجلة

معهد المخطوطات العربية - المجلد الرابع ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

هذا وقد أنكر شاه رخ سلطان التيموريين فيما بعد على السلطان برسباى
اخذ المكوس بجدة من التجار وهو ما لم يسبق به عادة لأحد من
السلطين قبله. (١)

وقد أرسل السلطان برسباى يوم الأحد ربيع الآخر سنة ٨٢٨ هـ
صحبة أرنىغا اليونسى الناصرى (٢) مائتي مملوك ، ومعهم سعد الدين
ابن العرة أحد الكتاب لجباية المكوس على السفن الهندية الآتية إلى
جدة وعددها أربعة عشر مركباً ، وعشورها تزيد على سبعين ألف دينار ،
الأمر الذى جعل من جدة مدينة مزدهرة على حساب إضمحلال عدن ، وكان
ذلك بتدبير يشبك الساقى (٣) ، بسبب نفيه من قبل المؤيد شيخ إلى مكة ،

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٣٣٨-٣٣٩- ابن فهد :
إتحاف السالكين ، ج ٤ ، ص ١١٢-١١٣- على السليمان :
العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٨ .

(٢) أرنىغا بن عبدالله اليونسى الناصرى فرج أخو سونجىفا من جملة
أمراء الطبليخانات بالقاهرة ، وهو الأكبر ، وتوفى سنة ٨٥٧ هـ بعد
أن تقدم ألف . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ١١١) .

(٣) يشبك بن عبدالله الأمير الكبير الساقى الأعرج الظاهرى ، اشتراه
برقوق ، وهو شاب ، ثم تأمر فى أول دولة الناصر فرج ، فنفاه المؤيد
شيخ إلى مكة ، وكان من كبار القائمين بدولة الأشرف برسباى ، ومن
خيار الأمراء محبا للحق ، كثير العبادة والديانة ، توفي سنة ٨٣١ هـ .
(ابن حجر : انباء الفهر ، ج ٣ ، ص ٤١٧) .

ولذلك أرسل السلطان في نفس العام تجريدة عسكرية قوامها خمسون مملوكاً لتقوية ناظر جدة سعد الدين بن المرة في تحصيله المكوس بجدة ، لأن الأشراف طالبوا الأمير شاهين العثماني بجزء من المتحصل ، إلا أن السلطان برسباي تنازل عن ثلث ما كان يجبي في جدة من مكوس للشريف بركات لأنه خشى غضب الأشراف بمكة ووقوع فتن ضده إذ لم ينس أن أمير مكة كان يأخذ جميع المكوس دون إشراك أحد معه ^(١) .

وقد رضي أمير مكة بذلك عندما وصله في أواخر جمادى الآخرة أو أول رجب سنة ٨٣٢ هـ مرسوم سلطاني صحبة سعد الدين بن المرة في ركب الرجبية بالإنعام عليه بثلث المتحصل من عشر تجارة الهند الواصلة إلى جدة ^(٢) . وكان المرسوم يقضي أيضاً بأنه بعد موسم الحج يجب على التجار التوجه إلى القاهرة ببضائعهم لاخذ العكس منهم ، وقد نالهم

(١) ابن حجر : أنباء الفخر ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ - ابن تفرى بردى : النجوم

الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٧٨١ - ابن فهد : إتحاف السورى ،

ج ٤ ، ص ٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٨ - على

السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٧٩١ - ابن حجر : أنباء الفخر ،

ج ٣ ، ص ٤٢٣ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ،

ص ٢٦ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ١٤٥ - ١٥١

- الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٨ - السنجاوى : منافع الكرم

ج ٢ ، ورقة ٣ - الرشيدى : حسن الصف

والإبتهاج ، ص ١٤٣ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

وفي الثاني والعشرين من شوال سنة ٨٣٥ هـ وصلت عدة زنوك^(١) من الصين إلى سواحل الهند ، وأُرسِي منها إثنان بساحل عدن ، فلم تنفق بضائعهم من الحرير والعسك وغير ذلك لإختلال حال صاحب اليمـن ، فاستأذن في سير هذين المركبين إلى جدة الشريف بركات أمير مـكة وسعد الدين بن المرة ناظر جدة ، فأذن لهما بالدخول إلى جدة لكثرة ما يتحصل منها من مال^(٢) .

وفي سنة ٨٣٦ هـ سافر أسنبغا العبادي^(٣) إلى جده لتحصيل المكوس الهندية ، وأُرسل معه سعد الدين بن المرة كعادته ، وسافر معه جماعة من المجاورين والتجار^(٤) .

(١) زنوك : لعلها الجنوك ، وهي مراكب الصين الكبيرة ، ويتراوح عدد ما بها ما بين ثلاثة وإثنى عشر قلعاً ، وتتكون القلاع من عيدان الخيزران منسوجة كالحصير . (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٣٣٦) .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٦٢ .

(٣) اسنبغا بن عبدالله الناصري : الأمير سيف الدين رأس نوبـة النوب ، وهو من عتقاء الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب ، خدم عند الأمير سودون الطيار ، فعرف به ، وتوفى في ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافعي ج ١ ، ص ١٣٢) .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٠١ .

وفي سنة ٨٣٨ هـ أصدر السلطان برسباي مرسوماً بالتفرقة بين
تجار الهند واليمن والشام ومصر، وقرر أن يؤخذ العشر من تجار الهند ،
وأما الشاميون والمصريون الذين يجلبون سلعاً من اليمن فعليهم عشرين،
وأما تجار اليمن فتؤخذ بضائعهم لحساب السلطان دون ثمن انتقاماً من
صاحب اليمن الملك الأشرف إسماعيل بن رسول^(١) . وسبب ذلك أن تجار
الهند منذ سنين صاروا عندما يعبرون باب المندب يعدون ميناء عدن
حتى يرسوا بساحل جدة فأقفرت عدن من التجار، وصارت جدة هي
بندر التجار، كما كان يحمل من قبل سلطان مصر المرجان والنحاس
وغير ذلك مما يحمل إلى بلاد الهند، فيطرح على التجار مما تسبب في
ضييق جميع التجار، فنزلت جماعة منهم بميناء عدن، ففضب السلطان
عليهم وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وجاء بها إلى جدة
إن كان من الشاميين أو المصريين أن يضاعف عليه العشر عشرين، وإن كان
من أهل اليمن تؤخذ بضاعته دون ثمن^(٢)، وقرئت هذه المراسيم

(١) المقرئ : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٧٢٤ - ابن حجر : أنباء الغمر ،
ج ٣ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ - ابن فهد : إتحاف السـورى ،
ج ٤ ، ص ٦٢ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،
ص ١٦٢ .

(٢) المقرئ : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٦٨١ - ابن حجر : أنباء الغمر
ج ٣ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ - ابن فهد : إتحاف السـورى ،
ج ٤ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

حتى جعل تجار الهند جدة بعد ذلك مرسى لهم بسبب حماية السلطان لتجارتهم، ورغبتهم في دفع العشر له . فهل يجوز للسلطان أخذ ذلك ؟ فإن السلطان يحتاج إلى إرسال عسكر لمكة وجدة لحمايتهما، وهذا يكلفه الكثير من الأموال، فلا بد من أخذ العشر، وصرفه على هذه المصالح. (١)

وفي صبيحة يوم السبت تاسع رمضان من العام نفسه قرئت مراسيم من قبل السلطان جقمق بالحرم الشريف تتضمن أن جميع الجلاب الواسلة في البحر إلى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة عليها إلا الربع ، وأن الثلاثة أرباع لصاحب مصر، وأن من مات بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء* ، ويكون جميع ميراثه لصاحب مصر، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة. (٢)

(٣) وفي العام نفسه وصل مرسوم مع أمير الحج شادى بك الجكمسى

(١) المقريزى : السلوك ، ج ٤ / ٣ ، ص ١١٨٧ - ١١٨٨ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ١١٢ - ١١٣ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ، ص ١١٢٧ .

(٢) ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ١١٠ -

السنجارى : منائح الثرم ، ورقة ٤ - ٥ .

(٣) شادى بك الجكمسى : أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، ثم نائب حماه ، أصله من ممالك جكم نائب حلب ، اتصل بخدمة الأمير ططر ، فلما تسلطن رقاہ حتى صار أمير طبلخانة ، وثاني رأس نوبة ، ثم نائب

أن لا يؤخذ على التجار الوافدين إلى جدة سوى العشر، ويبطل ما دون ذلك مثل عشر رسوم المباشرين وغيره .^(١)

وفي سنة ٨٤٦ هـ جمع الشريف بركات التجار وطلب منهم أربعة آلاف دينار ضريبة على كل مركب، فاحتجوا على ذلك بأن أحجام المراكب مختلفة، منها الكبير ومنها الصغير، ولكنه تمسك برأيه، وطلب منهم مائة ألف دينار، وعرضوا عليه نصف العشر الذي يقدر بحوالي أربعين ألف دينار، ولكنه رفض ذلك، غير أنه ما لبث أن تراجع عن ذلك على أثر سماعه بقدم أخيه الشريف علي بن الشريف حسن بن عجلان على رأس عسكر إلى جدة .^(٢)

وفي سنة ٨٤٨ هـ حصل خلاف بين الشريف أبي القاسم أمير مكة وبين الشريف بركات بن حسن بسبب إعتداء بركات على عرب مطير وأخذ أموالهم ومواشيهم، وقد جمع له أمير مكة جمعاً من الأشراف وغيرهم، ولكن

=== الرها، ثم عزل وأنعم عليه جقمق بإمرة مائة، وتقدمة ألف وتوفى سنة ٨٥٤ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠) .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ٤ / ٣ ، ص ١١٩٣ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ١١٠ - ١١١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٢٧ - الكردى : التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

(٢) ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، حوادث سنة ٨٤٦ هـ السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٤٠ - ٤١ .

النزاع انفض بينهم بسبب تدخل الشيخ عبد الكبير الحضرمي^(١)، واتفقوا على أن يعطوا بركات ألفي افلورى، ألفا حاضرة والالفا أخرى على دفعتين ،خمسمائة في شوال ،وخمسمائة في ذى القعدة ،وثمانية آلاف مرهونة عنده في ثلث المتحصل من جباية جدة ،وأن يقيم بعض من يثق به ليجبي له ثلث المتحصل ،وأن القائد بدير الحسنى^(٢) ،وعبيد السيد الشريف بركات على رسومهم ،وأن جليلة القائد على بن شكر الحسنى^(٣) مطلقة من العشور لسنة كاملة ،وأن المال الذى أخذه الشريف بركات من عرب مطير جعل الثلث على الشريف بركات ،وثلث على الشريف أبي القاسم ،

(١) عبد الكبير بن عبدالله الحضرمي ،ولد سنة ٧٩٤ هـ بحضرموت ،ساح في البرارى عشرين عاماً ،حج سنة ٨٢١ هـ ،وزار النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة ٨٢٧ هـ ورجع لبلاده . قدم مكة سنة ٨٤٩ هـ للحج ،وابتنى زاوية بمكة ،وتوفى سنة ٨٥٢ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٢) بدير الحسنى : ويسمى أحمد بن شكر شهاب الدين الحسنى ،ولد سنة ٨٠٧ هـ أو سنة ٨٠٩ هـ ،وتوفى سنة ٨٦٩ هـ ،وكان قائماً بأعمال محمد بن بركات ، فوشى بينهما سنة ٨٦٤ هـ ، فنزح إلى الينبوع ،ثم أصلح بينهما سنة ٨٦٧ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤) .

(٣) على بن شكر الحسنى مولى حسن بن عجلان المكي أحد كبار القواد المتولين ،توفى بمكة سنة ٨٥٨ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٣) .

وشلت تتركه العرب ، واتفقوا على ذلك (١) .

وفي سنة ٨٤٩ هـ تولى جاني بك (٢) نيابة جدة ، ولم يتخلف
عن هذه الوظيفة لعدة سنوات ، وإنما تخلف عنها اضطراراً في بضع سنوات ،
ويمكن الجزم بأنه واصل الذهاب إلى جدة فترة وصول المراكب الهندية
دون إنقطاع ابتداءً من سنة ٨٥٩ هـ حتى سنة ٨٦٧ هـ مع إقامته بمكة
سنة ٨٦٣ هـ بعد إنقضاء الموسم التجاري ليتسنى له تأدية فريضة الحج ،
وكان نفوذه بالحجاج يزداد اضطراباً بازدياد نفوذه بمصر ، ففدا حاكم
الحجاز الفعلي . وقد ذكره أبو المحاسن فقال عنه : « ثم سافر إلى
بندر جدة وهو أمير مائة ، ومقدم ألف في سنة ٨٦٥ هـ . وقد صار هو
المتصرف في البلاد الحجازية بتمامها وكما لها ، وإليه أمرها في الولاية
والعزل من صاحب مكة إلى من دونه على أنه كان له على هذا الأمر
سنون ، وقد كاتبه أكابر الملوك من بلاد الهند وغيرها من أيام الظاهر

(١) ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) جاني بك الظاهري جقمق الجركسي الدوادر شاد جدة أصله
بجرباش المحمدي الناصر ، ثم اشتراه الظاهر سنة ٨٣٧ هـ صار
خاصكياً ثم شاد جدة سنة ٨٤٩ هـ فنهض بخبرته في الظلم
لما لم يصل إليه من قبله ، وعاد بشي * كثيره للسلطان حتى قيل
نائب جدة ، وصار من أمراء الطبليخانات ، ملك القرى والضياح .

() (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٥٧ - ٥٨) .

حقق إلى يومنا هذا بعدة مكاتبات وفتت أنا على بعضها قديماً ما بين
نظم ونثر». بل أن النقش التذكاري الذي لا يزال موجوداً على جامعة
بالقاهرة ابلغ من هذا النص للدلالة على عظم نفوذه بالحجاز، إن نجد
اللقب "نائب السلطنة الشريفة بالأقطار الحجازية" أبرز الألقاب التي وردت
بهذا النقش^(١). وفي الوقت الذي يبالغ فيه ابن تغري بردي في إسداء
المديح عليه، نجد السخاوي على النقيض منه، ويحمل رأيه فيه في هذه
الجملة القصيرة البليغة، فيقول عنه: «انه نهض في النيابة بجدة
بخبرته في الظلم لما لم يصل إليه أحد من قبله، ومحاسنه كثيرة وهذا أكثر
وأفحش». ويسوق السخاوي على سبيل المثال ما حدث سنة ٨٥١ هـ لجماعة
من التجار تخلفوا عن النزول إلى جدة، والتجأوا إلى المسجد الحرام يشكون
حالهم إلى القضاة الأئمة، بل ذهب بهم الأمر إلى أن رفعوا المصاحف
على رؤوسهم، وظلوا يطوفون بالكعبة اسبوعاً، وعندما انعقد المجلس بالمسجد
الحرام لسماع شكواهم، قالوا للقضاة إن حال الأمير وفعله بجدة لا يخفى
عنكم وقد ظلمنا وأخذ جانباً عظيماً من أموالنا، وتركنا البيع والشراء والنزول
إلى جدة لذلك، ولكن بالرغم من ذلك قبض عليهم وأرسلوا مكليين

(١) أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباي
والسلطان محمود شاه خلجي سلطان مندوه، ص ١٠٤.

بالحديد إلى الأمير بجدة (١).

وفي يوم الأحد عاشر شهر رمضان سنة ٨٥٩ هـ أقر السلطان الشريف محمد بن بركات في إمرة مكة بسفارة جاني بك الظاهري نائب جدة ، وتم أمر ولايته بمكاتبته على خمسين ألف دينار يحمل منها عاجلاً عشرين ألف دينار ، وما بقي يكون على دفعات بخلاف ما يدفعه للسلطان ولولده ولزوجته بالديار المصرية (٢).

ولما تعاظم سلطان نائب جدة جاني بك الظاهري ، وازداد ظلمه في معاملة الحجاج والتجار في جدة ومكة ، أرسل السلطان محمود شاه الخليفي سلطان مندوه بالهند رسالة إلى السلطان قايتباي بعد أن اعتلى عرش السلطنة المملوكية سنة ٨٧٢ هـ يشكره فيها . فقد ورد في هذه الرسالة أن : (جاني بك ازداد ظلماً على الظلم الفاحش في أخذ العشر ، وأن المباشرين بجدة يأخذون فوق العشر حتى أخذوا النصف وما فوقه وما دونه) (٣) . ثم يقرن ذلك بتقرير القاعدة الشرعية في

- (١) ابن فهد : إتحاف السالكين ، ج ٤ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .
- السخاوي : التبر المسبوك ، ص ١٧٥ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ - أحمد دراج : المقال السابق ، ص ١٠٥ .
(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٩٢-٩٣ .
(٣) ورد في جواب قايتباي على رسالة صاحب مندوة الإشارة إلى ما استقر عليه الأمر في جدة من جباية العشر في جدة حسب ما أفتى به العلماء في عهد برسباي . هذا ولم تشر المصادر المعاصرة إلى

===

موضوع جباية العشر التي يحرض هو على تطبيقها في بلاده . ولا ينكر قايته في جوابه جباية العشر في جدة صنفًا لا مالاً حسبما أفتى به العلماء أيام الأشرف برسباي ، ولكنه يعترف بما يقع في جدة من الظلم ، ولذلك سارع بمجرد إعتلاء العرش سنة ٨٧٢ هـ بأن أصدر مراسيمه الشريفة بإبطال ما كان يتضرره التجار ، وأمر بنقشها على رخامة بيباب الفرضة ، كما رسم بفصل من كان بها من العباشرين ، وعين بدلاً منهم من يثق في عدالتهم وأمانتهم . وقايته صادق في قوله ففي أوائل سلطنته أرسل إلى مكة مراسيم تتضمن الأمر بإبطال جميع العكوس والمظالم ، وأن ينقش ذلك على أحد أساطين المسجد الحرام بالقرب من باب السلام .^(١)

وفي يوم الاربعاء سنة ٨٧٦ هـ وصل مرسوم وأوراق من مصر مع قاصد من ينبع لنائب جدة شاهين العثماني الجمالي يأمر فيه بإرسال

=== صدور هذه الفتوى في عهد الأشرف برسباي ، وإنما صدرت في عهد الظاهرى جقمق عندما احتج عليه السلطان التيمورى شاه رخ بجباية العشر في جدة . (انظر ما سبق ص ٢٠١) (برسباي) ص ٢٠٩ (جقمق) .

(١) ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ٣٧ - النهروالي : الإعلام ، ص ٣٢٣ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن : حوادث سنة ٨٧٢ هـ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٦٩ - أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان قايته والسلطان محمود شاه خلسجى سلطان مندوة ، ص ١٠٦ .

ما وصله مع هذا القاصد من ينبع من الخلع والمراسيم إلى ابن الخلبجى صاحب مندوة المتولى بغداد أبيه فصادف أن المراكب قد سافرت. (١)

ولكي يمنع السلطان قايتباى دخول المراكب الهندية اليمن ، أصدر مرسوماً لأمير مكة سنة ٨٨١ هـ يذكر فيه أن المرجان الواصل وغيره من تجارة الهند يمنع دخوله اليمن ، والواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بين السلطان والشريف نصفين (٢) ، كما أن من مات بمكة وجدة ولا وارث له يكون لأمير مكة من أشرفي إلى ألف وما فوق ذلك للسلطان ، وأن الفلفل (٣) الواصل إلى جدة يؤخذ للسلطان بسعر العام الماضي . وبسبب (٤)

(١) ابن فهد : إتحاف السـورى ج ٤ ، ص ٤١٦ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٤٧٠ - الجزيري : درر الفرائد ،

ج ١ ، ص ٧٥٥ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١٢ .

(٣) أشرفي : هو الدينار الذى سكه الأشرف برسباى سنة ٨٢٩ هـ ، وقد ظل هذا الدينار متداولاً في أسواق مصر والشام والحجاز حتى أواخر القرن التاسع الهجرى ، وأطلق الناس عليه أشرفي على سبيل الاختصار .

انظر في هذا الصدد Ahmad Darrag : L'Egypte Sous le regne de Barsbay , Damas, 1961, p.97.

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ٤ ، ص ٢٤٤ - ابن فهد :

إتحاف السـورى ج ٤ ، ص ٤٧٠ - الجزيري : درر

الفرائد ج ١ ، ص ٧٥٥ - على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٢١٧

- ٢١٨ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة

في العصر المملوكي ، ص ١٨٩ .

إحتكاره لهذه السلع ازدادت أسعارها إلى أربعة أو خمسة أضعافها في الهند ،بالإضافة إلى المكوس التي تدفع عليها . ولم يغير هذا الوضع إلا عندما حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤ هـ ، وبرز أهل الحرمين بصدقته ، وخفف المكس عنهم ^(١) ، كما أبطل مكس الصيادين بجدة ، ومنح الشريف محمد بن بركات نصف مكوس تجارة عدن ^(٢) .

وفي سنة ٨٨٢ هـ اجتمع نائب جدة مع الشريف محمد بن بركات ، وقاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة ، وليس نائب جدة خلعة وتفرقوا ولم يقرأ المرسوم ، وسبب ذلك أن في المرسوم أن يؤخذ للسلطان نصف العدني ^(٣) ، وأن يحمل الأمير الجمال إلى مصر ، بسبب أنه فك ختماً كان عمله نائب جدة على مال شخص مات ، وما له للدولة ، وكان الخبر جاء بذلك قبل هذا ، فراجع الشريف السلطان في نصف العدني فلم يبدل أمر بضبطه ، ثم راجع نائب جدة السلطان في ذلك مع هذا القاصد ، فجاء الخبر بالآخذ فأخذه ، وأما الأمير الجمال فإنه صالح عن نفسه بألف دينار للسلطان ، ومائة دينار لنائب جدة ^(٤) .

(١) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) نصف العدني : أي نصف عشور التجارة الواردة عن طريق عدن .

(٤) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص (٤٨) .

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٤٨١ - الجزيري : درر الفرائد ،

وفي سنة ٨٨٥ هـ أنعم السلطان قايتباي على شريف مكة محمد بن بركات بجميع عشور اليماني من استقبال سنة ٨٨٦ هـ فانه كان أخذ منه (١) النصف من سنتين .

وحدث في سنة ٩٠٢ هـ أن أرسل السلطان قايتباي إلى أمير مكة ونائب جدة بإتخاذ الإجراءات لإجبار تجار الهند على مواصلة السير إلى جدة ، لأن دخولهم ميناء عدن خراب ليندر جدة ، إلا أنهما عجزا عن تحقيق ذلك ، وهذا أدى الى تدهور تجارة جدة (٢) . والسبب الثاني لتدهور مدينة جدة ، أنه كان فيما بين سنة ٩٠٦ هـ ، سنة ٩٠٨ هـ تنازع بين أولاد الشريف محمد بن بركات ، وكان أشدهم حقداً الشريف أحمد المعروف بجازان . ففي سنة ٩٠٨ هـ اعتدى على عشرة آلاف دينار من مال العشور التي جباها ناظر جدة لسلطان مصر قانصوه الغوري ، كما قبض على جماعة من تجار مكة ، وطالبهم بالأموال فاضطروا إلى بيع دور ومزارع حتى يعطوه المال ، كما هجم على منزل تاجر بمكة يسمى الخواجا شمس ، وأخذ جميع البضائع وباعها للتجار بألف وثلاثمائة دينار (٣) .

- (١) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٥١٢ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٥٨ - الرشيدى : حسن الصفا
والإبتهاج ، ص ١٤٧ .
(٢) ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر
الملوكي ، ص ١٩٠ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٧ - ٤٨ - ريتشارد مورتيل
: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر الملوكي ، ص ١٩١ .

ويتضح من مسألة تطور المكوس أنها كانت أولاً إجراءً إستثنائياً من قبل أمراء مكة بسبب ضعف موارد إمارة مكة ، ولذلك لم يفرق بين الحاج والتاجر . وقد أدرك سلاطين المعاليك المبالغ التي يجنيها أمراء مكة من التجار والحجاج ، إلا أنهم ألغوا المكوس على الحجاج ، وعلى أهالي الحرمين الشريفين تقديراً لظروفهم ، وبقيت على التجار ، ثم زادت وصاحبتهما إجراءات تعسفية ، وصار المكس مبدأً معترفاً به بفتوى شرعية ، ولم يعد إجراءً وقتياً يلغى عند تحسن الأحوال . واحتكر السلاطين أيضاً أغلبية السلع النادرة ، فضاقت أرزاق الناس ، وشكا التجار الشرقيون (الهند - شرق آسيا) والغربيون (مصر وشمال أفريقيا) من شدة هذه الإجراءات ، ولكن دون جدوى . (١) فقد بادروا سلاطين المعاليك في القرن التاسع الهجري إلى إستغلال مراكزهم في الحجاز ، وجعله مورداً فياضاً للخزينة السلطانية في مصر عن طريق فرض المكوس الفاحشة على تجارة الشرق ، وتجارة الحج . ويرى بعض المؤرخين أن هذا التصرف له أسبابه القوية دفعتهم إلى ذلك ، فالحالة الإقتصادية التي كانت تمر بها البلاد منذ مطلع القرن التاسع الهجري ، هي التي دفعت السلطان برسباي إلى إحتكار هذه التجارة ، وفرض المكوس . وغالى برسباي ومن جاء بعده من سلاطين المعاليك في تطبيق سياسة الإحتكار هذه إن استغلوا هذا المورد المالي الضخم بميناؤ جدة الذي جاءت به الظروف في وقت كانت

(١) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

فيه البلاد على حافة الإنهيار الإقتصادي استغلالاً سيئاً ، فحالة البلاد الإقتصادية في جميع قطاعاتها زراعية كانت أو صناعية قد بلغت حداً من التدهور دفع بالبلاد إلى الإنهيار الإقتصادي ، فضلاً عما أصيبت به البلاد على إمتداد هذا القرن من كثرة حدوث الجذب والقحط والأوبئة بسبب إنخفاض فيضان النيل ، وكذلك الحروب التي كانت بين سلاطين العماليك ، وكبار رجال الدولة في الشام ، وهي كثيرة في هذه الفترة . هذا بالإضافة إلى الحملات التي سورها برسباى لغزو جزيرة قبرص ، ولكثرة تعرض العواني المصرية والشامية ، وكذلك سفن التجار المسلمين لغارات قراصنة الفرنج في البحر . (١)

وإذا كان سلاطين العماليك قد فرضوا المكوس على تجارة الحجاز ، بل واحتكروا هذه التجارة للمتجر السلطاني ، مما دفع الأسعار إلى الإرتفاع وخاصة التوابل والسلع الشرقية إلى أربعة أو خمسة أضعافها ، إلا أنهم اهتموا بشئون الحرمين الشريفين وألغوا ما كان يجلب من الحجاج ، ومن أهالي الحرمين الشريفين من مكوس ، بل وأفاضوا عليهم وعلى أمراء مكة الكثير من الأعطيات ، واهتموا بكسوة الكعبة وأوقفوا عليها القصر والضياح في مصر ، وظل محمل الحج المصري يأتي بكسوة الكعبة كل عام مع بعض المبرات لأهل الحرمين ، إلا أن كل ذلك لم يخفف من مرارة ما فرضوه من مكوس على تجارة الحجاز . (٢)

(١) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٤٦ - أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ٢١٢ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

هذا ويلاحظ أن الممالك قد غالوا أشد المغالاة في جباية
المكوس على هذه التجارة بجدة واحتكارها بعد تحول طرق التجارة
من البحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصالح وبخاصة في عهد السلطان
قانسوه الفورى . ففي عهده بلغت هذه الأمور حداً يفوق الوصف لتعسف
نائب جدة الأمير حسين الكردي ، فقد كان يأخذ من التجار عشرة أمثال
(١)
العشر .

فبعد إكتشاف البرتغاليين رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن
التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، وصل فاسكو داجاما في ثلاث
سفن إلى قاليقوت بالهند بعد رحلة استغرقت أربعة أشهر ، وأخذ
يهاجم المراكب التي تحمل الحجاج والتاجر من الهند إلى البحر الأحمر ،
كما ازداد نشاطه في نقل التجار الشرقية من الهند إلى البرتغال . هذا
بالإضافة إلى وضع جزء من أسطوله عند مدخل البحر الأحمر لإغلاقه أمام
سفن المسلمين ، وبذلك تعرضت سفن المسلمين لهجوم مستمر من قبل
الأسطول البرتغالي في المحيط الهندى (٢) . وزاد إهتمام الممالك

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ - إبراهيم طرخان : مصر
في عهد الممالك الجراكسة ، ص ٢٨٩ - على السليمان : العلاقات
الحجازية المصرية ، ص ٢٠٢ .

(٢) إبراهيم طرخان : مصر في عهد دولة الممالك الجراكسة ، ص ٢٩١ -
أحمد دراج : الممالك والفرنج ، ص ١٣٦ - نوال حمزة صيرفي :
النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٠٤ .

بجدة بعد هذه الاعتداءات المتكررة وخاصة في المحيط الهندي ، وسواحل البحر الأحمر ، بل وتهديد الدولة المملوكية في عقر دارها . (١)

كما أن إستيلاء البرتغاليين على الكجرات والدكن من بلاد الهند ، وبناء قلعة حصينة بساحل الدكن وإستيلائهم على مضيق هرمز ، وإعتداءهم على سفن التجار ، كل ذلك زاد من إهتمام الممالك بجدة ، فأرسل قانصوه الغوري الأمير حسين الكردي إلى جدة لبناء سور حولها ، وتحصينها بالأبراج لحمايتها والدفاع عنها . ولحماية شمال الحجاز من الخطر البرتغالي ، ولتأمين طريق الحج المصري من إعتداءات القبائل التي أخذت تتعرض لها منذ سنة ٩٠٧ هـ ، قام الغوري بسلسلة من التحصينات العسكرية في نخل والعقبة والأزم ، وما سبق أن تحدثت عنه في الفصل الأول (٢) .

وبعد ذلك قام الأمير حسين الكردي بمطاردة السفن البرتغالية ، فاتجه إلى سواكن ، ومنها

(١) أحمد دراج : الممالك والفرنج ، ص ١٣٦ .

(٢) أحمد دراج : المرجع السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، وعن سلسلة

التحصينات العسكرية ، وبناء سور جدة ، انظر الفصل

الأول ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ .

إلى عدن وإلى مياه الكجرات لتعقب البرتغاليين ، وأرغمهم على الفرار على أثر معركة بحرية في " شول " جنوبي بمباى سنة ٩١٤ هـ في بادى الأمر ، غير أن النجدة وصلت إلى الأسطول البرتغالي في العام التالي ، فتكسب من هزيمة الأسطول المصرى ، وإغراق معظم وحداته في خليج ديو فأسرع الأمير حسين الكردى عائداً إلى جده ليقوى نفسه . (١)

وبذلك كانت حملة الأمير حسين الكردى إستجابة من السلطان المملوكي قانصوه الغورى لإستغاثات صاحب الكجرات بالهند ، وصاحب اليمن ، ومن أجل حماية المقدسات الإسلامية ، وتأمين سلامة الحجاج ، وحماية كيان مصر من الإنهيار الإقتصادى نتيجة لتحويل طريق التجارة العالمية عن البحر الأحمر واليمن والحجاز ومصر إلى رأس الرجاء الصالح ، وبإلاد البرتغال . (٢)

ففي سنة ٩١٩ هـ جاء الخبر بأن الفرنج قد ملكوا كمران ، وأنهم يحاصرون سواكن ، فما كان من الشريف بركات أمير مكة إلا أن خرج إلى جدة هو وجماعة من المماليك المجاورين بمكة ، وأقاموا بجدة خوفاً عليها من أن يهجم الفرنج على ساحلها ، وأرسلوا يعلمون السلطان بذلك . (٣)

- (١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٤٢ - احمد دراج : المرجع السابق ، ص ١٣٧ - هشام عجيبي : قلعة المويلح ، ص ٢٣ - ٢٤ ، نوال صيرفي : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٠٧ .
- (٢) محمد عبد العال : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
- (٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ .

إلا أن خطر البرتغاليين أخذ يزداد بسبب تعددهم على سفن
الحجاج والتجار، وانتهاك حرمة المسلمين، مما جعل السلطان الغوري يرسل
حملة ثانية سنة ٩٢١ هـ بقيادة الرئيس سليمان العثماني لمعاونة حسين الكردي،
ولكن لم يحالفها النجاح بسبب تثبيت أقدام البرتغاليين في مياه الهند،
فقد أدى نجاح البرتغاليين في السيطرة على شواطئ الهند، وعلى تجارتها
إلى تقلص النشاط التجاري بين شواطئ الهند وميناء جدة، مما صرف تجار
الفرنج عن أسواق مصر والشام إلى أسواق لشبونة. (١)

(١) أحمد دراج : المرجع السابق، ص ١٥٥ - ١٥٦.

الفصل الثالث

الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين

الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين

في الحق لم يكن سلاطين الممالك طامعين في الحجاز من أجل المال والسلطة ، ومجرد فرض سيادتهم على الحرمين الشريفين ، لكن العاطفة الدينية ، والرغبة في الإصلاح ، وحماية الأصقاع العربية من الاطماع الصليبية والمغولية ، هي في الحقيقة الدافع الأول في فرض السيادة المملوكية على الحجاز . هذا ونلاحظ أن سلاطين الممالك قد أنفقوا الكثير من الأموال على شكل هبات وأعطيات على أهل الحرمين الشريفين ، ولم يحاولوا إستئصال أمراء الأشراف من البلد الحرام ، بل أن تدخلهم في شؤون مكة والمدينة المنورة كان عامل رحمة لأهل الحجاز من جور أمراء مكة والمدينة في بعض الأحيان ، وحيث فرض سيادتهم على الأراضى المقدسة .

وبالرغم من تدفق هبات وأعطيات سلاطين الممالك لأمراء مكة والمدينة وأهل الحرمين طول العصر المملوكي ، إلا أنه في بعض السنوات كانت الأمور تختل في مصر نتيجة إنخفاض مياه النيل عن حد الوفاء ، مما كان يترتب عليه الجذب والمجاعة والوباء ، وخاصة إذا توالى إنخفاض الفيضان لبعض سنوات ، فتشج القوات ، وترتفع أسعار السلع والغلال خاصة ، وكان أمراء الحجاز وسكان الحرمين الشريفين على وجه التخصيص يتأثرون بسوء الأحوال الاقتصادية لإنخفاض فيضان النيل ، وذلك لقلّة أو لتوقف ما كان يرد إليهم من مصر من إمدادات على شكل هبات وأعطيات نقدية وعينية .

ولم تكن الهبات والأعطيات لأهل الحرمين الشريفين قاصرة فقط على سلاطين وأمراء الممالك وأعيان دولتهم ، وإنما كان يتبارى في تقديمها كل من هو قادر على إداء ذلك من ملوك وسلاطين وأثرياء المسلمين

طلباً للمثوبة ، وتخفيفاً من أعباء الحياة ، وشطف العيش عليهم ، وخاصة في سنوات الجفاف التي تعزف فيها الأوقات ويعم فيها الغلاء .

وفضلاً عن ذلك فقد أسهمت الأوقاف المختلفة بريعها الوفير في مساعدة العاجزين على أداء فريضة الحج ، وتسهيلها لغير القادرين عليها ومساعدة المنقطعين منهم بأن يركبهم أمير الحج على جماله ، وينعم عليهم بالماء والبقسماط في الطلعة والرجعة ، وكذلك الإنفاق على المجاورين والمنقطعين بالحرمين الشريفين والمترددين على الربط والزوايا ، فقد كانت الرغبة في عمل الخير دافعاً أكيداً باعتباره صدقة جارية^(١) ومن الأمثلة على ذلك ما وقع في بعض السنوات من تدفق المساعدات العينية والمالية من قبل سلاطين وأمراء وأعيان العالم الاسلامي .

ففي شوال سنة ٦٥٩ هـ تهيأ موكب الملك المظفر يوسف بن منصور ابن عمر بن علي بن رسول^(٢) . صاحب اليمن ، فتحرك من حصن تعزّز سالكاً طريق الساحل ، ومراكبه المحملة بالغلال والعطايا والهبات تسايه في البحر ، وقد هرب أمير مكة الشريف أبو نعيم ، وعمه إدريس بن قتادة ، لدى

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٤ - عبد اللطيف إبراهيم :

وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٢ .

(٢) يوسف بن عمر بن علي بن رسول : الملك المظفر نصر الدين

ابن الملك المنصور صاحب اليمن ، تولى السلطنة بعد أبيه سنة

٦٤٧ هـ ، وقلده الخليفة العباسي المعتصم ولاية اليمن ، حكم

مكة سنة ٦٥٢ هـ ، وحج سنة ٦٥٩ هـ وله مآثر بمكة ،

وتوفي سنة ٦٩٤ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص

سماعهما بوصول المظفر يوسف صاحب اليمن . ودخل المظفر يوسف مكة
في غاية الخشوع والتضرع إلى الله . ولدى وصوله جبل عرفات بادر
الأمير عز الدين محمد بن الامام بقوله : " هلا طلعت أعلامك يا مولانا قبل
أعلام المصريين ؟ فقال : أتراني أو أخرج أعلام ملك كسر عساكر التتار
بالأُمس (١) ، وأقدم أعلامي لأجل حضوري ، ومعينة لا أفعل هذا
أبداً " (٢) ثم توجه إلى الحرم وغسله وضبعه بالفوالي الفاخرة ، ونشر
الذهب والفضة على أهل الحرم ، وفرق صدقاته حتى وصلت لكل فقير
وغني ، كما جهز حجاج مصر بالمراكب والأطعمة والعلوفات ، ثم ودع البيت
باكياً ورحل إلى اليمن . (٣)

(١) يقصد الظاهر بيبرس البندقداري ، سلطان مصر الذي تولى السلطنة
الملوكية سنة ٦٥٨ هـ حتى سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) الخزرجي : المسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ،
ص ٢٣٨ - العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٤ - المقرئ : الذهب
المسبوك ، ص ٨٤ - السلوك ، ج ٢/١ ، ص ٥٦٣ - ٥٦٤ -
القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣١٠ .

(٣) يذكر ابن فهد : إتحاف البحار ، ص ٣٠٢ ،
ص ٧٠ - ٧١ - والجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٥٩٧ ، أن الملك
المظفر حج سنة ٦٤٩ هـ بينما يذكر مؤرخو اليمن مثل الخزرجي : تاريخ اليمن
الميمون ، ورقة ٦٢ - يحيى بن الحسين : غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٥٠ -
ابن الديبع : قررة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٧ - ٣٨ - الخزرجي : العقود
اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٣ - أن الملك المظفر حج سنة ٦٥٩ هـ ،
===

وفي سنة ٦٥٩ هـ أرسل الظاهر بيبرس الأموال والأصناف لعمارة المسجد النبوي بعد حدوث الحريق سنة ٦٥٤ هـ صحيفة علم الديــــن غازي اليفموري ، وكانت مهمته إستطلاع أحوال المسجد النبوي وما يحتاج إليه من مواد وغيرها (١) . وعندما حلت سنة ٦٦٢ هـ جهزت كسوة الحجرة النبوية من قبل الظاهر بيبرس ومعها الشموع والزيت والبخور والطيب (٢) صحبة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي (٣) شيخ خدام المسجد الحرام . وبالرغم من هذه الأعطيات إلا أنه في العام نفسه أصاب مصر الفلاء والقحط ، وصحبهما الوباء ، فتوقف العطاء عن الحرمين ، وأرتفعت

== وذكر بعض المؤرخين التاريخ نفسه سنة ٦٥٩ هـ ، ومنهم ابن عبد الهادي : الدر الفاخر ، ورقة ٢٤ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(١) المقرئى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٤٤٥ - محمد هزاع الشهرى : عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية سنة ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) المقرئى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٤٤٥ - محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوي ، ص ٢٢٧ .

(٣) محسن جمال الدين الصالحي النجمي الطواشي : شيخ خدام المسجد النبوي ، توفي سنة ٦٨٢ هـ ، وقد رافق القاضي شمس الدين ، ومعه الجمال والرجال والآلات لعمارة المسجد النبوي .

(السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ٣ ، ص ٤٤٩) .

الأُسعار، فبلغ أُرْدَب القمح مائة درهم وخمسة دراهم نقره^(١)، وأُرْدَب الشعير سبعين درهماً، ورطل^(٢) اللحم بالمصرى مائة وأربعة وأربعين درهماً^(٣).

وفي سنة ٦٦٥ هـ حج الأمير عز الدين أيّدمر الحلبي^(٤) من قبل سلطان مصر الظاهر بيبرس، ومعه الكثير من الصدقات،

- (١) الدراهم النقرة : المقصود بها في العصر المملوكي هي أن يكون ثلثاها من فضة، وثلثها من نحاس، وتضرب بدور الضرب بالسكة السلطانية، ويكون منها دراهم صحاح، وقراضات مكسورة، والعبرة في وزنها بالدراهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً، وقدر ستة عشرة حبة من حب الخروب، فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهما أربع حبات من حب البر المعتدل.
- (٢) (سامح فهمي: القيم النقدية في الوثائق المملوكية، ص ٢٤٢).
الرطل : معيار يوزن به وهو البغدادي إثنتا عشرة أوقية، والأوقية إستار وثلاثا إستار، والإستار أربعة مثاقيل ونصف مثقال، والمثقال درهم وثلاثة أسباع، والدراهم ستة دنانق. والرطل إذ أسبعون مثقالاً وخمسمائة درهم وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم. (محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية، ص ٣٦٧).

- (٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢١٣.
- (٤) الأمير عز الدين أيّدمر الحلبي الصالحى النجمي : كان ينوب عن الظاهر بيبرس بالقاهرة في أسفاره، وهو قليل الخبرة بالأمر، وقد خلف الكثير من الأُملاك والأولاد، توفي سنة ٦٦٧ هـ.
- (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨).

بسبب الغلاء الفاحش بمكة (١).

وفي سنة ٦٦٧ هـ عزم السلطان الظاهر بيبرس على أداء قريضة الحج دون أن يحس به أحد . فتوجه إلى الكرك (٢) بصحبة أمراءه الخاصة ، بعد أن دبر أموره بتجهيز الكثير من البقساط والدقيق والروايا والقرب والأشربة ، والعربان المتوجهين معه والمرتبين في المنازل ، كما أعطى المجردين الشمير على قدر كفايتهم (٣) ، وكلما قدم إلى منزلة يركب الخيل المجهزة له بالموءن والغلال ثم يترك الأخرى لتعتريح . وهكذا حتى وصل إلى المدينة المنورة في الخامس والعشرين من ذى القعدة ، فزار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وتصدق على الفقراء والمساكين (٥).

- (١) ابن فهد : إتحاف الســـــورى ج ٣ ، ص ٩٠ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠١ - الرشيدى : حسن الصفا
والإبتهاج ، ص ١٢٣ - على السليمان
: النشاط التجارى ، ص ٥٨ .
- (٢) الكرك : قلعة حصينة من طرف الـهلقاء في جبالها بين آيلة
وبحر القلزم وبيت المقدس . (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ، ص ٤٥٢ .
- (٣) المجردين : أى غير المتزوجين .
- (٤) ابن عبد الظاهر : الروض الظاهر ، ص ٣٥٤ - المقرئى : السلوك ،
ج ٢/١ ، ص ٥٨١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٣١ -
الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .
- (٥) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٥ - القرمانى : أخبار الدول
وأثار الأول ، ص ١٩٩ - المقرئى : السلوك ، ج ٢/١ ، ص ٥٨١ -
الذهب المسبوك ، ص ٩٠ .

وكتب كتاباً لصاحب اليمن يقول فيه : " سطرته من مكة ، وقد أخذت طريقها في سبعة عشر خطوة ، وأن الملك هو الذي يجاهد في الله حـق جهاده ، ويبذل نفسه في الذب عن حوزة الدين ، فإن كنت ملكاً فاخرج والـق التتار" (١) . كما تصدق على أهل المدينة ، وأمر بعمل منبر مسقف بالذهب ، ودرايزين حول القبر الشريف (٢) . وفي العام نفسه أعطى السلطان الظاهر بيبرس الطواشي جمال الدين محسن الصالحي شيخ خدام المسجد النبوي مائتي ألف درهم عندما قدم عليه بمصر. (٣)

وفي سنة ٦٨١ هـ بعث الشريف أبو نعيم أمير مكة وفداً إلى القاهرة مصحوباً بعدد من أشرف ، وزعماء الحجاز يرافقهم إبنه ، وتلقاهم السلطان المنصور قلاوون ، وأكرمهم وأغدق عليهم هباته وعطاياه ، كما أجرى ما كان موقوفاً من أوقافهم ، وأرسل معهم الكثير من الصدقات والأموال لأهل (٤) الحرمين والمجاورين والعلماء والقضاة وأصحاب الزوايا .

- (١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ - ابن فهد :
إتحاف الـبـيـرـي ، ج ٣ ، ص ٩٧ - ركن الدين
بيبرس : التحفة الملوكية ، ورقة ٤١ - الرشيدى : حسن الصفا
والإبتهاج ، ص ١٢٦ .
- (٢) القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ، ص ٩٩ - شافع بن على عباس الكاتب :
حسن المناقب السرية ، ص ١٤٦ - الشريف الجنابى : البحر الزاخر ، ج ٢ ،
ورقة ٣٤ - ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ، ورقة ٢٤ .
- (٣) محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى ، ص ٢٤٩ .
- (٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٢٥٢ - بيبرس الداودار :
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ورقة ١١٩ .

وقد سافروا إلى مكة صحبة الركب المصرى والشامي بقيادة أمير الحج الطواشي بدر الدين الصوابي . (١)

وفي الثامن عشر من شوال سنة ٦٨٥ هـ وصلت إلى مكة مائة جمل من جمال السبيل من قبل سلطان مصر المنصور قلاوون ، وكان أمير الركب سيف الدين بلبان الحبشي ، ووصلت معه تشاريف لأمراء الحرمين . (٢)

وفي سنة ٦٩٠ هـ توجه الركب المصرى إلى الحجاز بقيادة بسدر الدين بكتوت العلائي المنصورى (٣) من قبل سلطان مصر الأشرف خليل ابن المنصور قلاوون ، وقد فرق العطايا على حجاج الركب ، ولما وصل إلى مكة أرسل رسالة إلى أبى نعى أمير مكة مع علاء الدين صاحب الموصل ، ينكر عليه عدم حضوره للقاء أمير الركب المصرى خاصة وأن أبى نعى كانت بينه وبين أهل مصر وحشة بسبب الفتنة التي

(١) بدر الدين الصوابي الحبشي : أصله من ماليك الطواشي صواب العادلى ، ولى مقدمة الماليك اكثر من أربعين مرة ، وقد شغل وظيفة أمير مائة ، ومقدم ألف ، توفى سنة ٦٩٨ هـ .
(ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ١٨٣) .

(٢) ابن عبد الظاهر : تشرىف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، ص ١٤٥ .

(٣) بدر الدين بكتوت العلائي المنصورى ، ولى نيابة دمشق فى دولة الملك المنصور قلاوون ، وتوفى سنة ٦٩٣ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ١٩٦) .

حدثت سنة ٦٨٩هـ^(١) . ويقول في هذه الرسالة : " قد علمت النجاح
الذي قولت به آمالك ، ولا ما كان هذا حالنا معك ، ولا هذا معنا
حالك ، وقد علمت الجواب مع الفقيه ولد الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني ،
فكيف قولت وسيلتك وما حققت ولا نوقشت حيلتك ، ولا ذكرت سابقات
أفعالك ، ولا تنوعات أقوالك ، والآن فمولانا السلطان من عاداته الرحمة
والعفو ، وإيراد الصفو ، وعواطفه من شأنها لكل مترك الرفو ، فإذا أردت
حسن العافية ، وسلامة العقلي ، وأمن السرب ، وحصول كل ما يفتيك عن
شام وعن يمن ، واختصاصك بكل إحسان حسن فتحضر أبوابه طائعاً خاضعاً
في هذا القيد ، وهذا الغل ، وإن فعلت ذلك ستري ما يقابل به من
الرحمة جناح عن هذا الذل ، وأما الخدائع الملققة ، والأقوال التي هي
غير محققة ، فما بقيت تمشي وأنت بها لمضراتك تنشى^(٢) . وأما جواب
أبي نسي لا مير ركب الحج فيقول فيه : " إن البلاد بلاد مولانا السلطان ،
والهروب بين يدي مولانا السلطان طاعة وفوضى يوجب إلى التأخير مع
عدم الاستطاعة ، ولا بد من حضوري في وقت غير هذا الوقت لعل أحصل
على القود والخيول ما يزيل عني بعض الوقت^(٣) ، إلا أن أبا نسي لم

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣١٧ - الفاسي : شفاء

الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤١ - المعري : السلوك ، ج ١/٣ ، ص ٧٦ .

الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

(٢) ابن عبد الظاهر : الألفاظ الخفية ، ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

يحضر فقام نوابه بالخدمة عنه لأمره الركب حتى قضى الناس فريضتهم ،
وأحسن أمير الركب إلى المجاورين ، كما زار المدينة المنورة ، وأحسن إلى
أهلها ، وتوجه بعد ذلك إلى مصر . (١)

وفي سنة ٦٩٤ هـ حج ولد صاحب مصر الملك المجاهد أنس بن
العاذل كتبغا (٢) في موكب عظيم من الأمراء وكبار رجال الدولة ،
وصرف مالا كثيرا ، وسقى الحجاج طول الطريق الروايا ملاءى بالسكر والماء
، وفرق الحلوى على جميع من في الركب ، وخلع على الأمراء بالعطايا
الواسعة ، كما أعطى أمير مكة ألف دينار ، وأولاده خمسمائة دينار ،
وفرق الصدقات على الفقراء والمجاورين . (٣)

وفي العام نفسه حجت عمه صاحب ماردين الملك السعيد شمس
الدين داود بن الملك المظفر ، وكان لها محمل كبير ، وسبيل كثير ، وتصدقت

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) أنس بن العادل كتبغا المنصوري : يدعى أنس أو أنس ، ويلقب

بالمجاهد ، وتلقب والده بالعاذل ، ولد بعد السبعين ، وشهد مع

الأشرف حصار عكا ، وأراد الأمراء سلطنته بعد أبيه ، كان كريما

ذكيا ، توفي سنة ٧٢٣ هـ بسهم أصابه لأنه كان مولعا برمي البندق

(ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦) .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ابن تغري بردي : النجوم

الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٥٧ - ٥٨ - ابن فهد : إتحاف

البوري ، ج ٣ ، ص ١٢٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦١١ -

٦١٢ - الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج ، ص ١٢٧ .

بمال جزيل انتفع به الحجاج وأهل الحرمين وأمراء مكة والمدينة (١).

وفي سنة ٦٩٥ هـ لم يرسل سلطان مصر أية إعطيات لأهل الحجاز، بسبب إنتشار الوباء الذي أدى إلى موت الكثير من الناس مع إرتفاع الغلاء لجميع أنواع الطعام، وقد استسقى أهل مصر من شدة الفناء والغلاء (٢).

(٣)
وفي سنة ٦٩٦ هـ توجه المحمل اليمني من قبل الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول، وقد رفع علمه على جبل عرفات، ووصل لأمير مكة الشريف أبي نعي الكثير من الهدايا والخلع والهدايا السنية من العين والفلسة، والكساوى والطيب والسك، ويقدر ذلك بالنسبة بحوالى ثمانين ألف غرارة، (٤)

(١) الفاسى : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٤٢ - ابن فهد : اتحاف السورى، ج ٣، ص ١٢٧ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٦١٢.

(٢) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٧١.

(٣) الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول : تولى الحكم سنة ٦٩٦ هـ بعد وفاة أخيه الملك الأشرف، وله الكثير من المآثر في اليمن، كان شجاعاً مقداماً جباراً شهماً جواداً كريماً، محباً للعلم والعلماء، شارك في كل علم وفن، توفي سنة ٧٢١ هـ.
(الخزرجي : العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٤٤١) .

(٤) غرارة : وعاء من الخيش يوضع فيه القمح وغيره، وهو أكبر من الجوالق، وجمعها غرائر . (المعجم الوسيط، ص ٦٥٤) .

ومائتي غرارة مكية (١).

وفي سنة ٦٩٧ هـ حج الخليفة العباسي الثاني في مصر الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد (٢)، وقد أعطاه السلطان لاجين سلطان الديار المصرية سبعمائة ألف درهم، وتصدق في حجته بالشيء الكثير، وأطعم الحجاج، وبرّ الفقراء، وحمل المنقطعين، وقد رفض أمير مكة الشريف أبو نمى ذكر اسمه في الخطبة، ففقد الخليفة حتى الجانب الديني (٣).

(١) الحضراوي : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٤٥ - ابن فهد : إتحاف السـورى ج ٣ ، ص ١٢٩ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦١٢ - ٦١٣ .

(٢) الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن أبي بكر ابن الحسن ، الخليفة الراشد بالله ثاني خلفاء بني العباس بمصر ، خرج من بغداد في موقعة هولاكو ، وجمع طائفة من الناس ، ولقى الإمام المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله ابن الخليفة الناصر لدين الله العباسي المجهز من ديار مصر لقتال التتار ، فلما قتل المستنصر قدم القاهرة سنة ٦٦٠ هـ وبايعه السلطان الظاهري بمرس سنة ٦٦١ هـ ، توفي سنة ٧٠١ هـ . (المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٥٩ - ٦٠) .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٣ - شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٦١ - ابن فهد : إتحاف السـورى ج ٣ ، ص ١٣٠ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١/١ ، ص ٣٩٨ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦١٣ .

وفي سنة ٧٠٣ هـ حج الأمير سلاار^(١) نائب السلطنة بالديار المصرية بصحبة ثلاثين أميراً ، ورافقته مراكبه المشحونة بهباته وأعطياته من غلال وموئن تقدر بعشرة آلاف أردب قمح ، فرقها على أهالي الحرمين ، وكتب أسماء المجاورين ، وسدد ديونهم ، وفرق عليهم الذهب والفضة ، والكثير من العطايا من حلوى وسكر وغيرها بعد ما أعطاهم مائة سنة ، وبعث مباشره إلى جدة والمدينة ، وفعلوا بها مثل ما فعلوا بمكة من أعمال الخير ، كما تصدق على جميع الأمراء الذين حجوا معه .^(٢)

وفي سنة ٧١٢ هـ حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر قادمًا من دمشق ، ومعه أربعون أميراً وستة آلاف مملوك على الهجن ، ومائة فارس^(٣) ، وأنافض بهباته على أهل الحرمين القوى منهم والضعيف

(١) الأمير سلاار بن عبد الله المنصوري : نائباً السلطنة بالديار المصرية ، عمل نائباً لبيبرس الجاشنكير إلى أن قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله بالسجن في جمادى الأولى سنة ٧١٠ هـ . (ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ، ص ٣١٤ - ٣١٥) .

(٢) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٤٦ - ٤٧ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - المقرئى : السلوك ، ج ١/٢ ص ٥ - ج ١/٣ ، ص ٩٥٤ - ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٠ - ابن فهد : إتحاف الـورى ج ٣ - ص ١٤٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦١٦ - ٦١٧ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٩ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ١٣٢ - ١٣٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٤٩ .

متصدقاً على المجاورين ، ثم عاد راجعاً إلى بلاده بعد قضاء حجه (١) .

وفي سنة ٧١٦ هـ حج الأمير سيف الدين أرغون الداوادر الناصري نائب السلطنة بالقاهرة ، وتصدق بصدقات كثيرة بمكة والمدينة المنورة (٢) .

وفي سنة ٧١٩ هـ حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية مصطحباً معه الملك المؤيد صاحب حماه ، وجهاز ركب الحج بكل ما يحتاج إليه السلطان وركبه طول فترة الحج من أفران وخبازين ، كما جهز جميع الأُطعمة من دقيق وروايا وأشربة بالإضافة إلى خمسمائة جمل تحمل الفواكه والحلوى ، ومائة وثلاثين ألف أردب قمح (٣) ، ورافقه المحابر (٤) المزروعة بالرياحين وجميع أنواع الخضروات ، وكانت تحصد بكل منزلة ، ورتب لكل أمير ما يكفيه من عليق الخيل والماء والحلوى والسكر وكان أقل نصيب الواحد منهم

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ، ج ١ ، ورقة ١٦٥ - تذكرة النبوة ، ج ٢ ، ص ٤٥ - المقرئ : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٢٢ - ابن إرياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ١ ، ص ٤٤٣ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - ابن فهد : إتحاف السـورى ، ج ٣ ، ص ١٥٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٢ .

(٣) المقرئ : الذهب المسبوك ، ص ١٠١ - ١٠٢ - السلوك ، ج ٢ / ٢ ، ص ١٩٥ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤) المحابر : هي أحواض من خشب يوضع بها الطين ، وتزرع بها الرياحين والخضروات . (المقرئ : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ١٩٦) .

(١)

على جبل عرفات بحوالي ألف وثمانمائة خلعة ، وفرت ثلاثة آلاف دينار ذهباً .

وفي العام نفسه فرق الفخر ناظر الجيش الذي قدم مكة في إثني

عشر يوماً على أهل الحرمين الكثير من الصدقات ، وفرق إثني عشر ألف دينار

(٢)

على المنقطعين والمجاورين .

وفي سنة ٧٢٢ هـ اشتد القحط على أهل الحرمين مما أدى إلى سفر

الشريف عطيفة بن أبي نعي إلى مصر شاكياً غلاء الأسعار ، وقلة الطعام ،

فأرسل معه الملك الناصر محمد بن قلاوون ألفي أردب قمح ، كما حمل

(٣)

له النائب ألف أردب قمح أخرى ، فوصلت إلى مكة وتصدق بها .

كما أشار ابن بطوطة بأنه قدم للحج في العام نفسه ، وشاهد بنفسه

صدقات أهل العراق لأهل مكة وللمجاورينها ، فكانت توزع صدقاتهم من

(١) ابن أيبك الدويدار : الدر الفاخر ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ - ابن فهد :

إتحاف السـُـوري ج ٣ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ - ابن

إياس : بدائع الزهور ، ج ١/١ ، ص ٤٥٢ .

(٢) المقرئ : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٢١٤ - ابن فهد : إتحاف

السـُـوري ج ٣ ، ص ١٧٢ - الجزيري : درر الفرائد ،

ج ١ ، ص ٦٢٦ .

(٣) المقرئ : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٢٣٨ - ابن فهد : إتحاف

السـُـوري ج ٣ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - الجزيري :

درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٧ - حياة حجي : السلطان الناصر ونظام

الوقف ، ص ٤٠ .

الذهب والفضة حتى رخص سعر الذهب لكثرة ما تصدقوا به على أهل مكة
في هذه السنة ، كما فرقوا الكثير من الثياب . (١)

وقد الحق الدكتور محمد أمين بكتاب تذكرة النبوة في أيام المنصور
وبنيه لابن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، والذي قام بتحقيقه ونشره
، حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة بالعاشر من جمادى
الآخرة سنة ٧٢٤ هـ ، والتي أوقف فيها جميع الحصص التي مبلغها النصف
والثلث عشرون سهماً من أربعة وعشرين سهماً شائعاً غير مقسوم من أراضي
ناحية سرياقوس من أعمال محافظة القليوبية بمصر وما هو من حقوقها .
وكان السلطان قد سبق أن أوقف الأربعة أسهم الأخرى من ناحية سرياقوس
قبل تاريخه على الأمير بكتمر الساقى . وناحية سرياقوس تشتمل على
أراضي تبلغ جملتها ثلاثة آلاف فدان وثمانية أفدنة بالقصبة الحاكمة ،
كما تشتمل على إثني عشر حانوتاً . وقد قسم الواقف الناصر محمد بن قلاوون
هذا الوقف ، وهو ناحية سرياقوس ، وما هو من حقوقها على النحو التالي :
١٨ سهماً على السلطان الناصر محمد بن قلاوون وذريته ، ومن بعدهم
على وجوه البر .

- ٤ أسهم سبق وقفها في كتاب وقف مفرد على الأمير بكتمر الساقى .
١/٢ سهم على فكاك أسرى المسلمين .
١ سهم على المنقطعين بمكة والمدينة وترحيلهم إلى أوطانهم . (٢)

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنيه ، ج ٢ ، ص ٢٦٩

حتى ص ٣٨٥ (نص حجة الوقف) .

وإلى القارىء نص السطور من ٨٥ الى ٩١ في حجة الوقف هذه والتي تتعلق بالمنقطعين بمكة والمدينة :

٨٥ - ذلك حصة مبلغها سهم واحد من أربعة وعشرين سهماً شائعاً من جميع أراضي الناحية المذكورة والحوانيت .

٨٦ - المذكورة خلا المستثنى فيه وقفه الواقف المذكور عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر المسمى خلد الله ملكه .

٨٧ - على أن الناظر في هذا الوقف يجمع ريعه في كل سنة ويرسـل ما يتحصل منه إلى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به إلى .

٨٨ - مكة شرفها الله تعالى وإلى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ويصرفه المسير على يده في

٨٩ - تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة الشريفتين لعدم الزاد والراحلة يصرف ذلك إليهم على ما يراه فيما يحتاجون .

٩٠ - إليه من زاد وراحلة لتوصيلهم إلى الديار المصرية أو إلى أوطانهم أسوة بأمثالهم من الحجاج ويقدم الأُحوج .

٩١ - فالأُحوج (١) .

وفي سنة ٧٣٣هـ أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمل باب للسكبة من الخشب السنط الأحمر ، وصفحه بالفضة عوضاً عن باب الملك المظفر صاحب اليمن ، فكانت زنة تلك الصفائح ثلاثين ألف درهم أما الباب الأول فكان عليه بعض

الحلية من الفضة تقدريستين رطلاً فأَنعم السلطان محمد بن قلاوون بتلك الفضة
على بني شعبة خدام البيت الشريف فتقاسموه فيما بينهم . (١)

وفي سنة ٧٣٤ هـ حج الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته الثالثة
بصحبة عدد كبير من أكابر أمراء دولته ، وسبعين من علماء المذاهب الأربعة ،
وكان في إستقباله بينيع أمراء مكة ، وقد عم بصدقاته أهل الحرمين ، (٢)
كما أعطى الشريف رميثة خمسة آلاف دينار ، وزوجته خمسمائة دينار سوى ما
أنعم به على أولاده وبناته ، وقدم له الشريف رميثة ألف رأس من الغنم ،
ومائة فرس ، فأخذ منهم إثنين ورد الباقي . (٣)

ولم يكن إهتمام الناصر محمد بن قلاوون بتنظيم شئون مكة والمدينة ،
وتيسير سبل العيش على أهلها ، أقل من حرصه على بسط سيادته على تلك

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٢/٢ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ - ابن إياس : بدائع
الزهور ، ج ١/١ ، ص ٤٦٢ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج
ص ١٢٣ .

(٢) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٥٢ - ابن أيبك
الدوادار : الدر الفاخر ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ - المقريزي : السلوك ،
ج ٢/٢ ، ص ٣٥٦ - ابن فهد : إتحاف السورى
ج ٣ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٣٨ -
الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٣٤ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٢/٢ ، ص ٣٥٧ .

الأصقاع ، فقد وقف على شكاوى أهالي الحرمين واخذ يمدهم بالفلال والموئ ن . (١)

وفي سنة ٧٣٧ هـ حج الشيخ محمد المرشدى ، وأنفق على أهل الحرمين ألفين وخمسمائة درهم . (٢)

وفي سنة ٧٣٩ هـ حج الأمير سيف الدين يشبك (٣) الناصرى وبصحبته عدد كبير من الأمراء ، وفعل الكثير من أعمال الخير والبر ، فجعل لكل أمير ألف دينار ، وأعطى لأهل مكة ومجاوريها وفقرائها وأشرافها مالا يقدر بثلاثين ألف دينار ، وأربعمئة ألف درهم ، غير المراكب المشحونة بالفلال ، ووزع بالمدينة مثل ما وزع بمكة . (٤)

(١) المقرئى : المصدر السابق ، ج ٢ / ٢ ، ص ٣٥٧ - محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) الصفدى : الوافى بالوفيات ، ج ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٣) يشبك بن عبدالله الناصرى : كان من أمراء السلطان الناصر بن قلاوون ، قربه وأنعم عليه في يوم واحد بألف ألف درهم ، وكان كثير التيه بنفسه ، وإقطاعه كان يقدر بسبعة عشر طبلخانة ، توفي مقتولا في سجن الإسكندرية سنة ٧٤٢ هـ . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٧٤ - ٧٥) .

(٤) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٥٢ - ٥٣ - الشجاعى :

تاريخ الملك الناصر ، ص ٥٠ = ٥٣ - ابن الوردى : تنمة المختصر ،

ج ٢ ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ - المقرئى : السلوك ، ج ٢ / ٢ ، ص ٤٧٢ -

===

وفي خلال سنة ٧٣٩ هـ ، سنة ٧٤٠ هـ ، وسنة ٧٤١ هـ اجتاح
مصر جندب وغلاء شديداً بسبب انخفاض مياه نهر النيل ، ولذلك انقطعت
أعطيات سلاطين مصر لأهل الحرمين في هذه السنوات (١) .

وفي سنة ٧٤٢ هـ حج الملك المجاهد علي بن داود يوسف بن
عمر بن رسول (٢) صاحب اليمن ، فأرتحل من تعز في السادس من شوال
حتى وصل يللم ، فأمر بنصب الأحواض التي ملئت بالماء والسكر فشرب منها
الجميع ، وفرق على الحجاج ثياب الإحرام ، كما عم بصدقاته أهل الحرمين . (٣)

=== الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٣ - الرشيدى : حسن الصفا
والإبتهاج ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(١) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر
الملوكية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلة التاريخية
المصرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٧/٦٦ م ، ص ١١٣ .

(٢) المجاهد علي بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن
الملك المنصور عمر بن علي بن رسول . حكم اليمن من سنة ٧٢١ هـ
حتى سنة ٧٦٤ هـ ، حيث خلفه ولده الملك الأفضل . (الفاسي :
العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٥٨ - ١٥٩) .

(٣) الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ، ص ٢٣٢ - الخزرجي : العقود
اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠ - الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ،
ص ١٦٩ - ابن فهد : إتحاف السـُـرى ، ج ٣ ،
ص ٢٢١ - ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

وفي سنة ٧٤٣ هـ أوقف السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الملك
الناصر محمد بن قلاوون ثلثي ناحية سندبيس^(١) من القليوبية على
ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي ، فتم عدد خدام الضريح
الشريف أربعين خادماً ، كما اشترى الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون
قرية بسوس ووقفها على كسوة الكعبة في كل سنة ، والحجرة النبوية ، والمنبر
كل خمس سنوات .^(٢)

وفي سنة ٧٦٦ هـ كان بمكة غلاء شديد بلغت فيه غرارة الحنطة
ستمائة وثمانين درهماً ، والذرة أربعمائة درهم ، وعدم الحب حتى لم يوجد
بمكة شيء منه ، وأقام السوق نحو شهر لم يوجد به سوى القليل من اللحم
والخضر^(٣) ، فما كان من يلبس الخاكي^(٤) مدير المملكة بمصر أن بعث

- (١) سندبيس : قرية من قرى القليوبية ، مساحتها ١٧٥٠ فداناً ، بها
رزق تسعة وسبعون فداناً ، عبرتها ١٢٦٠٠ دينار ، وهي وقف
على خدام الحجرة الشريفة النبوية . (ابن الجيعان : التحفة
السنية ، ورقة (١) .
- (٢) المقرئ : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٦٣٣ - انظر محمد أمين : الأوقاف
والحياة الاجتماعية في مصر ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- (٣) ابن فهد : إتحاف الســـــوري ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .
- (٤) يلبس الخاكي الأتابكي : استاذ الملك الظاهر برقوق ،
وصاحب الكباش الأمير سيف الدين مدير الديار المصرية ، وأصله
من ماليك الناصر حسن ، وهو الذي قتل أستاذه الناصر حسن ،
فقتله ماليك يوم الأحد ربيع الأول سنة ٧٦٨ هـ . (ابن تغري بردي :
الدليل الشافي ، ج ٢ ، ص ٧٩٣) .

بصدقة لأهل الحرمين الشريفين حوالي ألفي أردب قمح ، وواصل الإرسال في البحر حتى حمل إلى مكة إثني عشر ألف أردب قمح فرقت كلها على الناس فعم النفع بها الجميع حتى الحاج الشامي . (١)

وفي سنة ٧٧٥ هـ حتى سنة ٧٧٧ هـ انخفض نهر النيل ، وانتشر الوباء والمجاعة ، وزاد الوباء حدة سنة ٧٨٣ هـ وترتب على ذلك توقف إرسال الهبات والأعطيات لأهل الحرمين الشريفين . (٢)

وفي سنة ٧٨٧ هـ جهز الأُمير جركس الخليلي (٣) الكثير من القمح

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٣٠٩ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٢٠٩ - المقرئ : السلوك ، ج ٣ / ١ ، ص ٩٧ - ابن فهد : إتعا ف السورى ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ١٦ - ١٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٦ .

(٢) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ، ص ١١٣ .

(٣) جركس بن عبدالله الخليلي : تركماني الأصل ، وأصله من ماليك يلبغا الخاصكي ، وتقدم عند الظاهر برقوق ، وكان حسن الشكل مهيباً مع رأي رصين وعظمة ، وكان له في كل يوم خبز يتصدق به على بفلين يدور به أحد مماليكه في القاهرة على الفقراء بمكة والمدينة . توفي سنة ٧٩١ هـ . (ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٨٥) .

إلى مكة ليعمل كل يوم خبزاً بحوالي خمسمائة رغيف ، ويفرق على الفقراء ،
فعم النفع بها الجميع .^(١)

وفي سنة ٧٨٨ هـ حج بالناس آقيفا المارديني^(٢) ، وحج فيها
جركنس الخليلي أميرالركب في غاية الأبهة والعظمة ، وتصدق على أهل
الحرمين .^(٣)

وفي سنة ٧٩٣ هـ كان أميرالركب سنقرالجمالي ، وبسبب قلة الأُطعمة
وارتفاع الأسعار اضطربت الأحوال بمكة ، فما كان من السلطان برقوق إلا أن
أرسل إلى مكة الكثير من الحنطة^(٤) ، ورسم بإرسال ثلاثة آلاف أردب قمح
تفرق على أهل الحرمين .^(٥)

(١) ابن فهد : إتحاف السـوري ج ٣ ، ص ٣٤٨ -

ابن إياس : بدائع الزهور ج ١/٢ ، ص ٣٦٦ - الجزيري : درر
الفرائد ج ١ ، ص ٦٧١ .

(٢) آقيفا بن عبدالله المارديني : نائب الوجه القبلي ، وأحد مقدمي
الألوف بالقاهرة من قبل منطاش ، قتل سنة ٧٩٣ هـ بسيف برقوق .
(ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ، ص ١٢٨) .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ج ١ ، ص ٣١٨ - ابن الصيرفي : نزهة
النفوس والأبدان ج ١ ، ص ١٤١ .

(٤) الحضراوي : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٥٥ - الجزيري :
درر الفرائد ج ١ ، ص ٦٧٨ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٢ ، ص ١٠٩ .

وفي سنة ٧٩٤ هـ رسم سلطان مصر الظاهر بـرقوق لاً مير مكسة الشريف على بن عجلان بأربعين فرساً خاصاً ، وعشرة ممالك ، وثلاثة آلاف أردب قمح ، وألف أردب شعير ، وألف أردب فول ، كما رسم له باستخدام مائة فارس من الأتراك يتوجه بهم إلى مكة . (١)

وكان الظاهر بـرقوق كثير الصدقات والمعروف ، ولذلك أوقف ناحية بهتيت (٢) ليكون نتاجها عوناً للحجاج الذاهبين إلى مكة كل سنة ، ومعها جمال تحمل المشاة من الحجاج ، وتصرف لهم ما يحتاجون من الماء والـزاد ذهاباً وإياباً . (٣)

وفي سنة ٧٩٦ هـ حتى سنة ٨٠١ هـ أنخفض نهر النيل ، وغلست الأسعار مع جذب شديد (٤) ، فتوقفت الهبات والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين .

- (١) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٣٤٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٣١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٧٩ .
- (٢) بهتيت : إسم مدينة من المدن المصرية القديمة ، إسمها حتب حيم ، بها آثار قديمة . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ، حاشية (١) .
- (٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٤ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٢ .
- (٤) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ، ص ١١٣ .

وفي سنة ٨٠٥ هـ حجت جميلة الموصلية إبنة ناصر الدولة ، وتكفلت
بنفقات من حج معها من مأكّل ومشرب سواً في الطريق أو الحج ، وقد صاحبها
أربعمئة محمل على لون واحد ، وتصدقت على أهل مكة بعشرين ألف دينار ،
ومائة وخمسين ألف دينار ، وأعتقت مائة جارية ، وثلاثمئة عبد ، وأعانت جميع
الفقراء والمجاورين ^(١) ، كما سقت جميع الحاج السويق والسكر المثلج ،
وأعدت للفقراء مائة جمل تحملهم إلى جميع المشاعر ^(٢) .

وفي سنة ٨٠٦ هـ حتى سنة ٨٠٩ هـ انخفض نهر النيل ، وانتشر الوباء ،
وتفشّت المجاعة ^(٣) ، وكان لذلك أثره على أوضاع وأحوال الحجاز .

وفي سنة ٨٠٨ هـ أمر الأمير شيخ المحمودى ، وهو الذى أصبح
سلطان مصر فيما بعد ، بصرف مائتي قميص على كل قميص عشرة دراهم فضة
لفقراء الحجاز ^(٤) .

وفي سنة ٨٠٩ هـ أرسل السلطان غياث الدين صاحب بنجالمة ^(٥)

- (١) ابن عبد الهادى : الدر الفاهر ، ورقة ٣٠ .
- (٢) السنجارى : منائح الكرم ، ورقة ٣٣٦ .
- (٣) أحمد دراج : الحصة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية
ص ١١٣ .
- (٤) المقرئى : السلوك ، حوادث سنة ٨٠٨ هـ - على السليمان : العلاقات
الحجازية المصرية ، ص ١٢٨ .
- (٥) السلطان غياث الدين أبو المظفر صاحب بنجالمة من بلاد الهند ، له

وفي سنة ٨١٣ هـ حج صاحب كلوة الملك المنصور حسن (٢)، وأحسن

==== مدرسة بعكة عند باب أم هاني * ، كان ملكاً جليلاً له حظ من العلم
وأفعال الخير ، توفي سنة ٨١٥ هـ . (الفاسي : العقد الثمين
ج ٣ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١) .

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٠٤-١٠٥ - ابن فهد : إتحاف
الـــــــــــــوري ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ - النهروالي : الأعلام
ص ١٩٨-١٩٩ .

(٢) هو الحسن بن سليمان (٧٩٣ - ٨١٥ هـ / ١٣٨٩ - ١٤١٢ م) سلطان كلوة الإسلامية التي تنتسب إلى مدينة كلوة التي أنشئت في أواخر القرن الرابع الهجري على أرجح الأقوال على الطرف الشمالي الغربي لجزيرة صغيرة تقع أمام الساحل الشرقي لأفريقية، وتعرف بهذا الاسم أيضاً، وتقع على بعد نحو ٢٤٠ كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة دارالسلام عاصمة تنزانيا الحالية، وقد مدت سلطنة كلوة الإسلامية نفوذها حتى بداية الاستعمار البرتغالي لشرق أفريقيا في مطلع القرن العاشر الهجري على معظم الساحل الشرقي لأفريقية من حدود الحبشة شمالاً حتى موزمبيق جنوباً، وعلى الجزر الساحلية المقابلة، وعلى داخل القارة الأفريقية حتى منطقة البحيرات العظمى، وكانت مدينة كلوة المركز الرئيسي لتجارة المحيط الهندي والخليج العربي مع شرق قارة أفريقيا، كما كان لسيطرتها على تجارة الذهب بمدينة سفالة على الساحل الأفريقي جنوبي موزمبيق

三三三

إلى أعيان مكة والمدينة . (١)

وفي سنة ٨١٧ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ مرة أخرى
الكثير من القمح ليفرق على فقراء ، ومجاوري المسجد الحرام . (٢)

وفي سنة ٨١٨ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ مرة أخرى الكثير
من الذهب ليفرق بالمسجد الحرام . (٣)

وفي سنة ٨٢٣ هـ حج الشيخ بدر الدين الأقصري (٤) ، ومكث
بعد سفر الحجاج بيومين لأنه وصل صحبته مرسوم بأن يفرق القمصان

أهمية كبيرة في إزدهارها الإقتصادي ، وفي سيطرتها السياسية
على شرق أفريقية . (لمزيد من التفصيل انظر : سليمان عبدالغني
مالكي ، سلطنة كلوة الإسلامية ، دار النهضة العربية - القاهرة -
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ص ٧ - ٤٥ .

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ١٣٨ - شفاء الفرام ج ٢ ، ص
٢٥٤ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٩ - الجزيري : درر الفرائد
ج ١ ، ص ٦٨٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ - ابن فهد : إتحاف
الوري ، ج ٣ ، ص ٥٢١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٨٨ - ابن فهد : إتحاف
الوري ، ج ٣ ، ص ٥٢٩ .

(٤) محمود بن محمد البدر بن الشمس الأقصري ، ولد سنة بضـع
وتسعين وسبعمائة ، اشتغل كثيراً ، ولازم الكثير من الأئمة ، وحج
سنة ٨١٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٥ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ،
ج ١٠ ، ص ١٤٣) .

التي تصدق بها السلطان ، ثم يلحق بالركب ، وقد سافر بعد يومين ،
وفوض تفرقة القمصان إلى القضاة والأئمة والفقهاء ، والنصف الثاني يقسم
نصفين ، نصف منه للأربطة ، والنصف الآخر للفقراء والأرامل وأرباب البيوت .^(١)

وفي سنة ٨٢٤ هـ أرسل السلطان العثماني مراد الثاني^(٢) لفقراء
الحرمين من ماله الخاص مبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار لتفرق عليهم .^(٣)

وفي سنة ٨٢٧ هـ فرق شمع الدين بن الجزري صحبة الحجاج
الأموال والثياب والزاد بحوالي ستمائة دينار .^(٤)

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ - ٥٧٤ .

(٢) مراد الثاني العثماني : ابن السلطان محمد بن يلدرم ، تسلطن
سنة ٨٢٥ هـ ، وكان ملكاً عظيماً مطاعاً ، أرسل الكثير من الصدقات
للحرمين الشريفين ، وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة .
(العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٥ - ٦٦) .

(٣) زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٧٧ - أحمد السباعي :
تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ - المقرئ : السلوك ،
ج ٢ / ٤ ، ص ٦٦٣ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٦٠٧ .

وفي سنة ٨٢٩ هـ بعث الأُشرف برسبای مركباً فيه قمح صدقة
على أهل الحرمين ، وأمر على الصدقة الأمير آقبغا التركماني (١) ، وبدأ
بالمدينة المنورة ، وفرق خمسمائة أردب قمح على القضاة والعلماء
والفقهاء والخدام والأُشراف والأيتام والأرامل ، ثم وصل إلى مكة وفرق
خمسمائة أردب قمح على أهل الحرم ، وعلى الأربطة والمجاورين ، وعم بها
أهل مكة (٢) .

(٣)
وفي سنة ٨٣١ هـ وصل الشيخ عبد الرحمن المذكور من بلاد كالبرجة
ومعه الكثير من الصدقات محملة في المراكب لأهالي الحرمين ، ومال يشتري
به حدائق في المدينة المنورة توقف على أشراف المدينة ، كما فرق على أهالي
المدينة بعض المال (٤) .

(١) آقبغا التركماني الناصري فرج : أمره الأُشرف برسبای أمير عشرة ،
وولاه إمرة الحج ، ثم نيابة الكرك ، وكان كريماً ، توفي سنة ٨٤٣ هـ .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٣١٦) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٦٣٤ .

(٣) كالبرجة : تقع باقليم الدكن بالهند ، يحكمها في ذلك الوقت
ملوك آل بهمان ، وهم مسلمون ، وساحلها الديبل ، (ابن تغري بردي
: النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٩٢٩) .

(٤) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٦ -

الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٧ .

وفي العام نفسه كان أمير المحمل الشريف قراسنقر^(١) كاشف الجيزة ،
وأمير الأول إينال الششماني^(٢) المحتسب ، وجهز معهما السلطان الأشرف
برسباى عشرة آلاف أفلورى إلى الأمير مقل القديدى ، ليعمر عين حنين
بخمسة آلاف^(٣) ، ويتصدق بالباقي على أهل الحرمين^(٤) .

وفي يوم الإثنين الحادى عشر من شوال سنة ٨٣٤ هـ حجت زوجة
السلطان الملك الأشرف ، وكانت في تجمل كبير ، ومعها الكثير من الصدقات .
(٥)

- (١) قراسنقر بن عبدالله بن عبد الرحمن الظاهرى برقوق ، الأمير شمس
الدين أمير حج المحمل ، كان من جملة أمراء الطبلخانات بالقاهرة ،
سافر أمير محمل غير مرة ، وتوفى يوم الأربعاء تاسع عشر من ذى الحجة
سنة ٨٣٩ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ٢ ، ص ٥٣٩)
- (٢) إينال بن عبدالله الششماني الناصرى فرج : كان من أمراء الطبلخانات
في الدولة الأشرفية برسباى ، وثاني رأس نوبة النوب ، وولى حسيبة
القاهرة ، ثم نيابة صفد ، ثم مقدمة ألف بدمشق ، وتوفى بدمشق شهر
ربيع الآخر سنة ٨٥١ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ،
ج ١ ، ص ١٢٥) .
- (٣) انظر الفصل الخاص بتوفير المياه .
- (٤) المقرئى : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٧٨١ - ابن حجر : إنباء الغمر ،
ج ٣ ، ص ٤٠٤ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ،
ص ٧-٨ - ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ١٣٧ -
الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٧ - النهروالى : الإلام ،
ص ٢١٢ - محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى ، ص ٢٩٢ .
- (٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٥٤ .

وفي ليلة الجمعة الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٨٤٧ هـ حضر القضاة والأعيان إلى المسجد الحرام أمام الحجر الأسود ، وصلوا به ركعتين ، وقرأ فيه قارئاً عشراً من القرآن ، ودعا للسلطان ، ثم جعل الأمير في قرب السقاين ماءً مبلولاً بالسكر ، وسيل بالطواف فشرب منه الفقير والغني (١) .

وفي العام نفسه وصل ركب الرجبية ، ومقدمهم الأمير أحمد وصحبته مشد (٢) جدة الأمير تراز المصارع (٣) ، ومعهم سبعمئة جمل إلى مكة ، وفرق الكثير من الصدقات على أهل مكة من قمح ودقيق وسكر وحلوى ، كما فرق الذهب على الفقراء والمنقطعين (٤) .

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٦٨ .

(٢) المشد : أقرب مرادف لهذا اللفظ كلمة مفتش ، ويسمى متولى الوظيفة الشاد مضاف إليها جهة الاختصاص مثل شاد البريد ، وشاد العمائر ، وشاد جدة وغير ذلك . (المقريزى : السلوك ، ج ١ / ١ ، ص ١٠٥) .

(٣) تراز بن عبدالله البكتمرى المؤيد شيخ المعروف بالمصارع أحد أمراء العشرات في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم نائب القدس الشريف ، توفى سنة ٨٥٥ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٣٥) .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٦٤ - السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٦٧ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ، ص ٢٣٣ .

وفي حج هذا العام نفسه قام أمير شاد بك ، ومعه الأمير حسن ناظر الإسكندرية بفعل الكثير من أعمال الخير والبر ، ففرق الذهب والدقيق والسكر والحلوى والسكينة على الفقراء والمنقطعين ، كما حج الكثير من التكرور بمرافقة ركبهم .^(١)

(٢)
وفي سنة ٨٤٨ هـ وصل مع الركب رسول سلطان العجم شاه رخ ، ومعه قليل من الصدقات فرقت على أهل الحرمين .^(٣)

وفي سنة ٨٥٠ هـ حجت مغل ابنة القاضي ناصر الدين البارزي ، وزوجة السلطان جقمق ، وكانت في ركب حافل بالأبهة والعظمة ،^(٤)

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(٢) معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك : صاحب سمرقند وبخارى وما والاها من بلاد العجم ، ملك الشرق حدث بينه وبين الأشرف برسبای وحشة ، ثم أرسل كسوة الكعبة بعد أن السلطان جقمق ، وكان خيراً فقيهاً متواضعاً محباً لأهل العلم والصلاح .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(٣) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٩٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٣ - النهر والي : الإعلام ، ص ٢١٧ .

(٤) مغل ابنة القاضي ناصر الدين البارزي ، وزوجة الظاهر جقمق ، ولدت سنة ٨٠٣ هـ ، وحجت عدة مرات ، وزارات بيت المقدس ، وأرسلت الكثير من الصدقات لأهل الحرمين ، توفيت سنة ٨٧٦ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٢٦) .

، وفعلت الكثير من أفعال الخير في الطرقات ، وفترت الكثير من الصدقات على
سكان بيت الله الحرام . (١)

وفي العام نفسه حج وزير السلطان العثماني مراد الثاني ، ومعه
الكثير من الصدقات ، وفترت على المجاورين والفقراء ، ورعى بقبة العباس
بالحرم الشريف ماءً محلى بالسكر والعسل بحوالي ثلثائة وستين رأس سكر ،
وعدة قناطير عسل ، وسقى كل مَنْ بالطواف والسعى . (٢)

وفي سنة ٨٦١ هـ حج سيدى أحمد ولد السلطان الأشرف
إينال مع والدته زينب الخاصكية (٤) ، وكذلك أخته في تجمل زائد وتصدقوا (٣)

- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٣٧٢ - السخاوى :
التبر المسبوك ، ص ١٤٧ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٤ .
- (٢) ابن فهد : إتحاف السخاوى ، ج ٤ ، ص ١٩٩ - ابن
عبد الهادى : الدر الفاخر ، ورقة ٣٦ - السخاوى : التبر المسبوك
، ص ٤٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٥ - القطيبي :
اعلام الأعلام ، ص ٢١٨ - السنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٨٠ .
- (٣) أحمد بن إينال المؤيد الشهاب أبو الفتح بن الأشرف بن النصر
العلائي الظاهرى ، أمه إبنة خاص بك ، ولد سنة ٨٣٥ هـ وكانت
حجته عظيمة يضرب بها المثل ، وتوفى سنة ٨٩٣ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٤٦) .
- (٤) زينب إبنة العلائي على بن العالم البدر محمد الحنفى ، وتعرف بإبنة
ابن خاص بك ، تزوجها إينال في إمرته وكل أولاده منها ، وكان لها
نفوذ الكلمة ، وطواعية السلطان وقد قارت الشانين عاماً عندما توفيت .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ٤٤ - ٤٥) .

(١) بيعض المال على الفقراء والمجاورين .

وفي سنة ٨٦٣ هـ كان أمير المحمل برد بك الدوادار (٢) ، وحثت معه زوجته إبنة الملك الأشرف إينال ، وفرق صدقة قليلة على أهل الحرم (٣) .
وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنة ٨٧٢ هـ وصل مباشرة شاهين الجمالي إلى مكة ، واجتمع بأعيانها بالحطيم ، وقرأ مرسوم السلطان للسيد محمد بن بركات يخبره بأنه شملته الصدقات ، وخلعة شريفة . وللقاضي الشافعي خلعة ، وخلعتين لولدي الخواجا بدر الدين الطاهر ، وخلعة للخواجا محمد قاوان (٤) ، وعمت الصدقات الفقراء والمجاورين . (٥)

- (١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ١١١ - ابن فهد :
إتحاف السـُـورى ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ - الجزيري : درر
الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٤ .
- (٢) برد بك الأشرف إينال ، ملكه سنة ٨٢٩ هـ ورباه وزوجه إبنته ،
فلما تسلطن عمه دوادارا ، سافر للحج ، وقتل بخليص سنة ٨٦٨ هـ
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤ - ٥) .
- (٣) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٥ .
- (٤) الخواجا محمد بن قاوان : نزيل مكة ولد قبل العشرين وثمانائة
قدم القاهرة سنة ٨٧٧ هـ فأكرمه الأشرف قايتباى ، وزار بيت المقدس ،
ورجع إلى مكة ، وتوفي سنة ٨٨٩ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،
ج ٧ ، ص ٥٣ - ٥٤) .
- (٥) النهروالي : الإيماء ، ص ٣٦٩ .

وفي سنة ٨٧٤ هـ أرسل السلطان قايتباي مبلغاً من المال ليقسم بين أمراء مكة وأشراؤها ، ويصحبه المال خلعة لأُمير مكة .^(١)

(٢)
وفي سنة ٨٧٥ هـ توفي الخوaja مصطفى بن صاحب طرابلس الرومي بمكة ، وجعل وصيته للقاضي الشافعي ، ونائب جدة شاهين الجمالي ، وأوصى لكل واحد منهما بخمسمائة دينار ، وثلاث ماله لفقراء الحرمين ، ولأُمير مكة بخمسمائة دينار ، وبمائة دينار لقضاة مكة على المذاهب الأربعة لكل واحد منهم مائة دينار .^(٣)

وفي سنة ٨٧٦ هـ وصل المحمل العراقي بصدقة عظيمة إلى مكة المشرفة فرقت على فقراء الحرمين .^(٤)

(٥)
وفي سنة ٨٧٨ هـ خرج المحمل المصري صحبة جانبك الأشقر ،

- (١) أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٦٧ .
- (٢) مصطفى بن صاحب طرابلس الرومي التاجر الخوaja نزيل مكة ويعرف بالذبيح ، عمر عين عرفة ومسجدها ، ومسجد الخيف وفسقية خليس . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٦٠) .
- (٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ .
- (٤) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٤٢٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥٢ .
- (٥) جانبك الأشقر المغربي الأشرفي قايتباي ، أصله من مماليك قايتباي الموالي ، أحد أمراء البلاد الشامية ، سافر أميراً أول ، ثم أميراً محملاً مرتين ، وتوفي سنة ٨٨٠ هـ (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٥٥) .

وصحبه القاضي ابن ظهيرة متوجهين إلى مكة ، وأُجزل عليهم السلطان الأشرف قايتباي ما يكفيهم من الأسطة بالإضافة إلى مائة ألف دينار . (١)

وفي سنة ٨٧٩ هـ حجت خوند الخاصكية زينب ابنة علي بن خليل ، وأحمد بن خاير بك إلى مكة ، وبصحبتها أخت الملك الأشرف قايتباي ، وخوند زوجة الملك الظاهر جقمق ، ومعهم خمسون جملاً ، وخلعت على أمير مكة وقضاتها ، ثم تصدقت على أهل الحرمين بالشيء الكثير . (٢)

وفي سنة ٨٨١ هـ إجتاح مصروياً شديداً (٣) ، فتوقف بسبب ذلك إرسال الهبات والأعطيات .

وفي سنة ٨٨٤ هـ توجه الأشرف قايتباي إلى مكة لقصد الحج ، وفعل الكثير من أوجه الخير والبر أثناء الطريق ، وعندما وصل إلى منطقة الحوراء كان باستقباله أمير مكة المشرفة ، والقاضي ابن ظهيرة ، ومد له سماًط فخلع عليهما . وعند وصوله ينبع عرج على المدينة الشريفة لزيارة المصطفى

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(٢) ابن فهد : إتحاف البصري ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

الشريف الجنابي : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ٨٤ - الجزيري :

درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥٣ .

(٣) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر

الملوكية ، ص ١١٤ .

عليه الصلاة والسلام ، وفرق بها ستة آلاف دينار^(١) ، كما خلع على علمائها وقضاتها ، ثم قصد مكة وحج ، وفرق صدقاته على أهل مكة بمبلغ قدره خمسة آلاف دينار ، وتفقد أحوال الناس ، ثم رجع إلى مصر بعد قضاء^(٢) ثلاثة أشهر .

وفي سنة ٨٨٥ هـ كان المولد النبوي الشريف بالقاهرة وقد اجتمع السلطان مع إمرائه وكبار رجال دولته وعلمائها وفقهائها بقلعة الجبل ، وكان بين أيديهم ستة أطباق ملوثة بالذهب ومغطاة بالفوط الكافوري ، وبها مبلغ جعلته ستون ألف دينار ، وأخبر السلطان الجالسين ، أنه لما حج في العام الماضي سنة ٨٨٤ هـ وجد ما بأهل المدينة من القحط والإجفاف

- (١) ابن عبد الهادي : الدر الفاهر ، ورقة ٣٩ - ٤٠ - الشريف الجنابي
: البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ٨٧ - القرمانى : آثار الدول ، ص ٢١٧ -
السمهورى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٠ - ٧١٥ - السيوطي : تاريخ
ال خلفاء ، ص ٥١٥ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١٦١ -
حقى رفعت باشا : الإعلام بأعلام البلدان الحرام ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٢) ابن فهد : إتحاف المستورى ، ج ٤ ، ص ٥٠٥ - ٥٠٨ -
- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٦٠ - ١٦١ - الجزيرى :
درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥٧ - ٧٥٨ - الرشيدى : حسن الصفا
والإبتهاج ، ص ١٤٧ .

من عدم المؤنة والقوت ، فأخرج من ماله الخاص هذا القدر ، وأرصده ليشترى به بلاداً من ضياع وأماكن وربوع ، وفعلاً شرع في بناء ربوع بباب النصر والبندقين والزجاجين بالقاهرة ليكون ريعها مصروفاً على الفقراء^(١) ويتحصل منها سبعة آلاف وخمسمائة أردب قمح في كل سنة لعمل دشيشة ، وخبز للفقراء والمحتاجين ، ويفرق بعضه على كبيرهم وصغيرهم ، وفقيرهم ، حرهم وعبيدهم ، ويصرف من ذلك كفاية أرباب البيوت^(٢) . وأنه خصص لذلك مركبين كبيرين مسمارين^(٣) لنقل القمح والحوائج إلى الحجاز ، كما أن الأمير تنم الناظر ، صنع مركباً لنقل الدشيشة طولها ١٢٠ ذراعاً ، وبها فرن وضاحون وصهرريج ماء حلوقمعد ومبيت وإسطبل للخيول^(٤) .

- (١) ابن الصيرفي : إنباء المهصر بانباء العصر ، ص ٤٧٨ - ٤٨٠ - ٤٨١ .
- ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٢ .
- (٢) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ، ورقة ٨٧ - ٩٧ - القرمانى : أخبار الدول ، ص ٢١٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .
- (٣) مسمارين : هي السفن المسمارية وجمعها مسماريات وهي السفينة التي تستعمل فيها المسمير الحديدية لربط الواحدها بعضها ببعض . (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية) ص ٣٦٨ .
- (٤) عبد اللطيف إبراهيم : المقال السابق ، ص ٢٥٢ .

داود بن عيسى بن عمر ^(١)، وتصدق بمكة بحوالي ألف دينار، وحصل
بها نفع للفقراء ^(٢).

وفي سنة ٨٩٦ هـ وصلت إلى مكة المشرفة صدقة من بلاد الروم ^(٣)
مقدارها خمسة آلاف دينار، وستمئة وعشرون ديناراً، وعم بها النفع ^(٤).

وفي شوال سنة ٩١١ هـ أرسل السلطان الغوري الكثير من الصرر
والزيوت لسكان الحرمين ^(٥)، كما كان يرسل الكثير من الأدوية للفقراء
والمنقطعين بالحجاز، ويقوم بتوزيع قمصان على الفقراء، والوافدين صحبة
المحمل المصري ^(٦).

- (١) داود بن عيسى بن عمر بن شيخ هواة، حج سنة ٨٩٣ هـ، وأحسن
لفقراء الحرمين. (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢١٤-٢١٥).
- (٢) الجزيري: درر الفرائد، ج ١، ص ٧٦٢.
- (٣) أي الدولة العثمانية.
- (٤) الجزيري: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦٣.
- (٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٨٩.
- (٦) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥٦ - على السليمان:
العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٧٧ - عبد اللطيف إبراهيم:
المقال السابق والصفحة.

وفي سنة ٩١٧ هـ حج الكثير من أعيان مصر ، منهم خابريك المعمار
أحد المقدمين الألف ، وكاشف الغربية ، وحج الشرفي يونس بن الأقرع
نقيب الجيش ، وحجت زوجة الأمير طومان باي ووالدتها ، وزوجة الأتابك
سودون العجمي ، وشيخ العرب أحمد بن بقر ، وحسام الدين من بغداد ،
وجماعة من مشايخ هواره ، وكان لهم الكثير من أعمال الخير في أثناء الطريق ،
وفي مكة .^(١)

وفي سنة ٩٢١ هـ دخل الشريف بركات أمير مكة القاهرة ، وأرسل
إليه السلطان قانصوه الغوري أربعة آلاف دينار ، وأربعة ممالك فرسان في كامل
ثيابهم ، والكثير من الثياب ، وقطع القماش المخملية الملونة ، وأربعة سيوف
مرصعة بالجوهر ، كما أعطاه كبار رجال الممالك الكثير من الهدايا .^(٢)
وفي سنة ٩٢٢ هـ أرسل السلطان قانصوه الغوري الكثير من الهبات
لأهل مكة والمدينة المنورة .^(٣)

- (١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - الجزيري :
درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ٧٩٦ - علي السليمان : العلاقات الحجازية
المصرية ، ص ١٣٨ .
(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٥٦ - الجزيري : درر الفرائد
ج ٢ ، ص ٧٩٦ - ٧٩٧ .
(٣) يوسف أحمد : المحمل والحج ، ص ٢٥٠ .

الفصل الرابع

توفير الأطعمة وإلغاء المكوس عليها
في مكة المكرمة والمدينة المنورة

توفير الأُطعمة وإلغاء المكوس عليها فـــــــي

مكة المكرمة والمدينة المنورة

الحجاز إقليم مستطيل يحده غرباً البحر الأحمر، وشرقاً البادية الكبرى، وجنوباً بلاد عسير، وشمالاً بادية الشام، وطوله من الشمال إلى الجنوب ١٥٠٠ كيلومتراً، وعرضه من الغرب إلى الشرق ٣٠٠ كيلومتراً، ويقطعه من الشمال إلى الجنوب جبال السراة^(١). ويغلب على تضاريس الحجاز بصفة خاصة الجبال والصدارى التي تتخللها بعض الأودية التي تجف صيفاً مما يجعل أهلها ينتجعون العشب والكلأ في رعي أغنامهم، ولا يوجد ببلاد الحجاز أنهار جارية، ولذلك يعتمد سكانها في الزراعة على مياه الأمطار أو على العيون والآبار المنتشرة هنا وهناك، فتقوم حولها القرى والحدائق والبساتين كما هو الحال بالنسبة للطائف ووادي مّر، ونخلة وعسفان وغيرها^(٢).

وأما مكة فبلد قاحل شحيح العطر، قليل المياه الجوفية، ولذلك فهو غير صالح للزراعة بل تكاد الزراعة تكون معدومة فيه، ومن ثم فمحاصيلها قليلة لا تكفى لسد حاجة سكانها^(٣)، ناهيك عن آلاف الحجاج الذين يأتون سنوياً كما قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام:

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٧ .

(٢) جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١١٩ .

(٣) سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عصر الأشراف حتى سقوط

الخلافة العباسية ، ص ٩ .

* رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * (١) ، وهكذا أخذت تهفو أفئدة المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي إلى مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة ، وإلى المدينة المنورة حيث مثوى الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وقد أضرأ أهل مكة إلى جلب ما يحتاجونه من المناطق المجاورة ، كوادى مرّ ، والطائف بإعتباره بلداً مشهوراً بكثرة مياهه ، وخصوبة أرضه ، ولطافة مناخه ، فهو كثير الحاصلات الزراعية ، وتوجد به زراعة بعض الفواكه والخضروات . (٢)

أما المدينة المنورة فهي أحسن حظاً من مكة لخصوبة أرضها ، ولكثرة مياه العيون والآبار بها ، وخاصة في وادى العقيق ، والتمر من أكبر محاصيلها الزراعية (٣) . ومن ثم فالزراعة تعتبر ميزة للمدينة المنورة على مكة ، تستطيع بها المدينة أن تؤمن أقواتها ، وأن تستغني عن الخارج في كثير من الضروريات مكتفية بإكتفاء ذاتياً بعكس مكة (٤) .

(١) سورة ابراهيم : آية ٣٧ .

(٢) رحلة ابن جبیر ، ص ٩٧ - ٩٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية

المصرية ، ص ١٧٠ .

(٣) أنظر عبد القدوس الانصارى : آثار المدينة المنورة ، ص ١١٩ - ١٢١ .

(٤) على السليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

١ - في مكة المكرمة :

كانت مكة المكرمة منذ ظهور الإسلام تعتمد في معظم شئون حياتها على الهبات والأعطيات الخارجية نقداً وعيناً من خلفاء وسلاطيين المسلمين ومن البلاد الإسلامية بصفة عامة^(١) . وفي العصر المملوكي اهتم سلاطين المماليك بتيسير سبل العيش لأهلها ، وكانت موارد مكة الرئيسية تعتمد على ما ينفقه الحجاج في مواسم الحج ، وعلى التجارة الداخلية والخارجية ، وعلى صدقات وأوقاف السلاطين وكبار المحسنين.^(٢)

ويمكن القول إن ارتفاع الأسعار في مكة إنما كان يرجع إلى المكوس الباهظة التي كانت تجبى بها على الأطعمة والمواد الغذائية ، بالإضافة إلى القحط وإنقطاع الميرة عن أهالي الحرمين ، وإن رخص الأسعار بها إنما كان يعود إلى إلغاء المكوس ، أو هطول الأمطار ، أو وصول الميرة إلى أهلها .

وفي سنة ٦٤٩ هـ كان الغلاء بمكة شديداً وقاسياً واستمر لمدة سنة.^(٣)

وفي سنة ٦٥١ هـ ارتفعت حدة الغلاء ، فبلغت شربة الماء بدرهم ، والشاه بأربعين درهماً ، وبيع بالطائف الشعير والدخن

(١) عن الفترة السابقة على العصر المملوكي . انظر سليمان مالكي : مرافق

الحج والخدمات المدنية ، ص ١٢٣-١٢٩ .

(٢) على سليمان : المرجع السابق ، ص ١٧١-١٧٢ .

(٣) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ٢ ، ص ٢٧١ - الجزيري : درر الفرائد

ج ١ ، ص ٥٩٧ .

مد (١) وربيع بدينار (٢).

غير أن الغلاء عم أرض الحجاز سنة ٦٦١ هـ ، واستمر حتى سنة ٦٦٧ هـ (٣) ، الأمر الذي أدى إلى ضيق أهل الطائف من شدة إرتفاع الأسعار ، فبيع الشعير ربيع مد وثلثاء بدينار ، إلا أن الأزمة إنفجرت عند وصول المعيرة والمؤمن سنة ٦٦٩ هـ ، والسنة التي تلتها (٤).

والذي زاد من شدة القحط سنة ٦٦٧ هـ الفتنة التي كانت بين صاحب مكة الشريف أبي نعي وبين صاحب المدينة المنورة أحد أولاد الشريف إدريس ، عم الشريف أبي نعي بالرغم من إتصال الجلاب من سواحل اليمن وعيذاب وسواكن (٥) ، بالإضافة إلى ندرة الأمطار التي زادت بها الأسعار ، فبيعت فرة القمح

(١) المد : بالضم وجمعه أمداد ومدد ، وهي ضرب من المكاييل الشائعة الإستعمال في المدينة المنورة قبل الإسلام ، وهي جزء من أجزاء الصاع بشكل ربعه بإتفاق أقوال الفقهاء ، ويحوى المد رطلاً وثلثاً من الهر . (ابن رنعة : الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ، ص ٥٦) .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٠ - ابن فهد : إتحاف السورى ج ٣ ، ص ٧٥ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ، ص ٥٩٨ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠١ .

(٥) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

الزبلعية^(١) بأربعة عشر أشرفياً، وقرارة الذرة والدخن بتسعة أشرفيات .

وفي سنة ٦٧٥ هـ غلت الأسعار حتى أشدت وزاد القحط، فبيع الشعير ربع وشطر بدينار.^(٢)
^(٣)

وفي سنة ٦٧٦ هـ كان الغلاء بمكة، فبلغ القمح مدان بدينار، ومد الشعير بدينار، بل بلغ سعره بمكة في آخر ربيع الآخر ربع مد بدينار.^(٤)

وفي سنة ٦٨٣ هـ إزدادت حدة الغلاء بسبب الفتنة التي كانت بين الشريف أبي نعي أمير مكة وبين المصريين، بحيث بيعت قرارة القمح بألف ومائتي درهم، وفي المدينة المنورة بتسعمائة درهم.^(٥)
^(٦)

- (١) الزبلعية : نسبة إلى مدينة زبلع ، وهي مدينة على الساحل الغربي للبحر الأحمر في طرف الحبشة ، يسكنها السودان المسلمون .
(ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٥ ، حاشية ٧)
- (٢) الربع : مكيال مصرى يسع ملوتين أو أربعة أقداح . (سامح عبد الرحمن فهمي : المكاييل ، ص ٤٣) .
- (٣) المقریزی : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٦٣٤ - ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ١٠٧ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٥ .
- (٤) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .
- (٥) انظر قبل ص ١٦٩ - ١٧٠ .
- (٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ص ٢١٢ - ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ١٢٨ - الجزیری : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٨ - على السليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

وفي سنة ٦٩١ هـ حصل غلاء للناس من أول السنة ،
فكانت الحنطة ربع مد بدينار ، والراوية بأربعة دنانير ^(١) ، وستة عشر
دراهم مسعودية ^(٢) .

وفي سنة ٦٩٣ هـ غلت الأسعار حتى بلغ مد الطح
سته دنانير ، وراوية الماء بأربعة دنانير ، ثم رحم الله بهطول الأمطار ،
فسالت الأودية والشعاب ، وامتلات البرك مثل بركة أم السلم ،
وبركة سوق الليل ^(٣) .

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ - ابن فهد : إتحاف
الـجـوري ، ج ٣ ، ص ١٢٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،
ص ٦١٠ .

(٢) الدراهم المسعودية : ينسب ضربها إلى الملك المسعود الأيوبي
ابن الكامل محمد بن المعادل أبي بكرين أيوب الذي أنتزع مكة من
حسن بن قتادة ، وظل والياً عليها حتى سنة ٦٢٦ هـ ، وهو مربع
الشكل زنته نحو نصف ، ثم نقص إلى سدس . (القلقشندي : صبح
الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦) .

(٣) المقرئزي : السلوك ، ج ١/٣ ، ص ٨٠٤ - ابن فهد :
إتحاف الجوري ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

ودفع إنتشار الوباء والقحط سنة ٦٩٥ هـ أهل مكة والقرى المجاورة
إلى الرحيل منها إلى منطقة حلى بني يعقوب ، كما فتك الجوع بعدد كبير
من الناس (١) فبلغت غرارة القمح ألف ومائتي درهم (٢) .

وفي بداية القرن الثامن الهجرى إرتفعت أسعار الطعام لنُدرة الأمطار
في سنوات متتالية . ففي سنة ٧٠٣ هـ وجد الحجاج مشقة عظيمة من قلّة
الماء فغلاء السعر ، وجفت القرب بطريق الحجاز ، ومات عالم كثير ، وبيعَت
ويبة (٣) الشعير بأربعين درهماً ، وويبة الدقيق بستين درهماً (٤) .

- (١) على السليمان : العرجع السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ - ابن إياس : بدائع الزهور
ج ٥ ، ص ٣٩١ .
(٣) الويبة : هي مكيال مصرى كان يعادل قديماً عشرة أمان ، وهي
تساوى حالياً ١٦٨ ر ١٢ كيلوغراماً ، أى كيلتين . (سامح عبد الرحمن
فهيمى : المكييل ، ص ٤٢) .
(٤) المقرئى : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ١٢ - وذكر ابن فهد : إتحاف
الــــــــــــــــورى ، ج ٣ ، ص ١٤١ - والجزيرى : درر الفرائد
ج ١ ، ص ٦١٧ أن هذه الحادثة كانت سنة ٧٠٤ هـ .

وقلة الواصل من البحر ، فرسم سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون بنقل الحبوب إلى مكة في كل عام من الصعيد ^(١) بشرط أن يسقط المكس عن الواردين بالميرة إلى مكة فوافق على ذلك . ^(٢)

وفي سنة ٧٢٢ هـ يشتد الغلاء بمكة ، فوصل أردب القمح مائتين وخمسين درهماً ، فعطف سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون على أهل الحجاز بتخفيف المكس عليهم ، فأبقاه على سلع التجار و سلع الحجاج الثمينة ، وأسقط مكس الطعام ، وعوض صاحب مكة بثلاثي قرية " دمامين " بصعيد مصر ، كما أرسل لهم ألفي أردب قمح ، وبذلك انحل السعرو عم الرخاء بأرض الحجاز . وامتلات الأسواق بالأطعمة . ^(٣)

- (١) الصعيد : هو الإقليم الجنوبي من مصر ، وما يعرف في لغة المصريين بالوجه القبلي تمييزاً له عن الإقليم الشمالي الذي يعرف بالوجه البحرى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠٨) .
- (٢) المقرئى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٢٣٦ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ، ص ٦٢٧ .
- (٣) ابن حبيب : تذكرة النبىه في أيام المنصور وبنيه ، ج ٢ ، ص ١٢٥ - الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٩٣ - شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - الحضراوى : حسن الصفا والابتهاج ، ورقة ٥٠ - ابن الوردى : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ - المقرئى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٢٣٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٧ .

وفي سنة ٧٢٤ هـ إرتفع سعر الأُصعة ، فبيعت غرارة الحب الشامية فوق ألف وثلثمائة درهم ، ثم ما لبث أن إنخفض السعر ^(١) ، إلا أن الغلاء رجع كرة أخرى في السنة التالية عندما وصل عسكر السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مصر ، وكان متوجهاً إلى اليمن نجدة للملك المجاهد بن الناصر صاحب اليمن ، ودخل مكة في السادس والعشرين من جمادى الأولى فخرج إمام الزيدية من مكة إلى وادي مرّ ، وأقام العسكر بمكة إلى أن قدمت مراكبهم من مصر إلى جدة محملة بالغلّال ، وقد بيع أردب الشعير بثلاثين درهماً ، وويبة الدقيق بعشرين درهماً ، ثم إنحل السعر بعد رحيلهم في خامس جمادى الأولى ، فبيعت غرارة الشعير بإثني عشر درهماً ، وأردب القمح بثمانية عشر درهماً ، وامتلات الأسواق بالأُصعة من لحم وعسل وسمن وقمح ^(٢) .

وفي سنة ٧٢٨ هـ كانت مكة في غاية الرخص ، والرخاء حتى بيع أردب القمح بأربعين درهماً ، والدقيق بثمانية ، واللحم لكل منّ بأربعة دراهم مسعودية ، والعسل من بدرهمين ، والأوقية ^(٣) بثلاث دراهم ،

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ - الفاسي :

شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ - المقرئ : السلوك ، ج ١/٢ ، ص

٢٦٥ - ٢٦٨ - ابن فهد : إتحاف الوري ،

ج ٣ ، ص ١٨٠ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٨ .

(٣) الأوقية : هي واحدة الأواقي وهي وحدة وزن قديمة ، وهي من

مستحدثات النظم اليونانية ، وعندما دخل الرومان مصر جعلوها

أوقية الرطل المصري ٢٨٣٢ غراماً ، وعن طريق مصر والشام عرفها

تجار مكة والمدينة المنورة وقد أقر النبي أوقية النقد والفضة التي

كانت في مكة فدخلت في الحقوق الشرعية (ابن رفة : الإيضاح

والتبيان ، ص ٥٣ ، حاشية ٤) .

والجبن كل من بدرهمين. (١)

وفي سنة ٧٣٢ هـ قدم مبشر الحجاج إلى القاهرة ، وأخبر بسلامة
الحجاج ورخاء الأسفار. (٢)

وفي سنة ٧٣٣ هـ بيع بمكة أردب الشعير من عشرة دراهم إلى
عشرين درهماً ، وبيع البقسماط بالعدل (٣) كل رطل بفلس (٤) واحد ،
ورطل السكر بدرهمين ، وعلبة الحلوى بثلاثة دراهم (٥) .

وفي سنة ٧٣٨ هـ عم البلاد الرخاء ، فبيعت ويبة الدقيق بتسعة
دراهم ، والسمن أرطال بدرهم ، والعسل أربعة أرطال بدرهم ، وكذلك
اللحم أربعة أرطال بدرهم ، والعجوة إثنا عشر رطلاً بدرهم (٦) .

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ - الجزيري : درر الفرائد ،
ج ١ ، ص ٦٣١ .

(٢) المقرئ : السلوك ، ج ٢ / ٢ ، ص ٣٤١ .

(٣) العدل : جمعه عدول ، وهو نصف الحمل . (المقرئ : السلوك ،
ج ٢ / ٢ ، ص ٣٥٧) .

(٤) الفلس : هي من السكة النحاسية ، وزنها الشرعي ١٤٨ ر . وهي مستعارة
من البيزنطيين ، وتساعد على إجراء العمليات التجارية البسيطة ، ولضبط
جميع أوزان العملات صنع العرب صنجات زجاجية خاصة مقدرة بالقراريط والخراريب .
(عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص (١) .

(٥) المقرئ : السلوك ، ج ٢ / ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٦) المقرئ : المصدر السابق ، ج ٢ / ٢ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ - الجزيري :
درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٢ .

وبدلاً من أن يساعد سلاطين المالك على إنخفاض الأسعار كانوا بالعكس يحتكرون بعض السلع التجارية التي تنوء إلى عدم تواجد العملة في الأسواق ، مما يدفع الأسعار إلى أضعاف سعرها . ففي سنة ٧٤٧ هـ إشتد الغلاء أثناء فترة الحج ، لإحتكار سلطان مصر لبعض السلع وأنواع البهار ، فبيعت غرارة الذرة بمائتي وأربعين درهماً ، والحخطة بمائة وسبعين درهماً ، وفي بعض الأوقات بمائة وستين درهماً ، والتعرب ثلاثة دراهم ^(١) . واستمر الغلاء لمدة شهر وأكثر ، وهلك كثير من الجمال بسبب إنتشار الوباء ^(٢) .

وذكر المقرئ أنه في سنة ٧٤٨ هـ عم الرخاء أرض الحجاز ، ورخصت الأسعار بمكة ^(٣) ، بعكس الفاسي وابن فهد والجزيري فإنهم يرون غلاء الأسعار ^(٤) .

وفي سنة ٧٤٩ هـ وقع الغلاء بمكة ، فبلغ أرباب القمح ثلاثمائة درهم ، وغرارة الذرة مائة درهم ، وويبة الدقيق ستة وأربعين درهماً ، وويبة الشعير

(١) ابن فهد : إتحاف السورى ج ٣ ، ص ٢٣٣ -

الجزيري : درر الفرائد ج ١ ، ص ٦٤٦ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ، ص ٢٧٣ - على السليمان : العلاقات

الحجازية المصرية ، ص ١٨٥ .

(٣) المقرئ : السلوك ج ٢/٣ ، ص ٧٢٥ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ، ص ٢٧٣ - ابن فهد : إتحاف

السورى ج ٣ ، ص ٢٣٥ - الجزيري : درر الفرائد

ج ١ ، ص ٦٤٧ .

وإنني أخالف المقرئ في هذا الرأي مع إختلاف وجهة نظره معهم خاصة وأن أهل مكة أدري بشعابها خصوصاً وقد أيدها الجزيري فيما قال وهو المتخصص بشئون الحج وزيارة مكة ، كما أن الفاسي وابن فهد متخصصان في تاريخ مكة بخلاف المقرئ فإنه يبعد عن الحجاز أن يعيش في مصر كما لم يكن متخصصاً في تاريخ مكة .

سبعين درهماً (١).

وفي سنة ٧٥١ هـ قدم الأمير فارص علاء الدين بالحجاج إلى القاهرة وأخبروا عن شدة غلاء الأسعار بمكة، وقلة المياه، بحيث بيعت الراوية بعشرين درهماً، وهم أهل مكة بالخروج منها والنزول ببطن مرّ، لكن الله بعث لهم مطراً استمر يومين، وبذلك امتلأت الآبار والبرك، وقدمت مكة عدة قوافل فأنحل السعر (٢).

وفي سنة ٧٥٣ هـ بلغ أرب القمح ثلثمائة درهم، والشعير مائتي درهم، وراوية الماء أربعة دراهم، ثم أتى الله بالأمطار لمدة ثلاثة أيام، فأنحل السعر، وبيع أرب القمح بمائة وخمسين درهماً، كما توفرت المياه لجريان عين حنين (٣).

وفي سنة ٧٥٥ هـ عم الرخاء بالحجاز فبيعت غرارة القمح بثمانين درهماً، وغرارة الشعير بخمسين درهماً، إلا أن الماء كان قليلاً لنزوح مياه الآبار، وإنقطاع مياه حنين، فأغاثهم الله بمطر كثير (٤). هذا بالإضافة

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٢) المقرئ : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٨١٦ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٨٦١ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٥٤ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .

(1)

إلى دخول بعض التجار إلى مكة فتهافتت الأسعار ، وامتلات الأسواق بالطعمة .

كما أن السلطان المملوكي حسن بن قلاوون أحس بصحوة الضمير وخوفه من الله في

عدم إهتمامه بسكان بيت الله الحرام ، فما كان منه إلا أن أصدر مرسوماً سنة

٧٦٠ هـ بإرسال عسكري إلى مكة بقيادة جرّكتمر المارديني (٢) لحل الخلاف

بين أمراء مكة وأشرفها (٣)، ونشر العدل وعدم الظلم، كما أسقط العكس المتعلق

بالمأكولات من الحب والتعمر والسمن لأن الطعام هو الذى يضمن إحتياجات

(3)

الناس أكثر من أية سلعة أخرى، بحيث بيعت غرارة الحنطة بستين درهماً.

- (١) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨٥ .
- (٢) جرگم المارديني : كان من ممالك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم تنقل إلى أن تولي التقدمة والحجوية الكبرى للناصر حسن ، أرسله إلى مكة سنة ٧٦٠ هـ ، وكان وافر الحرمة على المفسدين ، توفي سنة ٧٧٠ هـ (ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٧١) .
- (٣) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ - الكردي : التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .
- (٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ١٤١ - ١٤٢ - شفاء الفرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ - المقرئ : السلوك ، ج ١/٣ ، ص ٤٨ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ - ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٥٧ - ٦٥٨ - الكردي : التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٨٠ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨٦ .

إلا أن الأحوال تدهورت في الحجاز بعد ذلك ، فأصبحت الأُطعمة باهظة الثمن لا تُخذ المكوس الغالية عليها ، فصار المكس على الشاة أغلى من ثمنها ، وكذلك بقية الأُطعمة من حبوب وتروسمن ، وشكا الناس حالهم إلى يليها الخاصكي مدير الديار المصرية للأشرف شعبان سلطان مصر الذي ما كان منه إلا أن أرسل ألفي أردب قمح لأهل الحرمين ، ثم أخذ يواصل الإمدادات لتفرق على الفقراء والمساكين حتى بلغت حوالي إثني عشر ألف أردب قمح (١) . كما أسقط المكوس على الحجاج ما عدا تجار الكارم الذين يأتون من اليمن ، ومكس وتجار العراق الذين يأتون في الموسم ، ومكس الخيل ، فله أخذ مرتبه منهم على عادته ، وأشهد على نفسه بذلك ، وكتب له بذلك مثال شريف من مصر ، وعمل محاضر أثبت منها بمكة واحداً ، وفي المدينة المنورة واحداً وعند صاحب مصر في القلعة واحداً ، وقرر ذلك في ديوان الأشرف شعبان ، وعوض أمير مكة بمائة وستين ألف درهم ، وكتب ذلك على عدة أساطين بالمسجد الحرام سنة ٧٦٦ هـ (٢) ، وقد أوضحت ذلك كاملاً في الفصل الثاني المتعلق بإسقاط المكوس . ووفقاً لهذا المرسوم أبطل السلطان الأشرف شعبان سائر المكوس التي كانت تؤخذ على جميع أصناف المأكولات الواردة إلى مكة

- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٣٠٩ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ - المقرئ : السلوك ، ج ١ / ٣ ، ص ٩٧ - ابن فهد : إتحاف الســـــوري ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
- (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ١٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٣ .

سواء كان ذلك عن طريق البر أو البحر ، وكذلك على سائر الحجاج والزوار والمقيمين والمارين من بر أو بحر ، ولم يستثن سوى ثلاث طوائف حسب ما ذكرت سابقاً وهم تجار العراق وكارم اليمن وتجار الخيل ، ولم يقتصر إسقاط المكوس على حجاج مصر والشام فقط باعتبارهم من رعايا الدولة المملوكية . بل إنه شمل جميع الحجاج دون إستثناء .

وقد أورد لنا الدكتور محمد الفهر نص المرسوم المنقوش على أساطين المسجد الحرام ، وقد ذكرته نقلاً عنه في الفصل الثاني المتعلق بالغاء المكوس . أما هنا فاني أنقل ما ورد في هذا المرسوم عن إسقاط المكس المتعلق بالمأكولات فقد ورد إبتداءً من السطر الثاني عشر بالمرسوم المذكور ما يلي :

١٢ - يشترط أن لا يتناول شيئاً من المكوس من حاج ولا مقيم ولا زائر ولا

مجتاز من بر أو بحر وما يباع

١٣ - بأسواق مكة من مأكول ومشروب ونبيء ومطبوخ من جميع ما يقتات

به من الحنطة والأرز والعدس

١٤ - والشعير والدقيق والحمص وغير ذلك مكيلاً أو موزوناً أو معدوداً أو

مزروعاً ولا من الفواكه والثمار

١٥ - والأعشاب والبطيخ ولا من الخضروات والأعسال والأدهان والأدنام

ولا من الحيوانات

١٦ - من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك وما يحضر إليها من البر والبحر

وغيره من ساحل جده ومن وادي نخله

- ١٧ - والحجاز وسائر المشاعر العظام ولا يتناول شيئاً من عشر النخل التي
في ولايته ولا نزلة ولا
- ١٨ - وكالة ولا عرافة ولا رياسة ولا يمكن احداً من ذريته ولا من نوابه
ومباشره وعبيده ولا خدمه من
- ١٩ - التعرض إلى أخذ شيء من ذلك ولا يمكن بواباً ولا عريفاً ولا سمساراً
من التعرض إلى أخذ شيء من ذلك وإن
- ٢٠ - من دخل مكة شرفها الله تعالى ترك ومتاعه يبيعه حيث شاء
لا يتلقاه أحد من مباشره ولا
- ٢١ - من أرباب الدرك ولا غيرهم بطلب مكس ولا غيره خلا تجار العراقيين
واليمن وما يحضر معهم من التجارة
- ٢٢ - فإنه يخلو سبيله فيتناول المبلغ المذكور ما دام متصفاً بالصفة
المشروحة فيه فإن تناول
- ٢٣ - شيئاً من ذلك أو خرج عما شرطه عليه مولانا السلطان الملك الأشرف
أعز الله انصاره
- ٢٤ - وادام اقتداره أضيف إلى ريع باقي الموقوف المذكور يصرف على الحكم
الذي يشرح فيه فإن
- ٢٥ - عاد امكان الصرف إليه عاد (١)

(١) محمد الفهر: الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

وفي سنة ٧٨٠ هـ حصل للحجاج مشقة كبيرة بسبب غلاء الأسعار
في الفول والشعير والبقسماط ، وبلغت وية الشعير خمسين درهماً فضة ،
(١)
ثم زادت حتى أصبحت بمائة دينار .

وفي سنة ٧٨٣ هـ غلت الأسعار بمكة ، ثم رخصت قليلاً ، فبيعت وية
الدقيق بعشرين درهماً ، ووية الشعير من ثلاثين إلى عشرين درهماً وعند
قدوم الحجاج في الموسم ارتفعت الأسعار ، فبيعت وية الدقيق بخمسين
درهماً وما فوق ، ووية الشعير بأربعين درهماً ، وحصل بالحرمين وغيرهما
من بلاد الحجاز قحط عظيم ، ومات من أشرف مكة وأهلها الكثير جوعاً . (٢)

غير أن الإضطرابات التي حدثت في الدولة المملوكية قبل سلطنة
برقوق سنة ٧٨٤ هـ ، ساعدت على عدم الالتفات لركب الحجاج ، والإهتمام
بأموره ، مما سبب للحجاج مشقة عظيمة أثناء رجوعهم في الطريق ، لقلة الماء ،
وعدم وجود المال الكافي لديهم لشراء الأضمة الباهظة الثمن ، بالإضافة
(٣)
إلى تنافس الأشراف على الإمارة بعد موت أميرها محمد بن حسن بن عجلان .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ -

الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٩ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ - علي السليمان : العلاقات

الحجازية المصرية ، ص ١٨٦ .

وفي سنة ٧٩٦ هـ حصل بمكة رخاء كبير فبيعت غرارة الحنطة بسبعين درهماً ، إلا أن الغلاء عاود مكة في السنة التالية بعد الحج ، فبلغت غرارة الحنطة ثلثمائة وثلاثين درهماً (١) .

وفي بداية القرن التاسع الهجري إرتفعت أسعار الأُطعمة ، فبيعت غرارة القمح سنة ٨٠٥ هـ بخمسمائة درهم كاملة ، ولم تتوان الأسعار إلا بدخول جلاب أتت من سواكن (٢) .

ثم انقطعت الإمدادات والمؤمن عن مكة بسبب المجاعة والوباء اللتين اجتاحتاه مصر في سنة ٨٠٦ هـ واستمرت بضعة سنوات ، فاستفحل القحط بمكة سنة ٨١٥ هـ ، فبيع حمل الجمل المتوسط من القمح بعشرين ذهبية ، وأن كل عدد من البطيخ كان يباع بقطعة ذهبية (٣) ، وغرارة الحنطة بعشرين أفلورياً ذهبياً . وبلغ مد التمر ثمانية مسمودية ، وويبة الدقيق بأفلورين ، وويبة الأرز بعشرة أفلورية ، ورطل البقسماط بعشرة دراهم فضة ، وويبة النوى بأفلوري ،

- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ - المقرئ : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٨١٩ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٤٩١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٨٠ .
- (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٤٣٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .
- (٣) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٥٦ .

وقل وجود الفلفل حتى بلغ الحمل مائتي وعشرين مثقالاً^(١) . هذا ويذكر المؤرخ حقي رفعت باشا في كتابه " الإعلام " بأن غرارة البرالمعتدلة بيعت بعشرين أفلورياً ، والبطيخة الواحدة بأفلورى واحد^(٢) .

وفي سنة ٨١٦ هـ إستمر الغلاء حتى شهر ذى القعدة ، فكانت غرارة القمح بتسعة أفلوريات ، وربما بلغت خمسة عشر أفلورياً ، والذرة بنحو ذلك ، كما بلغت قيمة التمر ثمانية مسعودية ، أما المأكولات فكان سعرها أرخص من السنة التي قبلها ، ولم يكن الغلاء بمكة فقط بل أمتد إلى سائر البلاد الإسلامية الأخرى ، فبيعت غرارة الذرة باليمن بثلاثين مثقالاً ذهباً ، ويرجع ذلك إلى قلة الأمطار ، وصار أهل اليمن وسواكن يشترون الذرة من قرية تسمى قنونا بقرب حلى ، ومنها تجلب إلى مكة .^(٤)

- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - المقرئى : السلوك ، ج ١/٤ ، ص ٢٥٣ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٤٩٨ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .
- (٢) حفى رفعت باشا : الإعلام بأعلام البلد الحرام ، ورقة ٢٥٧ .
- (٣) قنونا : أوقنوني بالفتح ونونين ، واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب حلى .
- () ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٠٩) وهي تمتد بين جبال خشم إلى القنفذة ، وبعد اودية تهامة عسير الكبيرة (الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١٩١) .
- (٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٥١٠ - البلادى : بين مكة واليمن ، ص ١٢٦ .

وفي سنة ٨١٨ هـ بيع القمح مع الحجاج لكل ويبة ونصف دينار (١).
وكانت الاسعار غير مستقرة ، فهي كالموجة بين الإنخفاض والإرتفاع حسب الظروف .
فقد استمر الغلاء من سنة ٨١٩ هـ حتى سنة ٨٢٠ هـ ، فبلغت غرارة الذرة ثلاث
عشر افرنتي ، ثم أعقبه رخاء سنة ٨٢١ هـ ، فبيعت غرارة الذرة والعسل بثلاثة
أفلورية ، وفي جدة بأفلوري ونصف ، وبأفلورين وربع ، والعسل بمكة سبعة
أمان بأفلوري (٢) . ولكن القحط كان شديداً على سكان الحرمين سنة ٨٢٢ هـ
حتى بلغت غرارة الحنطة عشرين أفلورياً ، والذرة قريباً منها ، وحمل الدقيق
خمسة عشر أفلورياً ، كما عم الغلاء سائر المأكولات ، وفحش سعر السمن كثيراً ،
وعدمت الأقوات حتى لم يبق في السوق سوى الفول والحمص والمعدس فأكله
الناس (٣) .

وفي سنة ٨٢٣ هـ زادت حدة الغلاء ، وانعدمت الأقوات فني
الأسواق ، فبيعت ويبة الفول بأربعة عشر ديناراً ، والحمص بسبعة عشر ديناراً ،

- (١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٩٩ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ - ابن فهد : إتحاف
الـجـوري ، ج ٣ ، ص ٥٦١ - ابن الصيرفي : نزهة
النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،
ص ٧٠٠ .
(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ - ابن فهد : إتحاف
الـجـوري ، ج ٣ ، ص ٥٦٧ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس
والأبدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٣
- الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٤٠ .

والحنطة والدقيق بخمسة وعشرين ديناراً^(١).

وعندما رأى السلطان الظاهر أبو الفتح ططر سنة ٨٢٤ هـ شدة القحط على سكان الحرمين ألغى المكوس التي تفرض على الخضروات والفواكه ، وعوض أمير مكة ألف أفلورى سنوياً ، وكتب ذلك على أسطوانة بالمسجد الحرام^(٢).

وفي سنة ٨٢٥ هـ إرتفعت الأسعار فبيع حمل الدقيق بخمسة وثلاثين أفلورياً ، وبيعت ويبة الشعير بالأزلم بخمسين مؤيداً^(٣) ، فيكون أرب الشعير بألفين ومائة درهم لما سحب الغلاء

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٨٢٣ هـ - فوزية مطر : عمارة المسجد الحرام ، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦ هـ ، ص ١١٣ .

(٢) ابن فهد : إتحاف السـوري ج ٣ ، ص ٥٨١ - ابن حجر : إنباء الفهر ج ٣ ، ص ٢٥٣ - ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ، ص ٧٥ - محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ص ٥٨ - الجزيري : درر الفرائد ج ١ ، ص ٧٠٥ - يذكر قطب الدين النهروالي في كتابه الإعلام ، ص ٢٠٥ ، أن هذه الأحداث كانت سنة ٨٣٤ هـ وأن السلطان عوض أمير مكة بألف دينار ذهب ، وقد يكون المؤلف قد التبس عليه الأمر في تاريخ السنة لأن السلطان الظاهر تولى الحكم سنة واحدة فقط سنة ٨٢٤ هـ . (النهروالي : الإعلام ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦) .

(٣) الدرهم المؤيدى : درهم منسوب إلى المؤيد سيف الدين أبو النصر شيخ : ٨١٥ هـ - ٨٢٤ هـ ، وهو الأمير شيخ المحمودى ، تلقب

(١)
كثرة الأمطار والسيول.

وفي سابع عشر ذي الحجة سنة ٨٢٨ هـ قدم مبشر الحج / وأخبر بسلامة
الحجاج ، ورخاء الأسعار بمكة ، وأنه قرئ مرسوم السلطان بمنع الباعة من
بسط بضائعهم أيام الموسم في المسجد الحرام ، ومنع الخيام بالمسجد
الحرام (٢).

وفي سنة ٨٣١ هـ أشد الغلاء بمكة على سائر الأقطعة (٣).

وفي سنة ٨٣٢ هـ أصاب مكة قحط ووباء شديد ، ومات بها خمسون
شخصاً في اليوم الواحد ، وارتفعت الأسعار على سائر المأكولات (٤).

وفي سنة ٨٤٥ هـ زاد إرتفاع الأسعار بل أخذ السعر يختلف في نفس
اليوم من وقت لآخر ، فبيع الدقيق في أول النهار بسبعة دنانير عند وصول
ركب الحجاج إلى ينبع ، وفي الظهر أرتفع إلى اثني عشر ديناراً ، وفي العصر
إلى عشرة دنانير ، وبالمرغم من أن البقسماط كان أرخص الأقطعة إلا أنه وصل

== بلقب المؤيد وينسب له الدرهم المؤيدى . (سامح عبدالرحمن
فهيم : الوحدات النقدية ، ص ١١٨) .

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ج ٣ ، ص ٥٨٨ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٥ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ١٣ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٣ - الجزيري : درر
الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٢٢ .

إلى ستين درهماً . لكن الأسعار رخصت عند وصول مراكب الحجاج المحملة بالغلل والإمدادات ، وانخفض سعر الدقيق والعليق ، إلا أن الحجاج عندما وصلوا إلى منزلة بدر لم يجدوا عليقاً كافياً لجمالهم فارتفع سعر العليق ، فبيعت وربة النوى بثلاث أفلورى ، والبقسماط كل عشرة بسبعين درهماً ، ثم لطف الله بحججه بوصول عدة مراكب إلى جدة ، فرخصت الأسعار لجميع الأطعمة حتى بيع الأرز من أفلورى إلى ثلاثة (١) .

وفي أواخر ذى الحجة سنة ٨٤٦ هـ قدم مبشر الحج^{الى مصر} ، وأخبر أن الوقفة كانت يوم الأربعاء ، وأن الغلاء بمكة كان شديداً (٢) .

وفي سنة ٨٤٧ هـ زاد سعر المأكول فبيعت الحنطة بثمانية أفلوريات والدخن بسبعة أفلوريات ونصف ، والدقيق بستة ، واللحم بأربعة ، والسمن بخمسة ، وفي شهر رمضان انخفضت الأسعار ، ثم ارتفعت مرة أخرى في آخر الشهر (٣) .

وفي يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول سنة ٨٤٨ هـ وصل هجان^{الى مصر} من الحجاز ، وأخبر برخاء الأسعار (٤) .

(١) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٦٧ -

السخاوى : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٤) السخاوى : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

وفي أواخر ذى الحجة سنة ٨٤٩ هـ ورد مبشر الحج وأخبر بسلامة
الحجاج ، وأن أردب القمح يبيع في شوال بمائة وعشرة أو عشرين أفلورياً ،
وأردب الشعير أو الفول بتسعين أو بخمسة وتسعين أفلورياً ، وبعد شوال
يرتفع سعر القمح إلى مائة وسبعين أو ثمانين أفلورياً ، والشعير إلى مائة
(١)
وأربعين أفلورياً ، والفول إلى مائة وثلاثين ، واللحم إلى ستة أو ثمانية أفلوريات .

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين سنة ٨٥١ هـ قدم مبشر الحج
(٢)
أزبك الظاهري الساقى ، وأخبر بكثرة الخيرات بمكة والرخص والأمن والسلامة .

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٨٥٣ هـ وصل
مبشر الحج إيدكى الأشرفى (٣) ، وأخبر بالأمن والسلامة والرخاء الزائد
المخالف لارتفاع الأسعار بالديار المصرية حتى أن الأردب من الفول بخمسمائة
دينار ، ومكة بدينار ونصف وهذا عكس ما وقع في العام الماضي . (٤)

وفي يوم الأحد الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ٨٥٥ هـ قدم
مبشر الحج أحمد بن أمير المحمـد

(١) السخاوى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) السخاوى : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) إيدكى الظاهري : جقق من ماليكه وأحد الدوايرية عنده ، توفي

بالطاعون في ربيع الأول سنة ٨٥٣ . (السخاوى : الضوء اللامع ،

ج ٢ ، ص ٣٢٦) .

(٤) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٧٠ - التحفة اللطيفة ، ج ٣ ،

ص ٤١١ .

سونجيفا^(١) ، وأخبر بالأسمن والسلامة وغلوا الأسعار ، فبيع الحمل من الدقيق
بثمانية وعشرين ديناراً مع قلة الحجاج المصريين ، ثم رخصت الأسعار بعد
ذلك .^(٢)

وفي سنة ٨٦٣ هـ كانت الأسعار بمكة غالية ، فبيعت غرارة الحنطة
بسبعة دنانير ونصف ، وكذلك الذرة والدخن ، ومن السمن بثلاث أشرفيات .^(٣)

وفي سنة ٨٧٥ هـ كان الغلاء بمكة حيث بيعت ويبة الفول المجروش
بدينار ، وقلت الأطحمة في الأسواق .^(٤)

وفي سنة ٨٨٣ هـ اشتد الغلاء بأهل مكة حتى تضايقوا منه بحيث
بيعت غرارة القمح بأربعة عشر أشرفياً ، والدخن بتسعة أشرفيات ، واستمر هذا
الحال من ارتفاع أسعار الأطحمة حتى بعد سفر الحجاج ، فبيع حمل

(١) سونجيفا اليونسي الناصري فرج : تأمر في دولة الظاهر جقمق لكونه
كان متزوجاً أخت زوجته ، سافر أمير محمل أكثر من مرة ، سنة ٨٥٥ هـ
أنعم عليه المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق سلطان مصر بإقطاع
طبلخانة ، ثم زاده الأشراف إينال إمرة عشرة ، ثم قتل سنة ٨٥٧ هـ
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٨٢) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ -

السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٣٥٤ - الجزيري : درر الفرائد ،
ج ١ ، ص ٧٣٩ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ - الجزيري :
درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٥ .

(٤) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥١ .

الدقيق بثمانية عشر أشرافاً أو أكثر^(١).

وفي نفس السنة دخل الحجاج القاهرة ، وأخبروا بشدة ارتفاع الأسعار^(٢) والغلاء على سائر الأَطعمة بمكة ، وموت الجمال لإنقطاع الحجاج رجالاً ونساءً .
وأن الغلاء ما زال مستمراً حتى سنة ٨٨٤ هـ^(٣) .

وفي سنة ٨٩١ هـ كان الغلاء بمكة ومصر شديداً^(٤) ، ودخل الحجاج القاهرة بعد أن قاسوا شدة العطش بسبب قلة الماء ، وغلاء الأسعار بمكة^(٥) .

وفي سنة ٨٩٥ هـ حصل بمكة رخاء عظيم ، بحيث بيعت كل أربعة أربال من اللحم بمحلق^(٦) . والمن من السمن بعشرين محلقاً^(٧) .

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٤٩٩ -

الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٥٠٤ .

(٤) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٦) المحلق : وجمعه محلقات وهو في اصطلاح بعض العامة الدراهم والدنانير . (ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٤٩٩) .

(٧) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

وفي سنة ٨٩٦ هـ كانت الاسعار رخيصة في مكة بحيث بيع حمل الدقيق بأشرفيين وستة عشر محلقاً ، بل بيع الربع بمحلق واحد ، والحب والعسل واللحم كذلك . (١)

وفي سنة ٨٩٨ هـ كان الرخاء كثيراً بحيث بيع الدقيق بثلاثة عشر ديناراً وأكثر ، ووبية الفول بدينار . (٢)

وفي سنة ٨٩٩ هـ وصل الحجاج إلى القاهرة شاكين الاًمير قانصوه خمسمائة من سوء معاملته لا أخذ جمالهم ، وترك جماعة منهم بالينبع ، وكانت سنة صعبة لقلة الماء ، والغلاء وموت الجمال (٣) . وفي نفس العام كان الغلاء فاحشاً بمكة ، ومات بها نحو ألفين وخمسمائة من شدة الجوع ، وغلاء الاسعار . (٤)

وفي سنة ٩١١ هـ كان بمكة رخاء كثيراً بحيث هانت فيه الاسعار في سائر الغلال والبضائع . (٥)

وفي سنة ٩١٣ هـ حضر ميثرا الحج إلى القاهرة ، وأخبر بسلامة الحجاج ورخص الاسعار . (٦)

- (١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٦٤ .
- (٢) الجزيري : المصدر السابق ، ص ٧٦٥ .
- (٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .
- (٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .
- (٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ .
- (٦) ابن إياس : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٠ - الجزيري : درر الفرائد ج ٢ ، ص ٧٩١ .

وفي سنة ٩٢٠ هـ كان الغلاء بمكة في جميع البضائع حتى عدم
الأرز من الأسواق (١).

*

٢ - في المدينة المنورة :

أما فيما يختص بالمدينة المنورة فإن مصادرنا التاريخية بخاصة،
ومصادر العصر المملوكي بعامة، لم تمدنا إلا بأمثلة قليلة جداً لما تعرضت له
المدينة المنورة في هذا العصر من قحط وغلاء في الأسعار، وعن جهود
سلاطين المعاليك وأمرائهم وأعيان المسلمين في تخفيف وطأة ذلك على أهلها،
كما هو الحال عن مكة حسبما رأيناه في الصفحات السابقة، وربما يرجع
ذلك إلى وفرة المحاصيل الزراعية في المدينة المنورة بسبب تربتها الزراعية،
ووفرة المياه بها. وكيفما كان الأمر فقد اهتم سلاطين المعاليك بأهل المدينة
عندما كانت تتعرض للقحط وغلاء الأسعار، كما اهتموا بأهل مكة، وذلك إما
بإسقاط المكوس على ما يباع بها من مأكولات وأطعمة، وتعويض أمراء المدينة
عن ذلك، أو بإمدادها بالأموال والحبوب وغيرها من الأطعمة. هذا وتمدنا
المصادر في هذا الصدد بالأمثلة القليلة الآتية :

ففي سنة ٧٢٠ هـ، وسنة ٧٢٣ هـ أسقط الناصر محمد بن قلاوون
المكوس والضرائب على المأكولات (٢).

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٣٣ .

(٢) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨١ .

وفي سنة ٧٤٣هـ وسنة ٧٤٦هـ أسقط الكامل سيف الدين شعبان
الأول بن الناصر محمد بن قلاوون المكوس، وعوض أمير المدينة بدلاً منها بعض
الأموال، وبذلك رخصت الأسعار، وتوفرت الأطعمة^(١).

وعندما حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤هـ زار المدينة المنورة
، ورفع عن أهلها المكوس، وعوض أميرها بعض الأموال^(٢).

- (١) السمهوري : وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٣ - جمال الدين سرور : دولة
بني قلاوون ، ص ١٢٧ - علي السليمان : المرجع السابق ، ص ١٨١ .
- (٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٣ ، ص ٤١١ - السمهوري : وفاة
الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٤ - النهروالي : الإعلام ، ص ٣٣٢ ، محمد الفعير :
الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٢١ - محمد أنور شكري : لوحان
أثريان ، ص ٣٨ .

الفصل الثاني عشر

توفير المياه في مكة المكرمة
والمشاعر المقدسة وخليص
والمدينة المنورة

١ - في مكة المكرمة .

٢ - في منى .

٣ - في عرفة .

٤ - في خليص .

٥ - في المدينة المنورة .

الفصل الخامس

توفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وخليص والمدينة المنورة

١ - توفير المياه في مكة المكرمة :

الماء شريان حيوي وعمود الحياة ، ولا تقوم الحياة إلا بوجوده ، وأى مكان يندر وجوده فيه لن ترى للحياة أثراً فيه ، وصدق الله جل جلاله حين قال :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (١)

ويلاحظ أن فجر الحياة البيولوجية ونشأة الحضارات بصفة عامة إنما كان على ضفاف الأنهار ، بل إن الماء النقي أصبح مشكلة المشاكل في الأمم المتحضرة ، وذلك بسبب تزايد العمران البشرى ، وتزايد الكثافة السكانية ، ومن ثم أصبح البحث عن مصادر جديدة للماء من الأمور الهامة التي تعتنى بها كافة الدول ، ولا سيما الدول ذات الطبيعة الصحراوية التي تعتمد أصلاً على الأمطار ومياه الآبار الجوفية .

وحيث أن الأمطار غير منتظمة ، بل ونادرة الحدوث في الحجاز ، وبسبب كثرة وفود الحجاج لبيت الله الحرام ، وقلة مياه الآبار بمكة المكرمة ، فقد تضاعفت مساعي أهل الخير ومدت يد المساعدة لدفع هذه الحاجة عن الحجاج وعن أهل بيت الله ، وبذلك حظيت مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بإهتمام الخلفاء وملوك وسلاطين وأمراء المسلمين ، بل وأعيانهم بتوفير المياه ، وحفر الآبار

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٩ .

والبرك بها خدمة لحجاج بيته ولا أهلها^(١) هذا وقد فاقت العناية بتوفير المياه في هذه الأماكن المقدسة في العصر المملوكي على يد سلاطين المماليك وأمراء وأعيان دولتهم ، أو من بعض الشخصيات في الأقطار الإسلامية الأخرى بالإضافة إلى بعض أعيان الحجاز . وفيما يلي عرض لما ورد في المصادر والمعاصرة عن مرافق المياه في مكة المكرمة في ذلك العصر .

١ - توفير المياه من الآبار :

ففي المحرم سنة ٦٤٧ هـ أنشأ عطية بن ظهيرة^(٢) سبيلاً بأعلى مكة ، وكان له حديقة عظيمة بالجموم^(٣) من وادي مرّ ، وفيها وجبة ماء أوقفها على هذا السبيل ، وعلى سبيله بنى^(٤) ، وقد جددّه القاضي أبو السعادات بن ظهيرة^(٥) .

(١) عن العناية بتوفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصور الإسلامية السابقة على العصر المملوكي انظر سليمان مالكي : مرافق الحج ، الباب الثالث ، ص ١٠٠ - ١٢٣ .

(٢) عطية بن ظهيرة القرشي المخزومي : كان ذا مال وافر ويعمل فيه الخير . ومن أمواله شعب عامر بجملته ، وكان له ضيعة في وادي مرّ ، توفي يوم الأربعاء السادس من محرم سنة ٦٤٧ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ج ٦ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩) .

(٣) الجموم : أرض بني سليم تقع شمال مكة ، وسها كانت إحدى غزوات الرسول ، صلى الله عليه وسلم . أرسل إليها زيد بن حارثة غزياً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٦٤) . وتبعد عن مكة ٢٥ كيلومتراً وسكانها خليط من الأشراف . (البلاذري : معالم مكة التاريخية الأثرية ، ص ٢٦٤) .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٠٨ - ابن فهد : إتحاف الوري ج ٣ ، ص ٦٩ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ - حاشية ٣ .

وفي سنة ٧٤٩ هـ كانت هناك بركتان بالمعلاة عمرتا في عهد السلطان الملك الناصر حسن ، وتقع عند باب المعلاة على يسار الخارج من مكة إلى المعلاة ، وقد تم إصلاحها وجري الماء بها ، نعم الجميع بنفعها .^(١)

وفي شوال سنة ٧٥٨ هـ عمر الأمير شيخون العمري الناصري^(٢) ، أحد كبار رجال الدولة المملوكية بئراً يقال له بئر النجار على يسار الزاهب إلى منى ، وكانت العمارة على يد طقطاي ، وعمرها أيضاً بعد سنة ٧٦١ هـ الأمير جركنر العارديني حاجب الحجاب بالقاهرة ، ومقدم العساكر بمكة .^(٣)

وفي سنة ٧٦٥ هـ أنشأت السيدة زينب بنت القاضي شهاب الدين الطبري^(٤) سبيلاً صدقة على أخيها القاضي نجم الدين محمد بن القاضي شهاب الدين الطبري ، ويقع بالمسعى شرق المسجد الحرام عند سوق الجزارين .^(٥)

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٩ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ورقة ١٧٢ .

(٢) الأمير شيخون بن عبدالله العمري الناصري : هو أول من سمي بالأمير الكبير ، توفي سنة ٧٥٨ هـ . (ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٣ - ابن فهد : إتحاف السورى ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

(٤) أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين أحمد بن قاضي مكة نجم الدين محمد بن محمد بن المحب الطبري ، وهي زوج القاضي أبي الفضل النويري ، ولهم نظم ومآثر بمكة ، منها بالمسعى ، ورباط بزقاق الحجر وكتاب أيتام ، وأوصت عند موتها بحال يقدر بخمسين ألف درهم لجماعة من أقاربها . توفيت سنة ٧٨٦ هـ ودفنت بالمعلاة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢) .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٨ .

الآبار الأربعة بطريق العسيلة^(١) بعد دثورها. (٢)

كما عمرت أم سليمان المتصوفة التي توفيت سنة ٨٠٢ هـ سبيلاً وحوضاً
عند تربتها بالمعلاة قرب درب المعلاة. (٣)

وفي سنة ٨٠٨ هـ عمر الشهاب بركوت المكي (٤) سبيلاً ،
وجانبه حوضاً للبهائم. (٥)

(١) تقع آبار العسيلة بظاهر مكة بأعلاها . (ابن فهد : إتحاف
السوري ج٣ ، ص ٣٧٨) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٥ - ابن فهد : إتحاف
السوري ج٣ ، ص ٣٧٨ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٨ ، ص ٣٤٣ - شفاء الغرام ، ج ١ ،
ص ٣٣٧ .

(٤) شهاب الدين بركوت : عتيق سعيد المكي ، كان حسن الخلق ، كثير
الأفضال ، محباً لأهل العلم والخير ، كثير البر لهم ، بنى بعدن أماكن
عديدة ثم تحول إلى مكة وبنى بها داراً ، توفي سنة ٨٣٠ هـ بعدن .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٥) .

(٥) الفاسي : العقد الثمين : ج ١ ، ص ١٢٤ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٧ ،
- ٣٤٨ - ابن فهد : إتحاف السورى ج٣ ، ص ٤٤٩ .

وفي سنة ٨١٦ هـ "أنشأ عطية بن خليفة المطيبيز^(١) سبيلاً"
بالمعلاة عند البئر المعروفة ببئر الضواشي على يسار الذهاب إلى منى.^(٢)

وفي سنة ٨٢٦ هـ كلف السلطان الأشرف برسبای الزيني عبد الباسط
ناظر الجيش بحفر بئر وسبيل في طريق العمرة على الثنية على يسار الذهاب
إلى العمرة بقرب فح حيث دفن أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن
المثلث بن علي بن أبي طالب^(٣).

(١) عطية بن خليفة المطيبيز أحد تجار مكة ، ويلقب بزين الدين ، ولد
قبل سنة ٧٦٠ هـ كان يتاجر في البهار والعقار الكثير بمكة بوادي مرّ
ونخلة ، وله مآثر صدقة للفقراء الواردين من اليمن ، وإحسانه إلى
أقاربه ، وله سبيلان بمكة ومنى ، توفي في الخامس والعشرين من
رمضان سنة ٨٢٧ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص
١٤٨) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ - العقد الثمين ، ج ٦ ،
ص ١٠٧ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٥١١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ - العقد الثمين ، ج ١
ص ١٢٤ - النهر والي : الإعلام ، ص ٢١٢ - الشريف حقي رفعت :
الإعلام ، ص ٢٦٦ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن
المقدسة ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٥ - ١٠ جمادى
الأولى ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ إبريل ١٩٧٧ م جامعة الرياض ،
ص ٢٥٤ .

وفي سنة ٨٣٣ هـ أنشأ الأمير مقل القديدي سبيلاً بالمعلاة (١).

وفي سنة ٨٣٤ هـ قل الماء بمكة فملئت البركة للحجاج في شوال وذى القعدة من البئر المعروفة بالسليمة ، وتنسب لأم سليمان المتصوفة بالقرب من باب المعلاة (٢) ، كما ملئت أيضاً من بئر المنقوش وهي بستان السلطان بدرب المعلاة (٣).

وفي سنة ٨٤١ هـ أنشأ الخوaja أحمد بن علي الكواز المصري (٤) سبيلاً بالبيستان الذي اشتراه من ورثة المرحوم سعيد جبروه بالأبطح صدقة من أخيه حسين بن علي الكواز (٥).

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

(٢) عن أم سليمان المتصوفة انظر ، ص ٣١٣ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٣ - ابن فهد : إتحاف

الـوري ، ج ٤ ، ص ٤١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٩ .

(٤) أحمد بن علي بن محمد الشهاب المصري ، ويعرف بالكواز . له مآثر كثيرة

مثل إصلاح المسجد الحرام ، وعين حنين ، والمولد النبوي ، وسبيل الأبطح ، وكان جواداً يجتمع إليه التجار ويكرمهم عندما كان شاد

بندر جدة . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٤٣) .

(٥) ابن فهد : إتحاف الـوري ، ج ٤ ، ص ٩٢ .

وفي سنة ٨٤٧ هـ جدد الأمير تنم سبيل الشريف عجلان بن رميشة
بالعروة، وجعل بجانبه بيتاً يكرى، وأوقفه على السبيل (١).

وفي سنة ٨٤٨ هـ عمر السيد حسن ناظر الإسكندرية بركة ماجن بأسفل
مكة، وأخرج ما كان بها من الأتربة، ورفع جدرانها الأربعة (٢).

وفي سنة ٨٥٠ هـ وصل بيرم خواجه (٣) ناظراً على المسجد الحرام
فبنى بالمعلاة سبيلاً وحوضاً لينتفع به الناس والبهائم على يمين الصاعد
إلى المعابدة، ثم أصبح بستاناً لمحمد بن محمود الرومي قاضي مكة المشرفة
(٤)
سنة ٩٩٧ هـ.

(١) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ص ١٨٣ .

(٣) بيرم خواجه بن قشتدي : ولو نظر المسجد الحرام في أواخر سنة
٨٥٠ هـ عوضاً عن الخواجه الظاهر ، وله بالمعلاة سبيل وحوض
للبهائم ، مات بمكة يوم الإثنين الحادي عشر من صفر سنة ٨٦٠ هـ
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٢) .

(٤) النهروالي : الإعلام ، ص ٣١٧ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن
ج ٢ ، ورقة ١٠٥ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ورقة ٨ -
الشريف حقي رفعت : الإعلام بأعلام البلد الحرام ، ص ٢٦٩ -
أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .

وفي سنة ٨٥٢ هـ قام مشد جدة جانبك الظاهري ببناء بستان بمكة على يسار الذهاب إلى منى ، وحفر فيه عدة آبار ، وغرس بعض الأشجار ، وجعل له أوقافاً بمكة ، إلا أنها طمرت مع مرور الزمن سنة ٨٦٥ هـ . (١)

وفي سنة ٨٧٠ هـ عمرت فسقية (٢) الحاج الصغرى التي بباب المعلاة . (٣)

(٤) وفي ليلة الثلاثاء عاشر رمضان سنة ٨٨٢ هـ وصل سنقر الجمالي بحرّاً ومعه مرسوم لجانبك الظاهري بعمارة سبيل وميضة . (٥)

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣١٢ .

(٢) الفسقية : جمعها فساقى ، وهي الحوض المخصص للوضوء ، وهي كلمة لاتينية تطلق على فوارة المياه ، أو الغرفة التي تحت الأرض .
(صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري ، ص ٩٦) .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٧ .

(٤) سنقر الجمالي : أبوالسعادات الزيني مملوك ناظر الخواص الجمالي يوسف وشقيق شاهين الجمالي ، ترقى في الخدمة إلى أن أصبح نائباً لأخيه شاهين وشاداً على عمائر السلطان قايتباى بمكة سنة ٨٧٤ هـ ، ثم أضيف إليه الحسبة بمكة سنة ٨٨٣ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ - التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ١٩٧) .

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٤٤ .

وفي سنة ٨٨٤ هـ أمر شريف مكة جمال الدين محمد بن بركات بعمارة
سبيل وصهريج عند بئر شميم يكون للصادر والوارد. (١)

وفي العام نفسه كان السلطان قايتباي قد بنى سبيلاً على يمين الداخل
إلى خان الجزائر بالمسعى (٢). وكان من قبل ذلك يطلق عليه العلقمية ،
ويوجد أمامه إلى جهة المسعى سبيل قديم لابنة القاضي شهاب الدين
الطبري على يمين الذهاب إلى المروة ، فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن
والمهندسون أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان (٤). فهدم
فصار المسعى مكشوفاً ، وعمارة الخان والسبيل ظاهرة (٥).

وهناك أيضاً بمكة المشرفة عدة برك قامت يد الإصلاح على تعميرها
وإصلاحها وتطهيرها ، ومنها بركتان عند مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بسوق
الليل (٦) ، وبركة ماجن عند باب مكة جهة اليمن ، ويسقى منها بعض أحواض
الزراعة الموجودة بالمسقلة ، كما ينتفع بها بعض أصحاب مصانع الطوب. (٧)

(١) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٥٠٣ .

(٢) قطب الدين الحنفي : تاريخ القطبي ، ص ٢٠٥ - الطبري : الأرج
المسكى ، ورقة ٢٤ .

(٣) محمد بن عمر بن الزمن ، ويعرف بإبن الزمن ولد بدمشق سنة ٨٢٤ هـ .
أشرف على عمائر السلطان قايتباي بمكة ، وله مآثر بمكة مثل الرباط
والد شيشه ، وبعض العمائر داخل المسجد الحرام ، توفي سنة ٨٩٧ هـ
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١) .

(٤) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ١ ، ص ٣٣٨ - العقد الثمين ، ج ٨ ،
ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٥) الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ١٣١ .

(٦) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .

(٧) الفاسي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

٢ - توفير المياه من عين حنين :

(١)
وفي سنة ٧٢٥ هـ عمر بازان رسول الأمير جوبان بن تلك بن تدوان
نائب السلطنة بالعراقيين عن السلطان أبي سعيد بن خريندا ملك التتر
عين عرفة ، بسبب وفود الحجاج العراقيين إلى مكة كل سنة ومعاناتهم
الشديدة من قلة المياه بمكة ، فإن الراوية بلغت في الموسم عشرة دراهم
مسعودية ، وفي غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة دراهم ، وقد ذكر له
بعض الناس عن عين كانت تجري قديماً ، فندب لذلك بعض ثقاته ، وأعطاه خمسين
ألف دينار ، فلما قضى حجه تأخر بعد الموسم ، ونادى بمكة من أراد العمل
في العين فله ثلاثة دراهم كل يوم ، فهرع إليه العمال كبيرهم وصغيرهم
إلى أن جرى الماء بمكة ، وظهرت بين الصفا والمروة في الثامن عشر من
جمادى الأولى سنة ٧٢٦ هـ ، وكانت مدة العمل أربعة أشهر . وبلغت نفقات
ذلك ١٥٠٠٠ درهم ، وهي تكلف أكثر لولا وجود بعض القنوات القديمة
المعمول بها من قديم الزمان . وفاضت المياه حتى صرفها أهل مكة في زراعة

(١) جوبان بن تدوان : نائب السلطنة بالعراقيين ، تولى ذلك نيابة عن
السلطان أبي سعيد بن خريندا ثم تخير عليه السلطان فقتله سنة
٧٢٨ هـ ، وحمل جثمانه مع الحاج العراقي ليدفن بالمدينة المنورة ،
ولكن أمير المدينة المنورة منعهم من ذلك فدفن بالبقيع ، وله الكثير
من الآثار بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ، ص ٤٤٦-٤٤٧ -
ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ، ص ٢٥٣ - السخاوي :
الضوء اللامع ج ٣ ، ص ٨١) .

الخضروات والفواكه^(١) . وقد قيل فيها شعراً :

هل لي إلى مكة من عودة فأبلغ السوء ل وأقضى الديون
غير عجيب جرى عين بها وقد جرت شوقاً إليها العيون^(٢)

وفي سلخ ربيع الأول سنة ٧٢٨ هـ أرسل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، جماعة من البنائين إلى مكة وأجرى بها عيناً ، وهي العين المعروفة بعين جبل ثقبه مما يلي حراء على مجرى العين الجوانية ، ووصلت المياه إلى مكة وأنفق عليها قدر خمسة آلاف درهم ، وكان ذلك على يد ابن هلال مشد العماثر ، وامتلات البرك منها ، وزرع بها الفواكه والخضروات نعم بها النفع أهل مكة^(٣) .

- (١) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ - المقرئ : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٢٧٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ - محمد أنور شكري : لوحان أثريان ، ص ١٣ - ١٤ .
- (٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ٢ ، ص ١٦١ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٤٨ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ١ ، ورقة ٣١١ .
- (٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢ - ٧٣ - شفاء الفرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ - المقرئ : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٣٠٣ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٨٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١/١ ، ص ٤٥٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٣١ .

وفي مستهل رجب سنة ٧٤٨ هـ جهز السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون لعمارة عين جويان من مال الحرمين بمبلغ مائتي ألف درهم ، وكانت قد انقطعت بعد تدميرها سنة ٧٢٦ هـ (١) وشرع الأمير فارس الدين في عمارة العين ، ونازعه عرب بني شعبه فجمع لهم وقاتلهم ، فقتل منهم جماعة وجرح كثيراً وهزمهم وقتل له سلوكان ، وأصلح العين حتى جرى ماءها (٢)

وفي العام نفسه قدم من جهة أولاد جويان قاصد بمال لعمارة عين جويان بمكة وأجراه الماء إليها بعد أن انقطع ، فلم يوافق الأمراء على ذلك ، وعينوا الأمير فارس الدين قريب آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بمصر

- (١) الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٢٠٣ - الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢-٧٤ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٠ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - الجزيري ودرر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٥ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٥٠ .
- (٢) هو الأمير فارس الدين قريب آل ملك الجوكندار ، ورد ذكره فيما بعد في أحداث سنة ٧٤٩ هـ .
- (٣) المقرئ : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٧٦٨ - ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

وفي سنة ٧٨١ هـ بعث الأمير زين الدين بركة العثماني
رأس نوبة النوب وأحد مديري الملكة أميراً من ماليكه يدعى
سودون باشا لعمارة عين حنين المستجدة من عين ثقبه ،
وعين أبي رخم . (١)

وفي العام نفسه وصلت الأخبار بأن العين قد
جرى ماؤها . (٢)

وفي سنة ٨٠٠ هـ تولى عبدالله الجوهرى (٣) ، عمارة
عين بازان من مال تصدق به السلطان الظاهر برقوق ، ولكن
لم يتيسر جريانها . (٤)

(١) المقرئى : السلوك ، ج ٣ / ١ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٨ - ابن فهد

: إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ / ١ ، ص ٢٥١ .

(٣) عبدالله الجوهرى : كان من أعيان التجار بمكة ، وله دار بها ، سافر
عن مكة وغاب عنها سنين ، ثم عاد سنة ٧٩٩ هـ وعمر عين بازان ، وتوفي
في الثاني عشر من شعبان سنة ٨٠٠ هـ . (الفاسي : العقد الثمين
، ج ٥ ، ص ٣٠٤) .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٤٠٩ .

وفي سنة ٨١١ هـ أوصى تاجريسي الخواجا حسين بن أحمد السراوى^(١) في مرض موته أن يصرف على عمارة عين بمكة من ماله الخاص حوالي عشرة آلاف درهم.^(٢)

وفي سنة ٨١٣ هـ أرسل السلطان الناصر فرج بن الظاهر برقوق للشرىف حسن بن عجلان إثني عشرة ألف مثقال ذهب لصرفها على عمارة عين بازان ، فعين الشهاب بركوت المكني ، وأمره بتفقد أحوال العين .^(٣) وأصلح بركوتين كانتا خريتين ، أحدهما عند سور باب المعلاة ببستان الصارم ، وعمر وأصلح مجاريها ، وجعل مياه العين تتدفق إلى البركتين .^(٤)

- (١) حسين بن أحمد السراوى العجمي التاجر : جاور بمكة مدة وأوصى بمال لعمارة عين بمكة ، توفي في جمادى الآخرة سنة ٨١١ هـ ، ودفن بالمعلاة . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٨) .
- (٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٨٨ - ابن فهد : إتحاف السراوى ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ - النهروالي : الإعلام ، ص ١٩٨ .
- (٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٩ - الشرىف حقى رفعت باشا : الإعلام بأعلام البلد الحرام ، ص ٢٥٤ .
- (٤) الفاسي : تحصيل الغرام ، ورقة ١٩٧ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٩ - ابن فهد : إتحاف السراوى ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ .

وفي سنة ٨١٨ هـ عمرت عين حنين حتى وصل الماء إلى مكة بعد إنقطاعه مدة طويلة. (١)

وفي سنة ٨٢٠ هـ انقطع الماء من عين حنين فأنتدب السلطان المؤيد شيخ قائده علاء الدين لعمارة عين حنين ، وقد وصل إلى مكة بعد أن زوده بالفي مشقال ذهباً ، وعمرها عمارة حسنة في جمادى الآخرة ، وتم الإنتهاء منها في شعبان سنة ٨٢١ هـ ، إلا أن الماء قل وارتفع سعره ، فأنتدب السلطان الملك المؤيد شيخ قائده علاء الدين مرة ثانية سنة ٨٢٢ هـ لإصلاح ما خرب ، ثم بلغت المياه مكة في شهر صفر ، ولكن الماء كان قليلاً ، فزار في عمارة العين فجرى الماء وكثر جريانه حتى بلغ البركة التي بأسفل مكة خارج باب الحاجن في ربيع الأول من العام نفسه. (٢)

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٢٠٠ - ٢٠١ - الزهر المقتطفة ورقة ٧٢ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٤ - الشريف حقي رفعت : الإعلام بأعلام البلد الحرام ، ص ٢٦٠ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٦ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٣ - ١٤ .

وفي سنة ٨٢٩ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ صاحب مصر قائده
علاء الدين الذي عمل على تنظيف العين المعروفة بعين بازان ، وقد تهدمت
بسبب السيول التي جرفت بها ، ونظفت مجاريها وقنواتها التي امتلأت بالأتربة
والحصى والحجارة ، وأصلح البركتين اللتين بالمعلاة على يمين الداخل إلى
مكة ، ويسار الخارج منها ، ورفع جدرانها عن الأرض نحو ذراع ، ونـوـر بـهـر
الجدران بالنورة ، وعمد إلى الحاجز الذي بين البركتين فهدموا الجدار الذي
يليه إلى صوب الطريق العظمى ، ومنوا هناك شبرتين وعلوا عليها عقدًا مشرفًا
(أى عاليًا) وعمل في موضع العقد بابًا شبحًا من عرعر يغلّق دون الصفار ،
ومن يريد النزول إلى الماء خوفًا من تغيره بالنزول فيه ، كما عمل تحت الباب
درجًا ^(٢) ، فرخص الماء ، وبيعت الراوية بنصف سعودي بعدما كانت تباع
بدرهمين . ^(٣)

(١) الثبرة : هي الثفرة ، وهي حفرة تمسك الماء كالصهريج . (ابن فهد :

إتحاف السـوري ج ٣ ، ص ٥٦١ حاشية (١) .

(٢) ابن فهد : إتحاف السـوري ج ٣ ، ص ٥٦٦ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢ - ٧٤ . تحصيل الغرام ، ورقة

٢٠٠ - ٢٠١ - شفاء الغرام ج ١ ، ص ٣٤٨ - ابن فهد :

إتحاف السـوري ج ٣ ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ -

الجزيري : درر الفرائد ج ١ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٤ - الشريف حقي رفعت

: الإعلام بأعلام البلد الحرام ، ص ٢٦٠ - إبراهيم رفعت : مرآة

الحرمين ج ١ ، ص ٢١٦ - محمد أنور شكري : لوهان أثريان ،

ص ١٣ - ١٤ .

وفي سنة ٨٣١ عمر شاهين العثماني بعض الأماكن ببئر أبي رخم وعين حنين ، وصرف مقدار خمسمائة مثقال ذهباً إلى أن وصل ماء قليل من بئر أبي رخم وجرى إلى البركة الكبيرة بالمعلاة ، فلما حان الوقت وقرب وصول الحجاج استعمل شاهين فعلة يسوقون الماء على الساقية في سبيل السلطان بباب المعلاة بالنوبة ليلاً ونهاراً حتى جرى الماء إلى البركة ، وصار عين أبي رخم وماء الساقية يصبان في البركة ، إلى أن امتلأت واكتفى بها الحجاج . (١)

وفي شهر ربيع الآخر سنة ٨٣٤ عمر الأمير مقبل القديدي بأمر من السلطان الأشرف برسباي عين حنين ، وبدأ من بازان عند الصفا ، وجرت الماء منها إلى مكة بعد إنقطاعه مدة طويلة ، ورصد لها خمسة آلاف درهم . (٢)

(١) ابن فهد ، إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٨٧ .

(٢) المقرئ : السلوك ، ج ٢/٤ ، ص ٧٨١ - ابن حجر : إنباء الفجر ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ١٧ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ١٣٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٧ - النهر والي : الإعلام ، ص ٢١٢ ، محمد هزاع الشهري : عمارة المسجد النبوي ، ص ٢٩٢ .

وفي سنة ٨٣٥ هـ عمر الخواجا سراج الدين عمر بن محمد
ابن المزلق الدمشقي (١) أحد التجار عين حنين المعروفة بعين
بازان ، وجرى الماء فيها في شهر رمضان ، ودخلت المياه مكة وسرت
بسوق الليل حتى انتهت إلى باب إبراهيم ثم إلى بركة ماجن بأسفل
مكة ، فعم النفع بها لشدة إحتياج الناس إلى الماء ، وصرف
عليها خمسمائة دينار من ماله الخاص . (٢)

وفي سنة ٨٤٦ هـ عمت أماكن كثيرة من عين حنين على يد
جماعة من التجار والمجاورين منهم الخواجا بدر الدين حسن بن محمود
الظاهر والخواجا شهاب الدين أحمد بن علي الكواز (٣) والخواجا
محمد بن علي الدقوقي (٤) ، والخواجا جلال الدين بن عبد الكريم

- (١) عمر بن محمد المزلق الدمشقي ، ولد سنة ٧٨٦ هـ وحفظ القرآن
وكان خيراً باراً بالمساكين والفقراء ، توفي بدمشق سنة ٨٤١ هـ .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٢٠) .
- (٢) ابن حجر : إنباء الفهر ، ج ٣ ، ص ٤٧١ - ابن فهد : إتحاف
الوري ، ج ٤ ، ص ٨٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٢٠ .
- (٣) انظر صفحة ٣١٧ حاشية (٤) .
- (٤) محمد بن علي الدقوقي : ولد بمكة سنة ٧٩٥ هـ ، ونشأ فقيراً
واشتغل بالتجارة فكثر ماله واشترى عقاراً بمكة ، وبنى عدة
دور ، وكان مقرباً لأهل الخير ، وعمر عين حنين سنة ٨٤٦ هـ
وتوفي ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة ٨٦٠ هـ .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ١٩٠) .

ابن محمد بن ديلم البصرى (١) ، وعم النفع بها. (٢)

وفي سنة ٨٥٢ هـ عمر بيزم خواجا ناظر الحرم من قبل السلطان
جقمق عين حنين ، وأصلح مجاريها ورممها ترميماً محكماً. (٣)

وفي سنة ٩١٥ هـ أمر السلطان الغورى خاير بك المعمار
أن يأخذ جماعة من البنائين الى مكة لاجراء عين حنين ، وقد أصلح
المواضع التي تهدمت حتى جرى الماء ، وامتلاّت بركة المعلاة ، وبركة
ماجن من أسفل مكة. (٤)

- (١) عبد الكريم بن محمد الخواجا جلال الدين البصرى : ويعرف بديلم
سكن مكة وجدد بها داراً ، بل عمر أماكن كثيرة من عين حنين
سنة ٨٤٦ هـ ، وكان خيراً محسناً للفقراء والأرامل ، توفي بمكة
سنة ٨٥٥ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج٤ ، ص ٣١٩) .
- (٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ١٥٠ .
- (٣) النهروالي : الإعلام ، ص ٣١٨ - ٣١٩ ، الطبرى : إتحاف
فضلاء الزمن ، ج١ ، ورقة ١٠٦ - السنجارى : منائح الكرم ،
ج٢ ، ورقة ٨ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٥٠ .
- (٤) ابن آياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ١٦٣ - أيوب صبرى باشا :
مرآة الحرمين ، ص ٧٣٦ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج١ ،
ص ٢١٦ - ٢١٧ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٥٠ .

المظاهر بمكة :

هذا ولم يقتصر الأمر على توفير مياه الشرب لأهل مكة والحجاج البيت الحرام بإنشاء هذه المرافق المتعددة من آبار وعيون وآسبله وبرك ، والعناية بها ، بل تعدى الأمر إلى إنشاء عدد من المظاهر للوضوء حول المسجد الحرام وعلى مقربة منه .

ففي عشر السبعين وسبعمئة بنى الأمير طيغبا الطويل^(١) أحد الأمراء المقدمين بالديار المصرية مطهرة بأسفل مكة عند باب العمرة ، وأوقف عليها أوقافاً ، وهي في الموضع المعروف بخراطة قريش ، وبينهما الطريق

(١) طيغبا بن عبدالله الطويل الناصري حسن كان رفيقاً لخشداش يلبغا العمري في قتل أستاذهما السلطان حسن ، وتوفي سنة ٧٦٩ هـ .

(الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٧٥ - ابن تغري بردي :
الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ٣٧٥) .

الخشداش : هو الزميل في الخدمة لدى سلطان أو أمير والجمع
خشداشية وهم الأمراء الذين ينشئوا ماليك عند سيد واحد
فنبئت بينهم الزمالة .

(المقرئى : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩) .

إلى باب الشبيكة وإلى السويقة وغير ذلك (١).

وفي سنة ٧٢٨ هـ أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون عند باب بني شبيبة مطهرة اشترى موضعها من الشريفين عطيفة ورميثة إبني أبي نمس أميري مكة بخمسة وعشرين ألف درهم (٢)، وولي نظر هذه المطهرة علي بن أحمد بن محمد المعروف بابن سالم الزبيدي (٣).

وأنشأ الأمير المعروف بآل ملك الجوكندار نائب السلطنة المملوكية مطهرة، وتقع في الموضع المعروف ببيت العطار عند باب الحزورة (٤).

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ج ١ ، ص ٣٥١ - العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٧٥ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ - الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - العقد الثمين : ج ٦ ، ص ١٣٥ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - الطبرى : الأرج المسكى ورقة ٣٣ .

(٣) علي بن أحمد المعروف بابن سالم الزبيدي : ولد بزبيد ، ونشأ بها ، أخذ العلم من علماء مكة ، درس بالمدرسة المجاهدية ، ولي نظر المطهرة الناصرية بمكة ، وتوفي سنة ٨١٨ هـ . (الفاسي : العقد الثمين : ج ٦ ، ص ١٣٤ - ١٣٥) .

(٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

وفي سنة ٧٥٩ هـ أنشأ الأمير صرغتمش الناصري^(١) أحد كبار الأمراء في دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون مطهرة بين رباط أم الخليفة والمارستان المستنصري بالجانب الشمالي من المسجد الحرام ، ثم عمرها بعض تجار الشام سنة ٨٠٨ هـ ، ثم جددت سنة ٨١١ هـ من قبل تاجر يسمى الخواجا حسن بن أحمد الشرواني الذي صرف عليها خمسة آلاف درهم.^(٢)

وفي سنة ٧٧٦ هـ أنشأ السلطان الأشرف شعبان بالمسمى مطهرة قبالة باب علي أحد أبواب المسجد الحرام ، وكان المتولى على عمارتها الأمير أبو بكر سنقر الجمالي ، ولها أوقاف بمكة ربع فوقها دكاكين ، ووقف عليها أيضاً أوقافاً بضواحي القاهرة ، ثم عمرت مرة أخرى سنة ٨١٧ هـ^(٣) . وقد رصد لها الأشرف

(١) صرغتمش بن عبد الله الناصري أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون ، وعظيم دولة الناصر حسن ، أُعتقل بسجن الإسكندرية ، ثم قتله الناصر حسن سنة ٧٥٩ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٠ - ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ - ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٢) الفاسي ! الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٠ - القرشي : تاريخ مكة ، ورقة ١٠٨ - ابن فهد : اتحاف السالكين ، ج ٤ ، ص ١٧ - النهروالي : الإعلام ، ص ١٩٨ - الطبري : الأرجح المسكي : ورقة ١٣٣ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٣٤ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ -

وفي سنة ٧٩٦ هـ عمت أم سليمان المتصوفة مطهرة للنساء ، وهي صاحبة
الزاوية بسوق الليل ، والسبيل بالمعلاة . (١)

وفي سنة ٨٣٢ هـ شرع الأمير قبل القديدي في عمارة الميضاة
الصرغتمشية الملاصقة للبيمارستان ، وتم الإنتهاء منها في السنة التالية . (٢)

وفي سنة ٨٦٥ هـ عمت خوند رينة خاص بك ، وزوجة الملك الأشرف
رینال مطهرة ولكنها لم تتمها . (٣)

وفي سنة ٩١٦ هـ أمر السلطان الغوري ببناء ميضاة عند باب إبراهيم
على يمين الخارج من المسجد الحرام . (٤)

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ -
القرشي : تاريخ مكة ، ورقة ١٠٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية
المصرية ، ١٢٧ ، وعن عمارتها بالمعلاة أنظر : ص (٢١٢)

(٢) ابن فهد - إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ١٧ - ٣٥ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٨٨ - على السليمان : العلاقات
الحجازية المصرية ، ص ١٢٧ .

(٤) الديار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ -
الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ١٥٨ - الأرج المسكي ،
ورقة ٣٣ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ،
ص ٢٥٤ .

منى ، وبنى عنده مسجداً (١) .

وفي سنة ٨٤٤ هـ أرسل نائب السلطنة بمصر مالاً أجرى به عين بركة
أم السلم ببنى (٢) .

وفي سنة ٨٤٧ هـ بنيت ثلاثة أسبلة ببنى ، أحدها لعبد الغني
القباني (٣) وشريكه إبن كرسون . والثاني لعبد الكريم بن محمد بن أحمد بن
عوض الجدى (٤) . والثالث لفرج الشرايى (٥) ، ولكن لم يكمل هذا السبيل . (٦)

(١) الفاسي : شفا الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ - العقد الثمين
ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) السنجاري : منافع الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٥٥ .

(٣) عبد الغني بن محمد القبليوي ، ويعرف بالقباني ، ولد سنة ٨٠٣ هـ ،
نزىل مكة ، ونشأ بالقاهرة وحفظ القرآن ، وحج سنة ٨٢٠ هـ ، وله
دور بركة وبنى سبيلاً ببنى مع شريكه إبن كرسون . توفي يوم
الأربعاء سادس شعبان سنة ٨٦٩ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٥٧) .

(٤) عبد الكريم بن محمد الجدى : أحد التجار من له عقار ، أنشأ ببنى
سبيلاً . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٣١٩) .

(٥) فرج بن عبدالله الشرايى الحبشي المكي التاجر : صاحب دور وغيرها ،
أنشأ سبيلاً ببنى سنة ٨٤٧ هـ ولكن لم يكمل ، مات بركة في ربيع الثاني
سنة ٨٥٣ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٦٩) .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٧٢ - ابن فهد : إتحاف الورى
ج ٤ ، ص ١٦٩ .

- وفي سنة ٨٤٩ هـ أنشأ الخواجا شهاب الدين أحمد العاقل^(١) سبيلاً^(١) ببيته الذي ابتناه في سوق الجمال بمنى ، وسَّبل الماء فيه أيام التشريق .
- وفي العام نفسه أنشأ موسى بن عبد السلام الزمزي^(٢) سبيل الوتش بطريق منى بالقرب من سبيل الست مما يلي منى ، بناء على أعمدة صهريج وجدّه هناك ، وسَّبل فيه الماء أيام التشريق ، وجعل عليه وقفاً بنخلة^(٣) .
- وفي سنة ٨٥٠ هـ أنشأ الخواجا بدر الدين الطاهر سبيلاً^(٤) ببيته بمنى ، كما أنشأ أبو بكر الشمري^(٥) سبيلاً أيضاً ببيته بمنى^(٦) .

- (١) أحمد بن علي بن محمد بن الشهاب المصري التاجر : ويعرف بالعاقل ، نزيل مكة ، أنشأ بها داراً وكذلك بمنى توفي ليلة الخميس عشرين رمضان سنة ٨٦٤ هـ بجدة ودفن بمكة . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٤٣) .
- (٢) موسى بن أحمد بن عبد السلام : ويعرف بالزمزي نسبة لبئر زمزم ، وهو المجدد لسبيل الوتش بطريق منى ، وعليه وقف بنخلة ، توفي سنة ٨٧٦ هـ بمكة . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٨٣) .
- (٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .
- (٤) بدر الدين بن حسن بن محمد الطاهر ، نزيل مكة ، ولد سنة ٧٩٠ هـ ، اشتغل بالتجارة ودخل عدة بلاد مثل الهند واليمن والقصير وسواكن وعمر ورأى ، وعمل رباطاً بباب سويقة ، وعمر عين حنين ، وكان خيراً ساكناً متواضعاً ، توفي بمكة سنة ٨٧١ هـ .
- (٥) (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ١٩٠) .
- (٦) أبو بكر الشمري التاجر : تردد إلى الهند ، أنشأ سبيلاً في بيته بمنى سنة ٨٥٠ هـ وتوفي في ربيع الأول سنة ٨٧٠ هـ .
- (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١١ ، ص ١٠٠) .
- (٦) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

توفير المياه في عرفة :

وفي سنة ٧٢٥ هـ عمر بازان رسول الأمير جويان بن تلك بن تدوان نائب السلطة بالعراقيين عن السلطان أبا سعيد بن خزندا ملك التتر عين عرفة ، بسبب وفود الحجاج العراقيين إلى مكة كل سنة ومعاناتهم الشديدة من قلة المياه بحكمة فإن الراوية بلغت في الموسم عشرة دراهم مسعودية ، وفي غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة دراهم . (١)

وفي سنة ٨١٣ هـ عمرياقوت خادم السلطان غياث الدين صاحب بنجاله العين المسماه عين عرفة ، وصرف عليها حوالي ثلاثين ألف مثقال ذهباً ، ويقال أن الشريف حسن بن عجلان أمير مكة أخذ من ياقوت خمسة آلاف مثقال ذهباً . (٢)

- (١) الفاسي : شفاء الفرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ - المقرئ : السلوك ، ج ٢ / ١ ، ص ٢٧٤ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، محمد أنور شكرى : لوجان آثريان ، ص ١٣ - ١٤ .
- (٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ - النهر والي : الإعلام ، ص ١٩٨ - ١٩٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٥٣ .

وفي سنة ٨٤١ هـ بعث سلطان مصر الأشرف برسباي خمسة

آلاف أشرفي على يد ابن المزلق بسبب عمارة عين عرفة . (١)

وفي سنة ٨٥٢ هـ رسم بيرم خواجا ناظر الحرم من قبل السلطان جقمق

عدة برك بطريق عرفة ، وظهرها ونظفها من التراب ، وأصلحها وساق الماء

إليها من الآبار التي بقربها ليشرب منها الحجاج ، وانتهى من ذلك سنة

(٢) ٨٥٣ هـ .

وفي ربيع الآخر سنة ٨٧٥ هـ أمر السلطان قايتباي الأمير سنقر

الجمالي بتعمير عين عرفة ، وقد أرسل مائة عامل ، وكانت أجرة العامل ثلاثة

دنانير أشرفية (٣) . وبدأ تعميرها من سفح جبل الرحمة إلى وادي نعمان

حيث وجد الماء بكثرة ، كما أصلح البركة وملاها بالماء ، وأصلح عدة فساق

كانت قد طمرت (٤) وهناك لوحة تأسيسية مؤرخة بعام ٨٧٥ هـ في أسفل

جبل عرفة ، وقد قام الدكتور محمد الفخر بنشرها ، ونص هذه اللوحة التأسيسية

سيكون ، إن شاء الله ، في الملاحق بنهاية الرسالة . (٥)

(١) المقرئ : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ١٠٢٨ - ١٠٣٠ - ابن فهد :

إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ٩٠ - ابن الصيرفي : نزهة

النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ٤٠٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٢٥ .

(٢) السخاوي : التبر المسبوك ، ص ٢٦٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،

ص ٧٣٧ - النهروالي : الإعلام ، ص ٣١٨ - الطبري : إتحاف فضلاء

الزمن ، ج ١ ، ورقة ١٠٦ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٨ -

أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٦٥ - ٦٦٦ - محمد أنور شكري

: لوحان أثريان ، ص ١٥ .

(٣) محمد الفخر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٤١ .

(٤) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ٩٧ - ابن فهد : إتحاف

السورى ، ج ٤ ، ص ٤٠٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ،

ج ٣ ، ص ٥٦ - ٥٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥١ - النهروالي :

الإعلام ، ص ٢٢٤ - الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ٣١ - ٣٢ - إبراهيم

رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ - عبد الرحمن محمود

عبد التواب : قايتباي المحمودي ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٥) انظر الملحق رقم (٤) ، ص ٧٠ .

وفي سنة ٨٨٩ هـ أصلح الأشرف قايتباي مرة ثانية عين عرفة بعد أن
خربت وتسببت في تعب ومشقة للحجاج وأهل مكة. (١)

*

٤ - توفير المياه في خليص :

وادي على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة وبه الكثير
من العيون والآبار والمزارع. (٢)

وفي سنة ٧١٩ هـ حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته
الثانية وذكر للسلطان إن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص ليجري
الماء من عين بها إلى بركة يرد بها الحجاج وقد انقطع ذلك منذ سنين ، وأصبح
الحاج يجد مشقة من قلة الماء بخليص ، فرسم السلطان بخمسة آلاف درهم
لإجراء الماء من العين إلى البركة وجعلها مقرر في كل سنة لصاحب خليص

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢١٩ - محمد الفهر : الكتابات
والنقوش في الحجاز ، ص ٢٥٣ .

(٢) القلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

، فأجرى صاحب خليص الما قبل وصول السلطان (١) . وقد ورد في حجة
وقف الأشراف شعبان المؤرخة سنة ٧٧٧ هـ تخصيص خمسمائة درهم
نقرة سنوياً لعمارة عين خليص وترميمها وتنظيف الفسقية (٢).

وفي سنة ٨٧٤ هـ أمر السلطان قايتباي بإصلاح عين خليص بالقرب
من مكة نظراً لأهميتها للحجاج فهي من أحسن مآهل الحج وأعذبها بمبلغ
ألف أشرافى ، وابتدأ العمل بها في عاشر شعبان ، وتم الإنتهاء منها في ذى القعدة
من السنة نفسها على يد الأمير شاهين الجمالي (٣).

- (١) الحضراوي : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٤٦ - المقرئى :
السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ - ابن تغرى بردى : النجوم
الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٦٠ - ابن فهد : إتحاف
السورى ، ج ٣ ، ص ١٦٥ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، تحقيق
ليلى عبد اللطيف ، ص ١٣٢ .
- (٢) انظر فى الملحق رقم ٢٠٦ - ٢٠٧ - حجة وقف الأشراف شعبان .
- (٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ -
النهر والى : الإعلام ، ص ٢٢٤ - محمد الفهر : الكتابات والنقوش
فى الحجاز ، ص ٢٣٩ .

٥ - توفير المياه في المدينة المنورة :

أما من حيث المياه بالمدينة المنورة فهي أحسن حالاً من مياه مكة المكرمة ، وذلك لكثرة آبارها وعيونها . وقد حظيت المظاهر والآبار والعيون والبرك بالمدينة المنورة في العصور السابقة على العصر المملوكي بالكثير من العناية على يد الخلفاء والسلاطين وأعيان المسلمين ^(١) . وفي العصر المملوكي ازدادت العناية بتوفير المياه في المدينة المنورة أكثر من ذي قبل ، من الآبار والعيون التالية :

بئر البصة :

تقع بالقرب من البقيع على يسار الطريق إلى قباء وهي بين نخل ، وبالقرب منها بئر أصغر منها ، ويحيط بها حديقة كبيرة . وقد ابتنى قاضي المدينة زكي الدين بن أبي الفتح بن صالح محل هذا الآطم ^(٢) منزلاً حسناً ، وجعل للبئر الصفري درجاً ينزل إليها منه ، وعمر البئر الكبرى أيضاً لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجراها هو وشريكه في النظر في الولاية السلطانية لغيره . والحديقة وقف على الفقراء والقاصدي الزيارة أوقفها شيخ الخدام ربحان البدرى الشهابي قبل وفاته بعامين أو ثلاثة ، ووفاته كانت سنة ٦٩٧ هـ ،

(١) عن توفير المياه في المدينة المنورة في العصور السابقة على العصر المملوكي انظر رسالة سليمان مالكي : مرافق الحج ، الباب الرابع ،

ص ١٨٧ - ٢٠٦ .

(٢) الآطم : جمعها آطام وهو الحصن .

وضولها أحد عشر ذراعاً منها ذراعان ماء وعرضها تسعة عشر ذراعاً ، وهي
مبنية بالحجارة ، ولون مائها صافى ، وطعمه حلو ، وأهل المدينة كانوا يستقون
منها قبل أن يطمها السيل . (١)

بئر أريس :

تقع أمام مسجد قباء على غربيه ، وتبعد بحوالي ثمانية وثلاثين متراً عند
حديقة الأشراف الكبرى من بنى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢) .
وعق هذه البئر إثنا عشر متراً ، وفي أسفلها فتحتان يجري منهما الماء إلى
قاع البئر ، وفتحة الثالثة تصلها بجرى العين الزرقاء التي يشرب منها أهل
المدينة وماواها عذب ، وطولها أربعة عشر ذراعاً وشبر منها ذراعان ونصف

- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ - المطرى : التعريف
بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٥ - المراغي : تحقيق
النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٧١ - الفيروزآبادى :
المفانم المطابه ، ص ٣٠ - ٣١ - السمهورى : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص
٩٥٥ - أحمد العباسي : عدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢٦٢ -
٢٦٣ - عبد السلام حافظ : المدينة المنورة في التاريخ ، ص ٣١ - ٣٢ .
(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٣ -
أحمد العباسي : عدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢٥٩ .

(١)

ما ، وعرضها خمسة أذرع ، وطول قفها ثلاثة أذرع ، وتسمى بئر الخاتم .
لوقوع خاتم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيها من يد عثمان بن عفان ،
رضي الله عنه ، وهي من الآثار الماثورة لجلوس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم
عليها ^(٢) . وكانت هذه البئر مبنية بالحجارة المنحوتة ، وقد تهدمت وطويت
، وتُني بأعلاها سكن لمن يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قبا ، وحولها
دور الأنصار وآثارهم ، وقد جدد الشيخ صفي الدين أبو بكر السلامي ،
لها درجاً ينزل إليها منه الزوار ، وقاصدو الوضوء والشرب ، وعلى الدرج
قبو وعليها تجاه الداخل لوح مكتوب عليه تاريخ عمارة البئر سنة ٧١٤ هـ ،
ويقال إن الذي أنشأ الدرج ابن فرحون . ()

- (١) قفها : قف البئر أي الدكة التي تجعل حولها . (القاموس المحيط
ق ف ف) (المنجد ص ٦٤٥) .
(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٤٢ - المطري : التعريف بما أنست
الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٤ - المرافي : تحقيق النصرة
بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٦١ - ١٧٠ - الفيروزآبادي : المفانم
المطابة ، ص ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - السمعوري : ونا الوفا ، ج ٣ ، ص
٩٤٨ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ،
ص ٢٥٩ .
(٣) المرافي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٧٠ -
الفيروزآبادي : المفانم المطابة ، ص ٢٧ - ٢٨ - عبد القدوس الأنصاري
: آثار المدينة المنورة ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ - محمود الشراوي : المدينة
المنورة ، ص ١٥ - ١٦ .
(٤) المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٤ -
السمعوري : ونا الوفا ، ج ٣ ، ص ٩٤٨ .

بئر رومه :

تقع في عرصة العقيق الكبرى بالمدينة المنورة بقرب مجتمع الأسبـال
شمالي غربي المدينة المنورة ، إشتراها عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وتصدق
بها للمسلمين . طولها ثمانية عشر ذراعاً ، منها ذراعان ماءً ياقبها مطـموم
بالرمل ، وعرضها ثمانية أذرع ، وماءها صاف^(١) . وقد تهدمت مع
مرور الزمن حتى جاء قاضي مكة المشرفة شهاب الدين أبو العباس الطبري
سنة ٧٥٠ هـ زائراً إلى المدينة المنورة فجدد عارتها من صميم ماله ، وشيد
أركانها ، فجاءت في غاية الحسن والرضا ، لقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
" من حفر بئر رومه فله الجنة " ^(٢) وعند البئر بناء عال شبه حصن متهدم
يقال إنه كان بئراً لليهود ، وفي أطراف هذه البئر أبار كثيرة أخرى ومزارع ^(٣) .

- (١) ابن النجار : الدرة الثينة ، ص ٣٤٤ - السهوي : وفاء الوفا ، ج ٣ ،
ص ٩٧١ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢٦٥ ،
عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
(٢) صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .

- (٣) المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٧ -
الفاشي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١٦٣ - المرافي : تحقيق النصرة
بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - الفيروز آبادي : المعاني
المطابقة ، ص ٤٠ - ٤٢ - ابن فهد : إتحاف
الوري ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة
المنورة ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

بئر غرس :

الغرس الفسيل أو الشجر الذي يفرس لينبت ، وهو بئر في الشمال الغربي للمدينة المنورة شرقي مسجد قباء على نصف ميل إلى جهة الشمال على منازل بني النضير ، وحولها مقابر بني حنظلة ، وتقع بين النخيل ، طولها سبعة أذرع منها ذراعان ماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وقد خربت فجددت بعد السبعائة ، وهي غزيرة طيبة عذب ماءها ، ويقال إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بصق فيها ، وأن بها عيناً من عيون الجنة ^(١) . وقد ابتاعها الخوaja حسين بن الجواد المحسن الخواجي شهاب الدين أحمد القواني ، وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجاً ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً وأوقفها سنة ٨٨٢ هـ ^(٢) .

البركة بوادي رأس بني سالم :

وفي سنة ٨٠١ هـ عمر الظاهر برقوق بركة كبيرة بطريق المدينة المنورة برأس وادي بني سالم يردّها الحجاج ^(٣) .

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٤٣ - المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٥ - المـراغي : تحقيق النصيرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٧٠ - ١٧١ - الفيروزآبادي : المفان المطابة ، ص ٤٦ .

(٢) السهوي : وناؤه الوفا ، ج ٣ ، ص ٩٨١ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢/١ ، ص ٥٣٣ .

بئر السقيا :

مكانها الحالي جنوبي محطة سكة حديد الحجاز ، ويفصل بينهما طريق مكة ، ويسمى المكان الذي فيه البئر الفلجان ، وكانت منازل الحجاج الزائرين إلى المدينة المنورة . وقد جددتها بعض العجم سنة ١٨٨٦م، وعرفت ببئر الأعاجم ، وهي عميقة ومحفورة في الصخر ، قطرها ستة أمتار ، وعمقها أربعة عشر متراً ، وجنوبها مزرعة ، ويقال إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم شرب منها . (١)

العين الزرقاء :

وفي سنة ٨٨٦ هـ أجرى الأشرف قايتباي عين الزرقاء بالمدينة المنورة على يد الخواجا شمس الدين بن الزمن . (٢)

فسقية للمياه بجوار باب الرحمة :

وفي سنة ٨٩٣ هـ عمر أبو بكر بن مزهر (٣) رئيس ديوان الإنشاء

(١) المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٩ -

السمهودي : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ٩٧٣ - عبد القدوس الأنصاري :
آثار المدينة المنورة ، ص ٢٥١ .

(٢) زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٧١ - محمد أنور شكري : لوحان
أثريان ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٣) أبو بكر بن محمد بن محمد الزين بن البدر الأنصاري الدمشقي :

بمصر فسقية متصلة بكر باب الرحمة ، وفوق هذه الفسقية قبة ، وعلى الجانب الأيمن منها فسقية للمياه . (١)

وبالإضافة إلى العناية بتوفير مياه الشرب لأهل المدينة ولزوار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقد اقتضى الأمر أيضاً إنشاء عدد من المطاهر حول المسجد النبوي لوضوء المصلين .

ففي سنة ٦٨٦ هـ أمر السلطان المنصور قلاوون الصالحى بإنشاء مطهرة بالجانب الغربي من المسجد النبوي عند باب السلام ، وكان المشرف على عمارتها علاء الدين الأقرم . (٢) وأخرى من ناحية غرب المسجد النبوي ولها باب منه . وأخرى شرقيه بالقرب من دار إبراهيم الرئيس . ورابعة أنشئت في رباط الأشرف قايتباي لسكان الرباط وغيرهم . (٣)

== ويعرف بابن مزهر ، ولد سنة ٨٣١ هـ زارمكة والمدينة المنورة والقدس واشتهر بوفرة الذكاء ، شغل نظراً لإسطبل ، ووكالة بيت المال بمصر . حج غير مرة ، وله سبيلان بمكة ، ومدرسة ورباط بالمدينة المنورة ، توفي سنة ٨٩٣ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٨٨-٨٩) .

(١) أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ورقة ٨٧٥ .

(٢) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٦٥ - صالح لمعي مصطفى :

المدينة المنورة وتطورها العمراني ، ص ٨٠ .

(٣) السخاوي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

الوقف الساروس

الخدمات الدينية والمدنية للحجاج

المساجد - المدارس - الأربطة

البيمارستانات

الفصل السادس

الخدمات الدينية والمدنية للحجاج

- ١ - المساجد :
 - أ - مساجد مكة المكرمة .
 - ب - مسجد سَرُوعَة بمرّ الظهران .
 - ج - مسجد خليص .
 - د - مساجد المشاعر المقدسة (منى - مزدلفة - عرفة) .
 - هـ - مساجد المدينة المنورة .
 - و - مسجد جدة .
- ٢ - المدارس :
 - أ - مدارس مكة المكرمة .
 - ب - مدارس المدينة المنورة .
- ٣ - الأربطة :
 - أ - الأربطة بمكة المكرمة .
 - ب - الأربطة بالمدينة المنورة .
- ٤ - الهمارستانات :
 - أ - الهمارستان بمكة المكرمة .
 - ب - الهمارستان بالمدينة المنورة .

الفصل السادس

الخدمات الدينية والمدنية للحجاج

بعد أن تحدثت عن طرق الحج ، وما أقيم بها من مرافق للتيسير على الحجاج في سلوكهم لها ، وعن إلغاء المكوس على الأُطعمة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وعما كان يقدم لأُمرء المدينتين ولاُهلها من أعطيات ، وعما كان يقوم به السلاطين وأُمرأؤهم وأُثرياء المسلمين من توفير الأُطعمة والعياء في المدينتين المقدستين ، وفي المشاعر المقدسة خصصت هذا الفصل الأخير من الرسالة للمنشآت الدينية والمدنية التي أنشئت لخدمة أهالي الحرمين الشريفين ، ولخدمة الحجاج وتيسير إقامتهم في المدينتين المقدستين والمشاعر المقدسة في موسم الحج والزيارة .

فقد حفل العصر المملوكي بتعمير الكثير من المساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة التي ترتبط بذكرى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وبتعمير المساجد بالمشاعر المقدسة التي ترتبط بأداء مناسك الحج . هذا فضلاً عن إنشاء الكثير أيضاً من المساجد في المدينتين المقدستين للتيسير على الحجاج والزوار في أداء صلواتهم في حالة تعذر أدائها في الحرمين الشريفين بسبب إزدحامهما بالمصلين في موسم الحج والزيارة ، كما أنشئت أيضاً المساجد على امتداد الطريق بين مكة والمدينة ليقم بها الحجاج شعائر الصلاة أثناء سلوكهم في هذا الطريق .

وبالإضافة إلى أداء فريضة الصلاة كان الحجاج يقبلون على سماع الدروس التي تُلقي في الحرمين الشريفين أو في المدارس التي بدأ إنشاءها

حول الحرمين الشريفين منذ الربع الأخير من القرن السادس الهجري ، ثم
شاع إنتشارها في العصر المملوكي خاصة وان هذه الدروس التي كانت تستهدف^(١)
تثقيف المسلم في شئون دينه ، كانت تضاف جواً روحياً للحجاج وهم يتنقلون
لسماع ما يلقي من دروس في الحرمين الشريفين أو في المدارس التي كانت
تُحلق بهما ، سواء من قبل كبار علماء المدينتين المقدستين اللتين^(٢)
حفلت بهما في العصر المملوكي ، أو من قبل علماء المسلمين المبرزين في كل علم ،
والوافدين إلى المدينتين المقدستين للحج وللزيارة . هذا إلى أن للمدرسة
بنظامها الذي عرفت به في العصر الإسلامي كان لها بجانب وظيفتها التعليمية
وظيفة إجتماعية تتمثل فيما كانت تقدمه المدرسة من زاد ومأوى للمتروكين
عليها من المعوزين والمنقطعين سواء في موسم الحج والزيارة ، أو على مدار
العام .^(٣)

كما أن الأربطة تطورت وظيفتها أيضاً في القرن السادس الهجري
، وأصبحت كالزوايا والتكايا والخوانق دوراً يقيم بها المتصوفة . وفي مكة
المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي أقيم الكثير من الأربطة ، وأوقفت

- (١) عن نشأة المدرسة انظر فيما بعد ص ٣٧٩ .
(٢) أزيلت المدارس التي كانت حول الحرم المكي الشريف عند القيام بالتوسعة
السعودية في عهد المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود ، كما أزيلت
المدارس التي كانت حول الحرم النبوي الشريف عند القيام بالتوسعة
العثمانية في عهد السلطان سليمان بن السلطان عبد المجيد .
(٣) انظر فيما بعد ص ٣٨٠ .

على الفقراء والمهوزين والمنقطعين من طوائف معينة كالعرب أو العجم أو الهنود ،
أو على الرجال أو على النساء ، ليقيموا بها في موسم الحج أو على مدار العام ،
حسب رغبة الواقف .

وأما البيمارستان في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة فإنه كان بجانب
كونه مؤسسة علاجية للمرضى من أهل الحرمين الشريفين طوال العام ، فإنه
ليس شمة شك في أن كان يؤدى هذه المهمة لحجاج بيته تعالى
ولزوار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في موسم الحج والزيارة .

وهكذا سنجد أن هذه المنشآت الدينية والمدنية كانت تؤدى خدمات
كبرى للحجاج وللزوار في المدينتين المقدستين وفي الشارع المقدسة ، وهو
ما سيتضح من خلال دراستنا لهذه المنشآت في العصر المملوكي .

✱

١ - المساجد

قال تعالى ✱ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ✱ (١) ،
كما أشار الله سبحانه وتعالى بمن يعمر المساجد في قوله ✱ إِنَّمَا يَغْمُرُ
مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ
يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ✱ (٢)

(١) سورة الجن : آية ١٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٨ .

والمسلم يختلف إلى المسجد خمس مرات في اليوم ، وله حق الزيارة والمرابطة . ومن انتظر صلاة على صلاة فهو الرباط ، وجاء في التنزيل
* إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * (١)

وفضلاً عن أن المساجد دور عبادة تقام فيها الصلاة ، فإنه يتم فيها بحث شئون المسلمين من أمور دنياهم وآخرتهم ، ولذلك اعتنى المسلمون بها حكماً وأفراداً فأقاموا المساجد في كافة الأماكن والبقاع في بلاد المسلمين عامة ، وفي مكة والمدينة والمشارع خاصة ، وهذه المساجد وخاصة ما أقيم منها في العواصم الإسلامية هي روائع فنية تشهد بعظمة وجمال العمارة الإسلامية . وهناك وظيفة أخرى للمساجد ، وهي أنها تعتبر جامعات لطلب العلم والمعرفة ، ومن قدر له أن يدخل مسجداً فإنه يجد جماعات الطلاب محلقين حول أساتذتهم .

وقد أكثر سلاطين الممالك من إنشاء المؤسسات الدينية بصفة عامة ، والمساجد بصفة خاصة ، وذلك لتقوية رباط الدين الذي يربطهم بالشعب لينسى لهم ماضيهم وأصلهم وأجناسهم ، ولا يذكر لهم إلا أنهم مسلمون مخلصون حريصون على إحياء شعائر الإسلام ، وهي الرابطة الوحيدة التي تربط بين الممالك بعضهم ببعض من ناحية ، وبينهم وبين الشعوب التي حكموها من ناحية أخرى ، وبينهم وبين كافة المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية من ناحية ثالثة ، خاصة وأنهم ظهروا في صورة حماة الإسلام والمسلمين بعد طردهم للصليبيين والمغول . فكل هذه الظروف قد أدت إلى ظهور تيار

(١) سورة آل عمران : آية ٩٦ .

(٢) مع إحترامي لرأى الدكتور محمد أمين من أن الممالك أكثر من إنشاء المؤسسات الدينية حتى ينسى الشعب ماضيهم وأصلهم وأجناسهم الخ . هذا من وجهة نظر الدكتور محمد أمين إلا أننا لا ينبغي لنا أن ننسى الظن بهم إلى هذا الحد فالحقيقة أن العربي من امتص الثقافة العربية وتخلق بالأخلاق العربية الإسلامية وهذا ينطبق على الممالك لأن العرب عندما تدفقا على الملوك الخمسة كانت الحضارة تمثل بخصائصها ولكن سرعان ما تقبلوا ثقافة الفاتحين الجدد وساهموا في إخصابها

ديني قوى خلال العصر المملوكي في مصر ، وهو التيار الذى يتمثل في صورة واضحة في كثرة إنشاء المساجد والجوامع ^(١) . ومن أبرز الدلالات على ذلك قول السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن في أيامه علا منار الإسلام وعزت أمة النبي ^(٢) .

هذا ، وقد امتد إهتمام سلاطين المماليك وإمرائهم وكبار رجال دولتهم في بناء المساجد في مصر والشام إلى بناء المزيد من المساجد في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة بصفة خاصة وفي الحجاز بصفة عامة ، وعمارة ما يحتاج منها إلى العمارة . كما أمتد هذا الإهتمام إلى غيرهم من سلاطين وأعيان المسلمين المعاصرين لسلاطين المماليك ، وذلك تيسيراً على المسلمين في إقامة الصلاة سواء في أيام موسم الحج والزيارة ، أو في بقية أيام السنة .

ولنحاول تتبع إنشاء المساجد في العصر المملوكي في هذه الأماكن المقدسة ، ولنبدأ بما أقيم منها في مكة المكرمة وفي الطريق منها إلى المدينة المنورة ، ثم في المشاعر المقدسة ، والمدينة المنورة وأخيراً في جدة .

(١) محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الزهر ، ج ٩ المسمى الدر الفاخر

في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت ، ص ٣٨٨ .

أ - مساجد مكة المكرمة :

مسجد الملك الْمُظَفَّر صاحب اليمن بقرب المجزرة :

في سنة ٦٤٩ هـ عمر الملك الْمُظَفَّر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول صاحب اليمن المسجد الذي بقرب المجزرة ^(١) الكبيرة من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ، ويسار الصاعد منها . ويقال إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، صلى به صلاة المغرب ^(٢) . هذا وقد جددت عمارة هذا المسجد في سنة ^(٣) ٧٤٧ هـ .

مسجد الراية :

سمى بذلك لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ركز الراية في هذا الموضع يوم فتح مكة ^(٤) ، ويقع بالجودرية على يمين الصاعد من المدعا ^(٥)

- (١) المجزرة : بالقرب منها جبل الحجون الذي هو أصله مقبرة أهل مكة القديمة ، وفي جانبه الغربي كانت المجزرة إلى ما بعد سنة ١٣٧٠ هـ ، ثم نقلت إلى أواخر . (البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ٢٧٤) .
- (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٧١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٥٥٩٧ .
- (٣) الفاسي : تحصيل الغرام ، ورقة ١٥٧ .
- (٤) الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .
- (٥) المدعا : هي من أحياء مكة ، سمي بذلك لأنه موقف الحاج عند

إلى المعلاة ، وبين المسجد والبيوت التي قبله رفاق صغير نافذ إلى الطريق العام . وجانبه بئر جبير بن عدى بن مطعم ^(١) ، ويقال إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، صلى به . وقد عمره عبدالله بن عباس ، ثم المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر العباسي في شعبان سنة ٦٤٠ هـ ^(٢) ، ثم عمره الأمير قطيبك الحسامي المنجكي في أوائل سنة ٨٠١ هـ ، وبه مأذنة ذات هرفتين قد تهدم رأسها ^(٣) .

مسجد الإجابة :

على يسار الذهاب إلى منى في شعب ثنية أذاخر ، وهو مسجد مشهور يقال إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، صلى به ، ومع مرور الزمن تخرب وتهدم ، وسقطت جدرانه إلا الجدار القبلي ، وبه حجر مكتوب عليه إنه مسجد

=== مفادته لمكة بعد قضاء المناسك للدعاء مواجهاً لذلك القبلة المشرفة .
الفزاوي : في شذرات الذهب ، تحقيق عبد العزيز القامدي ، محمد السرياني ، ص ٣٩٠ .

(١) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي ، أسلم يوم الفتح ، وقيل يوم فتح خيبر ، روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ستين حديثاً ، وتوفي سنة ٥٧ هـ وقيل سنة ٥٩ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ - ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٥٩ - حاشية ، ٦ .

(٣) الفاسي : الزهور المعطفة ، ورقة ٤٧ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

الإجابة ، وعمره عبدالله بن محمد سنة ٧٢٠ هـ . وطول هذا الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ثمانية عشر ذراعاً بذراع الحديد ، وعرضه كذلك .
والناس يتبركون به ^(١) . وفي سنة ٨٣١ هـ جده وعمره الأمير سيف الدين شاهين العثماني الأشرفي الطويل ، أحد أمراء العشرات ، ويقال إن الجن وفدت على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عند هذا المسجد أثناء رعيه للغنم ^(٢) .

مسجد المحنطة :

بنى السلطان قايتباي مسجداً بالمحنطة ^(٣) على يمين الزاوية
إلى الحرم أمام القبان عند ربيع الرز ، وربع المغازل ^(٤) .

- (١) الديار البكري : تاريخ الخمين في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
- (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ١٧٢ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٤ .
- (٣) المحنطة : أى الحناطين ، وقيل الخياطين ، وقد سمي بباب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام بباب الخياطين لأن رجلاً خياطاً كان يجلس عنده فمرف به . (القطبي : الإعلام ، ص ٨٨) .
- (٤) ابن الصباغ : تحصيل العرام ، ورقة ١٣٤ .

ب - مسجد سرّوّة بمرّ الظهران :

وعمر عبدالله بن إبراهيم الحميري ^(١) الملقب بالعفيف نزيل مكة
مسجداً بسروّة ^(٢) سنة ٨٠٤ هـ ، ويسّبل له كل يوم أربع دواق زمزم من
الفخار ^(٣) .

ج - مسجد خليص :

وفي سنة ٨٧٤ هـ عمر شاهين الجمالي مسجد خليص وسقفه بالأخشاب
والدوم ^(٤) والجريد ، وذلك في مدة أولها عشر شعبان ، وآخرها ذو القعدة
من نفس السنة ، وعم نفعها الحجاج وغيرهم ببلغ ألف أشرفي وثلاثمائة وسبعة
وسبعين وربيع وسدس وثمان ^(٥) .

- (١) عبدالله به إبراهيم بن حسين الحميري : ويلقب بالعفيف ، نزيل مكة
وأحد التجار بها ، وقف دارين بمكة على أولاده ، وعقاراً بسروّة ، وتوفى
في شوال سنة ٨٠٧ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ١٠٢-١٠٣) .
- (٢) سرّوّة : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وفتح الواو ، وعين مهمله ، وهي النبكة
العظيمة من الرمل ، أو الرابية من الطين ، وهي قرية بمرّ الظهران كثيرة
النخل بها عين جارية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١٧) .
- (٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ١٠٢-١٠٣ .
- (٤) الدوم : جنس شجر من فصيلة التحليات ، ساقه مشعبة ، يستخرج من
شاره نوع من الدبس ينبت في الجزيرة العربية ومصر والسودان .
- (٥) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ ، حاشية ٤ .

(٥) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ - النهر والي :
الإعلام ، ص ٢٢٤ ، محمد الفهر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز

د - مساجد المشاعر المقدسة :

مسجد الخيف بمنى :

الخيف ما ارتفع من الوادى ، والجزاور من الجبل ، وهو معروف بالبركة على يمين المار إلى المزدلفة ، وهو مستطيل طوله مائتا ذراع ، وعرضه خمس وسبعون ذراعاً وله في القبلة أربعة بلاطات يشملها سقف واحد ، وحول الصحن من كل جانب سقائف على أقواس معقودة على أرجل من آجر مطبسة بالجيار ، وله عدة أبواب . بناء الخليفة أبو جعفر المنصور ^(١) ، وعمرته أيضاً أم الخليفة الناصر أحمد واسمها مكتوب على بابه الكبير ، ثم عمر سنة ٧٢٠ هـ من قبل تاجر دمشقي يسمى إبن المرجاني ^(٢) ، وصرف عليه من ماله الخاص ما يزيد على عشرين ألف درهم . ^(٣)

(١) التجيبي : استفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٣٤٣ .

(٢) أحمد بن عمر بن أبي بكر الهمذاني الأصل ، يلقب بالشهاب ، ويعرف بابن المرجاني الدمشقي ، عمر مسجد الخيف ، وجاور بالمدينة المنورة ، وتوفي يوم السبت ثاني عشر محرم سنة ٧٢٨ هـ بدمشق .

(الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١١٣-١١٤ - شفاء الغرام :

ج ١ ، ص ٢٦٢ - إبن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٩٦) .

(٣) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ١٧٢ -

ابن الصباغ : تحصيل العرام ، ورقة ١٣٦ .

وفي يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٧٣ هـ بدأت عمارة
مسجد الخيف ، وانتهت في عاشر ذى الحجة سنة ٨٧٤ هـ ، وذلك أن جدران
خربت ، فبنيت جدرانها المحيطة به بالحجر والنورة والجص ، وبنيت له شرشيف
دائرة على جدره . وعمل له أربع بوابك ^(١) من جهة القبلة فيه بقرانيص ^(٢)
سارتعلو البثر كليخون ^(٣) القناطر ، يعلو القناطر مقالي ^(٤) مقببة

- (١) البوابك : سلسلة من العقود المحمولة على أعمدة أى اساطين ودعائم .
(صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري ، ص ١١٧) .
- (٢) المقرنصات : أو القرانيص هي شكل إسلامي لحنيات ركنية على هيئة
حنية مجوفة ذات رأس من قبة نصف دائرية ، وهي ابتكار ساساني ،
وتستعمل للإنتقال والتدرج من زوايا ركن المربع إلى دائرة فيه وتتكون
من عدة قوصرات صغيرة فوق بعضها بشكل خلايا النحل .
(فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٤٥٣) .
- (٣) كليخون : كلمة فارسية مركبة من لفظين ، الأول : كلي بمعنى التراب
وخون : بمعنى الدم ، ومعناها تراب أحمر ، فلعله يعني أن القناطر
تعلو البثر مبنية وملونة بعمونة حمراء . (ابن فهد : إتحاف الوري ،
ج ٤ ، ص ٣٩٤ ، حاشية ١) .
- (٤) مقالي : المراد قلال جمع قلة ، يجمعها أهل الحرفة على مقالي ، والقلة
هي أعلى الشيء مثله قلة الجبل ، وقلة المأذنة .
(ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٣٩٤ ، حاشية ٢) .

الآجر والنوره والجيس ، وعدة القناطر مائة قنطرة ، وعدة المقالي إحدى وتسعون مقلاة ، وبنى محراب بصدر الجهة القبلىة بالرخام الأصفر المنحوت بيئته ويسرته عمودان ، فيه تاريخ باسم السلطان قايتباى ، وعلى المحراب قبلة عظيمة مرتفعة محكمة العمل ، يعملوها هلال من نحاس مبيض ، وبنى قبة كبيرة مشنة عالية على المحراب الذى يتوسط المسجد أمام المنارة القديمة ، قطر القبة ستون ذراعاً ، وإرتفاعها عشرون ، وبأعلى القبة إسم السلطان ، ويوجد بأعلى القبة هلال كبير من نحاس مبيض ، كما بنيت بوابة عظيمة مرتفعة معقودة بالرخام الأصفر المشهر بالرخام الأبيض ، بطراز من رخام أبيض محيط بالبوابة مكتوب منقوش أعلاه مؤرخ عليه إسم السلطان ، وجميع ذلك مطلق بالذهب واللازورد ، وعلت مأذنة علوالباب مكولجة ^(١) مقرنصة حسنة الصنعة ، بثلاث شرفات وبعنق وبخوذة على ستة أعمدة ، يعملو الخوذة هلال كبير من نحاس مبيض . وبنى بوابتان للمسجد شرقية ويغانية ، وأرفق للمسجد سهيل ملاصق له على يمين الداخل من باب المسجد بواجهة مبنية من الرخام الأصفر المنحوت المحكم العمل تحته صهريج ^(٢) كبير للماء ، وعمل للسبيل طاقات من الرخام ، يتناول من الطاقات الماء المعد للشرب ، وبه أربعة شبابيك كبار من جهاته الأربعة ،

- (١) مكولجة : المكولج عند أهل الصنعة هو المستدير الحلزوني ، فكأن المأذنة بها دوائر حلزونية من الخارج . (ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ ، حاشية ٣) .
- (٢) الصهريج : خزان للمياه تحت الأرض يعمل من الآجر والمونة المانعة لنفاذ المياه . (صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري ، ص ٩٦) .

وأرض السبيل مفروشة بالرخام الأصفر ، وبه بيارة يستقى منها الماء من الصهريج على حوضه ، وللسبيل خزانة لآلات السبيل ، وله بابان ، إحداهما من الطريق ، والآخر داخل المسجد ، كما بنى صهريج خارج المسجد ، وعمل له دبل محكم مبنئ بالنورة ، يتوصل منه الماء إلى الصهريج القديم الذى داخل المسجد ، وحفرت بئر هناك كانت مطوية مقابلة باب المسجد . ويض داخله وخارجـه ، وبرق جميع سطحه بالنور ، وعملت له أبواب خشب متقنة ومحكمة . ومهدت أرض المسجد وما حوله من جهاته كلها ، وبنى بجانبه دار سكن لأمرأى الحج (١) . وبدأ هذا العمل يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٧٣ هـ ، وجملـة ما صرف عليه ثمانية آلاف ومئتان وتسعة وعشرون أشفراً وثلاثاً أشفري ، والقائم على العمارة سنقر الجمالي . (٢)

- (١) قطب الدين الحنفى : الإعلام ، ص ١٩٦ - محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٣٨ .
- (٢) ابن فهد : إتحاف السـورى ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ - مؤلف مجهول : أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ، ورقة ٣٦ - السهمورى : وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٢ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥٠ - ٧٥١ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ١٢٤ - ١٢٥ - القطبي : الإعلام ، ص ١٦٥ - السنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١١ - ١٢ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٥١ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٦٥ - ٦٦٦ - محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

مسجد مزدلفة :

وهو جبل قزح ^(١) بمزدلفة ، وهو المشعر الحرام الذي ذكره الله في القرآن ، ولا زال معموراً يصلّى فيه ليلة الجمعة وفجرها ^(٢) . وفي سنة ٧٦٠ هـ قام الأمير يلغا الخاصكي من قبل السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ببناء مسجد مزدلفة ، وهو صغير الشكل مربع ليس بطويل الحيطان ^(٣) . وفي سنة ٨٤٣ هـ عمره ^(٤) الأمير سودون المحمدي ^(٥) . وفي الخامس عشر من شعبان سنة ٨٧٤ هـ بيضت سلالمة المسجد وأصلحت وبنيت دكته من قبل سلطان مصر الأشرف قايتباي ، وانتهى العمل منه في السابع عشر من

- (١) قزح : إسم جبل بمزدلفة رثي عليه قوس قزح فنسب إليه .
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٤١) .
- (٢) البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .
- (٣) ابن فهد : إتحاف السواري ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ -
على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٤ .
- (٤) القطبي : الإعلام ، ص ١٠١ .
- (٥) سودون المحمدي : خدم المؤيد شيخ ، وصار خاصكياً ، ورأس نوبة الجدارية أيام الأشرف برسباي ، وصار أمير عشرة أيام الظاهر جقمق ، وتوجه لمكة شاد عمائر ، وتولى نيابة قلعة دمشق ، وكان ديناً عفيفاً خيراً ، توفي سنة ٨٥٠ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٨٦) .

ذى القعدة بمبلغ ألفين وخمسمائة وثمانية وأربعين ديناراً^(١).

مسجد نمرة بعرفة :

يقع في الجهة اليمنى من جبل الرحمة ، ويعرف بمسجد إبراهيم ، وهو المسجد الذى يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر يوم عرفة . وفي سنة ٨٤٣ هـ عمراً أمير سودون المسمى من قبل السلطان الظاهر جقمق مسجد نمرة بعرفة ، وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذى كان بين المأزمين^(٢) في طريق عرفة ، وكانت عقبة في طريق الشقادات عند مزاحمة جمال الحجاج بعضهم ببعض ، مما جعل الحرامية يكمنون للحجاج بين هذه الأشجار ، كما أزال

- (١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤٩٨ -
مؤلف مجهول : أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ، ورقة
٣٦ - السهمورى : وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٦ - إسماعيل أحمد إسماعيل
: مدرسة السلطان قايتباي ، مجلة العرب ، ج ١ ، ص ١٤ ، رجب
شعبان سنة ١٣٩٩ هـ ، يونيو يوليو سنة ١٩٧٩ م ، ص ٨٥ - محمد
الفرع : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٣٨ .
- (٢) المأزمين : موضع بمكة بين المسجد الحرام وعرفة ، وهو شعب بين
جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ،
ص ٤٠) وهو طريق يأتي المزدلفة من جهة عرفة ، لا يدفع الناس
ليلة المزدلفة إلا منه فإذا أفضوا منه كانوا في المزدلفة .
(البلاذري : معالم مكة التاريخية الأثرية ، ص ٢٤١) .

الصخور الكبيرة ، ونظف الطريق ومهدده ونظفه ووسعه . (١)

(٢)

وفي سنة ٨٧٤ هـ جهز السلطان الأشرف قايتباي لتعمير مسجد نمرة ، فأنشأ به رواقين عظيمين بصدور القبلة يتظلل بها الحجاج وقت الصلاة من الشمس (٣) ، وبها خمسون كتفاً مربعاً ، يعلو الأكتاف ثلاثة وثلاثون قنطرة ، تعلو القناطر أربعة وثلاثون مقلاة للشراشيف (٤) محيطة بواجهته البايكة المذكورة ، وعلت قبة على المحراب مرتفعة ، وعلت جميع الواجهات القبلية ، وبعض الجهة الشرقية والغربية من واجهتيها ذراعين عمل من أصل بناء المسجد القديم ، وحفر في وسط المسجد صهريج طوله عشرون ذراعاً من شرقيه إلى غربيه ، وسعته خمسة أذرع ، وبداخله بوايك يعلوها ثلاث مقالي

(١) القطبي : الإعلام ، ص ١٠٠ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٤-٥ - أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٦٢ - ٦٦٣ .

(٢) الديار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٣) السمعوري : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٦ - القطبي : الإعلام ، ص ١٠١ - الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ١٣٢ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٥١ - محمد أنور شكري : لوحدان أثريان ، ص ٣٧ - إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباي ، ص ٨٥ - أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ص ٧٣٥ .

(٤) الشراشيف : هي من الشرافات ، وهي من الزخارف الساسانية المعمارية التي انتقلت إلى الفن الإسلامي ، وهي معروفة منذ العصور القديمة في فارس والعراق وأواسط آسيا ، وجوانب بعض هذه الأُسنان رأسية ، وتأتي أما مسننه أو مدببة . (فريد شافعي : العمارة العربية ص ٤٢٠) .

وقنطرتان وله منزلان ، وفم يستقى منه الماء ، وارتفاع الصهريج ستة أذرع ،
وعملت قناة كبيرة آتية من خارج المسجد متصلة بالصهريج ، وللقناة مصفاة من
خارج المسجد يجتمع فيها الماء ، ويجرى صافياً منها في القناة إلى الصهريج
المذكور مما يتحصل من مياه السيول . وبنيت المصطبة التي وسط المسجد ، وعمل
لها أربعة أكتاف ، يعملوا الأكتاف أربعة بساتل ^(١) فوقها سقف يرسم الظل
وبيضت جميع قناطر البوايك التي هي علو القناطر والمقالي ، وبرق جميع سقف
المصطبة ، وتم تمهيد جميع أرض المسجد وإصلاحها وتسويتها ، وعملت له أبواب
خشب ، ورممت مؤذنته ، وبيضت باطناً وظاهراً ^(٢) .

مسجد جبل الرحمة :

وفي سنة ٧٩٩ هـ أمر السلطان الظاهر برقوق ببناء مسجد على جبل
الرحمة من جبال عرفسة ، ووجد القبة ، ومنى خزاناً كبيراً للمياه . (٣)

- (١) البساتل : هي قضبان حديدية توضع على الأكتاف لحمل الأسقف .
 (ابن فهد : إتحاف السجوري ، ج ٤ ، ص ٣٩٧ ، حاشية ٢) .
- (٢) ابن فهد : إتحاف السجوري ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ - القطبي :
 الإعلام ، ص ١٠١ .
- (٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٠٤ - ابن فهد : إتحاف
 السجوري ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١
 ص ٦٨٤ - علي سليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٤ .

٢- مساجد المدينة المنورة :

مسجد قباء :

مسجد قباء من المساجد الأثرية التي ذكرها الله في كتابه العزيز ، وهو أول مسجد أسس على التقوى ، وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : (من توضأ فأصبح الوضوء ، وجاء مسجد قباء صلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة ^(١)) . وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : (والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن أتى إلى بيت المقدس مرتين ، ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل) . ومسجد قباء هو أول مسجد أقامه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ^(٢) . وأصله مريد لكلثوم بن الهدم ^(٣) ، وقد أسسه الرسول ، صلى الله عليه وسلم لبنى عمر بن عوف وأقام عندهم يوم الإثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس . والمسقط الأُصلي عبارة عن أرض مربعة الشكل

(١) الترمذى : الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

(٢) ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة ، ج ١ ، ص ٤٢ -

المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٦-٤٧

المراغى : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ٣٦ - أحمد

العباسي : عدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ١٦٧ .

(٣) كلثوم بن الهدم : يكسر الهاء وسكون الدال ابن امرئ القيس الأنصاري

الأوسى ، وهو أول من مات من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

بالمدينة المنورة . (ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ،

ج ٣ ، ص ٣٠٥) .

أُحيطت بسور من الحجر ، أخذ من الحرة المجاورة ، وفي بداية إنشائه لم يكن به أروقة مغطاة بسبب عدم مكوث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، به سوى أيام قليلة تسمح له بعمل سقيفة ، إلا أن السمهوري ذكر بأن المسجد كان له صفة من سبعة أساطين ، ويرجح أن تكون رواقاً واحداً ، وقد زيد في عهد عثمان (١) ابن عفان ، ثم وسع في عهد عمر بن عبد العزيز عند ولايته على المدينة المنورة في عهد الوليد بن عبد الملك ، ثم بناء الوزير جمال الدين الأصفهاني سنة ٥٥٥ هـ .

وقد وصف لنا السمهوري المسجد في القرن التاسع الهجري بأنه كان يتكون من ثلاث صفوف جهة القبلة بكل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ، وجهة الشمال صفان بكل صف سبعة أساطين ، وفيما يلي الرحبة من المغرب أسطوانتان . هذا وقد توالى الإهتمام بالمسجد في العصر المملوكي :

- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ - المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٧ - ٤٨ - العراقي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ٣٦ - ٣٧ - السمهوري : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٠٨ - العياشي : المدينة بين ماضيها وحاضرها ، ص ٢٥٠ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٦٣ - ١٦٥ - الشريف أحمد البرادي : المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ، ص ٢٣ - ٢٤ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٥٣ .
- (٢) الرحبة : حوش أو غرفة كبيرة . (صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٦٦) .

ففي سنة ٦٧١ هـ جدد المسجد ، ولكن لا نعرف من جدد ، ربما يكون
الذي جدد السطان الظاهر بيبرس . (١)

وقد أشار إليه ابن بطوطة سنة ٧٢٥ هـ فوصفه بأنه مربع الشكل
وأن له مأذنة بيضاء ، وفي وسطه مبرك الناقة ، ويوجد بالجهة القبلية محراب
على مصطبة في الموضع الذي ركع فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . (٢)

وفي سنة ٧٣٣ هـ جدد السطان الناصر محمد بن قلاوون سلطان
مصر . (٣)

وفي سنة ٨٤٠ هـ جدد غالب سقفه السطان الأشرف برسباي على يد
أبي القاسم المحلي (٤) ، وقد أعيد بناء الأسقف عندما سقطت المئذنة
سنة ٨٧٧ هـ ، فأجريت الإصلاحات سنة ٨٨١ هـ في السقف ، وفي السور الخارجي

(١) السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨١٠ - صالح لمعي مصطفى : المدينة
المنورة تطورها العمراني ، ص ١٦٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٨٦ .

(٣) السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨١٠ - صالح لمعي مصطفى : المدينة
المنورة تطورها العمراني ، ص ١٦٦ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية
على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٣) السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨١٠ - سعاد ماهر : العمارة
الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

الغربي من جهة المئذنة حتى الباب الغربي ،وعملت المئذنة مربعة المسقط
٩ × ٩ أذرع حوالي ٤٥٠ × ٤٥٠ أمثا^١ر،ولها باب في حائطها القبلي ،
وتنتهي بقبة إرتفاعها من سطح الأرض حتى نهايتها ٦١ ذراعاً حوالي
٣٠٥٠ متراً ،ويمكن تشبيهها بتلك المئذنة المجددة في عهد قايتباي
بالركن الجنوبي الشرقي من الحرم النبوي ،وقد سدت النوافذ الثلاث مما يلي
المئذنة في الحائط الغربي ،وكذلك نافذة واحدة بجوار المئذنة بالحائط
الشمالي . كل هذه الإصلاحات تمت في عهد السلطان الملوكي الأشرف قايتباي
على يد عامله شمس الدين بن الزمن .^(١)

مسجد الفتح :

يقع على منحدر من جبل سلع^(٢) شمال غرب المدينة المنورة ،وفي
غربيه وادي بطحان^(٣) ،ويسمى أيضاً مسجد الأحراب ،ويقال إن

- (١) السهموري : ونا^١ الوفا ، ج ٣ ، ص ٨١١-٨١٢ - أيوب صبري باشا : مرآة
الحرمين ، ورقة ٩١٧ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور
، ج ١ ، ص ١٥٣ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ٨٦-
صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٦٧ - علي
السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٤ .
- (٢) سلع : جبل عظيم شامخ في شمال المدينة ، وحجارتها سوداء ، وفي
سفحه الغربي كهف بنى حرام . (عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة
المنورة ، ص ٢٠٣) .
- (٣) بطحان : بفتح أوله وسكون ثانيه وادي بالمدينة المنورة ، وأحد أوديتها
الثلاثة ، وهي العقيق وطحان ، وقناه . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ١ ، ص ٤٤٦) .

النبي، صلى الله عليه وسلم ، دعا على الأحراب يوم الخندق بمسجد الفتح يوم الإثنين والثلاثاء ، والأربعاء ، فأستجيب له يوم الأربعاء فعرف البشرفي وجهه ^(١) . ويصعد إلى هذا المسجد من درجتين طويلتين إحداهما شمالية ، والأخرى شرقية ، وكان فيه ثلاث أسطوانات قبل بناء عمر بن عبد العزيز ، فتهدم على مر السنين ، فعمره سنة ٥٧٥ هـ الأمير سيف الدين بن الحسن بن أبي الهيجاء ، أحد وزراء الخلفاء الفاطميين بمصر ، وجعل له رواقاً واحداً ذا ثلاثة عقود وقياب ، وأسفل مسجد الفتح مسجدان ، ضد قبلته مسجد سليمان الفارسي ، ومسجد علي بن أبي طالب ، وقد جدد مسجد الفتح مرة أخرى على يد أمير المدينة زين الدين ضيغم بن خشرم ^(٢) سنة ٨٧٦ هـ . ^(٣)

- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨٠ - أخبار مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ص ١١٤ - المرافي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٣٩ - ١٤٠ - السخاوي : التحفة اللاطيفة ، ج ١ ، ص ٧٠ - السهموري : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٣٠ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار ، ص ١٧٨ - ١٧٩ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .
- (٢) ضيغم بن خشرم بن ثابت بن نعيم الحسني من بني المهنا من بني الحسن ، تولى إمارة المدينة المنورة سنة ٨٦٩ هـ لمدة أربعة أشهر ، ثم انفصل عنها ، ثم أعيد سنة ٨٧٤ هـ واستمر إلى سنة ٨٨٣ هـ .
- (٣) (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢) .
- (٣) العياشي : المدينة بين ماضيها وحاضرها ، ص ٥٢٤ - عبد السلام حافظ : المدينة المنورة عبر التاريخ ، ص ٧٨ - محمود الشرقاوي : المدينة المنورة ، ص ٦٨ .

مسجد المصلّى :

يقع جنوب غرب المناخه على مسافة قريبة من المسجد النبوي بحوالي ألف ذراع أى ٥٠٠ متراً ، وهي آخر المواضع التي صلى بها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، صلاة العيد سنة ٢ هـ . ويعرف بمسجد الغمامة ، لحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلّى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر تكبيرة واحدة فافتتح بها الصلاة وقال هذا مجمعننا ومستمطرننا ومدعانا لعيدنا ولفطرننا وأضحانا (١) .

وقد عمره السلطان الناصر حسن بن قلاوون سنة ٧٤٨ هـ ، ووجد على بابه منقوشاً على الحجر هذه العبارة : " أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي بعد خرابه وذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوي ، وذلك في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحى " (٢) كما ر مـه

(١) ابن شنبه : تاريخ المدينة المنورة ، ج ١ ، ص ١٣٥ - السهوى : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ٧٩٢ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار

في مدينة المختار ، ص ١٨٢ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٧٠ - صالح لمعنى مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٣٥ - محمود الشراوى : المدينة المنورة ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) السهوى : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ٧٨٦ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين

، ج ١ ، ورقة ٩٠٨ - ٩٠٩ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر

العصور ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

الأُمير برد بك المعمار التاجي سنة ٨٦١ هـ في دولة الأُشرف إينال ، وذلك بأن أحدث سقفا خارج المسجد يجلس فيه المبلغون ، ومدرجاً خارجه على يمنة الداخل من بابه ، ليقوم عليه الخطيب ، ثم تحولت بعد ذلك إلى حلقة علم يحضرها الأُعيان والأُهالي .^(١)

مسجد القبلتين :

يقع في الشمال الغربي للمدينة المنورة بثلاث كيلومترات ونصف من المسجد النبوي ، كما يقع في الغرب من منطقة المساجد ، يفصل بينهما الحرة . ويقوم هذا المسجد على رابية على شفير وادي العقيق^(٢) الصغير . وسمى بمسجد القبلتين لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمر من الله وهو

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٧٠ - السمهوري : وفاء
الوفاء ، ج ٣ ، ص ٧٨٦ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،
ج ١ ، ص ١٧٣ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها
العمراني ، ص ١٣٥ - ١٣٦ - محمود الشرقاوي : المدينة المنورة ،
ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ،
ص ١٢٣ .

(٢) العقيق : وهو يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير ، إلى قصر المراجيل
إلى أن ينتهي إلى البقيع ، وبه عيون ونخل . (ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٤ ، ص ١٣٩) .

يصلى به أن يستقبل الكعبة بدلاً من بيت المقدس^(١) . قال تعالى :
* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ *^(٢) . وقد
جدده السلطان المملوكي قايتباي سنة ٨٩٣ هـ على يد شيخ خدام الحرم
النبي الشجاعي شاهين الجمالي الذي قام ببناء سقف على جداره لأنه كان
بدون سقف.^(٣)

مسجد بني قريظة :

يقع شرقي مسجد الفضيج المشتهر بمسجد الشمس بالقرب من
الحرّة الشرقية على باب حديقة تعرف بحاجزة وقف للفقراء بين أبيات خراب،

- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨١ - أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٥ -
سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
- (٢) سورة البقرة : آية ١٤٤ .
- (٣) العراقي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٤٢ -
سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٦٣ -
العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ٦٨ - ٦٩ - عبدالقدوس
الانصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٣٣ - صالح لمعي مصطفى :
المدينة المنورة ، ص ١٩٩ - محمود الشراوى : المدينة المنورة ،
ص ٢٦٥ .

وهي بعض دور بني قريظة شمال باب الحديقة . وهو بعيد من المدينة ، وقريب من بئر رومة ، يقع بالعوالي ، طوله نحو عشرين ذراعاً ، وعرضه كذلك ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة . وقد كان مبنياً على شكل مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع ، ومشربة أم إبراهيم ابن النبي ، صلى الله عليه وسلم .^(١) وبقيت آثاره إلى العشر الأول بعد السبع مائة ، فجدد وبني حظير بمقدار نصف قامة ، وقد قام السهموي بقياسه من القبلية إلى الشام أربعة وأربعين ذراعاً ، وقد جدد بناءه الشجاعي شاهين الجمالسي شيخ خدام المسجد النبوي سنة ٨٩٣ هـ .^(٢)

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨٢ - أخبار مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ص ١١٦ - المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٨ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٣٧ - ١٣٨ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ١٧٢ .

(٢) المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٨ - ٤٩ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٣٨ - السهموي و وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٢٥ - أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٩٣٥ - محمود الشراوى : المدينة المنورة ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

مسجد السقيا :

وهي سقيا سعد بن أبي وقاص نسبة إلى بثر كانت بحرة المدينة الغربية ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يستقي منها . وقد صلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالسقيا حين عرض جيش غزوة بدر ، ودعا لأهل المدينة أن يبارك الله في صاعهم ومدهم ، فقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (اللهم إنهم حفاة فأحملهم ، وعراة فأكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك) ^(١) وهي مورد في طريق الحجاج وبها عين ماء جارية عذبة ، هذا بالإضافة إلى وجود أكثر من عشرة آبار ، وحول العين الكثير من الزرع والنخل ، وقد انقطعت ثم عادت سنة ٢٤٣ هـ ، ثم انقطعت سنة ٢٥٣ هـ ^(٢) . ولم يكن المسجد معروفاً ، بل كانوا يترددون على البئر ، وذلك بسبب تهدمه وإندثاره . وقد قام الشيخ السهموري ببعض أعمال التنقيب عن هذا المسجد في القرن التاسع الهجري ، ووجد آثاره التي ترجع إلى زمن عمر بن عبد العزيز (سنة ٨٧ هـ - ٩٣ هـ) ، كما ظهر محراب المسجد وتربيعة وبناءه بالحجارة ، وقد بقي منه في الأرض أزيد من نصف ذراع ، وشكله مربع ،

(١) الفيروزآبادي : المفانم المطابة ، ص ١٧٩ - ١٨٠ - أحمد العباسي

: عدة الأخبار ، ص ١٨٧ - العياشي : المدينة بين ماضيها

وحاضرها ، ص ١٩١ .

(٢) كتاب الجهاد ، باب نقل السرية ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج ٣ ، ص ٧٩ .

(٣) السهموري : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ١٠١٥ - ١٠١٦ .

(١) ومساحته نحو سبعة أذرع ، وقد قام السمهوري بعمارتها على حسابه الخاص .

مسجد زباب :

ويعرف بمسجد الراية ، وهو بالجبل الصغير الأسود الذي يواجهك حينما تهبط من ثنية الوداع قاصداً جبل أحد على يسار طريق أحد ، بشمال المدينة المنورة ، ويقال إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضرب قبة على زباب في غزوة الخندق ^(٢) ، وهو مبنى بالحجارة المطابقة ^(٣) في القرن الثامن الهجري ، وقد تهدم مع مرور الزمن ، فبناه الأمير جانبك النوروزي ^(٤) سنة ٨٤٥ هـ أو سنة ٨٤٦ هـ ، وقبته مجوفة متقنة ، طوله ٤ أمتار ، وكذلك عرضه ، وارتفاعه ٦ أمتار . ^(٥)

- (١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٦٨ - السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٤٥ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٣٦ - صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة تطورها - العمراني ، ص ٢٠٩ .
- (٢) أحمد العباسي : عمدة الأخبار ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .
- (٣) الحجارة المطابقة : هي الحجارة المصقولة من الجوانب والأمام التي ينطبق بعضها فوق بعض في صفوف منتظمة .
- (٤) جانبك النوروزي : نائب دمشق ويعليك ، صار خاصكياً ثم أمير عشرة في عهد الظاهر جقمق ، أرسله للمدينة المنورة لقمع المفسدين ، فأقام هناك سنين ، وحمدت سيرته ، وتوفى في صفر سنة ٨٦٥ هـ .
- () السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٦١ .
- (٥) السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٤٥ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

مسجد الشجرة :

يعرف بمسجد ذى الحليفة ، ويعرف الآن ببئر على ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى مكة يصلّى تحت شجرة مشرة ، ولذلك عرف بإسم مسجد الشجرة . وقد جدد في عهد عمر بن عبد العزيز ، ثم تدهورت حالته ، ولم يبق منه إلا بعض الجدران ، وحجارة متراكمة . وفي سنة ٨٦١ هـ ، قام بتجديده زين الدين ^(١) الأستاذار ^(٢) أثناء إقامته بالمدينة المنورة ، فجدد حوائطه على أساسه القديم ، وجعل له ثلاث درجات في الشرق والغرب والشمال ، وعمل له محراباً في حائط القبلة حيث لم يوجد أثر للمحراب لإنهدامه وإنذاره ، وكان المسجد مربعاً بمساحة ٥٢ × ٥٢ ذراعاً . ولعل عمل ثلاث درجات في المسجد بسبب الأعداد الكبيرة التي تقيم الصلاة فيه ، نظراً لأنه ميقات أهل المدينة المنورة . ولم يكن للمسجد سقف بعد تجديده على يد

(١) زين الدين بن عبد الرزاق المعروف بالأسقر ، شغل وظائف ديوان ناظر الأسطبل السلطاني ، ومحتسب القاهرة ، وأستاذار عزل وأرسل إلى المدينة المنورة سنة ٨٦٠ هـ ، ولكنه عاد إلى مصر في أوائل سنة ٨٦١ هـ ، وتوفي سنة ٨٧٤ هـ .

(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ٢٣٢-٢٣٣) .

(٢) الأستاذار : هو الذي يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير وصرفه وتنفيذ أوامره . (المقرئ : السلوك ، ج ١/١ ، ص ١١٥ ، - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، ج ٥ ، ص ٤٥٧) .

زين الدين الأستادار^(١) . كما أقام سلفاً داخلياً على البئر الواقعة
إلى جواره حتى يتمكن الحجيج من التطهر والإحرام^(٢).

مسجد الجمعة :

يقع مسجد الجمعة في الشمال من مسجد قباء بنصف كيلومتر إلى
المدينة المنورة ، وهو على يسار الذهاب من المدينة إلى قباء ويبعد عن المسجد
النبي من الجهة الجنوبية الغربية بنحو كيلومترين ونصف وهو من المساجد
المأثورة ، وسي بذلك لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صلى به أول جمعة
في بني سالم ، وفيه أول خطبة^(٣) ، وهو في طريقه من قباء إلى المدينة
المنورة سنة ١ هـ^(٤) ، ويشبه المسجد النبوي في طريقة بناءه ، حيث بني بالحجر
والطوب اللبن ، وسقفه جهة القبلة محمول على أعمدة من خشب النخيل ،
وفي نهاية القرن التاسع الهجري تهدم المبنى ، وهو عبارة عن مستطيل طوله
من الشمال إلى الجنوب عشرون ذراعاً ، وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٦٥٠
ذراعاً ، ويتكون من رواق يسقف مستو من خشب ، ينفذ من الجهة الشمالية

- (١) السمهوري : وفاة الوفا ، ج ٣ ، ص ١٤٠٠ - أحمد العباسي : عمدة
الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢١٢-٢١٣ - صالح لمعني مصطفى :
المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .
(٢) أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ورقة ١١٠٧ .
(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٦٧ .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ .

على رحبة عن طريق عقدين بينهما أسطوان (١) ، ثم تهدم السقف بعد ذلك ،
فعمره الخواجا التاجر شمع الدين فادان (٢) .

مسجد علي بن أبي طالب :

يقع جنوب شرق مسجد سلمان الفارسي . وهو مصلى المسلمين خلال
معركة الأحزاب ، ويقال إنه مصلى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأول من
جدده عمر بن عبد العزيز ، ثم تهدم ودمر حتى صار بعض الحجاج يدفن به
موتاهم زمن الموسم ، ثم جدده أبو الهيجا سنة ٥٧٧ هـ .

وفي عهد السلطان الأشرف قايتباي جدده الأمير زين الدين بن
ضيغم بن خشرم المنصوري سنة ٨٨١ هـ ، وجعل له سقفاً من الخشب ، وفتح
الواجهة الشمالية للرواق على الرحبة أمامه عن طريق عقدين في الفالسب ،
حيث جعل له أسطوانة واحدة ، وطوله من الشمال إلى الجنوب ثلاثة عشر ذراعاً ،
ومن الشرق إلى الغرب ستة عشر ذراعاً . وفي سنة ٩٠٢ هـ عملت به بعض
الإصلاحات (٣) .

(١) أحمد العباس : عمدة الأخبار ، ص ١٧٠ - العياشي : المدينة بين
الماضي والحاضر ، ص ١٠٣ - ١٠٤ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية
على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٦٦ - عبد القدوس الأنصاري : أثار المدينة
المنورة ، ص ٨٨ .

(٢) السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٢١ - صالح لمعي مصطفى : المدينة
المنورة تطورها العمراني ، ص ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٧٧٥ - صالح لمعي مصطفى : المدينة
المنورة تطورها العمراني ، ص ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٩٤ - ١٩٥ .

مسجد عمر بن الخطاب :

يقع في قبلة مسجد المصلى في سوق المناخة على رابية مرتفعة من وادي بطحان في موضع كان مكاناً لطبخ الأجر ، وله منارة ، وقام شمس الدين محمد السلاوي بعد سنة ٨٥٠ هـ بتجديده وعمارته . (١)

مسجد جدة :

يذكر ابن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محروق ، وذكر أن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب ، وأن أحدهما يسمى مسجد الأبنوس لساريتين فيه من خشب الأبنوس ، والآخر يسمى الجامع القديم أو العتيق ، وهو أول مسجد بني في جدة . (٢)

وقد عمر الجامع العتيق الملك المظفر شمس الدين عمر بن رسول ، صاحب اليمن (سنة ٦٤٧ هـ - ٦٩٤ هـ) . ووجد إسمه مكتوباً عليه في قبة الصهريج الذي به مياه عذبة . (٣)

وفي سنة ٨٣٠ هـ أرسل السلطان الأشرف برسباي ، سعد الدين ابن المرة ، لتعمير جامع جدة وعين له خطيباً للجمعة وموذنًا ومكبراً ،

(١) صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٥١ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٦٨ .

(٣) ابن فرج : السلاح والعدة ، تحقيق عمر الزيلعي ، ص ٥١ - ٥٢ .

وفراشاً . وجدد المأذنة ، وجعل نفقة هو^١ لا^٢ الموظفين على المراكب الواردة إلى جدة ، كما أقام إماماً حنفياً به ، ونى به ميثاقه^(١) .

وفي سنة ٩١١ هـ عمر هذا الجامع الأمير حسين الكردي من قبل السلطان قانصوه الغوري . (٢)

(١) ابن فهد : إتحاف الـ_____وري ج ٣، ص ٦٣٧-٦٣٨-

علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٤ .

(٢) ابن فرج : السلاح والعدة ، ص ٥٥ .

٢ - المـــــــــــــــــدارس

تعتبر مكة المكرمة أول مركز علمي إسلامي لكونها مهبط الوحي ،
وإنبعثت نور الهداية الذي أمرنا بالعلم في قوله تعالى : ﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١) . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يعلم أوائل
المسلمين تعاليم الدين الحنيف في دار الأرقم بن الأرقم ، الذي يعتبر
أول مدرسة علمية في الإسلام . وبعد هجرة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
إلى المدينة المنورة أصبح مسجده ثاني مدرسة لنشر العلم ، وهكذا اكتسبت
مكة المكرمة والمدينة المنورة بجانب مكانتهما الدينية مكانتهما العلمية منذ صدر
الإسلام .

وبفضل تدفق الحجاج إليهما من جميع أنحاء العالم الإسلامي للحج
والزيارة ، وما كان يصاحب ذلك من إجتماع علماء المسلمين وعقد الحلقات
العلمية في الحرمين الشريفين ، وفي المدارس التي أنشئت بشكلها النظامي
المعروف فيما بعد في مكة المكرمة والمدينة المنورة أصبحت المدينتان من أكبر
المراكز العلمية في العالم الإسلامي . (٢)

(١) سورة الفلق : آية ١ .

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٣٨ - عمر الفاروق
السيد رجب : الحج والزيارة إلى مكة والمدينة ، مجلة الفيصل ، العدد
الثامن عشر ، ذوالحجة ١٣٩٨ هـ - نوفمبر ١٩٧٨ م ، ص ٢٦ - ابن فهد :
إتحاف الســـــــــــــــــوري ، ج ٤ ، ص ٦١ - ٦٢ .

فبالإضافة إلى الدروس العلمية التي كانت تلقى في الحرمين الشريفين ، فقد أنشئ في المدينتين المقدستين عدد من المدارس منذ أن انتشر إنشاء المدارس بطابعها النظامي المعروف في العالم الإسلامي خلال القرن السادس الهجري^(١) . وكان النظام في المدارس يسير على النهج الذي يراه القبرع بإنشاء المدرسة ، فكان يقرر ما يراه للتدريس بها ، ويعين المدرسين والطلبة بها وفقاً لأحد المذاهب الأربعة ، كما كان يختار العلوم التي تدرس بها ، إلا أن التعليم في هذه المدارس كان مقتصرًا على العلوم الدينية في تفسير القرآن وعلوم القراءات ، والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، واللغة العربية بصرفها ونحوها ، وعلوم البلاغة والفلك والحساب^(٢) .

ولم تكن المدارس بشكلها النظامي منذ أن انتشر إنشاؤها في العالم الإسلامي مجرد دور علم وأمكنة للعبادة ، بل كانت تؤدى أيضاً وظيفة اجتماعية هامة في المجتمعات الإسلامية فقد كانت بالإضافة إلى صفتها العلمية والتعبدية ملاجئ للمرتادين والمعوزين . فقد كان يجد بها المعلم والمتعلم

(١) عن نشأة المدرسة في الدولة السلجوقية في منتصف القرن الخامس الهجري ، وعن إنتشارها في العالم الإسلامي عامة ، وفي الحجاز خاصة في عهد صلاح الدين الأيوبي . أنظر حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٠٤-١٠٩ .

(٢) ابن فهد : إتحاف السـوري ، ج ٤ ، ص ٦٣-٦٤ .

والعابد والمرتاد والمعوز والمنقطع الغذاء العلمي والروحي والمأوى وذلك فيما كان يلقي بها من دروس علمية ، وما كانت تقدمه من رواتب نقدية وعينية للمدرسين وللطلبة وبقية العاملين بها ، وما كانت تقدمه للمعوزين والمنقطعين من مأوى وزاد بفضل ما كان يخصصه لها منشوءها من أوقاف توقف عليها ليضمن ريعها استمرار هذه المدارس في أداء رسالتها العلمية والاجتماعية (١) . كما كانت هذه المدارس تخصص لإستقبال ضيوف أمير مكة وإقامة أمراء الحج فترة الموسم ، وكذلك السلاطين وقت قد ومهم لاداء فريضة الحج . (٢)

هذا وقد ازدهرت الحياة العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي ، وذلك بفضل ما تحقق لهما من مكانة سياسية واجتماعية وإقتصادية في ظل سيادة الدولة المملوكية التي أصبحت في نظر عامة المسلمين سلطنة الإسلام بعد إنتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة ، وبعد ما تحقق من إنتصارات كبرى للمماليك على الصليبيين والمغول . وقد حفل العصر المملوكي بإنشاء الكثير من المدارس في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ولم يقتصر الأمر في إنشائها على سلاطين المماليك فحسب ، بل أسهم في إنشائها أيضاً أمراء المماليك ، وسلاطين المسلمين وأثرياءهم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، بل ومن سراة المدينتين المقدستين والمقيمين بهما . (٣)

-
- (١) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .
(٢) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة ، ص ١٣٩ وما بعدها .
(٣) محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، ص ٩١ .

وقد حفلت المصادر المملوكية عامة ، والحجازية خاصة ، بذكر الكثير من المدارس التي أنشئت في مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي . وفيما يلي عرض لهذه المدارس في كل من المدينتين المقدستين في ذلك العصر :

أ - مدارس مكة المكرمة :

المدرسة الأرغونية :

وهي بدار المعجلة بالجانب الشامي على يمين الخارج من المسجد الحرام بالباب المعروف بباب المعجلة ، بناها الأمير أرغون الدوادار أحد ممالك السلطان المنصور قلاوون ، وكان له ميل بالمذهب الحنفي ^(١) ، فأقبل على دراسته ومهر فيه ، إلى أن صار يعد من أهل الإفتاء . وكان أول من درس بالمدرسة الأرغونية يوسف بن الحسن الحنفي المكي ^(٢) ، وفي أيام الفاسي كانت المدرسة تحت أولاد راجح بن أبي نسي سنة ٨٣٢ هـ ، وقيل إن بناء هذه المدرسة كان قبل سنة ٧٢٠ هـ . ^(٣)

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٦ - ٦٧ .

(٢) يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف بن أبي بكر المكي الحنفي : يلقب بالجمال بن البدر بن التاج ، حدث وأفتى ودرس ، وله تأليف فسي العروض ، ودرس بمدرسة الأمير أرغون لمدة سنتين ، وناب عن عمه الشهاب الحنفي بمقام الحنفية ، وتوفي سنة ٧٦١ هـ .

(الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥)

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٢٨ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٧ -

١١٨ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٦٣ -

على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٥ .

عن التدريس فيها لولده أحمد بن محمد بن ظهيرة قاضي مكة وفقهها ، وكان واسع الإطلاع ، حفظ الألفية في النحو والمنهاج للنووي ، وحضر دروساً في الأصول والمعاني والبيان والمنطق عند الشيخ حسام الدين الأبيوردي بمكة . ودرس بها أيضاً القاضي أحمد بن محمد العقيلي الملقب بمحب الدين النووي ^(١) ، ومن عمل معيدين بها أحمد بن إبراهيم الشافعي ^(٢) ، وعلي بن سالم الزبيدي ^(٣) ، وشقيقه عبداللطيف ^(٤) .

- (١) أحمد بن محمد العقيلي : الملقب بمحب الدين النووي ، ولد سنة ٧٥٢ هـ ، درس وأفتى بالحرمين ، وناب عن أبيه في الحكم والخطابة بمكة ، ثم بالمدينة ، ودرس بالمجاهدية ، وتوفي في رجب سنة ٧٩٩ هـ بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥) .
- (٢) أحمد بن إبراهيم الشافعي الطبري ، ولد في محرم سنة ٦٨٦ هـ ، ناب في قضاء مكة عن ابن أخته شهاب الدين الطبري ، وعمل معيذاً بالمدرسة المجاهدية بمكة ، وتوفي سنة ٧٥٠ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٩ - ١٠) .
- (٣) علي بن أحمد المعروف بابن سالم الزبيدي : ولد بزبيد ونشأ بها ثم رحل إلى مكة ، وسمع عن علمائها ، وكان بصيراً بالفقه والعربية والعروض والفرائض والحساب ، أعاد بالمدرسة المجاهدية ، وتوفي سنة ٨١٨ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٣٤ - ١٣٥) .
- (٤) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٦٥ .

المدرسة الأفضلية :

أمر بإنشائها الملك الأفضل بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، وتقع
بالجانب الشرقي من الحرم المكي مقابل باب الكعبة ، ورتب بها مدرسا
ومعيدا وإماما وموئنا وقيما ، وعشرة من الطلبة ، وأيتاما يتعلمون القرآن ، وأوقف
عليها وقفا جيدا . بدأ التدريس بها سنة ٧٧٠ هـ على المذهب الشافعي .
والمدرسة كانت أصلا دارا لملكها قطب الدين بن المعزم المصري ، وأول من
درس بها محمد بن أحمد الهاشمي العقيلي ^(١) قاضي مكة وخطيبها
كما درس بها حفيده القاضي عز الدين ، وعبد الرحمن بن الجمال المصري ^(٢) .

مدرسة الشريف عجلان :

^(٣)
تقع في الجهة الجنوبية من المسجد ، أنشأها الشريف عجلان سنة ٧٧٢ هـ .

- (١) محمد بن أحمد العقيلي الهاشمي : خطيب مكة ، ولد سنة ٧٩٧ هـ
وحفظ القرآن ، وعمل في الإفتاء والتدريس ، درس بالمدرسة الأفضلية ،
وناب عن أخيه في الخطابة بمكة سنة ٨١٩ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٧ هـ ،
ودفن بالمعلاة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨) .
- (٢) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٦ - ٦٧ - تحصيل المرام ، ورقة ١٩٢ -
العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٧ - ١١٨ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٢٨ -
الخنزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٥٩ - ابن الديبع : قرة
العيون ، ج ٢ ، ص ١٠٤ - يحيى بن الحسين : غاية الأمان ، ج ٢ ،
ص ٥٢٧ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٦٩ - عبد الرحمن صالح
عبد الله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٩٦ - ٩٧ .
- (٣) قطب الدين الحنفي : تاريخ القطبي ، ص ٣٤٩ - فوزية مطر : تاريخ عمارة

(١)
مدرسة الشريف جار الله :

تقع عند دار العجلة شمال المسجد الحرام ، أنشأها سنة ٧٨٩ هـ ، وهي ملاصقة للمسجد الحرام ، وقد فتح لها باباً وستة شبابيك (٢) .

المدرسة الغياثية :

كان الحكام المسلمون في الهند غيورين على نشر الإسلام ، كما اهتموا إهتماماً كبيراً بمكة والمدينة ، وأسسوا بها عدة مدارس منها المدرسة الغياثية أو البتغالية ، وتقع بالجانب اليماني من المسجد الحرام ، وموسسها الملك المنصور غياث الدين أبو المغازي محمد شاه بن السلطان ناصر الدين أحمد شاه صاحب بنجالة من بلاد الهند (٣) . ففي سنة ٨١٣ هـ أرسل مع خادمه ياقوت الحبشي إثني عشر ألف مثقال ذهباً بإشارة من وزيره خان جهان ، وقد وصل للشريف حسن بن عجلان أمير مكة كتاب منه يرجوه فيه أن

== رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦ هـ
ص ٣٦٢ .

(١) جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نقي الحسني : كان شجاعاً عاقلاً

له مكارم ومحاسن ، قتل في معركة مع بني عمه سنة ٧٩٨ هـ .

(الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦) .

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٦٨ - فوزية مطر :

تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٦٢ .

(٣) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٦ - عبدالرحمن

صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٦٨ - ٦٩ .

التدريس بها على المذاهب الأربعة يوم السبت السابع من جمادى الثانية سنة ٨١٤ هـ . أما المدرسون المعينون فهم قضاة مكة الأربعة ، وكان طلابها على المذهب الشافعي عشرين طالباً ، وعلى المذهب الحنفي عشرين طالباً ، وعلى المذهب المالكي عشرة طلاب ، وعلى المذهب الحنبلي عشرة آخرين ، والإيوان الشرقي مخصص لتدريس المذهب الشافعي والحنفي ، والإيوان الغربي لتدريس المذهبين المالكي والحنبلي ، وأول من تولى التدريس بها على المذهب المالكي تقي الدين الفاسي (١) .

المدرسة الكنبائية :

عرفت بإسم المدرسة الكنبائية نسبة إلى كنباية قاعدة إحدى ولايات كجرات ، وهي دولة إسلامية قامت في غرب الهند سنة ٨١٠ هـ . وموسم هذه المدرسة أحمد شاه سنة ٨١٣ هـ ، وهي تقع في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام ، ومن درس بها الموسرخ الشهير القطبي ، وعنه النهر والي ، وكان يدرس بها الفقه الحنفي ، ولها وقف في كجرات ترسل خلاله إلى مكه

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٦-٦٧ - تحصيل الغرام ، ورقة ٩٢ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٢٩ - ابن عبد الهادي : الدرر الفاخر ، ورقة ٣٠-٣٢ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٧٢-٧٣ - عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٧٠ - ٧١ .

لتنفق على المدرسين والطلبة^(١) . وقد أزيلت في النصف الثاني من القرن
العاشر الهجري ، وبني بدلاً منها المدرسة السليمانية.^(٢)

المدرسة الباسطية :

بناها خليل بن إبراهيم ناظر الجيش في عهد السلطان الأشرف
برسبای ، واللقب بالزيني عبد الباسط عند باب العجلة على يسار الداخل
إلى المسجد الحرام ، وقد أشرف على بنائها أستاذ داره عمر الشامي سنة
٨٣٥ هـ . ويوجد بها خلاوى في غاية الإتقان ، وعمل لها شبابيك تشرف على
المسجد الحرام ، ويجانبها سبيل ماء . وكانت المدرسة حتى القرن العاشر الهجري
تحت إشراف آل نجار أئمة المقام الحنفي ، ولها أوقاف بمصر ، إلا أنها أندثرت ،
وكان يسكنها الأعيان الوافدون لتأدية فريضة الحج^(٣) .

(١) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) السليمانية : نسبة إلى السلطان سليمان العثماني . (انظر فوزية

مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص (٣٧١) .

(٣) ابن فهد : إتحاف السخاوى ، ج ٤ ، ص ٨٢ - السخاوى :

التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٦٤ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٢ .

- ابن عبد الهادي : الدر الفاخر ، ورقة ٣٤ - الطبري : إتحاف

فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٨٤ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٤٢ -

١٤٣ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٧٢ .

المدرسة الزمامية :

أنشأها الطواشي خشقدم الزمام^(١) سنة ٨٣٥ هـ ، عند دار العجلة شمال المسجد الحرام وملاصقة له ، وكان يقام فيها إلى جانب الدرس مجلس للصوفية ، يقرأون فيه القرآن بعد صلاة العصر ، وجعل لها صهيحاً يجتمع إليه الماء من المسجد الحرام ، وبها الكثير من الخلاوى لسكنى الفقراء ، وأوقف عليها وقفاً وهو الربع الذى بالسمى ، ويعرف بربع التوزيرى شاه بندرجدة لتوليه عمارتها ، والناظر على ذلك شمس الدين الشامي وأولاده ، وتولى العمارة بنفسه ، وكانت هذه المدرسة من قبل للشرىف جار الله بن حمزة بن راجح بن أبى نعى الذى بناها سنة ٧٨٩ هـ ثم أعطاها للدولة سنة ٧٩٤ هـ .^(٢)

المدرسة الشرايية :

أنشأها أحد ماليك الخليفة المستنصر العباسى ، ويسمى شرف الدين الشرايى سنة ٦٤١ هـ ، وتقع شرق المسجد الحرام على يمين الداخل للحرم الشرىف من باب السلام ،

- (١) خشقدم بن عبدالله الظاهرى الزمام الطواشي : عتيق الظاهر برقوق ، تولى الخزندارية فى دولة الأشرف برسباى ، ثم نقل إلى الزمامية بعد موت كافور الصرغتمش سنة ٨٣٠ هـ ، واستمر زماماً إلى أن توفى سنة ٨٣٩ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ٢٨٥) .
- (٢) ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ٤٥ - ٤٦ - ٨٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٦ - وعن مدرسة الشرىف جار الله بن حمزة انظر قبل ، ص ٣٨٥

وقد استمرت المدرسة تبذل العطاء للطلبة حتى القرن الحادى عشر الهجرى ،
وما ساعد على إستمرارها طوال العصر المملوكى ما قام به فى سنة ٨٥٦ هـ ،
الأمير برد بك التاجى ناظر الحرم الشريف من ترميمها وعمارتها ، لدرجة
أنها أصبحت على غير حالتها الأولى (١) .

المدرسة العطيفية : ٨٦١ هـ .

عمرتها والده الناصر محمد بن السلطان قانصوه الغورى سنة ٨٦١ هـ بمناسبة
أدائها فريضة الحج صحبة ولدها ، وبها قاعة عظيمة ومرافق كثيرة ورواق متسع ،
ولها شبابيك خمسة مظلة على المسجد الحرام ، وما يلي المدرسة حاصل كبير
به خمس فتحات (٢) .

مدرسة السلطان قايتباى : ٨٨٣ هـ .

كان الأشرف قايتباى سلطاناً مهيباً جليلاً خيراً ديناً ، حج حجتين
قبل سلطنته ، وحجة أثناء سلطنته (٣) . وفي أوائل سلطنته أمر وكيله

- (١) الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٥ - ابن فهد : إتحاف
السورى ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ - قطب الدين الحنفى : تاريخ القطبي ، ص
١٦٠ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٥٦ - عبد الرحمن صالح
عبدالله : تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، ص ٦١ - ٦٢ .
- (٢) ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٤ ، ص ٢٧٩ - الجزيرى :
درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٥ - ٧٤٦ - على السليمان : العلاقات
الحجازية المصرية ، ص ٢٢٧ .
- (٣) الديار البكرى : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ -
الشريف الجنابى : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ٩٧ .

وتاجره الخواجا شمس الدين ابن الزمن ، وكذلك الأئمة سنقر الجمالي الأشرفي ، سنة ٨٧٣ هـ بشراء موضع يشرف على الحرم المكي لبناء رباط ومدرسة يدرسون بها علماء المذاهب الأربعة . وقد استبدل الوكيل بعض الأربطة بين باب السلام وباب النبي ، فأشترى رباطي السدرة والمراغي ، ودار الشريفة شمسية إحدى شريفات مكة من بني الحسن بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ، واستأجر ميثأة الأشرف شعبان بالمسعى ، وأربعة دكاكين بجانبها ، ثم هدم ذلك كله سنة ٨٨٢ هـ ، وأوائل سنة ٨٨٣ هـ ^(١) ، وعمر رباط المراغي وجزءاً من رباط السدرة مدرسة ، والجزء الباقي من رباط السدرة ببناء رباطاً ^(٢) ، واتخذ للمدرسة منفذاً إلى المسجد الحرام سي باب قايتباي ، وهو ينفذ من المسجد الحرام إلى شارع المسعى ، وقد كتب على هذا الباب من خارجه ما يلي شارع المسعى بالخط البارز . (لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي) ، وكتب أيضاً بأسفل هذه الكتابة في جوف دائرتين ، إحداهما على يمين الداخل ، والأخرى على يساره ، فكتب داخل الدائرة اليمنى (اللهم انصره نصراً وأعزه) ، وكتب داخل اليسرى (وافتح له فتحاً مبيناً) ، وكتب على الجدار القائم عليه الباب من الجهة اليمنى (ولم يخش إلا الله فعسى أولئك) ومن الجهة اليسرى (أن يكونوا من المهتدين) صدق الله العظيم (أمر بإنشاء هذه المدرسة

(١) محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٤٤ .

(٢) عن رباط قايتباي انظر فيما بعد الفصل الخاص بالأربطة ، ص ٤١٣ -

مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر قايتباي (١).

وهذا الباب مقام على عمودين حجريين ، ويزخرف الباب من أعلاه عقد نصف دائري يتوسطه شكل مروحة نخيلية ، وتكرر على المصراعين المزخرفين بعض الكتابات المتقدمة ، وأسفل تلك الطاقية عقد دائري يحيطه عقدان مدبيان ، فشریط من إزار لزخارف نباتية بالنسبة لطاقية المدخل الرئيسي ، بينما في طاقية كل مصراع مستطيلات كحطات المقرنص تزخرف طاقية كل منها وأسفلها عقد دائري على شكل نعل الفرس يحيطه عقدان مدبيان ، ويعلو المدخل الرئيسي أشكال حصينة على شكل صنجات معشقة عددها ستة على عتبة الباب ، وواحدة في كل جانب منه في الدخلة التي تعلو العمودين الحجريين ، والكتابة التي تحمل إسم السلطان في ثلاثة سطور على المستطيل الأوسط بالمصراعين داخل جامعة مفصصة تحيطها من أركان المستطيل زخارف نباتية بارزة . وأسفل الباب الرئيسي بمصراعيه ثلاثة مستطيلات ، أسفل كل مصراع مستطيلان متماثلان في الحجم ، لها إطار من جديلة هندسية الشكل مضفرة ، بهما أشكال هندسية تكون أطباقاً نجمية ، في حين أسفل المستطيل الذي يلي الباب الرئيسي نصف عقد دائري عليه لفظ الجلالة

(١) محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٥٨ - إسماعيل أحمد

إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباي ، مجلة العرب ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ١٤

رجب شعبان سنة ١٣٩٩ هـ ، حزيران ، تموز ، يونيو ، يوليو سنة

١٩٧٩ م ، ص ٩٢ .

وسط زخارف هندسية (١).

وبنى فوق المدرسة منارة سميت بإسمه ، وكانت تعتبر المنارة السادسة من منارات الحرم المكي ، وهي على جدار مدرسته في الجهة الشرقية ، تقع بين باب السلام وباب النبي ، وتتميز بقاعدتها المربعة ، ولم يطرأ عليها التغيير والتبديل ، إلا أنها رمت كثيراً كغيرها من منارات الحرم الشريف (٢).

وكانت المدرسة مبنية بناءً محكمًا ، إذ جعلها من الرخام الطلون ، أما سقفها فكان مذهبًا ، وجعل لها مكتبًا (٣) . ونظم الدراسة بها ، وخصص المرتبات للمدرسين ، ووقف على ذلك عدة دوريمكة ، وبعض القرى والضياح بمصر لتنفق غلاتها على المدرسة ، فكانت تغل كل عام ألفي دينار ذهبًا تحمل إلى مكة سنويًا. (٤)

(١) إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباي ، ص ٩٣ .

(٢) المقال السابق ، ص ٩٣ .

(٣) ابن طولون ، ج ١ ، ص ٣٣ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة

١٣-١٤ - الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ٢٥ - السباعي : تاريخ

مكة ، ج ١ ، ص ٣٢٨ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم

في مكة المكرمة ، ص ٧٣ - إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان

قايتباي ، ص ٩٣ .

(٤) السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١٤ - السباعي : تاريخ مكة ،

ج ١ ، ص ٣٢٩ - محمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري ،

ص ١٩٦ .

كما أوقف الأُشرف قايتباي ريعات للصرف على المدرسين والقراء ،
وتقرأ أربعة كل يوم بحضور القضاة الأربعة والمتصوفين ، وكانت مرتبات الموظفين
تدفع ذهباً من ريع أوقفه بزقاق العطارين ، وآخر بمصر ، وكان يتحصل من
ريع أوقفه بمكة حوالي ألفي دينار ، بينما كانت تدفع مرتبات الطلبة والقراء
والأيتام من القمح الذي يرسله سنوياً ، ويصنع منه الدشيخة ^(١) ، كما أوقف
على الطلبة خزانة كتب ، وعين لها خازناً ، وقرر له مرتباً ، إلا أن أيدي المستعيرين
استولت على الكتب وضيعوا أكثرها ، ولم يبق منها سوى ثلثمائة كتاب قام
القطبي ^(٢) بصيانتها وتجليدها بعضها . وقد قرر الأُشرف قايتباي فسي
المدرسة أربعين طالباً ورتب لهم ، وقرر لأهل الخلاوى القمح بخلاف البالغ
السنية من الذهب للمدرسين والمؤذنين وقراء القرآن ^(٣) . إلا أن المدرسة

(١) الطبري : الأُرج المسكي ، ورقة ٣٣ - القطبي : تاريخ القطبي
السمي الإعلام ، ص ١٩٨ .

(٢) قطب الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٨٨ هـ ، وله كتاب الإعلام بأعلام
المسجد الحرام . (فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام) .

(٣) السهوي : وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ،
ج ٣ ، ص ٣٢٩ - النهر والي : الإعلام ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ - السنجاري :
مناجح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١٤ - القطبي : تاريخ القطبي السمي
الإعلام ، ص ١٩٧ - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٢٩ - محمد
رفيع : مكة في القرن الرابع عشر ، ص ١٩٦ - عبد الرحمن صالح
عبد الله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٧٣ - ٧٤ - إسماعيل أحمد
إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباي ، ص ٨٨ - ٨٩ .

ما لبثت أن آلت للسقوط بسبب تلاعب المقيمين عليها ، وعدم الإهتمام بها ،
فقل متحصل الأوقاف ، وأصبحت نزلاً لا مراة الحج أيام الموسم . (١)

مدرسة الغورى :

أنشئت سنة ٩٢٢ هـ (٢) ، ولم تذكر المصادر أية معلومات عنها سوى
تاريخ إنشائها .

وبالإضافة إلى هذه المدارس التي أنشئت حول المسجد الحرام ،
فهناك بعض الدروس التي قررت في المسجد الحرام في هذا العصر ، ومنها :
١ - درس في الحديث قرره شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدى (٣)

- (١) النهروالي : الإعلام ، ص ٢٢٦ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٩٦ -
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ - عبد الرحمن صالح
عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٧٣ - ٧٤ .
- (٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩٠١ هـ - إبراهيم
طرخان : نصرفي عصر الماليك ، ص ٣٢٢ .
- (٣) شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدى : سلطان بلاد فارس ،
تملك بعد أبيه سنة ٧٦٠ هـ ، وله الكثير من المآثر منها رباطه بمكة
الذى تجاه باب الصفا ، وخزانة كتب موقوفة على الحرم النبوى ،
وتوفي سنة ٧٨٧ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٣-٤ ،
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠) .

ملك شيراز الذى اشتهر بحب العلم . ومن تولى تدريسه ، على
الغوى (ت ٧٨٢ هـ) وكان يأخذ لقاء تدريسه مائتي مثقال
سنوياً^(١).

٢ - درس قرره بدر الدين الخروبي أحد تجار الكارم بمصر ، وولى تدريسه
على بن محمد الحسيني .^(٢)

٣ - درس قرره بشير الجهدار أحد أمراء الماليك بمصر ، وتولى تدريسه
هذا الدرس القاضي جمال الدين بن ظهيرة ، ومحب الدين النويرى ،
وكانا يتنافسان على تدريسه .^(٣)

٤ - درس في الفقه الحنفي قرره يلبغا الخاصكي أحد ماليك السلطان
الناصر محمد بن قلاوون ، وولى تدريسه محمد الصاغاني الذى باشر
التدريس في شوال سنة ٧٦٣ هـ ، ثم حل محله بعد وفاته ابنه أحمد
الصاغاني .^(٤)

(١) أبو الحسن نور الدين الغوى : نزيل مكة ، قرأ وسمع كثيراً بدمشق
والمدينة المنورة ومكة المشرفة ، ودرس بمكة دروساً في الحديث
للسلطان شاه شجاع ، وتوفى يوم الثلاثاء جمادى الاولى سنة ٧٨٢ هـ
(الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٢٣٧ - عبد الرحمن صالح عبدالله
: تاريخ التعليم في مكة ، ص ٤٠ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ - عبد الرحمن صالح عبدالله
: تاريخ التعليم في مكة ، ص ٤٠ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ج ٣ ، ص ١٦٨ - عبد الرحمن
صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٤١ .

المدرسة الجوانية :

أنشأها الأمير جويان أتابك العساكر المغلية سنة ٧٢٤ هـ ، في الناحية
القبلية من الحصن العتيق عند باب الرحمة ، وألحق بها تربة لكي يدفن بها ،
وهي ملاصقة لجدار المسجد النبوي بين دار الشباك والحصن العتيق ، كما
أُتخذ بها شبكاً في جدار المسجد . وعندما توفي حمل تابوته مع الحجاج
العراقيين إلى المدينة المنورة بأمر السلطان أبي سعيد خربندا ، ثم وقفوا
به في عرصة ، ودخلوا مكة وطافوا به حول الكعبة المشرفة ، ثم توجهوا به إلى
المدينة المنورة ليدفن هناك في تربته ، فلم يتمكنوا من ذلك لأنهم لم
يأخذوا إذناً من سلطان مصر ، فدفن بالقيع سلخ ربيع الآخر سنة
(١)
٧٢٩ هـ .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٧٩ - ابن فهد : إتحاف
الـــــــــــــــــــــوري ، ج ٣ ، ص ١٨٥ - ابن تغري بردي :
النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٧٣ - السخاوي : التحفة اللطيفة ،
ج ١ ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ - السهري : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧٠٢ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٣٠ - أيوب صبري باشا :
مرآة الحرمين ، ج ١ ، ورقة ٨٧٥ .

المدرسة الشيرازية :

تنسب أيضاً إلى إبراهيم الرومي الأصل المعروف بالعريان الذي قدم المدينة المنورة ، وأقام بهذه المدرسة أكثر من خمسين سنة ، وله آثار حسنة في المدينة خاصة ترميمه وإصلاحه لهذه المدرسة ، فلولاها لسقطت طباقها ، لأنه أقام أساطينها حتى حملت السقف والرواشين ، وكانت محترمة في أيامه لا يدخلها إلا الفقراء والأبرار ، وقد توفي إبراهيم الرومي بالمدينة المنورة سنة ٧٣٠ هـ . (١)

المدرسة الباسطية :

في سنة ٨٤٠ هـ قام عبد الباسط الزيني ، ناظر الجيش في عهد السلطان الأشرف برسباي بشراء دار مطيع ، وكانت بأيدي أويس بن سعد بن أبي السرح ، وهدمها وأقام عليها مدرسة كانت قائمة في مواجهة المدرسة الأشرفية التي بناها فيما بعد السلطان الأشرف قايتباي . (٢)

مدرسة ابن مزهر :

وفي سنة ٨٩٣ هـ قام أبوبكر بن مزهر رئيس ديوان الإنشاء بمصر

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) السخاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥١ - أيوب صبري باشا : مرآة

الحرمين ، ج ١ ، ورقة ٨٩٣ - علي السلیمان : العلاقات العجازية

المصرية ، ص ٢٢٩ .

بانشاء مدرسة مكتلة البناء في المدينة المنورة جهة باب الرحمة. (١)

المدرسة الاشرفية :

(٢)

أمر السلطان الاشرف قايتباي سنة ٨٨٧ هـ ببناء رباط ومدرسة ما بين باب السلام وباب الرحمة ، وفي سنة ٨٨٩ هـ أرسل السلطان قايتباي خزانة كبيرة من الكتب ، وجعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم ، وأرسل مصاحف كثيرة ، كما أوقف قرى بمصر تحمل غلالها إلى المجاورين والطلاب (٣)
فتفرق عليهم فكانت حصص الفرد سبعة أراذب في العام ، وكان بها مشرفان .

(١) أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ورقة ٨٧٥ .

(٢) لمزيد من التفصيل عن مدرسة ورباط قايتباي بالمدينة المنورة انظر الفصل الخاص بالاربططة ، ص ١٨٤

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ - السمهوري : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٢ - النهروالي : الاعلام ، ص ٢٢٨ - الطبري : الاربع المسكى ، ورقة ١٣٢ - أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ج ١ ، ورقة ٧١٤-٧١٥ - الشريف الجسنادي : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ٨٨ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٨ - عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٣ .

٣ - الأُربطة

الرباط أول أمره هو الحصن الذي يقع على حدود الدولة الإسلامية ،
أى في أقاليم الشغور ، ويؤهل المرابطون به من المجاهدين عسكرياً ودينياً
للجهاد في سبيل الله ، ولحماية بلاد الإسلام . وقد أشتقت كلمة الرباط من
قوله تعالى : * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ * ^(١) . ومن قوله تعالى أيضاً : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * ^(٢) . ثم أصبح الرباط
مأوى يقيم فيه المنقطعون للعبادة ، وأصبحت كلمة رباط تطلق على الدور التي
يقيم بها الفقراء والمتصوفة ، وشاع إستخدامه على هذا النحو في معظم بلاد
العالم الإسلامي . ^(٣)

وكان أهل مكة حتى بداية القرن الخامس الهجرى يستقبلون الحجاج
في دورهم من غير أجر ، فلما ضعفت الخلافة العباسية ، وقلت الأُعطيات التي
كانت ترسل من قبل الخلفاء إليهم ، بدأوا يطلبون أجراً عن سكن الحجاج في
دورهم ، مما دفع أثرياء المسلمين من تجار وأمرأ ووزراء وسلاطين إلى بناء

(١) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .

(٣) عن نشأة الرباط وتطوره أنظر صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة
وتطورها العمراني ، ص ٢١٦-٢١٧ - حسن الباشا : مدخل إلى الآثار
الإسلامية ، ص ١٦٩-١٧٠ .

أربطة في مكة ليقم فيها فقراء الحجاج والفقراء من أهلها (١) . ثم شاع استعمال الأربطة في مكة المكرمة ، وفي المدينة المنورة أيضاً في العصر المملوكي .

أ - الأربطة في مكة المكرمة :

ومن الأربطة التي أنشئت في مكة المكرمة في ذلك العصر ، الأربطة

الآتية :

رباط العباس :

يقع بالمسعى ، وكان في الأصل مطهرة أنشأها الملك النصور لاجين ، ثم جعلها رباطاً الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٩ هـ . (٢)

رباط الأصبهاني :

أوقف العزيز إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني (٣) سبط الشيخ

(١) عن سكن الحجاج في دور أهل مكة ، وعن نشأة الأربطة بها أنظر سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضى الإسلامية المقدسة ، ص ١٢٩ - ١٣٨ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٣ - فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨٨ .

(٣) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد : ويلقب بالعزيز ، ويعرف بالأصبهاني ، أجاز له الطبري وولده جمال الدين قاضي مكة ، دخل اليمن زمن الملك المؤيد للتجارة ، ثم دخل مصر ، أوقف رباطاً بمكة ، وتوفي في محرم سنة ٧٥٦ هـ ، ودفن بالمعلاة . (الفاسي : المعقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠) .

وذكر ابن فهد أن الشيخ العلامة جعفر الرومي استأجر هذا الرباط والغرفتين بعد أن آلت إلى الخراب وصار مربطاً للدواب إجارة طويلة من القاضي شمس الدين التآزفي سنة ٨٢٦ هـ ورممه على حسابه الخاص، وأسكن به الفقراء (٣).

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٩ - ٧٠ - تحصيل المرام ، ورقة

١٩٤ - ١٩٥ - شفاء الفرام ، ج ١ ، ص ٣٣٤ - العقد الثمين ، ج ١ ،

ص ١٢١ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٧٢ - ابن

فہد : اتحاد المـــــوری ج ۳، ص ۲۳۸۔

(٢) الفاسي : العقد الشين ج٣، ص٢٣٩ - ٢٤٠.

(۳) ابن فهد : إتحاف الـ_____وری ج ۳، ص ۲۳۹،

• بالهامش

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٩-٧٠ - تحصيل الغرام ، ورقة ١٩٤-١٩٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٣ - العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٣-٤ - ابن فهد : إتحاف الـ_____وري ، ج ٣ ، ص ٣١١-٣١٢ .

رباط السيدة أم الحسين :

أنشأت هذا الرباط السيدة أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين
الطبري في شعبان سنة ٧٨٤ هـ ، ويقع بزقاق الحجر ، وأوقفته على الفقراء
والمساكين (١) .

رباط بعلجد :

أوقف محمد بن فرج بن بعلجد (٢) المكي رباطه الذي يقرب
باب الحزورة (٣) سنة ٧٨٧ هـ على الفقراء المنقطعين بمكة وأن تكون

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٠ - تحصيل الحرام ، ورقة ١٩٥ -
شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٤ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢١ - ابن
تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٧٢ - ابن فهد : إتحاف
الوري ، ج ٣ ، ص ٣٤٠ .

(٢) محمد بن فرج : ويلقب بالجمال ، ويعرف بابن بعلجد ، كان يتردد
على اليمن لتوليه لأمر العلم الذي ينفذه صاحب اليمن كل سنة ، له
مأثر بمكة ، رباط وسبيل بالمسعى ، وله على ذلك وقف ، توفي سنة
٧٩٠ هـ ، ودفن بالمعلاة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ -
٢٥٥) .

(٣) باب الحزورة : وهو من أبواب الجهة الغربية من المسجد الحرام ، وهي
إسم لسوق في الجاهلية كان في هذا المكان ثم دخل في توسعة المسجد
الحرام في عهد الخليفة المهدي سنة ١٦٩ هـ ، وعرف في زمن الأزرقي
بباب بني حكيم بن حزام ، وباب بني الزبير بن العوام ، وباب الحزامية
في عهد الفاسي ، وباب البغالين وباب الوداع . (ابن فهد : إتحاف
الوري ، ج ٣ ، ص ٥١) .

النظارة عليه له ، ثم من بعده لا ولاده ، ومن بعدهم لقاضي مكة الشافعي .^(١)

رباط ابن العطار :

أوقف على بن أبي بكر بن عمران العطار^(٢) رباطه ، وهي دار قريبة من المسمى ، ولم تثبت وقفيتها إلا بعد موته سنة ٨٠١ هـ .^(٣)

رباط الشريف حسن بن عجلان :

أنشأ الشريف بدر الدين حسن بن عجلان صاحب مكة رباطاً مقابل المدرسة المجاهدية سنة ٨٠٣ هـ ، وجعل له أوقافاً بمكة ومنى ووادي مراً .^(٤)

- (١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧١ - تحصيل الغرام ، ورقة ١٩٤ -
شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٩ - ابن
فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .
- (٢) على بن أبي بكر بن عمران العطار : كان ذاملاً ، وتسبب فيها ،
وله أملاك بمكة ومآثره كثيرة ، توفي سنة ٨٠١ هـ وقد جاوز الستين
عاماً . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٤٧) .
- (٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٠ - تحصيل الغرام ، ورقة ١٦٥ -
شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .
- (٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٩ - تحصيل الغرام ، ورقة ١٩٣ -
شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٩ - ابن
فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٤٢٣ - الطبري :
إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٦٢ .

رباط زوجة الملك الأشرف إسماعيل :

هو رباط الأدر^(١) الكريمة جهة الطواشي ياقوت ، وزوجة^(٢) الملك
الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل^(٣) صاحب اليمن ، وأم أولاده ، ويقال
له رباط السعداني لتوليه أمر عمارته ، وتاريخ وقفته سنة ٨٠٦ هـ على
الفقراء والفاقين المجريدين من النساء ، المستحقين للسكنى .^(٤)

(١) الأدر : يراد بها حريم السلطان . (ابن تغرى بردى : النجوم
الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٥٧) .

(٢) زوجة الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى ملك اليمن ، وجهة الطواشي
ياقوت ، لها بزييد مدرسة ، تشتهر بالياقوتية وبغيرها عدة مدارس ،
وعاشت إلى بعد الأربعين . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٦ ،
ص ١٦٦) .

(٣) إسماعيل بن يحيى بن أحمد بن العباس الأشرف بن الظاهر ، إستقر
بعد أبيه وكانت فيه حدة مفرطة ، فعامل العساكر بجدة ، وكان لا يخلو
يوماً من قتل وعقوبة ، توفي في شوال سنة ٨٤٥ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١٠٨) .

(٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧١ - تحصيل المرام ، ورقة ١٩٧ -
شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ - ابن فهد : إتخاف
الورى ، ج ٣ ، ص ٤٣٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية
المصرية ، ص ١٢٥ .

رباط ابن أبي شاکر :

أنشأ وزير مصر تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاکر (١) قبل أن يلي الوزارة رباطاً بباب أجياد ، وقد عمر غالب سفله إلا أنه توفي فاستصاره الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي فرج الأستاذارالمویدی (٢) ، وأمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكميل عمارته ، فبنى جانباً من سفله ، وبيوتاً من علوه سنة ٨٢٠ هـ ثم توفي قبل تمام عمارته في نصف شوال سنة ٨٢١ هـ والفقراء به ساكنون . (٣)

(١) عبد الوهاب بن أبي شاکر أحمد بن أبي الفرج تقي الدين القبطي المصري وقد أسلم ، ولد سنة ٧٢٠ هـ ، وياشر نظردیوان المفرد ، ثم أستاذ اریة الأملاك والذخائر والمستأجرات والأوقاف . وقف عدة أوقاف ومنها الرباط المقابل لباب أجياد . (السخاوی : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ١٠٢-١٠٣) .

(٢) عبد الغني بن عبد الرزاق بن أبي الفرج : تنقلت به الأحوال حتى شغل الوزارة والأستاذ اریة . أكمل الرباط الذي أمر بإنشاءه الوزير تقي الدين بن أبي شاکر . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٦٩-السخاوی : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٤٩) .

(٣) الفاسي : تحصيل العرام ، ورقة ١٩٤ - الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٩ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢٠ - ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٣ ، ص ٥٥٠ .

رباط رامشت :

أنشأه الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين بن شيرويه بن جعفر
الفارسي ^(١) ، ويقع بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، ويعرف برباط
ناظر الخاص ، وهو قريب من سوق الحزورة . وقد أوقفه سنة ٥٢٩ هـ على
الرجال الصوفية أصحاب المرقعات ، وعرف ذلك من النص المكتوب على باب
الرباط ، ومن كتاب الوقف الذي عثر عليه التقي الفاسي ^(٢) ، ويؤكد ذلك
الزميل محمد الفعر الذي قام بتحليل هذا النص المكتوب على حجر مستطيل
من البازلت ، ومقاسه ١٠٣ × ٢٤ سم ، وعدد أسطره سبعة ، منقوشة بالخط
النسخي الحجازي البارز وفيما يلي هذا النص :

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوقف وتصدق الشيخ الأجل
معين الدين شيخ الإسلام
- ٢ - غياث الحرمين جمال الطائفين أبو القاسم رامشت بن الحسين بن شيرويه
- ٣ - بن الحسين بن جعفر الفارسي جميع هذا الرباط بجوار حزورة عند باب

(١) رامشت بن الحسين بن شيرويه بن الحسن بن جعفر الفارسي ، يكنى أبا
القاسم ، وإسمه إبراهيم ، كان من أعيان تجار العجم ، وله مآثر بمكة ،
منها الرباط المعروف برامشت ، كما عمل بعض الإصلاحات بالحرم
والكعبة ، توفي في شعبان سنة ٥٣٤ هـ . (الفاسي : العقد الثمين :
ج ٤ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

- ٤ - الحرم الشريف على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق
- ٥ - وخراسان الحاج والمجاورين وفقاً مو' بدا ، وصدقة محرمة محبسة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
- ٦ - وهو خير الوارثين ، فمن غيره أو بدله فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ولا قبل
- ٧ - الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ولا قام له يوم القيامة وزناً وذلك في شهر رمضان ، تسعة وعشرين وخمسمائة . (١)

وقد أصلح هذا الرباط الشريف حسن بن عجلان في أيام الناصر فرج بن برقوق . ففي ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢ هـ وقع حريق بهذا الرباط بسبب ترك بعض أصحاب الخلاوى سراجاً موقوداً في خلوته فسحبت النار وأحرقت ما في الخلوة ، واشتعل اللهب بسقفها ، وخرجت النار من شباكها إلى المسجد الحرام ، وأحرق جميع سقف الجانب الغربي ، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي إلى جانب دار العجلة وبعض الأساطين والسقوف ، وجعل ما احترق من الأساطين مائة وثلاثون أسطوانة . (٢)

(١) محمد الفهر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٨٥ - فوزية

مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨٤ .

(٢) فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨٤ .

وقام الشريف حسن بن عجلان بعمارته على حسابه الخاص ،فصرف عليه مائتي
مثقال ذهباً سنة ٨١٨ هـ ،وعمر جميع ما كان محترقاً من البيوت العلوية ،
وغير ما يحتاج العمارة علواً وسفلاً ،فعاد في غاية الروعة والإتقان. (١)

وفي سنة ٨٥٥ هـ خرب رباط رامشت فشرع في عمارته بر د بـك
التاجي بأمر من ناظر الخاص عندما أرسل له كتاباً يأمره أن يستبدل ذلك
الرباط بأربعمئة أشرفي ،وحكم بذلك القاضي الحنفي ،وأكلت عمارته ،وجعل
رباطاً ومدرسة . وكان به شباك على المسجد الحرام في الجدار الشرقي ،
فوسعا طولاً وعرضاً ،وفتح معهما خمسة شبابيك ،شباكاً في جداره الشرقي
جانب الشباكين الأولين ،وشباك في جداره الشامي ،وجعل الشباك باباً
يدخل منه ويخرج ،وصار باب الرباط الأضلى الذى كان بالمسجد شباكاً
في خلوة الرباط تحت المدرسة ،وفتح بالرباط باباً من الصهريج الذى بسبيل
الأشرفي لزيادة باب إبراهيم ،وجعل بآخر الرباط في الركنين سبيلاً ،
وبابه من الرباط. (٢)

(١) الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٦٥ - الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٩ - شفاء
الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٩ -
المقريزي : السلوك ، ج ٣/٣ ، ص ١٠١٩ - ابن الصيرفي : نزهة
النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٦١ - الجزيري : درر الفرائد ،
ج ١ ، ص ٦٨٦ - محمد الفهر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ،
ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ -

السنجاري : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٠٨

رباط الشريف حسن بن عجلان :

أنشأ الشريف حسن بن عجلان رباطه بأجناد سنة ٨١٦ هـ ، وهو ملاصق لحوش داره ، ويقع بالقرب من رباط ربيع ، وقد عمر غالباً من سفله ، وجزءاً من علوه ، وفي سنة ٨٢٢ هـ استأجر بعض الهنأة لتكميل عمارته ، وأدخلت فيه البئر المعروفة ببئر عفراء (١) .

رباط عطية بن خليفة المطيبيز :

أنشأ عطية بن خليفة أحد تجار الكرام رباطاً يسوق الليل بمكة على النسوة ، ويقال إنه سمح لهن أن يكرين مساكنهن زمن المواسم ، ليكتسبن بذلك (٢) .

رباط ابن الطاهر :

(٣) استأجر الخواجا بدر الدين حسن بن محمد بن قاسم الطاهر

(١) الفاسي : تحصيل الغرام ، ورقة ١٩٦ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٥ -

ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٣ ، ص ٥٠٨ -

الطبري : الأرج المسكي ، ورقة ٢٣٠ -

(٢) الفاسي : المعقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢١ - ج ٦ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ -

(٣) شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٤ . لم يذكر تاريخ انشاء الرباط ولكن الواقف توفي سنة ٨٢٧ هـ . حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد التاجر الكبير ، ويعرف بالطاهر ،

نزيل مكة ، ولد سنة ٧٩٠ هـ باليمن . استأجر رباطاً بباب سوقة ووقفه

على الفقراء سنة ٨٤٣ هـ ، وعمر عين حنين وسبيلاً في داره بنى ، توفي

سنة ٨٧١ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ، ج ١١ ، ص ٢٨٠ -

الرباط الكائن بمكة عند باب سوقة أحد أبواب المسجد الحرام ، ثم أوقف جميع ما تملكه من منافع الرباط يوم السبت خامس رجب سنة ٨٤٣ هـ ، ومدة إستجاره الشرعي خمسة وتسعون عاماً وعشرة أشهر وعشرون يوماً متواليّة الليالي ، وقد أوقفه على الفقراء والمساكين والغرباء والمتعطلين الرجال دون النساء الذين لا سكن لهم ، ولا يقدرّون على أجره سكن ، وليس لأحدهم بيت في رباط ، ولا يكون لأمرء سكن به ، ويقيمون فيه قوماً بعد قوم على أنه من سبق واحد منهم إلى سكنى بيت من هذا الرباط كان أولى به وأحق من غيره ، وليس لغيره أن يخرجّه ، ولا يسكن معه فيه ، ومن سافر منهم إلى المدينة المنورة فعاد فيما دون ستة أشهر كان أحق به من غيره ، وأولى أن لا يخرج منه ، ومن سافر منهم سافراً يزيد عن ستة أشهر وأكثر كان لغيره من الفقراء المتصفين بالصفة المذكورة السكن ، وأوقف على مصالحه المنزل الكائن على يمين الداخل من باب الرباط والدكان والمخزن اللذين تحت هذا المنزل ، وجعل ذلك النظر لولده مدة عمره ، ثم للأرشد فلا أرشد من ذريته للذكور منهم دون الإناث من ولد الظهر دون البطن ، فإن تعذر ذلك كان للأعلم الأصلح من أهل الحرم الشريف . وثبت ذلك عند قاضي المالكية بمكة محي الدين بن عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري يوم الأربعاء من رجب سنة ٨٤٣ هـ . (١)

(٣)
رباط القائد شكر الحسنی :

أوصى القائد شكر الحسنی عتيق السيد حسن بن عجلان ، ووزير مكة ،

(١) ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٤ ، ص ١١٦-١١٧ .

(٢) شكر القائد الحسنی : عتيق الشريف حسن بن عجلان ووالد بديد ، ووزير مكة لولد سيده بركات ، توفي في جمادى الأولى سنة ٨٤٥ هـ .

(السخاوی : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٠٦) .

لولد سيده بركات ببیت من بیوته لیكون رباطاً ، وببیت آخر یكون وفقاً علیه ،
وقد نفذ أولاده من بعده الوصیة بسبع سنوات سنة ٨٥٢ هـ . (١)

رباط ابن مزهر :

أوقفه سنة ٨٧١ هـ ، كاتب السر أبو بكر بن مزهر بمكة عند باب الصفا . (٢)

رباط قايتباي :

كانت بمكة دار تسمى دار القوارير ، وهي رحبة بین المسجد الحرام
والمسعى ، فاستقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة إليه ،
فبناها داراً ، ثم صارت إلى حماد البربري (٣) ، فعمرها وزین باطنها
بالقوارير ، وظاهرها بالرخام والفسيفساء حتى تداولت الأیدی علیها ، إلى (٤)
أن صارت رباطین أحدهما یعرف برباط المرافي لصاحبه الشيخ محمد المراغي

(١) ابن فهد : إتحاف الوری ، ج ٤ ، ص ٨٤ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٣) حماد البربري : أمير مكة واليمن من قبل الخليفة هارون الرشيد ،
عمر بعض الدور بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ -

٢٢٥) .

(٤) محمد بن عبدالله بن عبد الرحيم القاضي صدر الدين أبو بكر المراغي :

كان من أعيان زمانه ، حج سنة ٥٧٨ هـ ، وهو كثير المال ، حسن
الهيئة ، وله رباط بمكة ، وتوفي سنة ٥٩٠ هـ . (الفاسي : العقد

الثمين ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧) .

الذى أوقفه سنة ٥٧٥ هـ^(١)، ويقع بجانب باب الجنائز، ويعرف برباط
القبلائي^(٢)، والرباط الآخر يعرف برباط السدرة^(٣).

وفي ليلة الثلاثاء^١ عاشر رمضان سنة ٨٨٣ هـ وصل سنقر الجمالسي
إلى مكة من مصر بحراً لا^٢جل عمارة السلطان الأشرف قايتباي، فأجتمع سنقر
يوم الخميس ثاني عشر رمضان بالحطيم مع شريف مكة، والقاضيين الحنفى
والشافعى، وباش قانى بك، وقرأ ثلاثة مراسيم، أحدهم لشريف مكة، والثاني
للقاضى الشافعى، والثالث بخصوص وصية السلطان، وهى عمارة بيت الشريفة
شمسية ورباط السدرة ورباط المراغى رباطاً ومدرسة وسبيلاً، وميضأة
ومكتباً للايتام^(٤)، وكان الشاد على العماثر شمس الدين محمد بن عمر
الشهير بابن الزمن الذى استبدل رباط المراغى، ورباط السدرة،

(١) عن إنشاء رباط المراغى فى سنة ٥٧٥ هـ أنظر فوزية مطر: تاريخ
عمارة المسجد الحرام، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - محمد الفهر: تطور
الكتابات والنقوش فى الحجاز، ص ٢٩٧. (النقش الخاص
بإنشاء هذا الرباط الذى لا يزال محفوظاً بمتحف آثار
الحرم المكي).

(٢) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٠ - العقد الثمين، ج ١، ص ١١٨.

(٣) زينى دحلان: خلاصة الكلام، ص ٦٨.

(٤) ابن فهد: إتحاف السورى، ج ٤، ص ٤٨٣ - الجزيرى:

درر الفرائد، ج ١، ص ٧٥٧.

وأضاف إليهما دار الشريفة شمسية إحدى شريفات بني حسن (١)، واستأجر
الميضة التي بناها الأشراف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون، وهي قبالة
باب علي، حدها من الشرق بيوت للناس، ومن الغرب المسمى الشريف،
ومن الجنوب سيل وادي إبراهيم الذي يطلق عليه الآن سوق الليل، ومن
الشمال دار سيدنا العباس الذي أصبح رباطاً يسكنه الفقراء، فهدم إبن
الزمن الميضة، وتقدم من جانب المسمى نحو ثلاثة أذرع، وحفر أساسه
ليبنى بها رباطاً لسكنى الفقراء، إلا أن قاضي القضاة برهان الدين بن
ظهيرة منعه من ذلك، وعمل القاضي محضراً حافلاً، حضره علماء المذاهب
الأربعة، وبقية القضاة والفقهاء، وتوجه القاضي إلى مكان البناء، ومنع
البنائين من العمل. وأرسل رسالة إلى السلطان قايتباي بمصريخبره
بذلك. إلا أن شمس الدين بن الزمن شرح جميع الأحوال في رسالة وأرسلها
للسلطان قايتباي، فما كان من السلطان قايتباي إلا أنه أمر بعزل القاضي
عن منصبه، وأمر إبن الزمن بتكملة البناء، فبنى رباط العراقي وجزءاً من رباط
السدرة مدرسة وسبيلاً والجزء الباقي من رباط السدرة جعله رباطاً يتألف
من اثنين وسبعين خلوة، وميضة، ومنزلاً، وجعل للميضة باباً من جهة

(١) شمسية إبنة حسن بن جلان بن رميثة بن أبي نعي الحسنى زوج
رميح الشريف وأم ولده عجل، صاحبة الدار بمكة التي أصبحت
المدرسة الأشرافية، ماتت في جمادى الثانية سنة ٨٨٢ هـ خارج
مكة، ودفنت هناك. (السخاوي: الضوء اللامع، ج ١٢، ص ٦٩).

سوق الليل ، وجانبها مطبخاً للدشيشة التي تعمل كل يوم وتقسم على الفقراء ، وأوقف دوراً بحكمة ، ومزارع بحصر ، وتم الإنتهاء من بناء الرباط والمدرسة سنة ٨٨٣ هـ ، وكان الإنتهاء من بقية البناء سنة ٨٨٤ هـ . (١)

ب - الأربطة بالمدينة المنورة :

رباط ياقوت :

أوقفه ياقوت المظفرى المارداني على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال دون النساء ، ويقع في حارة الأغوات في الطرف الشمالي بعد منهل العين الزرقاء . بني في العصر المملوكي البحري خلال حكم السلطان محمد بن قلاوون ، وهو من الأبنية الأثرية القديمة ، أى نموذج للأربطة العتيقة ، حيث وجد على بابه كتابة أثرية مؤرخة سنة ٧٠٦ هـ تتضمن وقفية بإسم ياقوت المظفرى المارداني (٢) هذا نصها : (وقف هذا الرباط المبارك

(١) السمعوري : وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ - النهر والي : الإعلام ، ص ٣٣٦ - قطب الدين الحنفي : الإعلام ، ص ١٠٠ - الطبري : الأراج المسكي ، ورقة ٢٥ - ٢٦ - إتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ١٢٧ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٣٩ - ٧٢ - أنور شكري : لوحان أثريان ، ص ٣٩ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٥ .

(٢) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٧٣ - صالح لمعنى مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ٢١٧ .

لوجه الله تعالى المجد الفقير ياقوت المظفرى المنصورى الماردانى على الفقراء
والمساكين الغرباء الرجال خاصة دون النساء ، تقبل الله منه وأثابه الجنة
برحمته وكرمه بتاريخ سنة ٢٠٦ هـ .^(١)

رباط ريحان الهندى :

ريحان الهندى أحد خدام المسجد النبوى الشريف ، ومن مآثره
رباطان عم النفع بهما ، ونخيل جيد ، وله سقاية ماء وداران ، وتوفي بعد
العشرين وسبعمئة .^(٢)

رباط السعيدى :

أنشأه رشيد بن عبدالله شهاب الدين السعيدى أحد خدام المسجد
النبوى ، وله عدة دور وأوقفها على الرباط بعد أن تعب في عمارتها ، وقد
جهلت أماكنها بعد أن كانت معروفة ، توفي بعد العشرين وسبعمئة .^(٣)

-----*

(١) عبد القدوس الأنصارى: آثار المدينة المنورة ، ص ١٩٠ - هذا وقد
هدمت حارة الأغوات وأدخلت في التوسعة الجارى القيام بها
للمسجد النبوى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن
عبد العزيز آل سعود .

(٢) ريحان الهندى : كان يشتغل بخدمة المسجد النبوى وهو محب للخير
حبس بره على الصالحين ، يتصف بعلو الهمة في العمارة ، توفي بعد
العشرين وسبعمئة . (السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ٧٢ - ٧٣) .

(٣) رشيد بن عبدالله شهاب الدين السعيدى : أحد خدام المسجد

رباط ناظر الخاص :

وفي سنة ٧١٩ هـ أنشأ الفخر ناظر الخاص رباطاً مقابل دار معاوية ،
بابه على شارع سوق المدينة ^(١) . ثم وصل بيسق الظاهري ^(٢) سنة
٨٠٣ هـ إلى الأراضى الحجازية من أجل الحج ، فقام بتجديد هذا الرباط
وبناؤه ^(٣) .

رباط الأشراف قايتباي :

أمر السلطان الأشراف قايتباي سنة ٨٨٧ هـ أن يبني له بالمدينة
المنورة رباط ومدرسة ومأذنة تشرف على المسجد النبوي ، وذلك بين باب السلام
وباب الرحمة ^(٤) ، فما كان من شمس الدين بن الزمن إلا أن هدم دار الشباك

== النبوي ، كان فقيهاً متديناً متعبداً ، يصحب العلماء ويأخذ منهم ،
ويشتري كتب العلم ويوقفها عليهم ، عاش حميداً ، ومات سعيداً ، وتوفي
بعد العشرين وسبعمائة . (السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ٦٤-٦٥) .

(١) السمعوري : وفاة الوفا ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ .

(٢) بيسق الشخي أمير آخور الظاهري برقوق ، نفى إلى بلاد الروم فسي
الدولة المؤدية ، وله آثار بمكة والمدينة ، كان محباً للمال مع البر والصدقة
، تآمر على الحاج ، وتوفي سنة ٨٢١ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ،
ج ٣ ، ص ٢٢-٢٣) .

(٣) الشريف حقي رفعت باشا : الإعلام بأعلام البلدان الحرام ، ص ٢٤٨-
٢٤٩ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٣٣ - الشهر والي : الإعلام ،
ص ٣٣٩ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ٤١ .

والمدرسة الجويانية ، وأقام على أرضهما مدرسة عتيقة ، ثم اشترى منازل آل عباس وبناء رباطاً ، وربطه بالمدرسة ، بحيث بنيت المدرسة والرباط على ثلاثين كمرًا ، وللبناء ثلاث بوابات جسيمة ، وفي بداية الأركان الرباط والمدرسة يقعان جهة القبلة ، وبدأ العمل على هذا الأساس ، وذلك بأن أقام عدة أعمدة على جدار القبلة ، ولكن تغير الحال ، وتم شد وربط الأعمدة (١) ، هذا تلك التي في جدار القبلة وزين كل منهما بالزجاج الملون ، وشبكت أطرافها الخارجية بالأسلاك النحاسية ، وبنى الرباط بالقرب من باب السلام مكان الميضة التي كانت موجودة ، وأقيم امام الرباط سبيل وحمام ، وعمل طاحونة مع تأسيس فرن لعمل الدشيخة ، وتم ذلك سنة ٨٨٨ هـ . وأرسل السلطان الأشرف قايتباي جميع لوازم الطبخ ، ويقال إن الأشرف صرف مائة وعشرين الف دينار على منشآته ، وكان يرسل إلى المدينة المنورة سنوياً ألف أردب قمح (٢) ولكي يضمن حسن التوزيع بين الأهالي فقد عين شيخاً بمخصصات مجزية وهو شاهين الجمالي لكي يكون مسئولاً عن الطعام الذي ينصب للمجاورين والدجاج (٣) .

- (١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .
- (٢) الديار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ .
- (٣) السهري : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٤ - أيوب صبري باشا :
مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٧١٤ - ٧١٦ - علي السليمان : العلاقات
الحجازية المصرية ، ص ٢٢٨ - حمد الجاسر : أشهر مؤرخي المدينة
المنورة - مجلة العرب - ج ٣ - ص ٧ - رمضان ١٣٩٢ هـ ، أكتوبر
١٩٧٢ م ، ص ١٦١ - ١٦٣ .

٤ - البيمارستانات

المارستان أو البيمارستان مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم ، وهو لفظ فارسي مركب من بيمارأي مريض وستان أي محل ، ويقال له بالتركية خسته خانه أي معنى المرضى ، كما يطلق على المحل المعد لإقامة المجانين . والظاهر أن هذه التسمية بقيت على أصلها الفارسي لأن الفرس كانوا قد عرفوا المستشفيات ، وخاصة في مدرسة الطب " جنديسابور " ولأن الأطباء الذين تسلموا زمامها من الفرس والسريان أطلقوا هذه التسمية التي درجوا عليها .

أ - البيمارستان في مكة المكرمة :

وكان يوجد في مكة بيمارستان عمره وأوقفه الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٨ هـ بالجانب الشمالي من المسجد الحرام بالقرب من باب الزيارة .

وفي سنة ٧٧٧ هـ إستجد السلطان الأشرف شعبان المارستان وأمر بصرف خمسة عشر ألف درهم ومائتين على الضعفاء من الرجال والنساء ، وصرف الطعام لهم ، وعلاجهم ^(٢) . إلا أنه في مطلع القرن التاسع الهجري خرب ودثر ، فاستأجره سنة ٨١٦ هـ الشريف حسن بن عجلان أمير مكة من قاضي

(١) المقرئى : السلوك ، ج ١ / ٣ ، ص ٧١٦ حاشية ٦ .

(٢) انظر حجة الوقف للأشرف شعبان رقم ١٥٣ حتى ١٨٨ ،

القضاة بمكة جمال الدين بن ظهيرة الشافعي لمدة مائة سنة بأربعين ألف درهم . وأذن القاضي بأن تصرف الأجرة في عمارة ما تخرب من البيمارستان ، وأن يهدم ما يحتاج إليه من الهدم ، ويرمم ما يحتاج إلى ترميمه حتى ينتفع به ، فشرع الشريف حسن بن عجلان في عمارة عمارته ~~حسنة~~ الإتيان حتى ينتفع به الفقراء ، وجعل له إيواناً وصهريجاً ، ووقف ذلك كله على الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين يأوون إليه علواً وسفلاً ، وينتفعون بالإقامة والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ، ولا يخرجهم بل يستمرون إلى أن يحصل لهم الشفاء والعافية ، وجعل النظر فيه لولديه بركات وأحمد ، ثم لـ^١ رشيد فلا رشيد للذكور دون الإناث ^(١) .

وفي أوائل القرن التاسع ، أوقف جمال محمد بن الشهاب أحمد البوني بعض الأماكن بالحجاز على البيمارستان بمكة ^(٢) .

- (١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢ - تحصيل الغرام ، ورقة ١٩٧ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢٣ - ابن فهد : إتحاف السورى ، ج ٣ ، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ - النهر والي : الإعلام ، ص ٢٠٣ - ابن عبد الهادي : الدر الفاخر ، ورقة ٣٢ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٧٧ - ٧٨ - الشريف حقي رفعت باشا : الإعلام ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ - أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ، ص ٦٥٧ - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٤٨ - أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات ، ص ٢٦١ .
- (٢) أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات ، ص ٢٦٤ .

وفي سنة ٨٣٢ هـ عمر أحمد بن جمعة^(١) جانباً من البيمارستان ،
ووسع فيه ، وفتح له باباً آخر غير الحرم من زقاق الو لإخراج الموتى منه ،
وإدخال الحطب والماء العذب^(٢) .

وفي رجب سنة ٩١٥ هـ قام خاير بك المعمار بتعمير البيمارستان
بمكة^(٣) .

ب - البيمارستان في المدينة المنورة :

وكان يوجد أيضاً بالمدينة المنورة بيمارستان^(٤) عمره في سنة
٦٥٨ هـ السلطان الظاهر بيبرس ، ونقل إليه سائر الأدوية

(١) أحمد بن جمعة بن عبدالله الواسطي الخراز : قرأ القرآن ، وتكلم
بالبيمارستان وقتاً طويلاً ، وتوفي في محرم سنة ٨٥٧ هـ .
(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٦٨) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الوري ، ج ٤ ، ص ٢٩ .
وزقاق الوكان يقع بأجياذ وأزيل الآن وعمر مكانه سموالاً مير مشعل
بن عبد العزيز عمارة حسنة يوجد بها فندق خوقير .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦٣ - عبد اللطيف إبراهيم
: وثائق الوقف على الأراضى المقدسة ، ص ٢٥٤ .

(٤) لم تذكر مصادر تاريخ المدينة المنورة أى شيء عن تاريخ إنشاء البيمارستان
بالمدينة ولا إسم منشئه .

والمعاجين والأكحال والمراهم والأشربة وسكر لاُجل من يعتريه من الجماعة مرض، ويبحث إليه طبيباً من الديار المصرية يسمى محم الدين أحمد بن الحسن بن تمام . (١)

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٤ - الكتبي : وفيات
الوفيات ، ج ١ ، ص ١٦٨ - ابن بهادر : فتوح النصراني تاريخ
ملوك مصر ، ج ٧ ، ص ١٣٦ - محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى
، ص ٢٤٨ - أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ،
ص ٢٦٥ .

الحائز

الختام

يشتمل هذا البحث على دراسة شاملة متكاملة عن طرق الحج الرئيسية ، وما أقيم فيها من إصلاحات وإنشاءات ، وعن جباية المكوس على الحجاج والتجار ، وسخاء سلاطين المماليك وأمراءهم ، وكبار رجال دولتهم في منح الهبات والمبرات لأهالي الحرمين ، وتوفير الأُطعمة ، وإلغاء المكوس عليها ، وإهتمامهم بتوفير الراحة للحجاج ، وذلك بحفر الآبار والبرك ، وإقامة الأسبلة في الحرمين والمشاعر ، وإنشاء المساجد والأربطة ، وتعمير البيمارستانات بحكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وذلك إرضاء لمشاعرهم الدينية ووفاء لحقوق الحرمين الشريفين ولأهلها عليهم بإعتبارهم سادة الحجاز وخدام الحرمين الشريفين ، وإعتبار ما تحقق لهم من صدارة وزعامة العالم الإسلامي في عصرهم .

إن كل هذه الأعمال الخاصة بالحج في العصر المملوكي سواء على إمتداد طرق الحج وخاصة المصرية والشامية ، أو في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، والمدينة المنورة وجدة لم تكن لتتم بهذه الصورة الضخمة التي وضحت من خلال هذا البحث لولا نجاح سلاطين المماليك في فرض سيادتهم الفعلية على بلاد الحجاز . فعلى أيديهم لم تعد السيادة على بلاد الحجاز ، كما كانت من قبل حتى زمن الأيوبيين سيادة إسمية لا تتعدى الدعاء للخليفة أو السلطان على منابر الحرمين ، وسك السكة بإسمه ، ووجود نائب له . هذا وعلى الرغم من نجاح سلاطين المماليك في إحكام سيادتهم الفعلية على بلاد الحجاز إلا أنهم أبقوا على حكم الأشراف في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، الأمر الذي أدى إلى كثرة الخلافات والصدامات بينهم وبين الأشراف وهو ما امتلأت به صحائف المصادر المملوكية .

والذى يلفت الانتباه أيضاً أن سلاطين الماليك رغم إهتمامهم الشديد بالحجاز لتحقيق أهدافهم السياسية والإقتصادية ، إلا أن إهتماماتهم الدينية والإجتماعية به فاقت هذا الجانب السياسي والإقتصادى ، وتتجلى هذه الإهتمامات الدينية والإجتماعية في تأمينهم لطريق الحج المصرى الذى انصب إهتمامهم عليه دون الطرق الأخرى . هذا بالإضافة إلى الطرق البحرية ، مثل طريق عيذاب ، وطريق الساحل . كما إهتم سلاطين الماليك بخروج ركب الحج المصرى ومعه المحمل الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة ، وكسوة الحجرة النبوية الشريفة التى أوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة في مصر ، لأنها تمثل للعالم الإسلامى أقوى الروابط الدينية ، كما تدل على قوة السلطنة المملوكية .

وكان الحجاز نقطة إلتقاء عدة طرق لقوافل الحجاج والتجار الآتية إليه خاصة وإن الإسلام لا يمنع التجارة مع الحج ، ومن ثم أقيمت الأسواق التجارية في مكة وجدة وبخاصة في موسم الحج . ونظراً لكثرة أرباح التجارة ، وحاجة الأشراف إلى مورد مالي يفي بمطالبهم ومطالب الإمارة ، فقد فرضوا المكوس على الحجاج والتجار وخاصة بعد أن زادت أهمية جدة بسبب إزدياد النشاط التجارى بها ، وكثرة وفود الحجاج إليها ، كما زادت أهمية ميناء عيذاب ، الأمر الذى أدى إلى تدخل سلاطين الماليك أكثر من مرة لمنع أمراء مكة من جبايتها من الحجاج والتجار مقابل تعويضهم مالياً عن ذلك . إلا أنه بعد أن أصبحت جدة في عهد السلطان المملوكي برسبى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ) القاعدة الرئيسية لتجارة البحر الأحمر ، ورأى سلاطين الماليك فيما يجلب من مكوس على التجارة بها بعد هذا التحول الذى شهدته تجارة جدة مورداً مالياً كبيراً يخفف من الضائقة الإقتصادية الشديدة التى

كانت تعاني منها مصر منذ مطلع القرن التاسع الهجري ، فإنهم حالوا دون أمراء مكة وجبايتها على الرغم من أنها كانت خالصة لهم من قبل ، وقاموا هم بجبايتها . بل إنهم لكن يتمكنوا من جباية هذه المكوس على تجارة جدة وضعوا إدارة ميناء جدة تحت سيطرتهم ، وأصبح المكس الذي يجبي على هذه التجارة بجدة معترفاً به بفتوى شرعية ، ولم يعد إجراءً وقتياً يلغى عند تحسن الأحوال .

ولكن على الرغم من فرض سلاطين المالك المكوس على تجارة جدة وعلى ما يحمله معهم الحجاج في عودتهم من سلع ، إلا أنهم اهتموا بشئون الحرمين ، وأفاضوا على أهالي الحرمين ، وعلى أمراء مكة والمدينة الكثير من العطايا والمبرات ، كما أوقفوا الأوقاف الكثيرة التي أسهمت بريعتها الوفير في مساعدة الفقراء والعاجزين على أداء فريضة الحج ، كما اهتموا بتوفير المياه ، فأجروا العيون وحفروا الآبار ، وأقاموا المطاهر والأُسبلية ، كما أنشأوا الكثير من المساجد والأربطة ، وبنوا المدارس ، واهتموا بالبيمارستانات التي كانت تؤدى خدمات كبرى للحجاج والزوار .

وموجز القول ، فإن دولة المالك بما تحقق لها من صدارة العالم الإسلامي في زمانها ، ومن سيادة فعلية على بلاد الحجاز ، ومن وجوه الشراء الكبير لسلاطينها ولأمرائها ولكبار رجالها أمكنها القيام بهذه الإنجازات الكبرى في بلاد الحجاز بعامة ، وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة بخاصة ، والتي تتمثل في كل ما يتصل بطرق الحج ومرافقه تيسيراً على المسلمين كافة فسي أدائهم لفريضة الحج .

وإن القارىء بعد قراءته لفصول هذه الرسالة ، لا يسعه إلا أن
يقدر حجم وضخامة هذه الإنجازات المتصلة بالحج والحجاج في العصر
المملوكي .

غير أن دولة المماليك بعد أن بدأ الضعف يدب فيها في نهاية
القرن التاسع الهجري بعد إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذى أثير
كثيراً على تجارة ميناء جدة ، أخذت إهتماماتها بمرافق الحج تقل عما كانت
عليه من قبل .

هذا وتتلخص النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة عن طرق
الحج ومرافق الحج في الحجاز في العصر المملوكي فيما يلي :

أولاً : أن هذه الدراسة تناولت وصف طرق الحج الرئيسية الأربعة ،
وبخاصة الطريق المصرى والطريق الشامى ، وما أقيم بهما على
يد سلاطين المماليك وأمرائهم من مرافق وخدمات تيسيراً على
الحجاج في سلوكهم لها ، ومساهمة أهل الخير في انشاء الآبار .

ثانياً : أنها تضمنت إحصاءاً شاملاً وفقاً للتسلسل الزمني لكل ما قام به
سلاطين المماليك في الحجاز سواء فيما يختص بالغاء المكوس
على الأُطعمة ، أو ما قدموه لأهالي الحرمين الشريفين ، ولاُمرأ
مكة والمدينة من أعطيات ، أو ما قاموا به بتوفير الأُطعمة والمياه
في مكة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة ، أو ما قاموا به في المدينتين
المقدستين من خدمات دينية ومدنية لأهلها ولحجاج بيت الله
ولزوار رسوله ، صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : كما أن الدراسة اشتملت على أمور أخرى منها المؤسسات التعليمية كالمدارس والأربطة التي أنشأها أناس آخرون غير سلاطين الماليك وأتباعهم.

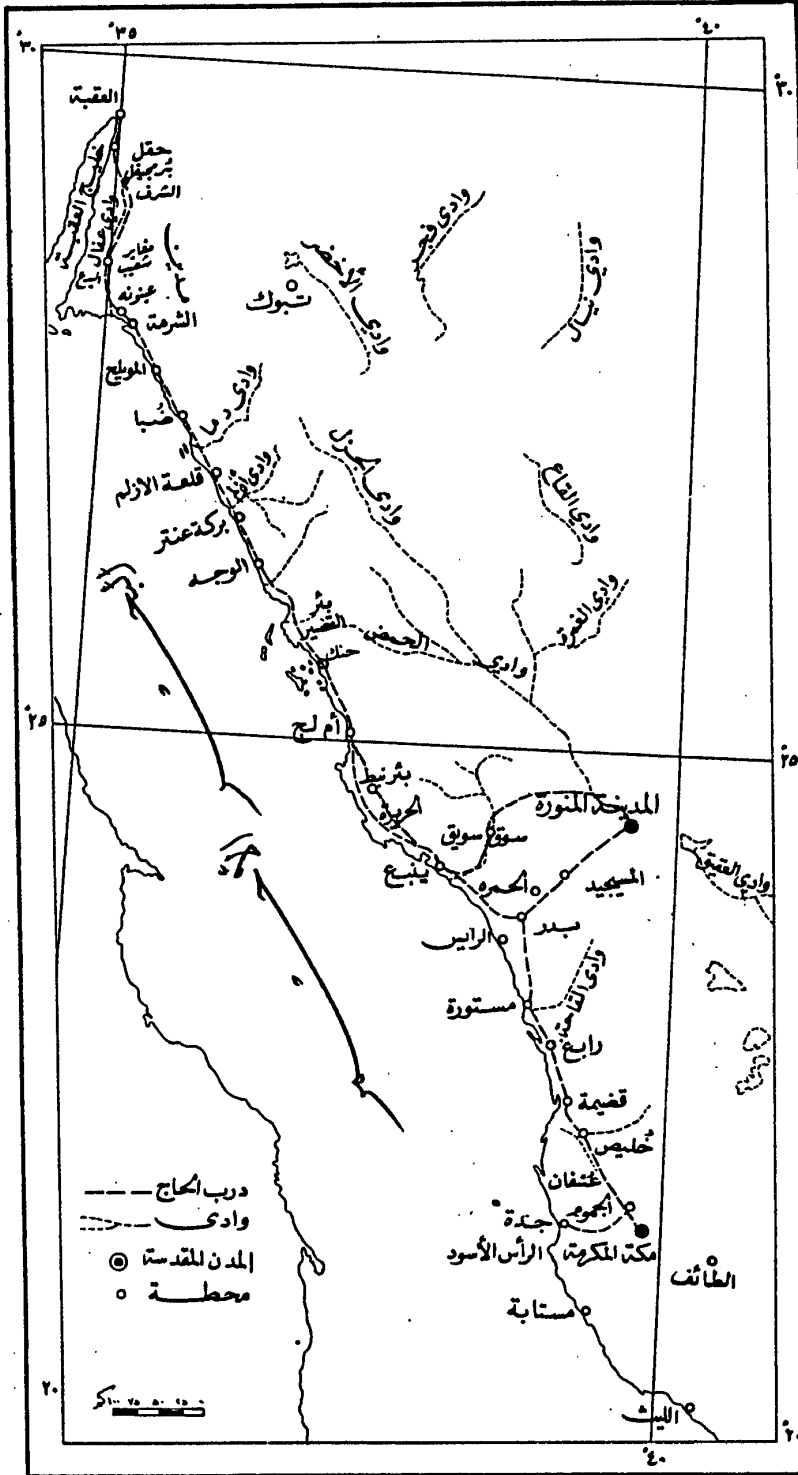
رابعا : كما تضمنت هذه الدراسة شئون التجارة وكيف تحولت طرق التجارة من عدن إلى جدة ، وسبب هذا التحول لتجارة الشرق الأقصى تغيير ميزان القوى السياسية واخضعت مصر جدة للإدارة المصرية .

وختاماً أرجو من الله العلى القدير أن يسدد خطانا ويوفقنا لما فيه الخير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الملاحق

- ١ - الخرائط .
- ٢ - حجة وقف الناظر محمد بن قلاوون .
- ٣ - حجة وقف الأشراف شعبان .
- ٤ - نص اللوحة التأسيسية لعين مرفعة في عهد السلطان قايتباي .

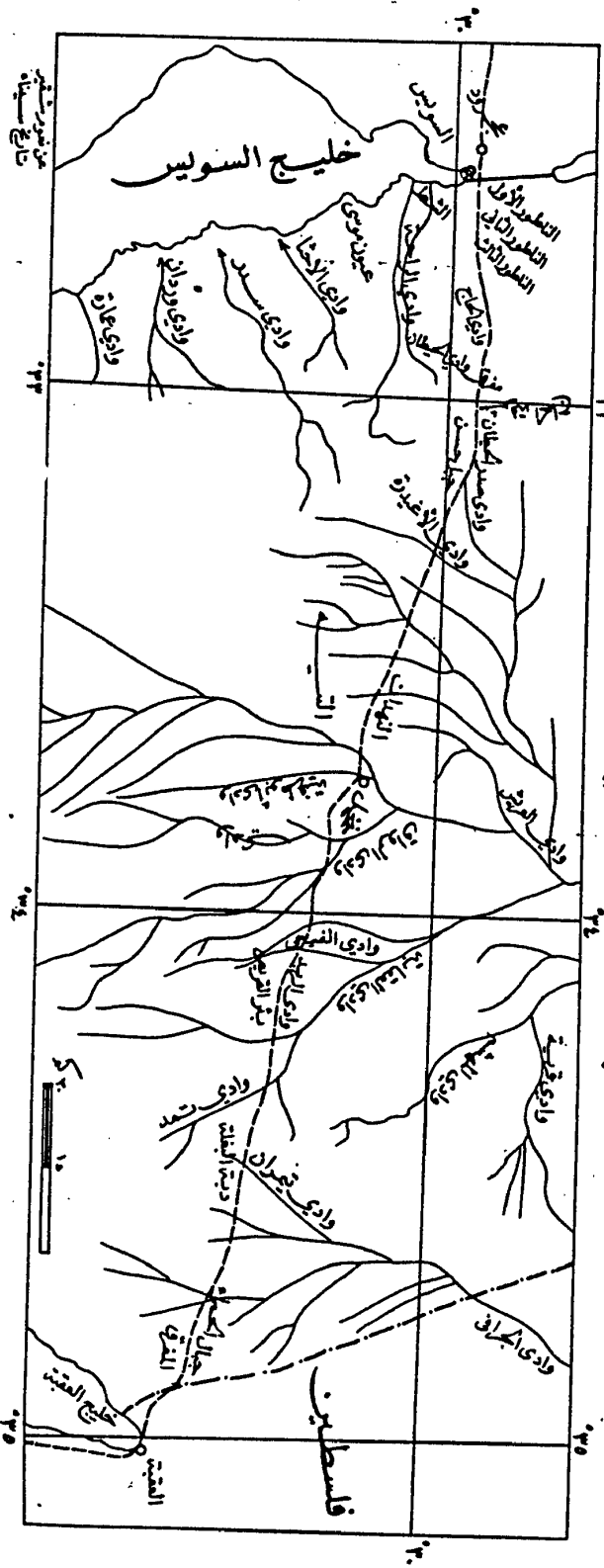
درب الحاج المصري طريق الساحل



سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج .

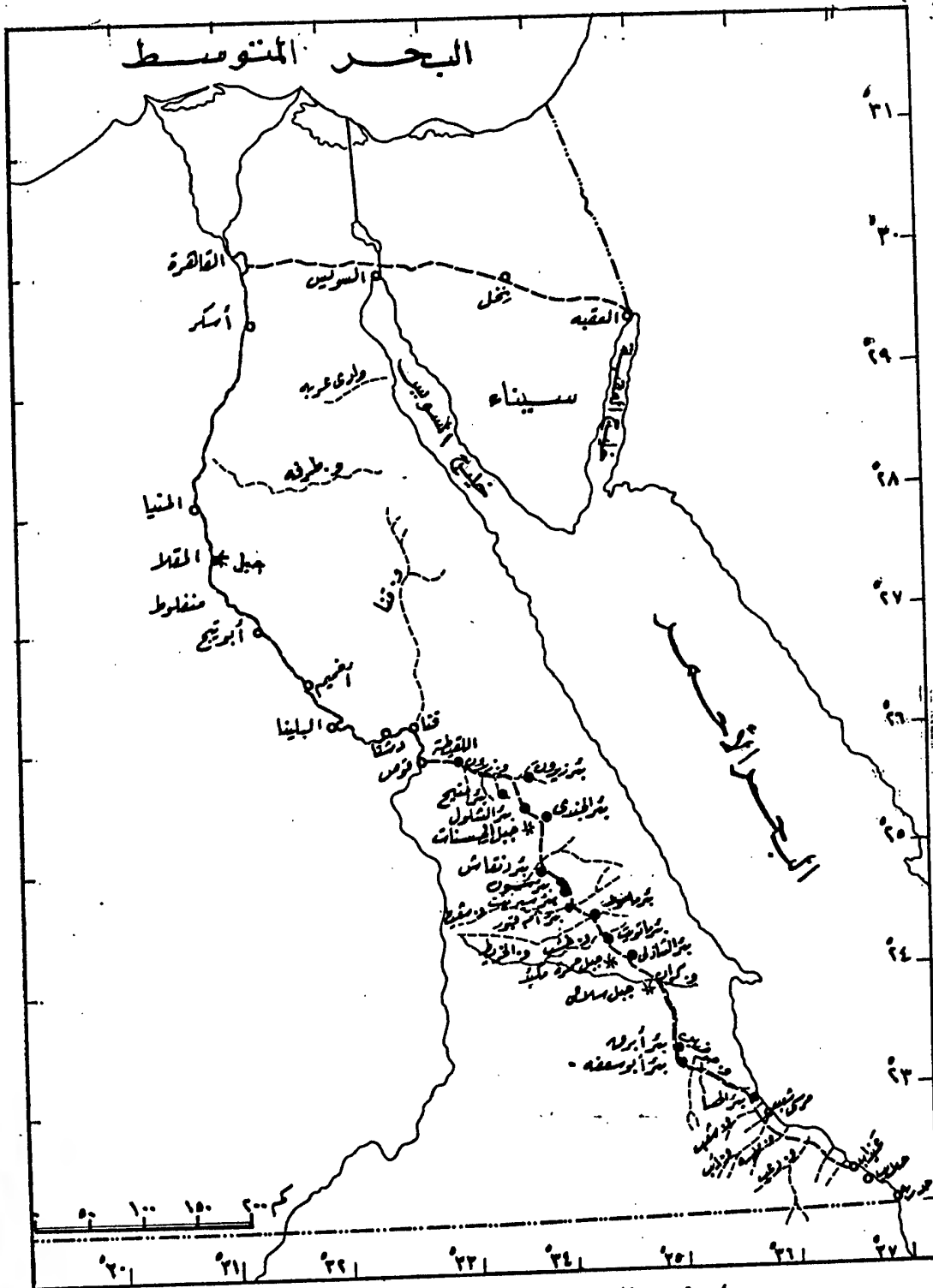
(خريطة رقم ١)

درب الحاج المصري عبر شبه جزيرة سيناء



سيدى عبد المجيد يكر: الملاح الجغرافية لدرب الحج مصر ١٠٩

(خريطة رقم ٢)

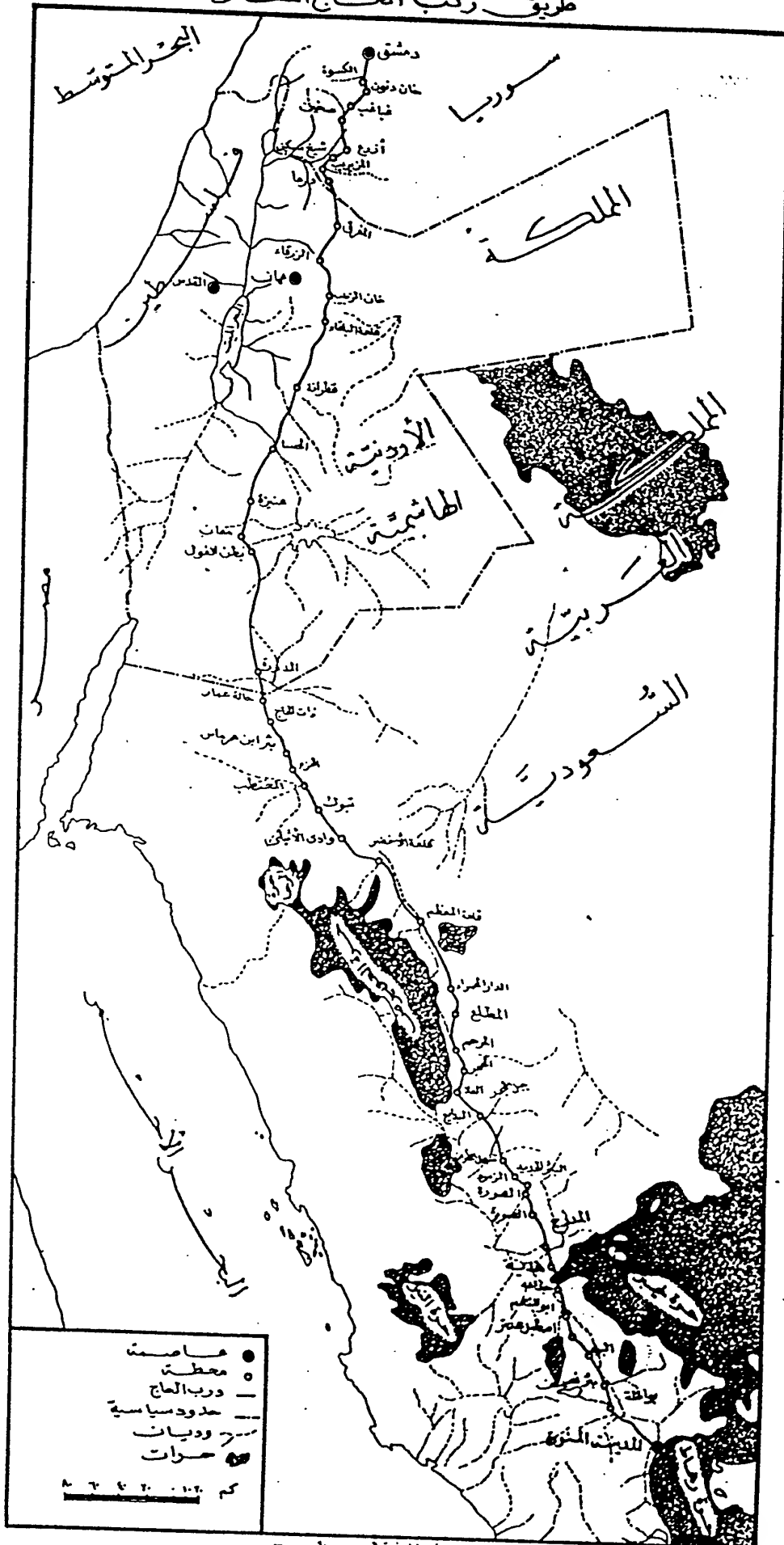


طريق القاهرة عيذاب

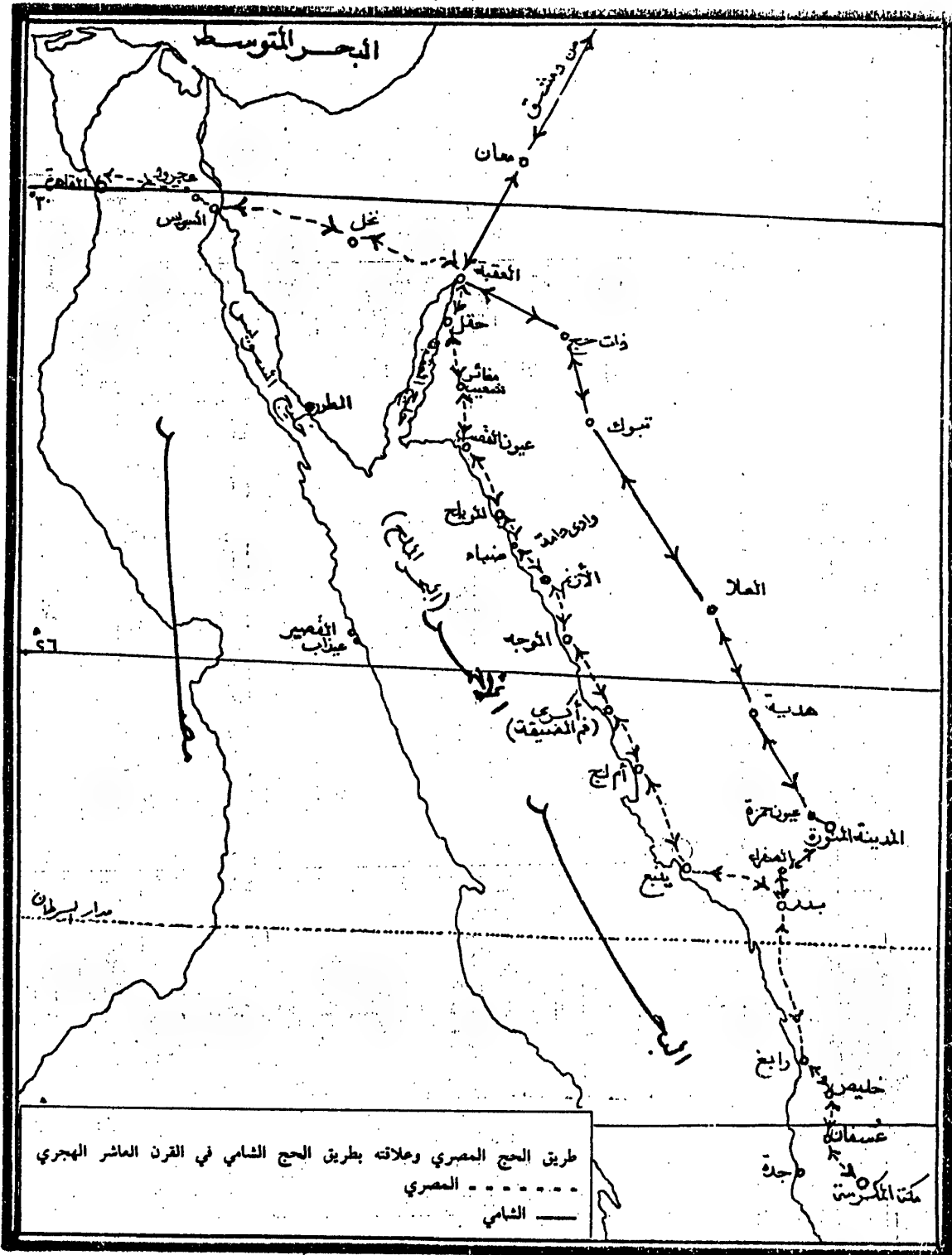
سيد عبد المجيد بكر : الملاح الجغرافية لدروب الحجيج .

(خريطة رقم ٣)

طريق ركب الحاج الشامي



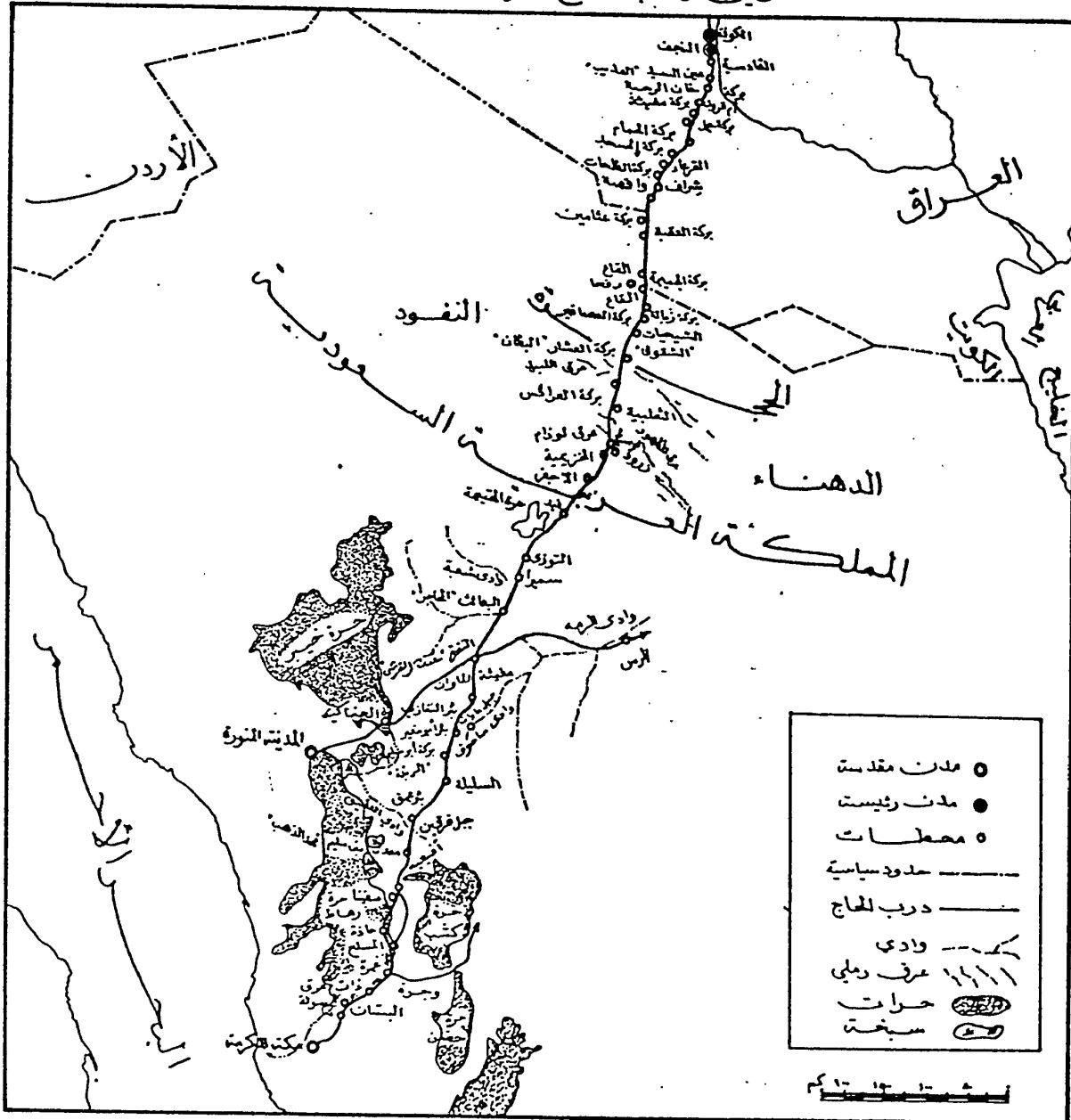
المصدر : السيد عبد المجيد بك ، الملاح الجغرافية لدروب العبيد



عند المنعم رسلان : الأزم خانا وبرجا .

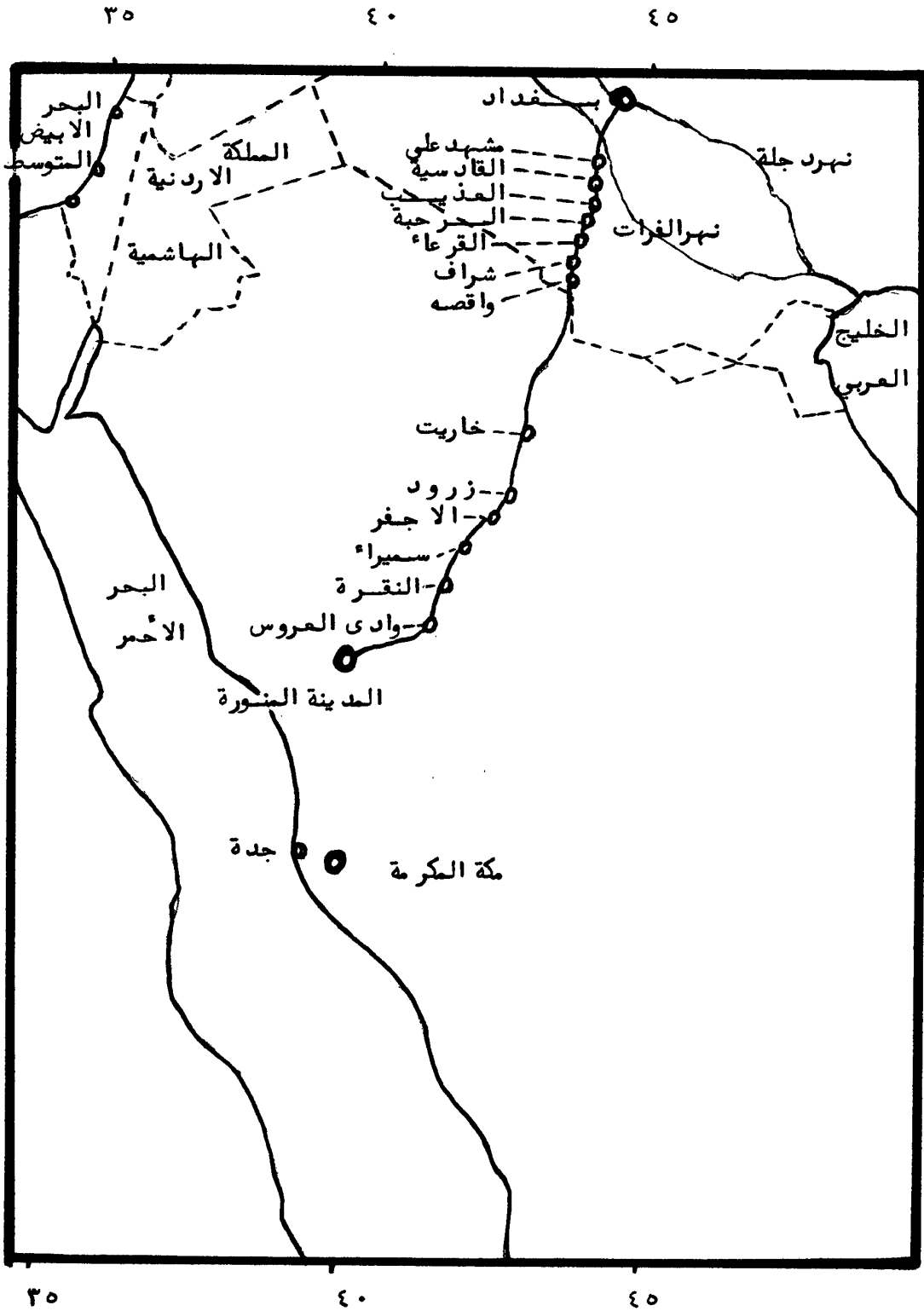
(خريطة رقم ٥)

طريق ركب الحاج العراقي



المصدر : سبيل عبد الحميد بك ، الملاح الجغرافية لدروب الحجيج

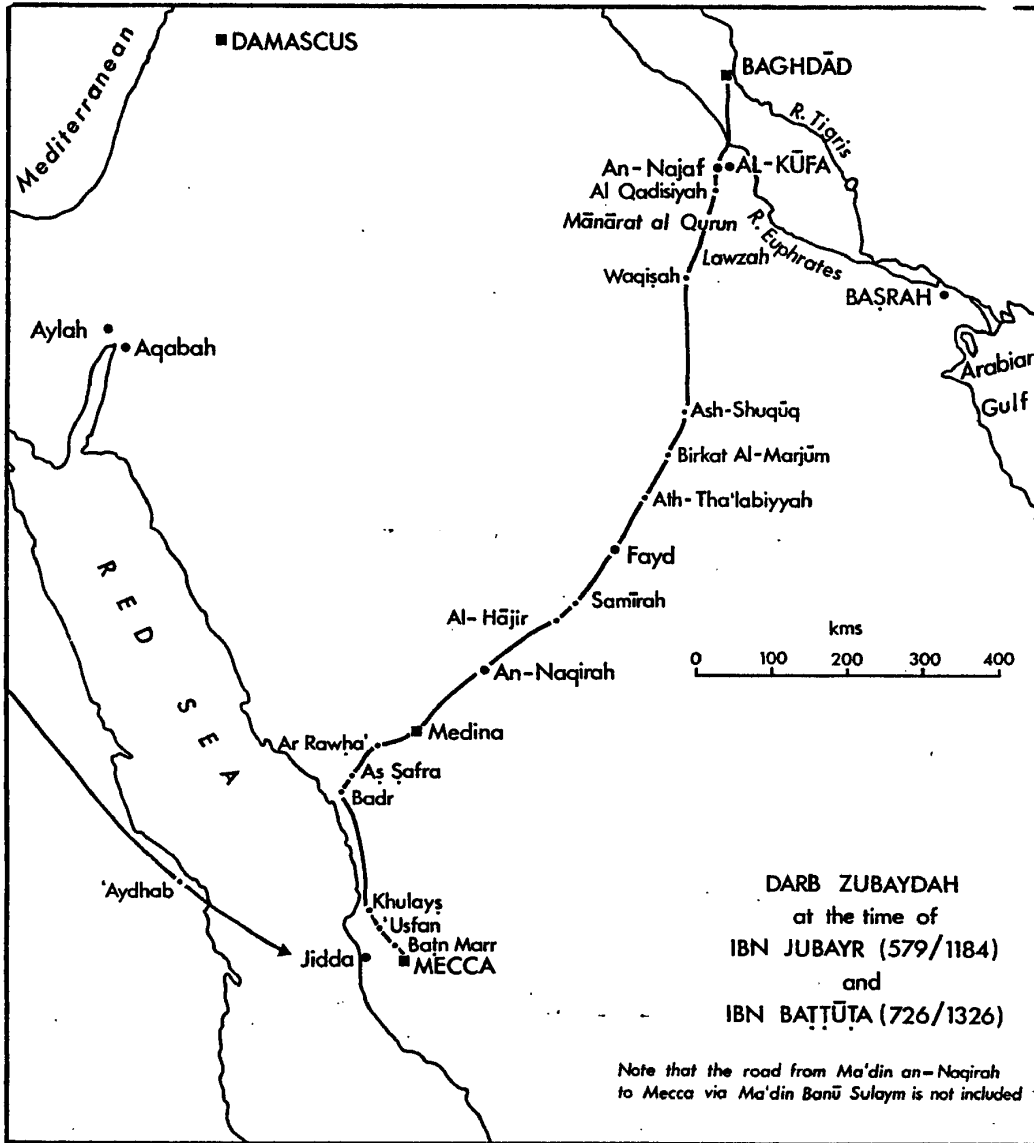
(خريطة رقم ٦)



(خريطة رقم ٧)

خريطة ركب الحاج العراق

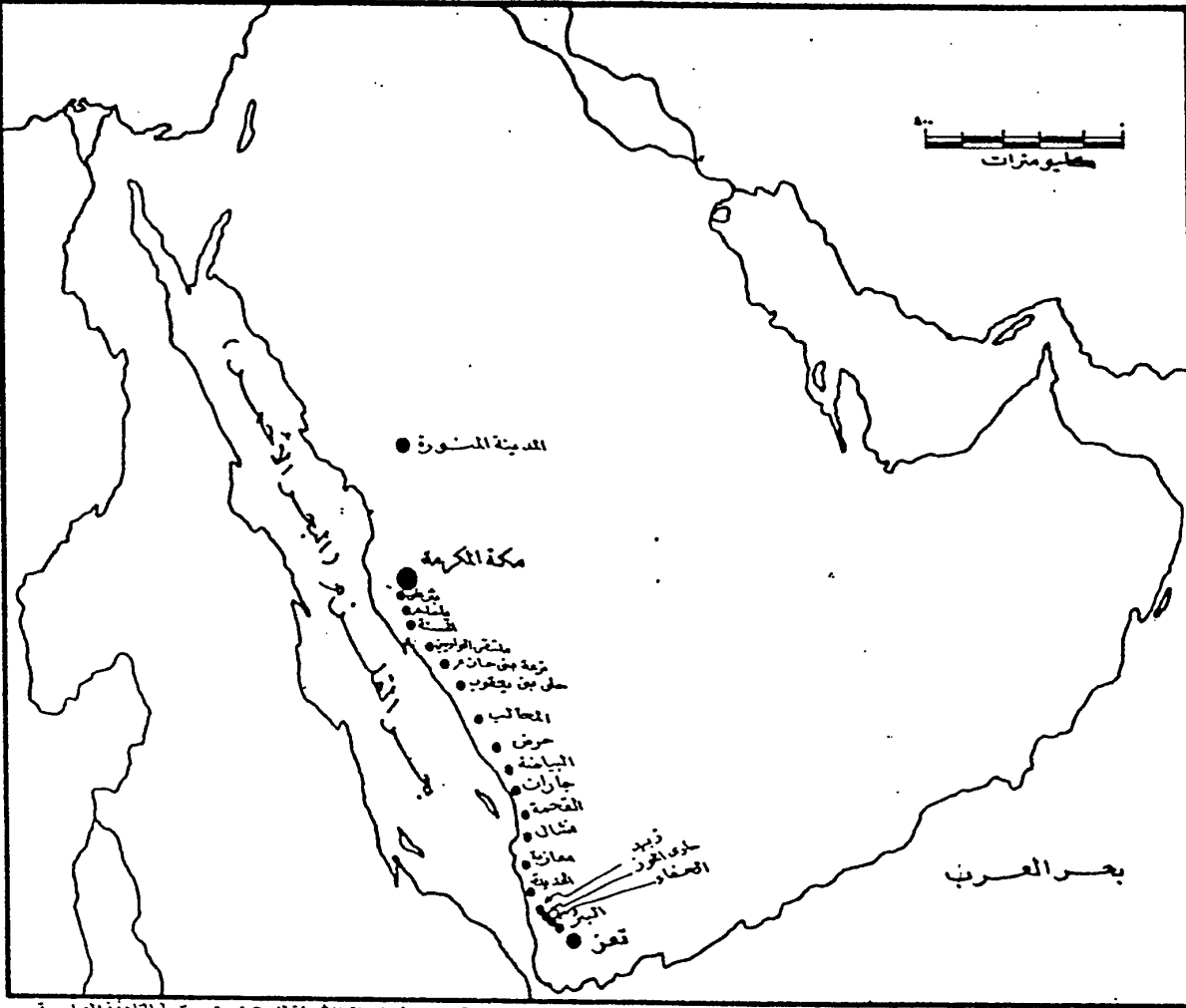
Map II



Saad Al-Rashid: Darb Zubaydah.

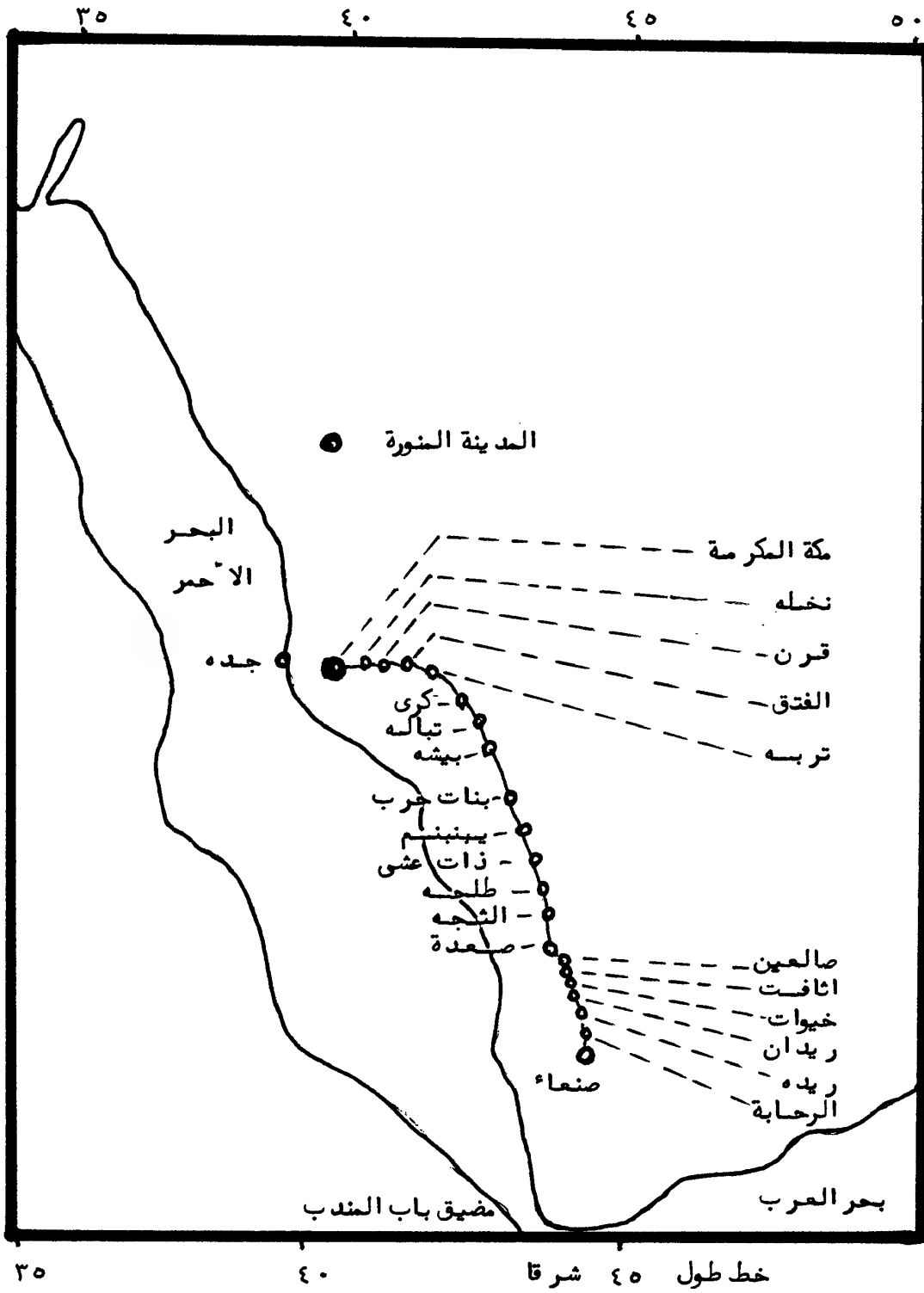
(خريطة رقم ٨)

طريق ركب الحاج اليماني الساحلي



المصدر : سليمان عبد الغني مافكي ، مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية

(خريطة رقم ٩)



(خريطة رقم ١٠)

طريق ركب الحاج اليمني الداخلي

ملحق (٢)

هذا الملحق هو نص حجة وقف الناصر محمد بن قلاوون بتاريخ

١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٢٤ هـ^(١).

نص شروط كتاب الوقف :

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢ - هذا كتاب وقف صحيح شرعي وحبس صريح دائم مرضى وقف فيه على مولانا المقام
- ٣ - الاعظم الشريف العالي المولوى السلطاني العالمي العادل المجاهدى المرباطى الليثي الهطاي
- ٤ - المؤيدى المظفرى المنصورى المالكى الملكى الناصرى الناصرى ناصر الدنيا والدين وسلطان الاسلام
- ٥ - والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفرة والمشركين محى العدل في العالمين منصف المظلومين
- ٦ - مبيد الطغاة والمارقين ظل الله الوارف ورحمته السابغة للبيادى والعاكف وناصر دينه الذى
- ٧ - قطعت الآراء بتفضيله فلا مخالف أبى الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه وسلطانه وأدام
- ٨ - على كافة الرعايا عدله وإحسانه وجدد له كل يوم نصرا وملكه بساط الأرض برا وبحرا ابن
- ٩ - مولانا السيد الأجل السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين سلطان

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٨٥.

- ١٠- الاسلام والمسلمين والد الملوك والسلاطين محي العدل في العالمين
قسيم أمير المومنين أبي المظفر
- ١١- فلاوون الصالح تغمده الله برحمته واسكنه نسيح جناته وكيله
سيدنا العبد الفقير
- ١٢- الى الله تعالى تاج الدين سيد الروساء في العالمين ملجأ القاصدين
نذر العالمين كهف الفقراء والمساكين
- ١٣- صفوة الملوك والسلاطين خالصة قسيم أمير المومنين أبو اسحاق عبد
الوهاب ابن عبد الكريم متولى الوكالة الشريفة
- ١٤- السلطانية الملكية الناصرية ، وناظر الخواص الشريفة السلطانية الملكية
الناصرية اسبغ الله ظله
- ١٥- ورفع محله حسبما وكله اعزاله أنصاره في جميع ما يذكر فيه التوكيل
الشرعي بشهادة من
- ١٦- يعينه في رسم شهادته آخره واشهد عليه سيدنا العبد الفقير الى
الله تعالى تاج الدين الوكيل المسمى
- ١٧- احسن الله اليه أنه وقف وحيص وسبل وأبد وحرم عن موكله مولانا
السلطان الملك
- ١٨- الناصر المسمى اعزاله انصاره بمقتضى التوكيل المشروح فيه جميع
الحصة التي مبلغها النصف
- ١٩- والثلث عشرون سهما من أربعة وعشرين سهما شائعا غير مقسوم من جميع
أراض الناحية المعروفة
- ٢٠- بسر يا قوم وما هو من حقوقها الاتي ذكر ذلك ووصفه وتحديد فيه
الجاري ملك ذلك بكماله في ملك مولانا

- ٢١- السلطان الملك الناصر الموكل الموقوف عنه المسمى فيه خلد الله مملكته
وادام دولته وتصرفه وحياته
- ٢٢- ووقف منه هذا الواقف المذكور هذه الحصة المذكورة على الوجه الذى
يشرح فيه والمصارف
- ٢٣- التى تبين فيه والباقي من ذلك وهو السدس أربعة اسهم شائعا وقفه
الواقف المذكور عن موكله مولانا السلطان
- ٢٤- الملك الناصر المسمى اعزالله انصاره قبل تاريخه على الجنب العالى
الاميرى الكبيرى الشهابي شهاب الدين احمد بن المقر الاشرفي
- ٢٥- العالى المولوى الاميرى السيفي بكتمر الساقى الملكى الناصرى اعزّه
الله تعالى بكتاب مفرد بيده وهذه الناحية
- ٢٦- المعروفة بسرياقوس المذكورة من اعمال القليوبية تشتمل على أراضي
بقا وبرايب وخرس ومستبحر
- ٢٧- وجسور وغير ذلك وعلى اثنتي عشر حانوتا يشتمل كل منها على مسطبة
وسقيفة ودراريب وداخل ومرافق
- ٢٨- وحقوق منها حانوت واحد مجزرة وحانوت ثان مصبغة وجملة مساحة
أراضيها بكاملها ثلاثة الاف فدان.
- ٢٩- وثمانية أفدنة بالقصبة الحاكمة منها رزق احباسية خارجة عن الوقف
المذكور أربعة وثلاثون فدانا وبقا
- ٣٠- ذلك ألفا فدان وتسعمائة فدان وأربعة وسبعون فدانا بالقصبة
الحاكمة داخل منه فظير هذه الحصة في هذا الوقف
- ٣١- فمن ذلك ما هو حامل الانشاب وأبنية البساتين بالناحية المذكورة
مائتا فدان وخمسة وعشرون فدانا ونصف فدان

- ٣٢- ومن ذلك ما هو للزراعة ألفا فدان وأربعمئة فدان وثلاثة وستون فداناً منه طين يعرف بالمعارمة ألف فدان
- ٣٣- وسبعمئة فدان واثنان عشر فداناً وطين يعرف بالتاجرة سبعمئة فدان وأحد وخمسون فداناً وباقي ذلك وهو
- ٣٤- مائتا فدان وخمسة وثمانون فداناً ونصف فدان خرص وزبل ومستبحر وأرض الذميمة والجسور والجرون فيه
- ٣٥- بهذه الناحية المذكورة بكمالها ويجمعها ويحصرها ويشتمل عليها على سائر حقوقها كلها حدود أربعة الحد
- ٣٦- القبلي ينتهي إلى أراضي الناحية المعروفة بالمحرص وإلى أراضي حى الخنافس وإلى الجسر المعروف بجسر
- ٣٧- الفول والحد البحرى ينتهي إلى كوم ريحان المعروف بمنايل الشخوصى وإلى أرض منا جعفر
- ٣٨- المجاورة للساسم والحد الشرقى ينتهي من أوله إلى آخره إلى الرمال والحد الغربى
- ٣٩- ينتهى إلى أراضي كوم السمن وكوم الهوا وأراضي الناحية المعروفة ببلقس الوقف على الأضراف والحوانيت
- ٤٠- المذكورة صفان شرقى وغربى فالشرقى ستة حوانيت تحيط بها حدود أربعة الحد القبلي ينتهي إلى الطريق
- ٤١- المسلوك والحد البحرى ينتهي إلى الطريق أيضاً والحد الشرقى إلى الخليج ومزارع بالأرض المذكورة
- ٤٢- والحد الغربى ينتهي إلى الطريق الفاصلة بينها وبين بقية الحوانيت المذكورة والستة الباقية في الجهة الغربية تحيط بها .

- ٤٣- حدود أربعة الحد القبلي ينتهي الى الطريق المسلوك والحد البحرى
ينتهى الى الطريق ايضا والحد الشرقى
- ٤٤- ينتهى الى الطريق الفاصلة بينها وبين الحوانيت المقدم ذكرها والحد
الغربي ينتهى الى ذمية الناحية المذكورة محدود
- ٤٥- ذلك كله وحقوقه وما يعرف به وينسب اليه من حقوقه كلها الداخلة فيه
والخارجة عنه خلا ما فيها من مسجد لىله
- ٤٦- تعالى وطريق المسلمين ومقبرة برسم دفن موتاهم وخلا ابنية الذمية
المذكورة وأنشأ البساتين وآبارها وأبنيتها
- ٤٧- وخلا الرزق الا حباسية التي بأرض الناحية المذكورة المستثناة بأهاليه
وهو خمس رزق مساحتها أربعة وثلاثون فدانا
- ٤٨- منها عشرة أفدنة باسم الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس وهي رأس
حوض يعرف بالصابونة وعزبته حدها
- ٤٩- القبلى الى الطريق والبحرى الى كوم يعرف بالعره والشرقى الى
الطريق وينتهى الى جسر يعرف ... ومنها
- ٥٠- قطعة تعرف برزقة حوض السبيل وهي عشرة أفدنة بحوض الحرس
حدها القبلى والبحرى والشرقى الى الخرس
- ٥١- والغربي الى الرملة ومنها ثلاثة أفدنة ونصف فدان تعرف برزقة
الشيخ ذكرى بحوض يعرف بهرينة
- ٥٢- حدها القبلى غيط بيليك والبحرى الى ذمية الناحية المذكورة والشرقى
الى غيط يعقوب والدربي الى
- ٥٣- الطريق المسلوك ومنها رزقة خطابة الناحية المذكورة سبعة أفدنة
ونصف فدان بحرى حوض يعرف

- ٥٤- بالصابونية حدها القبلي الى حوض الصابونية والبحرى الى ارى مناجعفر
والشرقي الى ارض تعرف بالكرمية
- ٥٥- من اراضي سرياقوس والغربي الى حوض يعرف بالفضالى ومنها رزقة
تعرف بعبد المحسن ثلاثة افدنة بحوض
- ٥٦- يعرف بالفضالى حدها القبلي الى حوض الصابونية وبحريها الى
منايل الشخوصي وشرقيها وغربيها الى حوض
- ٥٧- الفضالى فان هذا المستثنى لم يدخل ولا شي منه في هذا الوقف ولا
في شي منه وقفا صحيحا
- ٥٨- شرعيا وحبسا صريحا مرضيا دائما مرعيا لا يباع ولا يورث ولا يرهن
ولا يملك ولا يناقل به ولا يجب عقد من
- ٥٩- عقود قائما على اصوله محفوظا على شروط التي تذكر فيه الى ان
يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
- ٦٠- على ما ياتي ذكره فيه مفصلا وشرحه معينا مبينا فمن ذلك حصّة
مبلغا النصف والرّبع وثمانية عشر سهما
- ٦١- من أصل أربعة وعشرين سهما شائعا من جميع اراضي الناحية المذكورة
والحوانيت المذكورة خلا المستثنى فيه وقفها
- ٦٢- الواقف المسمى فيه على موكله مولانا المقام الشريف العالي المولوى السلطان
الملكي الناصرى الناصرى
- ٦٣- ناصر الدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك
والسلاطين قسيم امير المؤمنين
- ٦٤- ابي الفتح محمد الموكل المسمى اعلاه اعز الله انصاره وضاعف اقتداره
مدة حياته

- ٦٥- جعلها الله تعالى مباركة طيبة ثم من بعده على أولاد مولانا السلطان
الملك الناصر المسمى اعز الله
- ٦٦- انصاره الذكور والاناث يستقل الواحد منهم عند انفراده ذكرا كان
أو أنثى ويشترك فيه الاثنان
- ٦٧- فما فوقهما عند الاجتماع بينهم بالسوية لا يفضل ذكر منهم على أنثى
ثم على أولادهم كذلك ثم على أولاد
- ٦٨- أولادهم وأنسالهم وأعقابهم الذكور والاناث من ولد الظهرو من ولد
البهن تحجب الطبقة العليا
- ٦٩- منهم أهد الطبقة السفلى كل ذلك على وجه المبين بعد والتفصيل الذى
يشرح ويبين على أنه من توفى
- ٧٠- منهم اجمعين وخلف ولد أو ولد ولد وأن سفل انتقل ما كان جاريا
على المتوفى من ذلك حين وفاته
- ٧١- الى اولاده ثم الى اولاد أولاده ونسله وعقبه على الشرط والترتيب
المشروحين فيه فان لم يترك المتوفى
- ٧٢- منهم ولدا ولا ولد ولد ولا نسلا ولا عقباً انتقل ما كان جاريا عليه من
ذلك الى اخوته واخواته المشاركين
- ٧٣- له في استحقاق ذلك بينهم بالسوية مضافا الى ما هولهم من ذلك
فان لم يكن له أخ ولا اخت منهم انتقل نصيبه
- ٧٤- الى اقرب الطبقات الى المتوفى المذكور من بقية أهل هذا الوقف
يستقل به الواحد عند انفراده ويشترك فيه الاثنان
- ٧٥- فما فوقهما عند الاجتماع بينهم بالسوية ثم من بعد من ينتقل ذلك
اليه الى اولاده ثم الى اولاد اولاده على

- ٧٦- الوجه المشرح فيه وعلى أنه من توفى منهم اجمعين قبل دخوله نسي هذا الوقف واستحقاقه لشيء من منافعه وخلف
- ٧٧- ولدا أو ولد ولد وأن سفل ثم آل الوقف الى حال لو كان المتوفا حيا باقيا لاستحق ذلك أو شيئا منه فأمر
- ٧٨- ولده ثم ولد ولده وأن سفل مقامه في الاستحقاق واستحق ما كان أصله يستحقه من ذلك لو كان حيا ومتى
- ٧٩- كان في اهل هذا الوقف فقيرا ومن ليس له كفاية تليق بحاله صرف الى كل منهما من ربيع هذا الوقف ما يقوم بكفايته
- ٨٠- على قدر حاله مقدما على غيره ثم صرف الباقي بين جميع ذرية مولانا السلطان الملك الناصر المسمى
- ٨١- اعزاله انصاره على حكم الشروط المشروحة اعلاه يجرى ذلك عليهم كذلك الى حين انقراضهم فاذا انقرضوا
- ٨٢- باجمعهم وابادهم الموت عن آخرهم ولم يبق منهم أحد كان ذلك وقفا مصروفا ريعه في وجوه البر والقربات
- ٨٣- العامة من اطعام وتسبيل الماء العذب وكسوة العرايا واغاثة الملهوفين وقضاء دين المدينين وتجهيز الحجاج والغزاة
- ٨٤- وفكك اسرى المسلمين من أيدي العدو والمخدول وغير ذلك من انواع البر والقربات على ما يراه الناظر ويؤدى اليه اجتهاده ومن
- ٨٥- ذلك حصة مبلغها سهم واحد من أربعة وعشرين سهما سائعا من جميع أراضي الناحية المذكورة والحوانيت
- ٨٦- المذكورة خلا المستثنى فيه وقفه الواقف المذكور عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر المسمى خلد الله ملكه

- ٨٧- على أن الناظر في هذا الوقف يجمع ريعه في كل سنة ويرسل ما يتحصل منه الى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به الى
- ٨٨- مكة شرفها الله تعالى والى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ويصرفه المسير على يده في
- ٨٩- تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة الشريفتين لعدم الزاد والراحلة يصرف ذلك اليهم على ما يراه فيما يحتاجون
- ٩٠- اليه من زاد وراحلة لتوصلهم الى الديار المصرية أو الى أوطانهم أسوة أمثالهم من الحجاج ويقدم الأُحوج
- ٩١- منهم فالأُحوج ومن ذلك حصة يبلغها نصف سهم من أربعة وعشرين سهماً شائعاً من جميع ما ذكر ووصف
- ٩٢- وحده أعلاه خلد المستثنى به فيه وقفها الواقف المسمى فيه احسن الله اليه عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر
- ٩٣- المسمى اعز الله أنصاره على فكك أسرى المسلمين من أيدي العدو والمخدول حيث كانوا فان تعذر صرف ريع هذا
- ٩٤- النصف سهم المذكور فيما ذكر جمعه الناظر تحت يده مدة خمس سنين فان زال التعذر في هذه المدة صرف ريع ذلك في
- ٩٥- فكك أسرى المسلمين على ما شرح اعلاه فان استمر التعذر بعد انقضاء هذه المدة المذكورة صرف الناظر جميع ما جمعه من
- ٩٦- ذلك للفقراء والمساكين المسلمين وفي أبواب البر والقربات المشروحة بأعليه على ما يراه ثم يستأنف للإدخار والجمع مدة
- ٩٧- أخرى وفعل فيها كذلك أبداً أبداً الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وباقي هذه الحصة الموقوفة

- ٩٨- وهو نصف سهم من أربعة وعشرين سهما شائعا من جميع أراضي الناحية المذكورة والحوانيت المذكورة خلا المستثنى به فيه
- ٩٩- المشار الى ذكر ذلك جميعه بأعاليه وقفه الواقف المسمى احسن الله اليه عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر
- ١٠٠- المسمى خلد الله مملكته وقفا شرعيا على أن الناظر في هذا الوقف يصرف ربيع هذا النصف سهم المذكور في
- ١٠١- خلاص المسجونين من سجون الحكم العزيز بالقاهرة ومصر المحروستين باداء ما اعتقلوا عليه أو المصالحة عليه على ما يراه الناظر
- ١٠٢- فان تعذر الصرف الى مصارف السهمين المذكورين بأعاليه والعيان بالله تعالى صرف ريعهما الى الفقراء والمساكين
- ١٠٣- المسلمين وفي أبواب البر والقربات المشروحة بأعاليه على ما يراه الناظر في ذلك ويؤدى اليه اجتهاده فان زال
- ١٠٤- التعذر عاد الصرف في مصارف السهمين المذكورين اعلاه على ما شح اعلاه يجرى الحال في ذلك كذلك أبد الابدين
- ١٠٥- ودهر الداهرين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وشرط الواقف المسمى احسن الله اليه أن لا
- ١٠٦- يؤجر ذلك ولا شيء منه أكثر من سنة فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ولا يدخل عقدا على عقد حتى تنقضي مدة العقد
- ١٠٧- الأول ويستغل ربيع ذلك بوجه الاستغلال الشرعي ويصرفه في مصارفه المعينة اعلاه وشرط
- ١٠٨- ايضا الواقف المسمى احسن الله اليه النظر في ذلك والولاية عليه لموكله مولانا السلطان الملك الناصر

- ١٠٩- المشار اليه خلد الله مملكته وله أن يوصى بذلك ويفوضه ويسنده لمن يختار فان مات عن غير وصية ولا اسناد
- ١١٠- أو وصى وتعذر تصرف الموصى اليه بوجه من الوجوه كان النظر فيه للأرشد فالأرشد من أولاده وأولاد
- ١١١- أولاده ونسله وعقبه فان لم يكن فيهم رشيد أو كانوا وانقرضوا كان النظر فيه للأكبر الأصح من عتقا
- ١١٢- مولانا السلطان الملك الناصر المشار اليه أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره الرجال خاصة فان
- ١١٣- اجتمع جماعة اكابر صالحون أهل للنظر قدم أوجههم واكثرهم ديانة واكبرهم سنا فان استوى
- ١١٤- اثنان في ذلك فاكثر قدم الأدين منهم فاذا انقرضوا أو تعذر نظرهم بوجه كان النظر في ذلك
- ١١٥- والولاية عليه لحاكم المسلمين الشافعي بالديار المصرية فقد تم هذا الوقف وأبرم ونفذ
- ١١٦- كله وأنبرم وصار وقفا على ما نص وشرح بأعاليه فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم ويعلم
- ١١٧- أنه الى ربه الكريم صائر أن يغير ذلك ولا شيئا منه ولا يبدله ولا يبطله ولا يسمى في ابطاله ولا في
- ١١٨- ابطال شيء منه فمن دخل ذلك أو أعان عليه فالله طليبه وحسيبه ومو أخذه بفعله ومجازيه بعمله
- ١١٩- (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه

- ١٢٠- والله رؤوف بالعباد (١) ومن اعان على ابقائه وتقريره في أيدي مستحقه وصرفه في جهاته برد الله مضجعه ولقنه حجة
- ١٢١- وجعله من الامنين الذين (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢)
- واشهد عليه الواقف المذكور احسن الله اليه وأسمع
- ١٢٢- بذلك كله في اليوم المبارك العاشر من جمادى الآخرة سنة أربعة وعشرين وسبعمائة احسن الله نفعها وحسبنا الله ونعم الوكيل
- ١٢٣- اشهدني سيدنا العبد الفقير اشهدني سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الى الله تعالى
- ١٢٤- تاج الدين سيد الروء سا* تاج الدين سيد الروء سا* في العالمين في العالمين كهف الفقراء
- ١٢٥- كهف الفقراء* والمساكين والمساكين الواقف المسمى الواقف اعلاه ادام الله
- ١٢٦- المسمى اعلاه ادام الله توفيقه وتسيده بما نسب اليه من الوقف
- ١٢٧- وتسيده بما نسب اليه من المسطر اعلاه على ما نص الوقف وشرح اعلاه
- ١٢٨- المسطر اعلاه على ما نص فشهدت عليه بذلك في العاشر من جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبعمائة وشرح

(١) سورة آل عمران آية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨ .

- ١٢٩- اعلاه فشهدت عليه بذلك كتبه جرى الشافعي عفا الله
في العاشر عنه وكرمه
- ١٣٠- من جمادى الآخرة سنة أربع شهد عندي بذلك
وعشرين وسبعمائة
- ١٣١- كتبه محمد بن نصر الله بن
عبد الوهاب المالكي الجوهري
شهد عندي بذلك
- ١٣٢- ثاني نسخة
في أصله

ملحق (٣)

هذا الملحق هو نص حجة وقف مآثر السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون بالحرمين الشريفين وما أبطله بهما من مكوس المؤرخة في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ ،^(١) أما النص فهو على النحو التالي :

- ١ - أنشأ مولانا السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه خلد الله مملكته وأدامه .
- ٢ - وأدام دولته وتقبل منه بـره وصدقته صرف ربيع الأماكـن الموقوفة أعلاه
- ٣ - التي اقتضى رأيه الشريف وأمره العنيف أن الناظر فيها والمتولى عليها يستغل ربيعها
- ٤ - بوجوه الاستغلال الشرعي ويصرفه فيما يذكر فيه من وجوه البر والقربات التي تذكر فيه فمن ذلك .
- ٥ - ما عين الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره وأدام اقتداره صرفه بالحرمين الشريفين شرفهما الله
- ٦ - الله تعالى وعظمهما حرم مكة وحرم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذكر فيه
- ٧ - فيصرف منه في كل سنة من النقرة ما يتي ألف درهم وخمسة عشر ألف
- ٨ - درهم نقرة نصف ذلك الـربيع ما وقفه مولانا السلطان خلد الله مملكته وأدام دولته وهو

(١) محمد الفهر : الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني ، ص ٥١٨ - ٥٣٣ .

- ٩ - ناحية (اللحمة) وثلاثا (دارج) اللتان وقفهما على أن يستغل ريعهما ويصرف لأمير مكة والمدينة .
- ١٠ - بشرط أنهما لا يتناولان شيئا من المكوس المشرط عدم تناولها بحيث يصير مالا واحدا ويصرف .
- ١١ - منه لأمير مكة المشرفة في كل سنة مائة ألف درهم وستون ألف درهم .
- ١٢ - بشرط أن لا يتناول شيئا من المكوس من حاج ولا مقيم ولا زائر ولا مجتاز من بر أو بحر وما يباع .
- ١٣ - بأسواق مكة من مأكول ومشروب وني ومطبوخ من جميع ما يقتات به من الحنطة والأرز والعدس .
- ١٤ - والشعير والدقيق والحمص وغير ذلك مكيلا أو موزونا أو معدودا أو مذكوعا ولا من الفواكه والثمار .
- ١٥ - والأعشاب والبطيخ ولا من الخضراوات والأعسال والآدهان والآدام ولا من الحيوانات .
- ١٦ - من الأبل والبقر والغنم وغير ذلك وما يحضر اليها من البر والبحر وغيره من ساحل جده ومن وادي نخله .
- ١٧ - والحجاز وسائر المشاعر العظام ولا يتناول شيئا من عشر النخل التي في ولايته ولا نزالة ولا .
- ١٨ - وكالة ولا عرافه ولا رياسة ولا يمكن أحدا من ذريته ولا من نوابه ومباشريه وغيبيده ولا خدمه من .
- ١٩ - التعرض الى أخذ شيء من ذلك ولا يمكن بوابا ولا عريفا ولا سمارا من التعرض الى أخذ شيء من ذلك وأن .
- ٢٠ - من دخل مكة شرفها الله تعالى ترك ومتاعه يبيعه حيث شاء لا يتلقاه أحد من مباشريه ولا .
- ٢١ - من أرباب الدرك ولا غيرهم بطلب مكس ولا غيره خلا تجار العراقيين واليمن وما يحضر معهم من التجارة .
- ٢٢ - فانه يخلو وسيله فيتناول المبلغ المذكور مادم متصفا بالصفة المشروحة فيه فان تناول .
- ٢٣ - شيئا من ذلك أو خرج عما شرطه عليه مولانا السلطان الملك الأشرف أعز الله أنصاره .

- ٢٤ - وأدام اقتداره أضيف إلى ريع باقى الموقوف المذكور وصرف على الحكم الذى يشرح فيه فان .
- ٢٥ - عاد اماكن الصرف اليه عاد ويصرف الى أمير مكه المذكور أعلاه فى كل سنة من النقره خمسة آلاف .
- ٢٦ - درهم نقره عوضا عما كان يتناول من بني شبيه على فتح الكعبة وأخذ ستر الباب وفتح المقام الشريف مقام .
- ٢٧ - ابراهيم عليه الصلاة والسلام يتناول ذلك على ابطال ذلك عنهم فى كل سنة بحيث أنه .
- ٢٨ - لا يتعرض اليهم فى شىء من ذلك ويصرف لأمير المدينة الشريفة على شرفها أفضل الصلاة .
- ٢٩ - والسلام والرحمة فى كل سنة من النقره مائة ألف درهم نصفها خمسون ألف درهم .
- ٣٠ - بشرط ألا يتناول شيئا من المكوس ما قرره على أمير مكه والتزامه بما شرط عليه من الشروط .
- ٣١ - المعينه أعلاه بشرط اتصافه بها وعدم خروجه عنها بحيث يكون حكم أمير المدينة كحكم أمير مكه .
- ٣٢ - فيما شرط عليه من الشروط المعينه أعلاه بسبب ابطال المكس وعدم التعرض اليه فان لم .
- ٣٣ - يتصف بالصفة المشروحه أعلاه صرف فيما يذكر فيه فان عاد متصفا بالصفة .
- ٣٤ - المشروحه أعلاه ضرف اليه يجرى الحال فى ذلك كذلك وجودا وعدمه ما سوى أن يرث الله .
- ٣٥ - الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ويصرف بحرم مكه شرفها الله وعظمها فى كل سنة من النقره ألف درهم وثمان مائة درهم نقره النصف من ذلك تسع مائة درهم نقره .
- ٣٧ - لسته نفر من القراء الحافظين لكتاب الله العظيم على أنهم يجتمعون فى كل يوم بعد صلاة الصبح خلف .
- ٣٨ - المقام الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ويقرءون جزيا واحدا من تجزئة ستين جزءا من كتاب الله .

- ٣٩ - قراءة حسنة مرتلة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات ويهدون ثواب قراءتهم .
- ٤٠ - لمولانا السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه ضاعف الله ثوابه ولوالديه وذريته .
- ٤١ - ومن سلف منهم ولجميع المسلمين ويجتمعون أيضا بالمكان المذكور بعد صلاة العصر ويقرءون حزبا .
- ٤٢ - من كتاب الله العظيم كما ذكر أعلاه ويهدون ثواب القراءة كما ذكر أعلاه ويصرف لقارىء .
- ٤٣ - الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة ثلاثمائة درهم نقره وستين درهما نقره على أنه يحضر بعد صلاة الجمعة .
- ٤٤ - بالمسجد الحرام يقرأ ما تيسرت له قراءته من تفسير القرآن العظيم ومن صحيح البخارى أو صحيح مسلم أو ما .
- ٤٥ - اختصر منها أو من بقية الكتب الصحيحة ومن كتب الرقائق المعتمدة ومناقب الأبرار والصالحين .
- ٤٦ - ويقرأ بعد ذلك سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وخواتيم البقرة ويدعوا عقيب ذلك .
- ٤٧ - لمولانا السلطان الواقف المسمى فيه عز نصره ولوالديه وذريته ومن سلف منهم بالرحمة والمغفرة .
- ٤٨ - ولجميع المسلمين ويرتب الناظر بالحرم المذكور مدرسا محدثا من أهل الصدق والديانة والعدالة والصيانة .
- ٤٩ - له رواية ودراية بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حافظا لما تيسر له حفظه من متون .
- ٥٠ - الأحاديث والأسانيد عارفا ببعض علومها ويرتب معه عشرة من طلبة الحديث المشتغلين .
- ٥١ - به يجلس وطائفته فى رواق من أروقة الحرم المذكور أو بمكان يراه المدرس من الحرم المذكور يلقي .
- ٥٢ - درس حديث نبوى فى الأيام التى جرت العادة بحضور الدروس فيها ويسين لطلبته ما يظهر له فى .

- ٥٣ - ذلك من كشف غامض وحل مشكل ويبيّن لهم أسماء الرجال وذكر أحكام الحديث وفقهه وصحة .
- ٥٤ - متنه على عادة المدرسين ويصرف لجميعهم في كل سنة من النقره ثلاثة آلاف درهم
- ٥٥ - من ذلك ما هو للمدرس المذكور ألف درهم ومائتا درهم وما هو للطلبة العشرة ألف درهم .
- ٥٦ - وثمان مائه درهم لكل منهم في كل سنة من النقره مائة درهم وثمانون درهماً
- ٥٧ - الشريف المذكور أربعة من المدرسين ذوي المذاهب الأربعة شافعي وحنفلي ومالكي وحنبللي ويرتب .
- ٥٨ - مع كل مدرس من مدرسي الشافعية والحنفية والمالكية عشرة من طلبة العلم الشريف من أهل مذهبه .
- ٥٩ - ومع مدرس الحنابلة خمسة نفر من طلبة مذهبه يجلس كل مدرس من المدرسين الأربعة وطلبته بالحرم المذكور في .
- ٦٠ - الأيام التي جرت العادة بحضور الدروس فيها فيما بين طلوع الشمس إلى الزوال يستفتح كل .
- ٦١ - كل مدرس وطائفته درسه بقراءة ما تيسرت لهم قراءته من ربعة شريفه يطاف عليهم بأجزائها .
- ٦٢ - أو من صدورهم ثم يقرأ أحدهم ما تيسرت له قراءته من كتاب الله العظيم ثم يدعو عقيب ذلك لمولانا .
- ٦٣ - السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره ولجميع المسلمين ثم يأخذ كل مدرس .
- ٦٤ - لطائفه درسا من فروع مذهبه ويبين لطلبته ما يظهر له في ذلك من كشف غامض أو حل مشكل .
- ٦٥ - ويبحث معه من تأهل للبحث على العادة ويسلك كل مدرس من المدرسين الأربعة المذكورين .
- ٦٦ - أعلاه في وظيفته يسلك التعليم والافادة ويصرف لكل مدرس من مدرسي المذاهب .

- ٦٧ - الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي وطلبتة في كل سنة من النقره ثلاثة آلاف درهم نقره .
- ٦٨ - من ذلك ما هو لكل مدرس من المدرسين المذكورين في كل سنة من النقره ألف درهم وثمان .
- ٦٩ - ومايتا درهم نقره وما هو للطلبة المذكورين في كل سنة من النقره ألف درهم وثمان مائه درهم نقره .
- ٧٠ - لكل طالب منهم في كل سنة مائة درهم نقره وثمانون درهما نقره ويصرف لمدرس .
- ٧١ - الحنابلة في كل سنة سبع مائة درهم وعشرين درهما نقره وطلبتة الخمسة في كل سنة ست مائة درهم نقره .
- ٧٢ - لكل منهم في كل سنة مائة درهم وعشرين درهما نقره ويرتب بالحرم المذكور مؤدبا .
- ٧٣ - من أهل الخير والديانة حافظا لكتاب الله العظيم وعشرة من أيتام المسلمين الذين لم يبلغوا .
- ٧٤ - الحلم يجلس هو والأيتام المذكورين في الأيام التي جرت العادة بالحضور فيها للتعليم بالحرم المذكور .
- ٧٥ - ويطلبون البطالة الجارية بها عادة مكاتب السبيل بمكة شرفها الله تعالى يعلمهم ما يطيقون .
- ٧٦ - تعليمه ويحتلون قراءته من كتاب الله العظيم وما يحتلون تعلمه من الخط العربي وهجاية واستخراجه ويأخذ .
- ٧٧ - ويأخذ كل منهم ماضى له من القراءة ويصحح عليه ما كتب له على (المادة) على أنه من بلغ من الأيتام .
- ٧٨ - المذكورين استبدل الناظر به غيره إلا أن يكون قد بقي عليه السير من حفظه وهو من يرجى فلاحه وخيره .
- ٧٩ - فيبقى بالمكتب المذكور إلى أن يستكمل حفظ كتاب الله العزيز فإذا استكمل ذلك استبدل .
- ٨٠ - الناظر به غيره بالصفة المشروحة أعلاه ويصرف لجميعهم في كل سنة من النقرة أربعة آلاف درهم .

- ٨١ - وثلاثمائة درهم نقره وعشرين درهما من ذلك ما هو لمؤد بهم في كل سنة من النقره سبع مائة درهم وعشرون درهما نقره .
- ٨٢ - وما هو للأيتام المذكورين بقية المبلغ المذكور وهو ثلاثة آلاف درهم وستمائة درهم نقره لكل يتيم منهم في .
- ٨٣ - كل سنة من النقره ثلاثمائة درهم وستون درهما نقره غير نفقته وكسوته ولوازمه الشرعية ويرتب .
- ٨٤ - بالحرم المذكور ما دحا يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من القضايد المشهورة بعد صلاة العصر [ر] .
- ٨٥ - في يوم الاثنين والخميس والجمعة ويختم بقراءة ما تيسرت له قراءته من كتاب الله العزيز ثم يدعو لمولانا .
- ٨٦ - السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه تقبل الله منه برّه وصدقته ولوالديه ولذريته ومن .
- ٨٧ - سلف منهم ولجميع المسلمين ويصرف في كل سنة من النقره ثلاثمائة درهم وستين درهما نقره وقرر مولانا السلطان .
- ٨٨ - الواقف المذكور عز نصره لهذه الوظيفة المذكورة الفقيه حسين بن يوسف المادح ثم من بعده يقرر الناظر .
- ٨٩ - لهذه الوظيفة من يراه ويصرف له المعلوم المذكور ويرتب بالحرم المذكور خمسة من المؤذنين الحسنى الصوت .
- ٩٠ - فأربعة منهم يعلنون بالأذان الشرعي في الميادن (هكذا) التي بالحرم المذكور كل منهم في ميذنه منها والمؤذن .
- ٩١ - الخامس يعلن بالأذان على سطح زمزم وقرر لوظيفة الأذان علي زمزم الفقيه حسين المسمى أعلاه ثم بعده .
- ٩٢ - يقرر الناظر لهذه الوظيفة المذكورة من يراه ويصرف لجميعهم في كل سنة من النقره ألفي درهم لكل منهم .
- ٩٣ - أربع مائة درهم نقره ويصرف للأئمه الأربعة المرتبين بالحرم المذكور للإمامه في الصلوات .
- ٩٤ - الخمس في كل سنة من النقره ألف درهم وستمائة درهم نقره لكل امام منهم في كل سنة من النقره .

- ٩٥ - أربع مائة درهم زيادة على ما هو مقرر له من المعلوم من غير الواقف المذكور
ويصرف للمكبرين خلف الأئمة .
- ٩٦ - الأربعة المذكورين فيه زيادة على ما هو مقرر لهم من المعلوم في كل سنة من
النقره ثمان مائه درهم لكل مكبر منهم في .
- ٩٧ - كل سنة مائتا درهم ويصرف لقاضي الحكم بمكة شرفها الله تعالى في كل سنة
من النقره ألف درهم نقره .
- ٩٨ - بشرط أن يكون نظره على ما قرره مولانا السلطان المسمى فيه أعز الله أنصاره
وأدام اقتداره من .
- ٩٩ - الوظائف بالحرم المذكور وأجرائها على ما شرطه الواقف المسمى فيه عز نصره
بحيث تكون مستمرة على .
- ١٠٠ - الدوام والاستمرار ويصرف لثمان نفر من القراشين في كل سنة من النقره ألفي
درهم .
- ١٠١ - وأربع مائة درهم بالسوية بينهم على أنهم يتولون خدمة الحرم المذكور وتنظيف
أروقته وأسطحته من .
- ١٠٢ - الأوساخ وكس أبواب الحرم المذكور وما حولها من الأوساخ ليكون نظافتها
مستمرة على الدوام .
- ١٠٣ - ويصرف في كل سنة من النقره ألف درهم وثمان مائه درهم نقره من ذلك ما
يصرف لسدنة .
- ١٠٤ - الكعبة الشريفة ومن معهم في كل سنة من النقره ألف درهم وخمس مائه درهم
نقره وما يصرف لخدام .
- ١٠٥ - السلم الذي يتوصل من عليه الى فتح باب الكعبة الشريفة شرفها الله تعالى
وعظمها في كل سنة ثلاثمائة .
- ١٠٦ - درهم نقره ويصرف للمؤذنين بالجمال الأربعة في كل سنة من النقره أربع مائة
درهم وثمانين درهما نقره لكل .
- ١٠٧ - منهم في كل سنة من النقره مائة درهم وعشرون درهما نقره ويدعوا كل منهم في
وقت السحر لمولانا السلطان .
- ١٠٨ - الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره ولجميع المسلمين ويصرف في كل سنة من
النقره خمس مائة درهم وستين .

- ١٠٩ - درهما نقره لمصالح بيرززم ومن يسقى الماء منها لساير الناس أجمعين من ذلك ما يصرف لمصالحها في ثمن دلاء وسلب .
- ١١٠ - ويكر في كل سنة من النقره مائتا درهم وما يصرف للمسبيل المذكور في كل سنة من النقره ثلثاية وستين درهما نقره .
- ١١١ - ويرتب بالحرم المذكور سقاين أحدهما يسقى الماء بالليل والآخر بالنهار فيما بين المقام الشريف .
- ١١٢ - والنعبة الشريفه شرفها الله تعالى يسقيان الطائفين بالكعبة وغيرهم ويصرف لهما عن ثمن ماء وأجرة .
- ١١٣ - ماعون وأجرتهما عن تسبيل الماء المذكور في كل سنة من النقره ألف درهم وخمس مائه درهم نقره لكل .
- ١١٤ - منها سبع مائة درهم وخمسون درهما نقره ويصرف في كل سنة من النقره ستمائة درهم من ذلك ما هو ثمن طيب .
- ١١٥ - ويخور لتطيب الكعبة الشريفه وأركانها وتخليقها وتبخير من يحضر للطواف من الطائفين ماعدا أيام الحج .
- ١١٦ - ما جعلته مائتا درهم نقره وأربعون درهما نقره وما هو أجره من يفعل ذلك في كل سنة من النقره ثلثائة وستون درهما .
- ١١٧ - نقره ويصرف في كل سنة ثلثائة وستين درهما نقره لثلاثة نفر يتولى كل منهم تنظيف الحرم المذكور من الكرش .
- ١١٨ - والمقارب وسائر الهوام على العادة ويصرف في كل سنة من النقره ألفي درهم للبوابين بالحرم .
- ١١٩ - المذكور زيادة على ما هو مقرر لهم من المعلوم من غير الواقف المذكور ويكون ذلك بينهم بالسوية ويصرف .
- ١٢٠ - في كل سنة للوقاد بمكة شرفها الله تعالى خمس مائة درهم نقره ويصرف في كل سنة من النقره ألف درهم .
- ١٢١ - للمباشرين لعمارة الحرم المذكور وترميمه وإصلاحه يكون ذلك بينهم بالسوية زيادة على ما هو مقرر لهم من .
- ١٢٢ - المعلوم من غير الواقف المذكور ويصرف في كل سنة لنفرين يتوليا تنظيف ما بين الصفا والعروة .

- ١٢٣ - من النظام والأوساخ على عادة أمثالها في ذلك بحيث يكون الصفا والمرورة والمسمى بطائفيهما [م] ستره .
- ١٢٤ - على الدوام والاستمرار ما جلته من النقره ألف درهم نقره بالسوية بينهما ويصرف في ك [ل] .
- ١٢٥ - سنه من النقره ستائة درهم نقره لمن يسقى الماء في طول النهار بمكة شرفها الله تعالى عن ثمن ماء عذب وثن د [و] ارق .
- ١٢٦ - وأجرة تسبيله على الناس أجمعين بالحرم المذكور ويصرف في كل سنه من النقره ألف درهم نقره .
- ١٢٧ - النصف من ذلك خمس مائه درهم نقره في ثمن قصان من الكتان والقطن ويرسل ذلك في كل سنه الى مكة شرفها [الله] .
- ١٢٨ - تعالى صحبة الركب الشريف السلطاني مع من يثق به يصرف ذلك على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطع [ين] .
- ١٢٩ - ويقدم منهم أصحاب الأخصاص ويصرف في كل سنه من النقره ثلاثة آلاف درهم نقره يشتري .
- ١٣٠ - منها الناظر بألف درهم وخمس مائة درهم نقره أكفانا ويرسلها مع بقية المبلغ المذكور الى الناظر على الحرم .
- ١٣١ - المذكور صحبة الركب الشريف ليصرف الأكفان المذكورة لتكفين الأموات بالحرم المذكور وأجرة من يتولى غسلهم [م] .
- ١٣٢ - وتكفينهم وموازاتهم في لحدهم أسوة أمثالهم على الوجه الشرعي ويصرف في كل سنه من النقره مائة .
- ١٣٣ - درهم وخمسين درهما نقره يشتري بها الناظر ابرا وخيوطا من الكتان والقطن ويرسل ذلك الى الحرم يفرق .
- ١٣٤ - ذلك على من يراه من الفقراء والمساكين بالحرم المذكور ويصرف في كل سنة من النقره خمسة آلاف درهم نقره .
- ١٣٥ - نصفها ألفا درهم وخمس مائة درهم نقره يرسلها الناظر على الوقف المذكور صحبة الركب الشريف .
- ١٣٦ - يتولى تفرقة ذلك من يراه الناظر على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطعين به والواردين [اليه غير] .

- ١٣٧ - الروافض ويخدم في الصرف أصحاب الأخصاص الذين هم بظاهر مكة شرفها
الله تعالى ويصرف في .
- ١٣٨ - كل سنة من النقره خمسة آلاف درهم وثمان مائة درهم نقره لمصالح الميضاة
المستجدة الانشاء الكائنة .
- ١٣٩ - بباب علي الذي استحدثها مولانا السلطان الواقف المسمى فيه تقبل الله منه
برّه وصدقته فمن ذلك .
- ١٤٠ - ما يصرف منه لسواق يقوم بإدارة الساقية المذكورة ومصالح العوام
لا دارتها في كل سنة سبع مائة .
- ١٤١ - درهم نقره وعشرين درهما نقره وما يصرف للبواب المرصد لفتح باب الميضاة
المذكورة في كل سنة من النقره .
- ١٤٢ - وغلقها في الأوقات المحتاج اليها وغلقه علي عادة أمثاله في كل سنة من النقره
سبع مائة درهم وعشرون .
- ١٤٣ - درهما نقره وما يصرف للمقيم بالميضاة المذكورة في كل سنة من النقره ألف
درهم وثمانون درهما .
- ١٤٤ - نقره على أن يقوم بتنظيف الميضاة والمراحيض ومسح ما بها من الأوساخ
والستقذرات على عادة أمثاله .
- ١٤٥ - في ذلك ويصرف في ثمن جمل برسم دوران الساقية ما يحتاج اليه ويصرف
في كلفة علوفة .
- ١٤٦ - الجمل المذكور في كل سنة ألف درهم وثمانون درهم نقره ويصرف في ثمن زيت .
- ١٤٧ - من زيت الزيتون يستضيء به في الميضاة المذكورة في الأوقات المحتاج اليها
في كل سنة من النقره مائتا .
- ١٤٨ - درهم وخمسون درهما نصفها مائة درهم وخمسة وعشرون درهما نقره ويصرف في
كل سنة من النقره .
- ١٤٩ - مائتا درهم وخمسون درهما نقره في ثمن سلب وأدلية وغير ذلك ما تحتاج
اليه الساقية المذكورة .
- ١٥٠ - ويصرف في كل سنة لمشارف الميضاة المذكورة ما جعلته من النقره خمس مائة
درهم نقره .

- ١٥١ - وما فضل بعد ذلك الآخر الناظر تحت يده لما تحتاج اليه الميضة والساقية من العمارة والعمرة وشراء .
- ١٥٢ - جمال لادارتها مدة سنة كاملة فان حصل الاستغناء عنه صرفه الناظر لما يحتاج اليه المارستان .
- ١٥٣ - الاتى ذكره فيه واستأنف الادخار ويصرف فى كل سنة لمصالح المارستان الذى .
- ١٥٤ - استجده مولانا السلطان خلد الله ملكته بمكة شرفها الله تعالى وعظمها ما يذكر فيه فتصرف .
- ١٥٥ - فى ثمن دقيق وقمح وطحنه ما جملته ستة وسبعون اردبا من النقره خمسة عشر ألف درهم ومائتا .
- ١٥٦ - فان كان السعر اقل من ذلك اشترى ببقية البلغ دقيقا أو قمحا وطحنه وصرفه على الحكم الذى شرح .
- ١٥٧ - فيه فيصرف فى مدة أولها الثالث عشر من ذى الحجة من كل سنة والى آخر المحرم من السنة الثانية .
- ١٥٨ - فى كل يوم نصف اردب المدة ثمانية وأربعين يوما عن المدة أربعة وعشرون اردبا وان زاد .
- ١٥٩ - الدقيق أضيف الزيادة الي هذه المدة ويصرف على الحكم الذى يشرح فيه مبقية فى كل يوم سدس .
- ١٦٠ - اردب المدة ثلثائة يوم واثنا عشر يوما عنها اثنان وخمسون اردبا يقيم الناظر طبيا .
- ١٦١ - يطبخ الدقيق فى كل يوم حريره ويفرق ذلك على الضعفاء من الرجال والنساء والرمد والزمناء .
- ١٦٢ - المقيمين بالمارستان المذكور ويصرف فى كل سنة من النقره سبع مائة درهم وعشرين درهما .
- ١٦٣ - نقره فى ثمن سمن برسم المذكورين فيه يجعل ذلك فى الحريره المذكورة ويفرقها على الحكم المشروح .
- ١٦٤ - فيه ويصرف فى كل سنة ألفى درهم وثمان مائة درهم نقره لثمان نفر من الفراشين والفراشات .

- ١٦٥ - من النسوة علي أن كل واحد من الفراشين من الرجال والنسوة يتعاهد من بازائه من المرضي ويقوم .
- ١٦٦ - بحالهم في شربهم وأكلهم وغسل ما يحصل منهم من الأوساخ وتنظيفهم وملازمتهم على .
- ١٦٧ - العادة ويتقى كل منهم الله تعالى في ذلك ويعلم أنه رقيب عليه فيما هو لازم له من الخدمة يصرف المبلغ .
- ١٦٨ - اليهم بالسوية ما هو للفراشين من الرجال نصف المبلغ المذكور ألف درهم وأربع مائة درهم .
- ١٦٩ - وما هو للفراشات من النسوة بقية المبلغ المذكور ويصرف لمن يستقي الماء العذب للمرضى بالمارستان .
- ١٧٠ - المذكور أعلاه في كل سنة من النقرة سبع مائة درهم وستين درهما نقره ما هو عن المرة الأولى المعينة أعلاه .
- ١٧١ - ثلثائة درهم نقره وما هو عن المرة الثانية بقية السنة أربع مائة وستون درهما نقره ويصرف في جامكية .
- ١٧٢ - البواب في كل سنة من النقرة ثلثائة درهم وستين درهما نقرة على أن يتولى ماجرت به عادة أمثاله .
- ١٧٣ - من غلق باب المارستان المذكور وفتح وصونه عن أبواب التهم والفساد ويصرف في كل سنة من النقرة .
- ١٧٤ - ثلثائة درهم وستين درهما نقره لأمين الحواصل بالمارستان المذكور وعلى تفرقة الطعام والشراب .
- ١٧٥ - للمرضى بالمارستان المذكور في كل يوم على عادة أمثاله في ذلك ويصرف في كل سنة من النقرة ثلثائة درهم .
- ١٧٦ - في ثمن حطب تطبخ به الحريرة المذكورة وغيرها ما يحتاج اليه المرضى بالمارستان المذكور في كل يوم .
- ١٧٧ - على العادة ويصرف في كل سنة من النقرة ألفي درهم نقره وأربع مائة درهم نقره لحكيم طبائعي كحال .
- ١٧٨ - يقوم بمداواة المرضى والرمدا ومداواة الجرحي بالمارستان المذكور على العادة في مثل ذلك .

- ١٧٩ - ويصرف في ثمن زيت من زيت الزيتون وما يقوم مقامه في كل سنة من النقره أربع مايه .
- ١٨٠ - وخمسين درهما نقره يشتري بها زيتا يستضيء به على الضعفاء بالمارستان المذكور في طول السنة .
- ١٨١ - ويصرف في كل سنة من النقره أربعة آلاف درهم نقره يصرف في ثمن لحم برسم الضعفاء .
- ١٨٢ - في طول المدة وفي ثمن سكر وأشربة وغير ذلك ما يحتاج اليه في كل سنة ويصرف في كل سنة .
- ١٨٣ - من النقره ألف درهم نقره لشاهدين يحضرا في كل يوم الى المارستان المذكور يصرفانما يحتاج .
- ١٨٤ - اليه المرضى بالمارستان المذكور ويضبطانما به من الحواصل على عادة أمثالهما في ذلك ويصرف .
- ١٨٥ - في كل سنة من النقره خمس مائة درهم نقره للناظر على المارستان المذكور وفعل ما تقتضيه مصلحة المرض [ن] .
- ١٨٦ - ويصرف في كل سنة ما يحتاج اليه بسبب المرضى من سكر وأدوية وأشربة وغير ذلك .
- ١٨٧ - وما يحتاج اليه المارستان المذكور من عبي ومكانس وأسطال نحاس وغير ذلك بحيث يستمر نفعه .
- ١٨٨ - على الدوام والاستمرار وعلى كل من له وظيفة بالمارستان المذكور يلزمه ويراقب الله تعالى .
- ١٨٩ - ويخشاه ويتقيه ويصرف في كل سنة من النقره الجيدة ألفي درهم وخمس مائة درهم نقره .
- ١٩٠ - ماهو للشيخ شهاب الدين أحمد بن ظهيرة المكي الشافعي ألف درهم على أن يتصدى للأشتغال .
- ١٩١ - بالعلم الشريف ونشره واحياء معالم الدين وشد أزره في كل يوم تجاه الكعبة الشريفة على عادة أمثال [له] .
- ١٩٢ - و ماهو للشيخ عبدالرحمن بن أبي الخير المكي المالكي خمس مائة درهم على أنه يفعل نظير ذلك في كل .

- ١٩٣ - يوم وما هو للشيخ الصالح محمد يعقوب الفيروزبادي بن صاحب التنبيه ألف درهم على أنه .
- ١٩٤ - يتصدر في كل يوم على عادة أمثاله ومتى تعذر اشتغال المذكورين أو واحد منهم قرر الناظر .
- ١٩٥ - عوضه بالصفة المذكورة ويصرف لصالح رباط السدره بمكة في كل سنة من النقرة ألف درهم .
- ١٩٦ - ويصرف للحاكم بمكة شرفها تعالى عن انتصابه للحكم والفصل بين الخصوم ورد الظالم عن .
- ١٩٧ - المظلوم وخلص الحقوق والنظر في المصالح العامة والخاصة في كل سنة من النقرة ألفي درهم .
- ١٩٨ - وخمس مائة درهم نقرو ويصرف في كل سنة من النقرة ألف درهم نقره من ذلك ماهولعمارة .
- ١٩٩ - مسجد الخيف بمنى وترميمه في كل سنة خمس مائة درهم وماهولبواب يقيم بالمسجد المذكور ويفتح بابه .
- ٢٠٠ - ويفلقه ويتقيم بتنظيفه وصيانته ومنع من يتطرق اليه من أرباب التهم والفساد ومن يقصد .
- ٢٠١ - الدخول اليه بما يمان عنه المسجد المذكور من نشر اللحوم والأثواب وغير ذلك ويحترز في ذلك .
- ٢٠٢ - كل الاحتراز ويجتهد في صيانتها والاجتهاد التام لتكون نظافته مستمرة على الدوام ما جعلته من .
- ٢٠٣ - النقرة خمس مائة درهم ويصرف في كل سنة من النقرة ألف درهم نقره لعمارة الفساقى بعرفه .
- ٢٠٤ - وأجرة من يتولى تنظيفها على عادة أمثاله ويصرف في كل سنة من النقرة ألفي درهم لتنظيف .
- ٢٠٥ - العين المعروفة بالجوانية وترميمها وأجرة من يتولى تنظيفها على عادة أمثاله في ذلك ويصرف في .
- ٢٠٦ - كل سنة من النقرة ألف درهم فمن ذلك ماهولمشائخ عر [ب] خليص خمس مائة درهم نقره على أنهم يخفرون .

- ٢٠٧ - الحاج زهابا واياها وماهوللمارة العين وترميمها والفسقية وترميمها في كل سنة بقية المبلغ المذكور .
- ٢٠٨ - وهو خمس مائة درهم نقره ويصرف لمشايخ حنين الذي تجرى العين في أرضهم الأربعة .
- ٢٠٩ - في كل سنة من النقره ألفي درهم نقره لكل منهم في كل سنة من النقره خمس مائه درهم بحيث يسقون .
- ٢١٠ - من العين المذكورة من يربهم ويخفرون الحاج زهابا واياها على العادة يصرف اليهم المبلغ المذكور .
- ٢١١ - مادام [] متصف [ين] بالصد [ة] الشد [ر] و [] حة فيه فان تعذر صرف ذلك صرف في وجوه الحر والقربات .

*

ملحق رقم " ٤ "

هذا الملحق هو نص اللوحة التأسيسية لعبارة عين عرفة في عهد

السلطان قايتباي (٨٧٢هـ - ٩٠١هـ) مؤرخ بعام ٨٧٥هـ . (١)

النص :

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
- ٢ - الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومنته فضله تكمل المسرات
- ٣ - ويتوفيقه تجرى الخيرات على يد من اختار من أهل السعادات وصلى الله وسلم
- ٤ - على سيدنا محمد الذي نبع الماء من بين أصابعه في الأزمات وفتح الله تعالى
به أعيننا عيا وآذاننا
- ٥ - صا وقلوبا غلغا وختم ببعثته الرسالات صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه أولي
البر والصلوات
- ٦ - ازكى السلام وأفضل الصلاة وبعد فان عين عرفة المشرفة كانت قد محى
اسمها وتعطل
- ٧ - رسمها وبقا أثرها ولم يبق الا خبرها وهم كثير من الملوك والسلاطين
بعمارتها فلم تساعدهم
- ٨ - القدرة على مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويثمن منها لما أتى عليها من
العصور فلما من الله

(١) محمد النمر : الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني

ص ١٩٨ - ٢٠١

- ٩ - على العباد بولدييه من صلحت به الرعية والبلاد وانحسنت بوجوده
مواد الجور والفساد هو مولانا السلطان
- ١٠ - الاظم مالك رقاب الامم حاوى فضيلتي السيف والقلم ظل الله تعالى
الممدود على العالم سلطان
- ١١ - الاسلام والمسلمين قاع الكفرة والمشركين محى مآثر الخلفاء الراشدين
ملك البحرين والبحرين خادم الحرمين
- ١٢ - الشريفين السلطان المالك الملك الاشرف ابوالنصر قايتباى نصره
الله نصرا عزيزا وفتح به فتحا قريبا
- ١٣ - بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم برزأمره الشريف باجرائها بتلك
الاماكن المشرفة لوفد الله تعالى
- ١٤ - وأضيافه المباهى بهم الملائكة قريبة الى الله تعالى لا رياء فيها
ولا استرا^(١) يجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت
- ١٥ - من خير محضرا فجرت بحمد [إلى] الله تعالى وتوفيقه في اسرع مدة
احصاؤها اشهر السعد مع تنظيف قعرها وبنائها
- ١٦ - مصانعها وبيركها وعمل شرعتها لنفع أهل الشريعة وبنائها قناتها المحيطة
بجبل رحمة الله الوسيعة فالله يجدد لمولانا
- ١٧ - السلطان في كل لحظة عزاء ونصرا ويجرى له على ما أجرى في الدارين
أجرا وذلك على يد الجنابين العالين الاميرين

(١) هكذا وردت .

- ١٨- الكبيرين شاهين الجمالي الاُشرفي وشقيقه المباشر للعمل
السيفي سنقر الجمالي الاُشرفي أجزل الله تعالى ثوابهما
وأحسن اطلبهما في [مدة]
- ١٩- أولها شهر ربيع الآخر وآخرها شهر رجب الفرد الحرام عام
خمسة وسبعين وثمان مائة وخلق الله على سـ [يد] نـ
محمد والـ [هـ]
- ٢٠- وصحبه وسلم

تَبَيَّنَ

المَصْنُوعَاتُ وَالمَرَاجِعُ

ثبت المصادر والمراجع

- أولا : المصادر المخطوطة .
- ثانيا : المصادر المطبوعة .
- ثالثا : المراجع العربية .
- رابعا : المراجع العربية .
- خامسا : المراجع الأجنبية .
- سادسا : البحوث .

أولا : المصادر المخطوطة :

- ١ - الإسفرائيني (ت ٧٦٢ هـ) ، محمد بن عمر بن محمد بن علي ،
زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال في تاريخ مكة والمدينة ،
مكتبة الحرم رقم ٩٩ تاريخ .
- ٢ - بسير من الدوا دار (ت ٧٢٥ هـ) ، الأمير ركن الدين بن عبدالله المنصوري ،
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ،
مخطوط مصور بجامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨ .
- ٣ - الضحفة المملوكية في الدولة التركية ،
نسخة مصورة بجامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٩ .
- ٤ - الشريف الجنابي ، أبو محمد مصطفى بن السيد حسن الهاشمي القرشي ،
البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ،
مكتبة الحرم رقم ٢ تاريخ .
- ٥ - ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ) ، الحسن بن عمر الحسين أبو محمد بدر الدين ،
درة الأسلاك في دولة الأتراك ،
مخطوط مصور عن نسخة يكي جامع الملحقة بمكتبة السلمانية
باستنبول ٥٨٤٩ .
- ٦ - الحضراوي (ت ٣٢٤ هـ) ، أحمد بن محمد بن أحمد المكي الشافعي ،
مختصر حسن الصفا والإبتهاج ومن ولي إمارة الحاج ،
مكتبة الحرم رقم ١٦٣ تاريخ .
- ٧ - الخزرجي (ت ٨١٣ هـ) ، شمس الدين أبو الحسن بن علي ،
تاريخ اليمن الميمون ومن ملكها من الملوك والولاء من أيام عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عهد دولة بني رسول ،

- مخطوط مصور بمركز البحث العلمي و احيا التراث الإسلامي ،
كلية الشريعة - جامعة أم القرى مكة المكرمة .
- ٨ - السنجاري (ت ١٢٥ هـ) ، علي بن تاج الدين بن تقي الدين الحنفي المكي ،
مناجح الكرم في أخبار البيت وولاية الحرم ،
مخطوط مصور بمركز البحث العلمي و احيا التراث الإسلامي -
جامعة أم القرى - مكة المكرمة .
- ٩ - ابن الصباغ (ت ١٣٢١ هـ) ، محمد بن أحمد المكي ،
تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة
المكرمة وولاتها الفخام ،
مكتبة الحرم المكي رقم ٤٨ تاريخ دهلوى .
- ١٠ - ابن الضياء (ت ٨٥٤ هـ) ، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشي الحنفي ،
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف ،
معهد المخطوطات العربية - القاهرة رقم ١٢١ تاريخ .
- ١١ - الطبري (ت ١٠٧٠ هـ) ، محي الدين علي بن عبد القادر الشافعي الحسني ،
الأرج المسكي في التاريخ المكي ،
مكتبة الحرم رقم ٣ تاريخ .
- ١٢ - الطبري (ت ١١٧٣ هـ) ، محمد بن علي بن فضل بن عبدالله ،
إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ،
معهد المخطوطات العربية - القاهرة رقم ٨٧٠ تاريخ .
- ١٣ - ابن عبد الهادي ، الطاهر عبد الهادي بن محمد بن صالح ،
الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر ،
دائرة الملك عبد العزيز الرياض رقم ١٢١ ق .

- ١٤- الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) ، تقي الدين محمد بن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الهاشمي ،
تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام .
- ١٥- الزهور المقتطفة عن تاريخ مكة المشرفة ،
مكتبة المتحف العراقي بغداد .
- ١٦- مؤلف مجهول ،
أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ،
مخطوط نسخها أحمد نافع سنة ١٢٧٦ هـ ،
دار الملك عبد العزيز بالرياض رقم ٥٨ ق .

*

ثانيا- المصادر المطبوعة :

- ١- ابن أبيك الدوادار (ت ٧٠٩ هـ) ، أبو بكر بن عبدالله ،
كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر
تحقيق هانن روبرت القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢- ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ) ، أبو البركات محمد بن أحمد ،
بدائع الزهور في وقائع الدهور بولاق ١٣١١ هـ - وجمعية
المشتشرقين الألمان بالقاهرة ،
تحقيق محمد مصطفى ١٩٦٠ م - ١٩٦٣ م .
- ٣- الأزرقي (ت ٢٢٣ هـ) ، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد ،
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح
طحس ، مكة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٤- البخاري : ابن عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن
برزبة البخاري الجعفي ،
صحيح البخاري طبعة الأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة
بأستانبول ، دار الفكر .

- ٥ - ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ،
تحفة النظائر في غرائب الأقطار وعجائب الأسفار ،
القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ٦ - البلوى (ت قبل سنة ٧٨٠ هـ) ، خالد بن عيسى ،
تاج المشرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ،
صندوق إحياء التراث الإسلامي ، المغرب ١٢٤٢ هـ .
- ٧ - البكري (ت ٤٨٧ هـ) ، عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي ،
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٥١ م .
- ٨ - الديار البكري (ت ٩٦٦ هـ) ، حسين بن محمد بن الحسن ،
تاريخ الخميس في أحوال أنفاس نفيس ، ج ٢ ، بيروت ١٢٨٣ هـ ،
مؤسسة شعبان للنشر .
- ٩ - ابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) ، جمال الدين يوسف أبو المحاسين ،
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ١٠ - الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهم شلتوت ،
نشر مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ،
مكة المكرمة ، ١٩٨٣ م .
- ١١ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، نشرها وليام بوبر
بيركلي ، طبعة كاليفورنيا ، ١٩٣٢ م .
- ١٢ - التجيبي (ت ٧٣٠ هـ) ، القاسم بن يوسف السبتي ،
مستفاد الرحلة والإغتراب ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ،
ليبيا ، تونس ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

- ١٣- الترمذى : (ت ٢٩٧ هـ) ابي عيسى محمد بن عيسى بن سوره
الجامع الصحيح ، تحقيق أحمد محمد شاكر ،
إحياء التراث العربي ، بيروت
- ١٤- ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكثاني الأندلسي ،
الرحلة - طبعة بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م
- ١٥- الجزيري (ت ٩٤٤ هـ) ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد
بن إبراهيم ،
درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ،
تحقيق حمد الجاسر - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
- ١٦- ابن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ) ، شرف الدين يحيى ،
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، طبعة بولاق ١٨٩٨ م
- ١٧- الحربي (ت ٣٨٥ هـ) ، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ،
المناسك وأماكن وطرق الحج ومعالم الجزيرة ،
تحقيق حمد الجاسر - دار اليمامة الرياض ١٣٨٩ هـ
- ١٨- ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ،
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سعيد جاد الحق ،
حيدرآباد - الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
- ١٩- أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي ،
القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٩ م
- ٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ
- ٢١- الحميري (ت ٩٠٠ هـ) ، محمد بن عبد النعم ،
الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ،
لبنان ١٩٧٥ م

٢٢- الحموى (ت ٦٢٦ هـ) ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله
الحموى الرومى البغدادى ،

معجم البلدان - بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

٢٣- ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ) ، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ،
تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ،

تحقيق محمد محمد أمين- سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٦ م.

٢٤- ابن خرداذبه (ت ٣٠٠ هـ) ، أبو القاسم عبدالله بن عبدالله ،
المسالك والممالك - طبعة ليدن ١٩٠٩ م.

٢٥- الخزرجي (ت ٨١٣ هـ) ، شمع الدين أبو الحسن بن علي ،
العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ،

تحقيق محمد بسيوني صل ، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م.

٢٦- ابن الديبع (ت ٩٤٣ هـ) ، أبو الضياء عبد الرحمن علي بن محمد بن عمر ،
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد الأوكوع ،
القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٢ م.

٢٧- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبدالله الحبشي ،
مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٧٩ م.

٢٨- دحلان (ت ١٣٠٤ هـ) ، أحمد زيني ،
خلاصة الكلام في أخبار أمراء البيت الحرام ،
القاهرة ١٣٠٥ هـ .

٢٩- ابن الرفعة (ت ٧١٠ هـ) ، أبو العباس نجم الدين بن الرفعة الأنصاري ،
الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ،

تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

- ٣٠- الرشيدى (ت ١١٧٨ هـ) ، أحمد
حسن الصفا والإيتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ،
تحقيق ليلى عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٣١- السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،
تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ،
القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٣٢- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
- ٣٣- السهوى (ت ٩١١ هـ) ، نور الدين علي بن أحمد ،
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محي الدين بن
عبد الحميد ، بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- ٣٤- السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن
أبي بكر بن عثمان ،
التبر المسبوك في ذيل السلوك ، بولاق ١٨٩٦ م .
- ٣٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،
تحقيق أسعد طرابزونى الحسيني ، القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ٣٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- ٣٧- الشجاعي (ت ٧٤٥ هـ) ، شمس الدين
تاريخ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيه ،
تحقيق بربارة شيفر ، دار النشر فرانز شتاينز ، المعهد
الألماني بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- ٣٨ - ابن شبة (ت ٢٦٢ هـ) أبو زيد عمرو بن شبة النميري البصري
تاريخ المدينة المنورة وأخبار المدينة المنورة ،
تحقيق فهد شلتوت ،
المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .
- ٣٩ - أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ) ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان ،
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والعلاحية ،
تحقيق محمد حلي محمد أحمد ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٤٠ - ابن الصيرفي (ت ٩٠٠ هـ) ، علي بن داود الجوهري ،
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ،
تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٤١ - أنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حبشي ،
دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٧٠ م .
- ٤٢ - الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، صلاح الدين خليل بن أيبك ،
الوافي بالوفيات ، تحقيق رس - ريد رينغ ، الطبعة الثانية
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٤٣ - ابن طولون (ت ٩١١ هـ) ، شمس الدين محمد ،
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ،
القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
- ٤٤ - ابن ظهيرة (ت ٩٨٦ هـ) ، جمال الدين محمد ،
الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبنائها البيت الشريف ،
مكة الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٤٥ - العبدري (ت ٦٨٨ هـ) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ،
الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ١٩٦٨ م .
- ٤٦ - العباسي (توفي في القرن العاشر الهجري) ، أحمد بن عبد الحميد ،
عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تحقيق محمد الطيب الأنصاري ،
صححه حمد الجاسر ، مكة ١٣٥٩ هـ .

- ٤٧- عمارة اليمنى : نجم الدين بن أبي الحسن الحكيم (ت ٥٦٩هـ)
تاريخ اليمن ، تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ١٩٥٧م .
- ٤٨- ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ) ، محي الدين عبد الله بن رشيد ،
تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ،
القاهرة ، ١٩٦١م .
- ٤٩- الرض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ،
الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- ٥٠- الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية ،
تحقيق Exelmoperg ، ١٩٠٢م .
- ٥١- العصامي (ت ١١٠١هـ) ، عبد الملك بن حسين ،
سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي ،
المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .
- ٥٢- ابوالفدا ، (ت ٧٢٣هـ) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل
المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٣٢٥هـ .
- ٥٣- الجزء الرابع ، تحقيق عبد الكريم الباز ، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة
أم القرى ، ١٤٠٥هـ .
- ٥٤- الفاسي (ت ٨٣٢هـ) ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد ،
شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، دار إحياء الكتب ،
القاهرة ١٩٥٦م .
- ٥٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد السيد ،
الجزء الأول إشراف حامد الفقي ، والجزء الثاني تحقيق محمود
الطناحي ، والأجزاء ٢-٧ تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٣٨٦هـ /
١٩٦٦م .
- ٥٦- ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ) ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي
المصري الحنفي -
تاريخ ابن الفرات - تحقيق قسطنطين زريق ج ٧-٩ ،
بيروت ١٩٤٣م ، والجزأين الرابع والخامس تحقيق حسن الشماع .

- ٥٧ - ابن فهد (ت ٨٨٥ هـ) نجم الدين عمر بن فهد بن محمد ،
إتحاف الوری باخبار أم القرى ، تحقيق فہیم شلتوت ٣ أجزاء
جدة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
الجزء الرابع تحقيق عبد الكريم الباز ، رسالة دكتوراه مقدمة
لجامعة أم القرى ، سنة ١٤٠٥ هـ لم تنشر .
- ٥٨ - الفيروزآبادی (ت ٨٢٣ هـ) ، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب ،
المغانم المطابة في معالم طابه ، تحقيق حمد الجاسر ،
الطبعة الاولى ، الرياض ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ٥٩ - ابن فرج (ت ١٠١٠ هـ) ، عبد القادر بن احمد بن فرج ،
السلح والعدة في تاريخ بندرجدة ،
تحقيق أحمد عمر الزيلعي ، وريکس سميت ،
الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ٦٠ - القلصاوی (ت ٨٩١ هـ) ، أبو الحسن علي الأندلسي ،
رحلة القلصاوی ، تحقيق محمد أبو الالجان ،
نشر الدار التونسية للتوزيع زيتونة ، ١٩٧٨ م .
- ٦١ - القلقشندی (ت ٨٢١ هـ) ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩ م .
- ٦٢ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،
تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٦٣ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ،
الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٦٤ - القزويني (ت ٦٨٢ هـ) ، زكريا بن محمد بن محمود ،
آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٦٥ - أبو الفرج قدامة (ت ٣٢٠ هـ) ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ،
الخراج وصفة الكتابة ، طبعة بغداد .

٦٦ - القرمانى (ت ١٠١٩ هـ) ، أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي ،

أخبار الدول وأثار الأُول في التاريخ ،

القاهرة - مطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ .

٦٧ - قطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨ هـ) ،

تاريخ القطبي المسمى الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ

مكة المشرفة ، مكة - المكتبة العلمية .

٦٨ - القطبي (ت ١٠١٤ هـ) ، عبد الكريم بن محب الدين ،

تاريخ البلد الحرام ، تحقيق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي

القاهرة ١٣٦٩ هـ .

٦٩ - ابن كثير (ت ٧٧٥ هـ) ، عبد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الحافظ ،

البداية والنهاية ، بيروت ١٩٦٦ م .

٧٠ - الكاتب (ت ٧٣٠ هـ) ، شافع بن علي عباس ،

حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ،

تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الطبعة الأولى - الرياض

١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٧١ - المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) ، تقي الدين أحمد بن علي ،

السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ،

وسعيد عبد الفتاح عاشور ، طبعة القاهرة .

٧٢ - الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ،

تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٧٣ - إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة - جمال الدين الشيال

طبعة القاهرة ١٩٤٥ م .

٧٤ - المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ،

طبعة القاهرة ١٢٧٠هـ / ١٩٥٥م .

٧٥ - الموسوى (١٠٧٠هـ) ، محمد بن عبدالله الحسنى ،

رحلة الشتاء والصيف ، تحقيق محمد سعيد الطنطاوى ،

الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٩٣هـ ،

الطبعة الثانية - بيروت ١٣٨٥هـ .

٧٦ - المقدسي (ت ٣٨٧هـ) ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ،

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة ليدن ١٩٠٩م .

٧٧ - المطرى (ت ٧٤١هـ) ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف ،

التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،

المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، طبعة بيروت ١٤٠٢هـ .

٧٨ - المراغى (ت ٨١٦هـ) ، زين الدين ابي بكر بن الحسين بن عمر بن أبي الفخر ،

تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،

تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، المطبعة العلمية

المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٧٩ - ابن النجار (ت ٥٧٣هـ) ، محمد بن محمود ،

الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، مكة مكتبة النهضة ،

١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .

٨٠ - النهروالى (ت ٩٨٨هـ) ، قطب الدين الحنفى ،

الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ١٩٧٤م .

٨١ - أخبار مدينة الرسول ، تحقيق صالح محمد جمال ،

مكتبة الثقافة - مكة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- ١٨٢ - الهمذاني (ت ٣٣٤ هـ) ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ،
صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي
الرياض ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٨٣ - ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) ، زين الدين عمر بن مُطَفَّر بن عمر ،
تاريخ ابن الوردي ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
- ٨٤ - يحيى بن الحسين بن أبي القاسم (ت ١١٠٠ هـ) ،
غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،
القاهرة دار الكتاب العربي ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

*

ثالثا - المراجع العربية :

- ١ - إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين ،
الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م .
- ٢ - إبراهيم علي طرخان ،
النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ،
القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ٣ - مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ،
القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٤ - إبراهيم العياشي ،
المدينة المنورة بين الماضي والحاضر ،
المدينة المنورة ١٩٧٢ م .

- ٥ - أحمد السباعي ، تاريخ مكة ،
طبعة نادى مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- ٦ - أحمد دراج ،
الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ،
دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١م
- ٧ - أحمد عمر الزيلعي ،
مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ هـ - ٤٨٧ م ،
الطبعة الأولى - الرياض عمادة شئون المكتبات ، جامعة الرياض
١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- ٨ - أحمد بن إبراهيم الغزاوى ،
مكة المكرمة في شذرات الذهب ، تحقيق عبد العزيز صقر الغامدى ،
محمد محمود السرياني ، مطبوعات نادى مكة الثقافي ، ١٤٠٥هـ
- ٩ - أحمد إبراهيم الشريف ،
مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، الطبعة الثانية
القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م
- ١٠ - الشريف أحمد البرادعي ،
المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ،
الطبعة الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م
- ١١ - أحمد عيسى بك ،
تاريخ البيمارستانات في الإسلام ،
دمشق ، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م

- ١٢- أيوب صبرى باشا ، مرآة جزيرة العرب ،
ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولى - الصنصاني مرسى ،
الطبعة الأولى - الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٣- جميل حرب محمود حسين ،
الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٤- حسن الباشا محمود ،
المدخل إلى الآثار الإسلامية ،
القاهرة - دار النهضة ١٩٨١م .
- ١٥- دراسات في الحضارة الإسلامية ،
القاهرة دار النهضة ١٩٧٥م .
- ١٦- حمد الجاسر ؛ بلاد ينبع ، لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ،
الرياض .
- ١٧- = في شمال غرب الجزيرة العربية ، الطبعة الثانية ،
الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٨- = رسائل في تاريخ المدينة . الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٩- طلق بن موسى : وصف المدينة .
محمد خضر الرومي : التحفة اللطيفة .
السمهوري : الوفاء بما يجب بحضرة المصطفى ، تحقيق حمد الجاسر .
- ٢٠- حياة عبد القادر مرسى ،
دور السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي في اليمن
٤٧٣هـ - ٥٣٢هـ / ١٠٨٠هـ / ١١٣٨م
رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩ / ١٤٠٠هـ
١٩٧٩ / ١٩٨٠م (لم تنشر) .

- ٢٠- حسن محمود الشافعي ، العملة وتاريخها ،
القاهرة ١٩٨٠م
- ٢١- حياة ناصر الحجي ،
السلطان ناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده
الكويت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م
- ٢٢- ريتشارد مورتيل ،
الاحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،
جامعة الملك سعود ، عمادة شئون المكتبات ، الرياض ،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- ٢٣- سيد عبد المجيد بكر ،
الملاح الجغرافية لدروب الحجيج ، الطبعة الأولى جدة ،
١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- ٢٤- سليمان عبد الغني مالكي ،
مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة
منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية
، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ،
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م (لم تنشر) .
- ٢٥- = بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة
العباسية في بغداد ، من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف
القرن السابع الهجري ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م
- ٢٦- = سلطنة كلوة الإسلامية ، دار النهضة القاهرة
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

- ٢٧- سعاد ماهر ،
البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ،
دار الكتاب العربي - القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- ٢٨- = العمارة الإسلامية على مر العصور ،
دار البيان العربي ، جدة - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٢٩- سامح عبد الرحمن فهمي ،
المكايل في صدر الإسلام ،
مكة المكرمة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٣٠- = الوحدات النقدية في الوثائق المملوكية ،
مكة - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ٣١- = الوحدات النقدية المملوكية ،
الطبعة الأولى - جدة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٣٢- السيد الباز العريني ،
مصر في عهد الأيوبيين ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- ٣٣- شرف بن عبد المحسن البركاتي ،
الرحلة اليمانية لأمير مكة الشريف حسين باشا ،
الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٤ هـ .
- ٣٤- صالح لمعي مصطفى ؛
المدينة المنورة تطورها العمراني ، وتراثها المعماري ،
بيروت ١٩٨١ م .
- ٣٥- = التراث المعماري الإسلامي في مصر ،
دار النهضة العربية بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- ٣٦- علي محسن عيسى مال الله ،
أدب الرحلات ضد العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى
نهاية القرن الثامن الهجري ، بغداد ١٩٧٨م
- ٣٧- علي باشا مبارك ،
الميزان في الأقيسة والأوزان ، طبعة الأٌزهر .
- ٣٨- علي بن حسين السليمان ،
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ،
القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ٣٩- = النشاط التجاري في الجزيرة العربية في العصور الوسطى ،
١٢٥٠هـ - ١٥١٧م ،
رسالة دكتوراه - كلية الآداب جامعة القاهرة ،
١٩٣٤م - ١٩٧٤م .
- ٤٠- عطيه القوصي ،
تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط
الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦م .
- ٤١- هاتق بن غيث الهلالي ،
معالم مكة التاريخية ، مكة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٤٢- = بين مكة واليمن ، الطبعة الأولى ، مكة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م -
- ٤٣- = معجم قبائل الخجاز ، مكة ١٣٩٨هـ / ١٣٩٩هـ .
- ٤٤- عبدالرحمن فهد محمد ،
النقود العربية ماضيها وحاضرها ، مكتبة الثقافة ،
القاهرة ١٩٦٤م .

- ٤٥ - عبد القدوس الأنصارى ،
آثار المدينة المنورة ، المدينة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م
- ٤٦ - تاريخ مدينة جدة ، الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٤٧ - مع ابن جبير في رحلته - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- ٤٨ - عائشة عبدالله باقاسى ،
بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ
نادى مكة الثقافي - الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- ٤٩ - عبد العزيز الخويطر ،
الملك الظاهر بيبرس ، الرياض ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- ٥٠ - عبدالرحمن محمود عبد التواب ،
قايتباى المحمودى ، القاهرة ١٩٧٨ م
- ٥١ - عبد السلام هاشم حافظ ،
المدينة المنورة في التاريخ ، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٩٢ هـ
- ٥٢ - عبدالرحمن صالح ،
تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، جدة دار الشروق ١٤٠٣ هـ / ١٩٦٨ م
- ٥٣ - محمد رضا كحالة ،
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،
دار العلم القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م
- ٥٤ - فريد شافعي ،
عمارة العربية في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ م
- ٥٥ - فوزية حسين مطر ،
تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى
العصر العثماني ، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ،
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م (لم تنشر) .

- ٥٦ - محمد لبيب البتونني ،
الرحلة الحجازية ، القاهرة ١٣٢٧ هـ / ١٣٢٩ هـ
- ٥٧ - محمد ضياء الدين الرئيس ،
الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ،
دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م .
- ٥٨ - محمد هزاع الشهري ،
عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ، ٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ
رسالة ماجستير في الحضارة والنظم المالية ، مقدمة لجامعة
أم القرى بمكة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م (لم تنشر) .
- ٥٩ - محمد جمال الدين سرور ،
دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٦٠ - محمد محمد أمين ،
الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، ٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ /
١٢٥٠ م / ١٥١٧ م .
- دراسة تاريخية وثائقية ، دار النهضة القاهرة - الطبعة الأولى ،
١٩٨٠ م .
- ٦١ - محمد فهد عبدالله الفعر ،
الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني
من القرن الثامن الهجري حتي القرن الثاني عشر الهجري .
رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ (لم تنشر) ،
محمد أنور شكرى ، ٦٢ -
- لوحان أشران للسلطان قايتباي والسلطان سليمان القانوني
مكة دار الثقافة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

- ٦٣- محمد طاهر عبد القادر الكردي المكي ،
التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، مكة المكرمة ،
مكتبة النهضة ١٣٨٥ هـ .
- ٦٤- محمد عبد العال أحمد ،
البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه
القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٦٥- محمد عمر رفيع ،
مكة في القرن الرابع عشر الهجري ،
الطبعة الأولى مكة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٦٦- محمود الشرقاوي ،
المدينة المنورة ، القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- ٦٧- محمود رزق سليم ،
عصر سلاطين المماليك ونتائجه العلمية والأدبية ،
الطبعة ٢١ - مكتبة الآداب القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٦٨- ملك محمد الخياط ،
السيدة زينة ودورها السياسي والعمراني ،
رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بمكة ١٤٠١ هـ / ١٤٠٢ هـ .
(لم تنشر) .
- ٦٩- نعيم زكي فهمي ،
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب وأواخر
العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٧٠- هشام محمد حسن عجيمي ، قلعة المويلح ،
دراسة معمارية حضارية ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى
بمكة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . (لم تنشر) .

٧١ - يوسف أحمد ،

المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٧٢ - يوسف درويش غوانمه ،

التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي ،

الطبعة الثانية عمان ١٩٨٢ م .

*

رابعاً - المراجع العربية :

- أيوب صبري باشا ،

بحرية ميرالا يلندن (مرآة الحرمين) برنجي جلدي ،

برنجي طبعي ، قسطنطينية ١٣٠١ هـ .

*

خامساً - المراجع الأجنبية :

- 1 - Ahmad Darrag : L'Egypte Sous le regne de Barsbay Damas, 1961.
- 2 - Saad Al-Rashid: Darb Zubaydah, The Pilgrim Road from Kufa to Mecca, Riyadh 1980.
- 3 - Jacques Jomier : Le Mahmal et la caravane Egyptienne des pe'llerine de la Mecque, le Caire 1953.
- 4 - ~~Abdallah A - Ankawi~~,
The Organization and Role of the Pilgrimage during the Mamluk period ph.D thesis University of Cambridge (December, 1968).

سادسا - البحوث :

- ١ - إسماعيل أحمد إسماعيل ،
مدرسة السلطان قايتباي ،
مجلة العرب - ج ١ - ص ٢ - ١٤ رجب سبعان ١٣٩٩ هـ ،
حزبان / تموز يونيو - يوليو ١٩٧٩ م .
- ٢ - أحمد دراج ، عيذاب ،
مجلة نهضة أفريقية - السنة الأولى - العدد التاسع يوليو ١٩٥٨ م
العدد العاشر أغسطس ١٩٥٨ م .
- ٣ - =
إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ
مطلع القرن التاسع الهجري ، مقال بمجلة
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- ٤ - =
رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباي ومحمود شاه
خليجي سلطان مندوة بالهند - مجلة معهد المخطوطات
العربية ، المجلد الرابع - الجزء الأول - شوال ١٣٧٧ هـ /
١٩٥٨ م .
- ٥ - =
الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ،
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلة التاريخية المصرية ،
العدد الرابع عشر ١٩٦٦ م - ١٩٦٧ م .
- ٦ - أحمد بن عمر الزيلعي ،
المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي ، حوليات كلية الآداب
جامعة الكويت - الرسالة التاسعة والثلاثون ، الحولية السابعة ،
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- ٧ - = حاكم السرين راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية في مكة، مجلة العصور، المجلد الاول - الجزء الأول ١٥ - ٢٦ ، دار المريخ للنشر لندن - جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ٨ - = حمد الجاسر ،
الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد
الأندلسي ،
مجلة العرب - ج ٥ - س ٣ ذوالقعدة ١٣٨٨ هـ تشرين الثاني
نوفمبر ١٩٦٩ م .
- ٩ - = طريق الحيرة مكة ،
مجلة العرب - ج ٥ - س ٦ ، ذوالقعدة - ذوالحجة ،
١٣٩٩ هـ .
- ١٠ - = حسين افندي الرومانجي ،
مصر عند مفترق الطرق ، تحقيق شفيق غربال ،
مجلة كلية الاداب - جامعة فؤاد الاول المجلد الرابع - ج ١ -
مايو ١٩٣٦ م الطبعة الثانية .
- ١١ - = حسنين محمد ربيع ،
البحر الأحمر في العصر الأيوبي ،
ندوة تاريخ البحر الأحمر لجامعة عين شمس ، ١٩٧٩ م .
- ١٢ - = سعد الراشد ،
شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحاج من الكوفة الى مكة ،
مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض العدد الخامس ، ١٣٧٧ هـ .
- ١٣ - = برك المياه على طريق الحج ، مجلة أطلال - حولية مديرية الآثار
العربية السعودية ، العدد الثالث ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- ١٤ - صلاح الحلوة - نيل ماكنزى ،
التقرير الميداني عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة ،
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
مجلة أطلال - حولية الآثار العربية السعودية ، العدد الرابع
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م لوحة ٤ ب .
- ١٥ - صلاح عبد الجبار عيسى ،
رواية جغرافية للأبعاد المكانية في أعمال ومناسك الحج ،
مجلة الدارة - العدد الأول - السنة الحادية عشرة ، شوال
١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م .
- ١٦ - ابن طولون ،
البرق السامي في تعدد منازل الحج الشامي ، تحقيق حمد
الجاسر ، مجلة العرب ، ج ١١ - ١٢ س ١٠ - جمادى أول
وثاني ١٣٩٦هـ - أيار - حزيران - مايو - يونيو ١٩٧٦م .
- ١٧ - عمر الفاروق السيد رجب ،
الحج والزيارة إلى مكة والمدينة المنورة ،
مجلة الفيصل العدد الثامن عشر - السنة الثانية - ذو الحجة
١٣٩٨هـ نوفمبر ١٩٧٨م .
- ١٨ - عبد النعم رسلان ،
الأزمن خاناً ورجاً ،
مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ،
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة ، العدد الرابع ،
سنة ١٤٠١هـ .

- ١٩ - عبدالله عقيل عفاوى ،
المحمل ،نشأته وأراء المؤرخين فيه ،
مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الرياض - المجلد الثاني -
السنة الثانية ١٣٩١هـ / ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م / ١٩٧٢م .
- ٢٠ - عبداللطيف إبراهيم ،
وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، الندوة العالمية ، دراسات تاريخ
الجزيرة العربية ٥-١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ ،
٢٣ - ٢٨ أبريل ١٩٧٧م ، جامعة الرياض .
- ٢١ - محمد محمد التهامي ،
الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، مجلة الدارة ،
العدد الأول - السنة الحادية عشرة - شوال سنة ١٤٠٥هـ ،
يونيو ١٩٨٥م .
- ٢٢ - موزل ، طريق الحج العراقي القديم ،
مجلة العرب - ج ٣ - ص ٧ رمضان ١٣٩٢هـ ، تشرين الأول -
أكتوبر ١٩٧٢م .
- ٢٣ - لجنة من العلماء ،
تحديد موقع يلعلم ،
مجلة العرب - ج ١ - ص ١٨ - رجب - شعبان ١٤٠٣هـ ،
أبريل - مايو - نيسان - أيار ١٩٨٣م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
إهداء	-
شكر وتقدير	-
المقدمة	أ - ف
<u>الفصل الأول : طرق الحج :</u>	١
١ - طرق الحج	٣
٢ - طريق الحج المصرى	١٤
- إهتمام سلاطين الممالك بطريق الحج المصرى	١٤
- طريق الحج المصرى البرى	٢٣
- وصف طريق الحج المصرى البرى (بركة الحاج -	
سيناء - العقبة - الساحل) وأعمال الممالك به	٣٠
- وصف طريق الحج المصرى (الفسطاط - عيذاب -	
جدة) وأعمال الممالك به .	٧٣
- وصف طريق الحج المصرى البحرى (السويس - الطور -	
ينبع - جدة) وأعمال الممالك به .	٨٨
٣ - طريق الحج الشامى .	٩٤
- منازل طريق الحج الشامى الداخلى .	٩٧
٤ - طريق الحج العراقى (درب زبيدة)	١١٣
- وصف طريق الحج العراقى (درب زبيدة)	١١٨

الموضوع	الصفحة
٥ - طريق الحج اليمني	١٣٣
- الطريق الداخلي	١٤٣
- طريق تهامة	١٣٩
- أعداد القبائل	١٤٨
الفصل الثاني : المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة :	١٥٩
١ - إلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة .	١٦٠
٢ - جباية المكوس بجدة .	١٨٧
الفصل الثالث : الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين .	٢٢٧
الفصل الرابع : توفير الأطعمة وإلغاء المكوس عليها في مكة المكرمة	
والمدينة المنورة :	٢٧١
١ - في مكة المكرمة .	٢٧٤
٢ - في المدينة المنورة .	٣٠٢
الفصل الخامس : توفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة	
وخليص والمدينة المنورة :	٣٠٥
١ - توفير المياه في مكة المكرمة	٣٠٥
٢ - توفير المياه في منى	٣٢٦
٣ - توفير المياه في عرفة	٣٢٩
٤ - توفير المياه في خليص	٣٣٥
٥ - توفير المياه في المدينة المنورة	٣٣٧

الصفحة

الموضوع

٣٤٤ الفصل السادس والخدمات الدينية والمدنية للحجاج :

- ٣٤٧ ١ - المساجد :
- ٣٥٠ أ - مساجد مكة المكرمة
- ٣٥٣ ب - مسجد سرورة بمرّ الظهران
- ٣٥٣ ج - مسجد خليص
- ٣٥٤ د - مساجد المشاعر المقدسة
- ٣٦٢ هـ - مساجد المدينة المنورة
- ٣٧٨ ٢ - المدارس :
- ٣٨١ أ - مدارس مكة المكرمة
- ٣٩٧ ب - مدارس المدينة المنورة
- ٤٠٠ ٣ - الأربطة :
- ٤٠١ أ - الأربطة في مكة المكرمة
- ٤١٦ ب - الأربطة في المدينة المنورة
- ٤٢٠ ٤ - اليمارستانات :
- ٤٢٠ أ - اليمارستانات في مكة المكرمة
- ٤٢٢ ب - اليمارستانات في المدينة المنورة
- ٤٢٤ الخاتمة

٤٣٠ الملاحق :

- ٤٣١ ١ - الخرائط
- ٤٤١ ٢ - حجة وقف الناصر محمد بن قلاوون
- ٤٥٤ ٣ - حجة وقف الأشراف شعبان
- ٤٧٠ ٤ - نص اللوحة التأسيسية لعين عرفة في عهد السلطان قايتباي
- ٤٧٥ ٥ - ثبت المصادر والمراجع
- ٥٠١ ٦ - فهرس الموضوعات